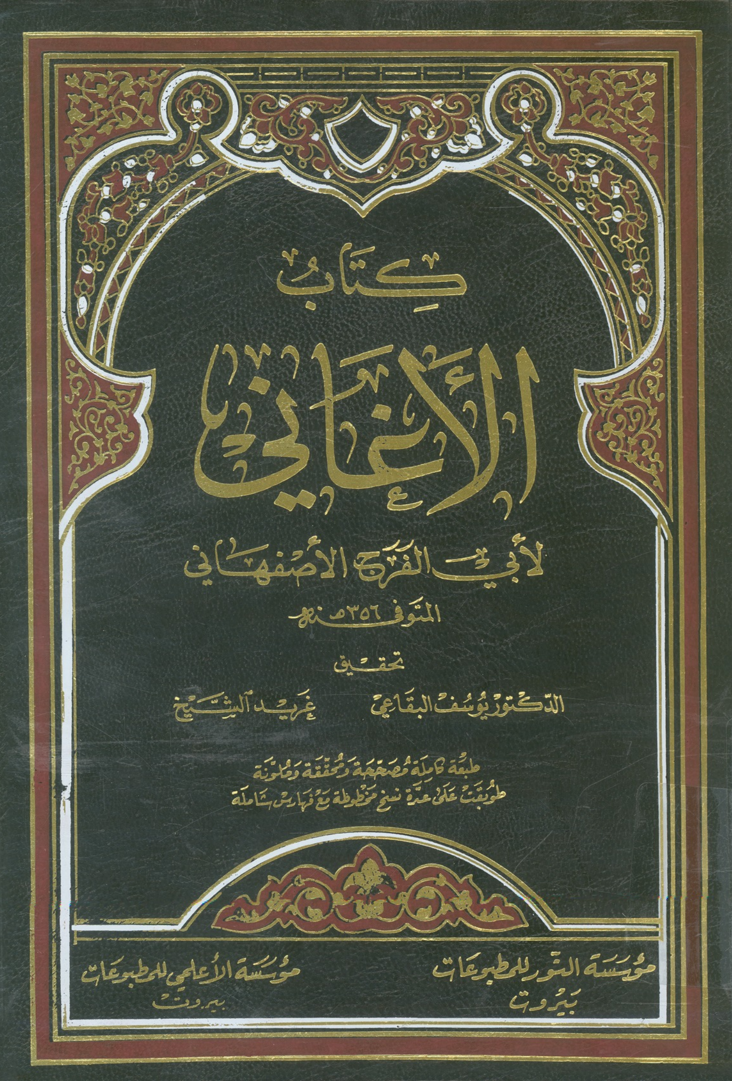


كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦ هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت

كتاب

الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦ هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء الحادي والعشرون

منشورات
مؤسسة الأعلى للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الأعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أخبار المنخل ونسبه

[توفي نحو سنة ٢٠ ق هـ/ نحو سنة ٦٠٣ م]

[اسمه ونسبه]

هو المُنخَّل بنُ عمرو ـ ويقال: المُنخَّلُ بنُ مسعودٍ ـ بنِ أَفلَتَ بنِ عمرِو بنِ كعبِ بن سُواءةَ بنِ غَنْمِ بنِ حبيبِ بنِ يشكُرَ بنِ بكرِ بن وائلٍ. وذكر أبو محلِّم النسابة أنه المنخَّلُ بنُ مسعودِ بنِ أفلَتَ بنِ قَطَنِ بن سُوءةَ بنِ مالكِ بنِ ثَعلبة بنِ حبيبِ بن غَنْم بن حبيبِ بنِ كعبِ بنِ يشكُرَ. وقال ابنُ الأعرابيّ: هو المنخَّل بنُ الحارثِ بنِ قيسِ بن عمرِو بن ثعلبةَ بنِ عَدِيٍّ بن جُشَمَ بنِ حبيبِ بنِ كعبِ بن يَشْكُرَ.

[علاقته بالمتجرّدة وبعض أخباره وشعره]

شاعر مُقِلٌّ من شعراء الجاهلية، وكان النعمانُ بنُ المنذر قد اتهمه بامرأته المتجرّدة ـ وقيل: بل وجده معها، وقيل: بل سُعِيَ به إليه في أمرها فقتله، وقيل: بل حبسه، ثم غَمَض خبره، فلم تُعلم له حقيقة إلى اليوم. فيقال إنه دفنه حيًّا، ويقال إنه غرّقه. والعرب تضرب به المثل كما تضربه بالقارظ العَنَزيّ[1] وأشباهه ممن هلك ولم يعلم له خبر. وقال ذو الرُّمة:

(١) القارظ العنزي: هو يذكر بن عنزة، أو عامر بن رهم. وكلاهما من عنزة، خرجا في طلب القرظ ولم يرجعا فضرب بطول غيبتهما المثل.

تُقارِبُ حَتَّى تُطْمِعَ التابعَ الصّبا وَلَيْسَتْ بأدْنَى من إيابِ المُنَخّلِ

وقال النَّمر بنُ تَوْلَب: [الطويل]

وَقَوْلِي إذا ما أطْلَقُوا عَنْ بَعِيرِهِمْ تُلاقونَهُ حَتَّى يؤوبَ المُنَخّلُ

أخبرني محمدُ بنُ خلف بن المَرْزُبان، قال: أخبرني أحمدُ بنُ زهير قال: أخبرني عبدُ الله بن كريم قال: أخبرني أبو عمرٍو الشيبانيُّ قال: كان سببَ قتل المنخّل أنّ المتجرّدةَ ـ واسْمُها ملويّة وقيل: هند بنتُ المنذرِ بن الأسود الكلبيّة ـ كانت عند ابن عم لها يقال له: حُلْم، وهو الأسودُ بنُ المنذرِ بن حارثةَ الكلبيُّ، وكانت أجملَ أهل زمانِها، فرآها المنذرُ بنُ المنذرِ الملكُ اللّخميّ فعشِقها، فجلس ذات يوم على شرابه ومعه حُلم وامرأته المتجرّدة، فقال المنذر لِحُلم: إنه لقبيح بالرجل أن يقيم على المرأة زماناً طويلاً حتى لا يبقى في رأسِه ولا لِحيته شعرة بيضاء إلا عرَفتْها، فهل لك أن تطلّقَ امرأتَك المتجرّدة وأُطلّقَ امرأتي سلمى؟ قال: نعم، فأخذ كلُّ واحد منهما على صاحبه عهداً. قال: فطلّق المنذر امرأته سلمى، وطلّق حُلم امرأتَه المتجرّدةَ، فتزوّجها المنذر ولم يُطلِق لسلمى أن تتزوج حُلماً، وحجبها ـ وهي أمّ ابنِهِ النعمانِ بنِ المنذر ـ فقال النابغة الذبياني يذكر ذلك:

[البسيط]

قد خادعوا حُلُماً عَنْ حُرَّة خَرِدٍ حَتَّى تَبَطَّنَها الخَدّاعُ ذو الحُلُمِ[1]

قال: ثم مات المنذر بن المنذر، فتزوّجها بعده النعمانُ بنُ المنذر ابنُه، وكان قصيراً دميماً أبرش[2]، وكان ممن يجالسه ويشرب معه النابغةُ الذبيانيّ ـ وكان جميلاً عفيفاً ـ والمنخّل اليشكريّ ـ وكان جميلاً ـ وكان يُتَّهم بالمتجردة. فأما النابغة فإن النعمان أمره بوصفها فقال قصيدته التي أولها: [الكامل]

مِن آلِ مَيَّةَ رائحٌ أو مُغْتَدِي عَجْلانَ ذا زادٍ وَغَيْرَ مُزَوَّدِ

ووصفها فأفحش فقال:

وإذا طَعَنْتَ طَعَنْتَ في مُسْتَهْدِفٍ رابي المَجَسَّة بالعَبير مُقَرمَدِ[3]

(١) الخرد: الفتاة العذراء، أو المرأة الحيية. وتبطنها: توسطها.
(٢) الأبرش: المختلف اللون فيه نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء، أو نحو ذلك.
(٣) المقرمد: المطليّ.

وإذا نَزَعْتَ نَزَعْتَ عن مُسْتَحْصِفٍ … نَزْعَ الحَزَوَّرِ بالرشاءِ المُحْصَدِ(١)

فغار المنخّل من ذلك. وقال: هذه صفة مُعايِن، فهمّ النعمان بقتل النابغة حتى هرب منه، وخلا المنخّل بمجالسته، وكان يهوى المتجردة وتهواه، وقد ولدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل، وكانت العرب تقول: إنهما منه. فخرج النعمان لبعض غزواته ـ قال ابن الأعرابيّ: بل خرج متصيّداً ـ فبعثت المتجردة إلى المنخّل فأدخلته قُبَّتَها، وجعلا يشربان، فأخذَت خَلخالها وجعلته في رجله، وأسدلت شعرها فشدّت خَلخالها إلى خَلخاله الذي في رجله من شدة إعجابها به. ودخل النعمان بعقب ذلك فرآها على تلك الحال، فأخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلِب يقال له: عِكَبّ، وأمره بقتله، فعذّبه حتى قتله. فقال المنخّل يحرّض قومه عليه: [الوافر]

ألا مَنْ مُبْلِغُ الحَيَّيْنِ عَنّي … بأنَّ القَوْمَ قد قَتَلُوا أُبَيّا

فإنْ لم تثأروا لي من عِكَبٍّ … فلا رَوَّيتُمُ أَبَداً صَدِيّا

وقال أيضاً: [الخفيف]

ظَلَّ وَسْطَ النَّدِيِّ قَتْلَى بِلا جُرْ … مٍ وقومي يُنَتِّجُونَ السِّخالا(٢)

وقال في المتجرّدة: [الوافر]

دِيارٌ لِلَّتي قَتَلَتْكَ غَصْباً … بِلا سَيْفٍ يُعَدُّ ولا نِبالِ

بِطَرفٍ مَيِّتٍ في عَيْنِ حَيٍّ … لَهُ خَبَلٌ يَزِيدُ على الخَبالِ

وقال أيضاً: [مجزوء الكامل]

وَلَقَدْ دَخَلْتُ على الفَتا … ة الخِدرَ في اليَوْمِ المَطِيرِ

الكاعِبِ الحَسْناءِ تَرْ … فُلُ في الدِّمَقْسِ وفي الحَرِيرِ

دافَعْتُها فَتَدافَعَتْ … مَشْيَ القَطاةِ إلى الغَدِيرِ

وَلَثَمْتُها فَتَنَفَّسَتْ … كَتَنَفُّسِ الظَّبْيِ البَهِيرِ(٣)

وَرَنَتْ وقالَتْ يا مُنَخْ … خَلُ هَلْ بِجِسْمِكَ مِنْ فُتُورِ؟

---

(١) المستحصف: الضيق. والحزوّر: الرجل القويّ. والمُحْصد: الحبل الشديد الفتل.

(٢) السخال: جمع سخلة، وهي صغير المعز.

(٣) البهير: الذي تتابع نفسه.

مـا مَـسَّ جِـسْـمِـي غَـيْـرُ حُـبِّـ ـلِكِ فـاهْـدَئِـي عَـنِّـي وَسِـيـرِي
يـا هِـنْـدُ هَـلْ مِـنْ نـائِـلٍ يـا هِـنْـدُ لِـلْـعـانِـي الأسِـيـرِ؟[١]
وأُحِـبُّـهـا وَتُـحِـبُّـنِـي ويُـحِـبُّ نـاقَـتَـهـا بَـعِـيـرِي
وَلَـقَـدْ شَـرِبْـتُ مِـنَ الـمُـدا مَـةِ بـالـكَـبِـيـرِ وَبِـالـصَّـغِـيـرِ
فـإذا سَـكِـرْتُ فـإنَّـنِـي رَبُّ الـخَـوَرْنَـقِ والـسَّـدِيـرِ[٢]
وإذا صَـحَـوْتُ فـإنَّـنِـي رَبُّ الـشُّـوَيْـهَـةِ وَالـبَـعِـيـرِ
يـا رُبَّ يَـوْمٍ ـ لِـلْـمُـنَـخْـ ـلِ قَـدْ لـهـا فـيـهِ ـ قَـصِـيـرِ

وأخبرني بخبر المُنخَّل مع المتجرِّدة أيضاً عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: أخبرني أبو سعيد السكريُّ عن محمدِ بن حبيبٍ عن ابنِ الأعرابيّ قال: كانت المتجردةُ امرأةُ النعمان فاجرةً، وكانت تتّهم بالمنخّل، وقد ولَدتْ للنعمان غلامين جميلين يشبهان المُنَخَّل، فكان يقال: إنهما منه، وكان جميلاً وسيماً، وكان النعمان أحمر أبرش قصيراً دميماً. وكان للنعمان يوم يركب فيه فيُطيل المُكث، وكان المُنخَّل من نُدَمائه لا يفارقه، وكان يأتِي المتجرِّدةَ في ذلك اليوم الذي يركب فيه النعمان فيطيل عندها، حتى إذا جاء النعمان آذنَتْها بمجيئه ولِيدة[٣] لها موكّلة بذلك فتُخرجُه. فركب النعمان ذات يوم وأتاها المنخّل كما كان يأتيها فلاعبَته، وأخذت قيداً، فجعلت إحدى حلقتيه في رِجْله والأُخرى في رجلها، وغفَلت الوليدةُ عن تَرقّب النعمان؛ لأن الوقت الذي يجيء فيه لم يكن قَرُب بعد، وأقبل النعمان حينئذ ولم يُطِل في مكثه كما كان يفعل، فدخل إلى المتجرِّدة، فوجدها مع المنخّل قد قيَّدَتْ رِجلَها ورجلَه بالقيد، فأخذه النعمان فدفعه إلى عِكَبٍّ صاحبِ سجنه ليعذّبه ـ وعِكَبٌّ رجل من لَخم ـ فعذّبه حتى قتله. وقال المنخّل قبل أن يموت هذه الأبيات، وبعث بها إلى ابنيه: [الوافر]

ألا مَـن مُـبْـلِـغُ الـحُـرَّيْـنِ عَـنّـي بـأنَّ الـقَـوْمَ قـد قَـتَـلُـوا أُبَـيّـا
وإنْ لـم تـثـأروا لـي مـن عِـكَـبٍّ فـلا أُرويـتُـمـا أبـداً صَـدِيّـا
يُـطَـوِّفُ بـي عِـكَـبٌّ فـي مَـعَـدٍّ وَيَـطْـعَـنُ بـالـصُّـمـلَّـةِ فـي قَـفَـيّـا[٤]

(١) النائل: العطاء.
(٢) الخورنق: قصر النعمان الأكبر. والسدير: قصر بناه الملك النعمان بن امرىء القيس بن أوس في العراق.
(٣) وليدة: جارية.
(٤) الصملّة: الحربة.

قال ابن حبيب: وزعم ابن الجَصّاص أن عمرو بن هند هو قاتل المنخّل، والقول الأول أصحّ. وهذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجرّدة، وأولها قوله: [مجزوء الكامل]

إنْ كُنْتِ عاذِلَتي فَسِيرِي ... نَحْوَ العِراقِ ولا تَحُورِي

لا تَسْأَلِي عَنْ جُلِّ ما ... لي واذْكُرِي كَرَمِي وَخِيري

وإذا الرِّياحُ تَناوَحَتْ ... بجوانبِ البَيْتِ الكَسِيرِ[1]

أَلْفَيْتِنِي هَشَّ النَّدِيِّ ... بِمُمَرِّ قِدْحِي أو شَجِيرِي[2]

ـ الشجير: القِدح الذي لم يُصلَح حسناً، ويقال: بل هو القِدح العاريّة ـ

ونَهَى أبو أفْعَى فَقَلَّـ ... ـدَنِي أبو أفعى جَرِيرِي[3]

وجُلالَة خَطّارة ... هَوْجاءَ جائلةَ الضُّفُور[4]

تَعْدُو بأشْعَثَ قَدْ وَهَى ... سِرْ بالُهُ باقي المَسِيرِ

فُضُلاً على ظَهْرِ الطَّرِيـ ... ـقِ إليكَ علقمةَ بنَ صِيرِ[5]

الواهِبِ الكُومِ الصَّفا ... يا والأوانِسِ في الخُدورِ[6]

يُصْفِيكَ حينَ تجيئُهُ ... بالعَصْبِ والحَلْيِ الكثيرِ[7]

وَفَوارِسٍ كأُوارِ حَـ ... ـرِّ النّارِ أَحْلاسِ الذُّكورِ[8]

شَدُّوا دَوابِرَ بَيْضِهِمْ ... في كُلِّ مُحْكَمَةِ القَتِيرِ[9]

فاسْتَلأَمُوا وتَلَبَّبُوا ... إنَّ التَّلَبُّبَ لِلْمُغِيرِ[10]

وَعَلَى الجِيادِ المُضْمَرا ... تِ فوارِسٌ مثلُ الصُّقُورِ

---

(١) الكسير: المهشم.

(٢) هش النديّ: خفيف اليد بالندى والعطاء.

(٣) الجرير: الحبل.

(٤) الجلالة: الناقة المسنة. والخطارة: التي تضرب بذنبها يميناً وشمالاً. والضفور: جمع ضفر، وهو ما يشد به البعير من مضفور.

(٥) الفُضُل: المتفضل في ثوب واحد.

(٦) الكوم: جمع كوماء، وهي الناقة العظيمة السنام. والصفايا: ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة.

(٧) العَصْب: ضرب من البرود المنسوجة من القطن والصوف.

(٨) أحلاس: جمع حلس وهو الملازم.

(٩) القتير: رؤوس مسامير الدرع.

(١٠) استلأموا: لبسوا اللأمات، وهي الدروع. وتلببوا: شدوا الأحزمة وشمّروا.

يَخْرُجْنَ من خَلَلِ الغُبا ... رِ يَجِفْنَ بالنَّعَم الكَثِيرِ
فَشَفَيْتُ نَفْسِي من أولـ ... ـئكَ والفوائحُ بالعبير
يَرْفُلْنَ في المِسْكِ الذَّكِيِّ ... وَصائِكٍ كَدَمِ النَّحِيرِ[(١)]
يَعْكُفْنَ مثلَ أساوِدِ التَّنُّومِ لم تُعكَفْ لِزورِ[(٢)]
ولقد دَخَلْتُ على الفتا ... ةِ الخِدْرَ في اليوم المَطِيرِ
الكاعِبِ الخَنْساءِ تَرْ ... فُلُ في الدِّمَقْسِ وفي الحَرِيرِ
فَدَفَعْتُها فتدافَعَتْ ... مَشْيَ القطاةِ إلى الغَدِيرِ
وَلَثَمْتُها فَتَنَفَّسَتْ ... كَتَنَفُّسِ الظَّبْيِ البَهِيرِ
فَدَنَتْ وقالَتْ يا مُنَخْـ ... ـلُ ما بِجِسْمِكَ من حَرورِ؟
ما شَفَّ جِسْمِي غَيْرُ حُبِّـ ... ـكِ فاهْدئِي عنّي وَسِيرِي
وَلَقَدْ شربتُ من المُدا ... مَةِ بالصَّغِيرِ وبالكبيرِ
وَلَقَدْ شَرِبتُ الخمرَ بالـ ... ـخَيْلِ الإناثِ وبالذُّكورِ
وَلَقَدْ شربتُ الخمرَ بالـ ... ـعبدِ الصَّحِيحِ وبالأسِيرِ
فإذا سَكِرْتُ فإنَّنِي ... رَبُّ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ
وإذا صَحَوْتُ فإنَّنِي ... رَبُّ الشُّوَيْهَةِ والبعيرِ
يا رُبَّ يَوْمٍ لِلْمُنَخْـ ... ـلِ قد لَهَا فيهِ قصيرِ
يا هِنْدُ هَلْ من نائلٍ ... يا هِنْدُ للعاني الأسِيرِ

ومن الناس من يزيد في هذه القصيدة:

وأُحِبُّها وتُحِبُّنِي ... وَيُحِبُّ ناقتَها بَعِيرِي

ولم أجده في رواية صحيحة.

صوت

[الوافر]

لِمَن شيخانِ قد نَشَدا كلابا ... كتابَ الله لو قَبِلَ الكتابا
أُناشِدُهُ فَيُعْرِض في إباءٍ ... فلا وأَبِي كلابٍ ما أصابا

الشعر لأُميّة بنِ الأسكر الليثيّ، والغناء لعبد الله بنِ طاهر، رمَل بالوُسطى.

(١) صائك: وصف من صاك به الطيب أي لزق.
(٢) يعكفن: يضفرن شعورهن. والتنوم: شجر كثير الفروع

صنعه ونسبه إلى لَمِيسَ جاريتِه، وذكر الهِشاميّ أن اللحن لها، وذكره عبيد الله بنُ عبد الله بن طاهرٍ في جامع أغانيهم ووقع إليّ، فقال: الغناء فيه للدّار الكبيرة، وكذلك كان يكنّي عن أبيه، وعن إسحاق بنِ إبراهيمَ بنِ مُصعبٍ وجواريهم، ويكنّي عن نفسه وجاريته شاجي وما يصنع في دُور إخوته بالدار الصغيرة.

أخبار أمية بن الأسكر ونسبه

[توفي نحو سنة ٢٠ هـ/ نحو سنة ٦٤١ م]

[اسمه ونسبه]

هو أميةُ بنُ حُرْثانَ بنِ الأَسكر بن عبد الله بن سرابيلِ الموت بنِ زُهرةَ بنِ زَبينةَ بنِ جُنْدَع بنِ ليثِ بنِ بكرِ بنِ عبدِ مناةَ بنِ كنَانةَ بنِ خُزَيمةَ بن مُدِركةَ بنِ الياس بنِ مُضرَ بنِ نزار. شاعر فارس مخضرم أدركَ الجاهلية والإسلام، وكان من سادات قومه وفُرسانهم، وله أيام مأثورة مذكورة.

وكان له أخ يقال له: أبو لاعق الدم، وكان من فُرسان قومه وشعرائهم، وابنُه كِلابُ بنُ أمية أيضاً أدركَ النبيﷺ فأسلم مع أبيه، ثم هاجر إلى النبيﷺ فقال أبوه فيه شعراً، ذكر أبو عمرو الشيباني أنه هذا الشعر، وهو خطأ، إنما خاطبه بهذا الشعر لما غزا مع أهل العراق لقتال الفُرس، وخبره في ذلك يذكر بعد هذا. قال أبو عمرو في خبره: فأمرهﷺ بصلة أبيه وملازمتِه طاعته.

[طول غياب ابنه في الغزو، واسترحامه عمر بن الخطاب لاسترداد ابنه]

وكان عمرُ بنُ الخطاب استعمل كلاباً على الأُبُلّة[1]، فكان أبواه ينتابانه، يأتيه أحدهما في كل سنة، ثم أبطآ عليه وكبِرا فضعفا عن لقائه، فقال أبياتاً وأنشدها عمرَ، فرقّ له ورده إليهما، فلم يلبث معهما إلا مدة حتى نهشته أفعى؛ فمات وهذا أيضاً وَهْم من أبي عمرو، وقد عاش كِلاب حتى ولِي لزياد الأُبُلّةَ، ثم استعفَى، فأعفاه. وسأذكر خبره في ذلك وغيرَه ها هنا إن شاء الله تعالى.

(١) الأُبلّة: بلدة على شاطىء دجلة البصرة. (معجم البلدان ١/ ٧٧).

فأما خبره مع عمر فإنّ الحسنَ بنَ عليٍّ أخبرني به، قال: حدثني الحارثُ بنُ محمد قال: حدثني المدائنيُّ عن أبي بكر الهُذَليّ عن الزّبَيريّ عن عُروةَ بنِ الزبَير قال: هاجر كِلابُ بنُ أميةَ بنِ الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر بنِ الخطاب، فأقام بها مدّة، ثم لَقِيَ ذات يوم طلحةَ بنَ عُبَيد الله والزبيرَ بنَ العوّام، فسألهما: أيُّ الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقالا: الجهاد، فسأل عمرَ فأغزاه في جيش، وكان أبوه قد كبِر وضعف، فلما طالت غيبة كلاب عنه قال: **[الوافر]**

لِمَنْ شيخانِ قد نَشَدا كلابا ... كتابَ الله إن قَبِلَ الكتابا

أُناديهِ فيُعْرِضُ في إباءٍ ... فلا وأبي كلابٍ ما أصابا

إذا سَجَعَتْ حمامَةُ بَطْنِ وادٍ ... إلى بَيْضاتِها دَعَوَا كلابا

أتاهُ مهاجرانِ تكنّفاهُ ... ففارَقَ شيخهُ خَطِئاً وخابا[1]

تَرَكْتَ أباكَ مُرعَشَةً يَداهُ ... وأُمَّكَ ما تُسِيغُ لها شرابا[2]

تُمَسِّحُ مُهْرَهُ شَفَقاً عليهِ ... وتجنُبهُ أبا عِرَها الصِّعابا

ـ قال: تجنبُه وتجنّبه واحد، من قول الله عز وجل: ﴿واجنُبْني وبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأَصْنامَ﴾[3]. قال: ـ

فإنك قد تركتَ أباكَ شَيْخاً ... يطارقُ أيْنُقاً شُزُباً طِرابا[4]

فإنَّكَ وَالتماسَ الأجْرِ بَعْدِي ... كباغِي الماءِ يَتَّبِعُ السَّرابا

فبلغَتْ أبياته عمرَ، فلم يردُد كلاباً وطال مقامه فأُهتِر[5] أمية وخُلِط جزَعاً عليه، ثم أتاه يوماً وهو في مسجد رسول الله ﷺ وحوله المهاجرون والأنصار، فوقف عليه ثم أنشأ يقول:

أعاذِلَ قَدْ عَذَلْتِ بِغَيْرِ قَدْرٍ ... ولا تَدْرِينَ عاذلَ ما أُلاقِي

فإمّا كُنْتِ عاذلتي فَرُدّي ... كِلاباً إذ توجَّه للعراقِ

---

(١) تكنّفاه: أحاطا به.
(٢) مرعشة: مرتجفة.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.
(٤) يطارق: يطابق. والشُّزُب: الضامرة.
(٥) أُهتر: فسد عقله وخرف.

ولـم أَقْـضِ الـلُّـبـانـةَ مـن كِـلابٍ غـداةَ غَـدٍ وأُذِنَ بـالـفِـراقِ[١]
فَـتـى الـفِـتـيـانِ فـي عُـسْـرٍ ويُـسْـرٍ شَـدِيـدُ الـرُّكْـنِ فـي يـوم الـتـلاقِـي
فـلا والـلَّـهِ مـا بـالَـيْـتَ وَجْـدِي ولا شَـفَـقِـي عَـلَـيْـكَ ولا اشْـتِـيـاقِـي
وإبـقـائـي عـلـيـكَ إذا شَـتَـوْنـا وَضَـمَّـكَ تَـحْـتَ نَـحْـرِي واعـتـنـاقِـي
فَـلَـوْ فَـلَـقَ الـفـؤادَ شَـدِيـدُ وجْـدٍ لَـهَـمَّ سَـوادُ قَـلْـبـي بـانـفـلاقِ
سـأَسْـتَـعْـدِي عـلـى الـفـاروقِ رَبًّـا لـه دُفِـعَ الـحَـجِـيـجُ إلـى بُـسـاقِ[٢]
وأدعـو الله مُـجْـتَـهِـداً عـلـيـهِ بـبـطـنِ الأخْـشَـبَـيْـنِ إلـى دُفـاقِ[٣]
إنِ الـفـاروقُ لـم يَـرْدُدْ كـلابـاً إلـى شَـيْـخَـيْـنِ هـامُـهُـمـا زَواقِ

قال: فبكى عمر بكاءً شديداً، وكتب بِرَدّ كلاب إلى المدينة، فلما قدِم دخل إليه، فقال: ما بلغ من بِرّك بأبيك؟ قال: كنتُ أُوثره وأكفيه أمره، وكنت أعتمد إذا أردتُ أن أحلُب له لبناً أَغزَرَ ناقةٍ في إبله وأسمَنها فأُريحها وأتركها حتى تستقرّ، ثم أغسل أخلافها[٤] حتى تبرد ثم أحتلب له فأسقيه. فبعث عمرُ إلى أميّةَ مَن جاء به إليه، فأدخله يتهادَى وقد ضعُف بصرُه وانحنى. فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ قال: كما تراني يا أميرَ المؤمنين. قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، أشتهي أن أرى كِلاباً فأَشَمَّه شَمّة، وأضُمَّه ضَمَّة قبل أن أموت. فبكى عمر، ثم قال: ستبلغ من هذا ما تحبّ إن شاء الله تعالى. ثم أمر كلاباً أن يحتلبَ لأبيه ناقة كما كان يفعل، ويبعثَ إليه بلبنها، ففعل فناوله عمرُ الإناء، وقال: دونك هذا يا أبا كلاب. فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال لعمر: والله يا أمير المؤمنين، إني لأشَمّ رائحة يدَيْ كلاب من هذا الإناء، فبكى عمر، وقال: هذا كلاب عندكَ حاضراً قد جئناك به، فوثب إلى ابنه وضمّه إليه وقبّله، وجعل عمرُ يبكي ومَن حضَره، وقال لكلاب: الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شأنَك بنفسك بعدهما، وأمر له بعطائه، وصرَفه مع أبيه، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبوه.

---

(١) الفاروق: عمر بن الخطاب. وبُساق: جبل عرفات، وقيل وادٍ بين المدينة والحجاز. (معجم البلدان ٤١٣/١).

(٢) دفاق: موضع قرب مكة. (معجم البلدان ٤٥٧/٢).

(٣) الأخلاف: جمع خلف، وهو حلمة الضرع.

(٤) اللبانة: الحاجة والمأرب.

[بعض أخباره وشعره]

ونسخت من كتاب أبي سعيد السكريّ أن أمية كانت له إبل هائمة ـ أي أصابها الهُيام وهو داء يصيب الإبل من العطش ـ فأخرجَته بنو بكر مخافة أن يصيب إبلَهم، فقال لهم: يا بَني بكر، إنما هي ثلاث ليال: ليلة بالبقعاء[١] وليلة بالفُرْع[٢]، وليلة بِلَقْف[٣] في سامرٍ من بني بكر، فلم ينفعه ذلك وأخرجوه، فأتى مُزَينة فأجاروه، وأقام عندهم إلى أن صحّت إبله، وسكنت، فقال يمدح مزينة: [الوافر]

تَكَنَّفَها الهُيامُ وأَخْرَجُوها ... فما تأْوي إلى إِبلٍ صِحاحِ

فكانَ إلى مُزَيْنَةَ مُنْتَهاها ... علَى ما كان فيها مِنْ جُناحِ[٤]

وما يَكُنِ الجُناحُ فإنَّ فيها ... خلائقَ يَنْتَمينَ إلى صَلاحِ

ويَوْماً في بني لَيْثِ بنِ بَكْرٍ ... تُراعى تَحْتَ قَعْقَعَةِ الرِّماحِ

فإمّا أُصْبِحَنْ شَيْخاً كَبيراً ... وراءَ الدَّارِ يُثْقِلُني سِلاحي

فَقَدْ آتي الصَّريخَ إذا دعاني ... على ذي مَنْعةٍ عَتِدٍ وَقاحِ[٥]

وشَرُّ أخي مُؤَامرةٍ خَذولٌ ... على ما كان مُؤْتكِلٌ ولاحِ[٦]

أخبرني عمي قال: حدّثنا محمدُ بنُ عبدِ الله الحَزَنْبَل عن عمرو بنِ أبي عمرٍو الشيبانيِّ عن أبيه، وأخبرني به محمدُ بنُ خَلَفِ بن المَرْزُبان قال: حدثنا أبو توبةَ عن أبي عمرو قال: عُمِّر أميةُ بنُ الأسكر عُمراً طويلاً حتى خَرِف، فكان ذات يوم جالساً في نادي قومه وهو يحدّث نفسه، إذ نظر إلى راعي ضأن لبعض قومه يتعجب منه، فقام لينهض فسقط على وجهه، فضحك الراعي منه، وأقبل ابناه إليه، فلما رآهما أنشأ يقول: [البسيط]

يا بْنَيْ أُمَيَّةَ إنّي عَنْكُما غانِ ... وما الغِنَى غَيْر أنّي مُرْعَشٌ فانِ

يا بْنَيْ أُمَيَّةَ إلاّ تَحْفَظا كِبَري ... فإنَّما أنْتُما والثُّكلُ سِيّانِ[٧]

---

(١) البقعاء: ماء لبني عبس. (معجم البلدان ١/ ٤٧١).

(٢) الفرع: قرية من نواحي المدينة. (معجم البلدان ٤/ ٢٥٢).

(٣) لقف: ماء آبار كثيرة عذب بأعلى قوران من ناحية السوارقية. (معجم البلدان ٥/ ٢١).

(٤) الجناح: الإثم، الجرم.

(٥) الصريخ: المستغيث. والعَتِد: الشديد التام الخلق. والوقاح: الصلب.

(٦) مؤتكل: غاضب هائج ولاحي: لائم.

(٧) سيان: متماثلان.

هـل لـكـمـا فـي تُـراثٍ تَـذْهَـبـانِ بـه إنَّ الـتُّـراثَ لِـهَـيّـان بـنِ بَـيّـانِ

ـ يقال: هيانُ بن بَيان، وهي ترى للقريب والبعيد ـ

أَصْبَحْتُ هُزْءاً لِراعي الضَّأْنِ يَسْخَرُ بِي مـاذا يَـريبُـكَ مِـنِّـي راعـيَ الـضّـانِ
اعـجَـبْ لِـغَـيْـريَ إنِّـي تـابِـعٌ سَـلَـفـي أعْـمـامَ مَـجْـدٍ وأَجْـدادي وإخـوانـي
وانعَقْ بِضَأْنِكَ في أَرْضٍ تُطِيفُ بها بَيْنَ الأَسافِ وأَنْتِجْها بِجِلْذانِ[1]

ـ جِلذان: موضع بالطائف ـ

بِـبَـلْـدةٍ لا يَـنـامُ الـكـالِـئـانِ بـهـا ولا يَـقَـرُّ بـهـا أَصْـحـابُ أَلْـوانِ

وهذه الأبيات تمثّل بها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه في خطبة له على المنبر بالكوفة.

حدثنا بها أحمدُ بنُ عُبيدِ الله بنِ عمار وأحمدُ بنُ عبدِ العزيز الجوهريُّ، قالا: حدثنا عمرُ بنُ شبّة قال: حدثنا محمدُ بنُ أبي رجاء، قال: حدثنا إبراهيمُ بنُ سعد، قال: قال عبدُ الله بنُ عديٍّ بن الخِيار: شهِدت الحكَمَين، ثم أتيت الكوفة وكانت لي إلى عليّ عليه السلام حاجة، فدخلتُ عليه، فلما رآني قال: مرحباً بك يابنَ أمّ قَتّال، أزائراً جئتنا أم لحاجة؟ فقلت: كُلٌّ جاء بي؛ جئت لحاجة، وأحببت أن أُجدِّد بك عهداً، وسألته عن حديث فحدثني على ألا أُحدِّث به واحداً. فبينا أنا يوماً بالمسجد في الكوفة إذا عليٌّ صلوات الله عليه متنكّب قَرَناً[2] له، فجعل يقول: الصلاة جامعة. وجلس على المنبر، فاجتمع الناس، وجاء الأشعث بن قيس فجلس إلى جانب المنبر. فلما اجتمع الناس ورضي منهم، قام فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنكم تزعمون أن عندي من رسول الله ﷺ ـ ما ليس عند الناس، ألا وإنه ليس عندي إلا ما في قَرَني هذا، ثم نَكَتَ كنانته[3]، فأخرج منها صحيفة فيها: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يَدٌ على مَن سواهم. مَن أحدث حدَثاً أو آوى مُحْدِثاً فعليه لعنةُ اللّهِ والملائكةِ والناس أجمعين». فقال له الأشعث بن قيس: هذه والله عليك لا لك، دَعْها تترحّل، فخفَض عليّ ـ صلوات الله عليه ـ إليه بصره، وقال: ما يدريك ما عليَّ مما لي! عليك لعنةُ الله ولعنةُ

(١) الأساف: البقاع التي لا تنبت.
(٢) القَرَن: الجعبة.
(٣) نكت كنانته: نثر ما فيها من نبال.

اللاعنين، حائكٌ ابنُ حائك، منافقٌ ابنُ منافق، كافرٌ ابنُ كافر. والله لقد أسرَك الإسلام مرة والكفرُ مرة، فما فَداك من واحد منهما حَسَبُك ولا مالُك، ثم رفع إليّ بصرَه فقال: يا عبيد الله: [البسيط]

أَصْبَحْتُ قِنّاً لِراعي الضَّأْنِ يَلْعَبُ بي ... ماذا يَريبُكَ منّي راعيَ الضَّانِ[١]

فقلت: بأبي أنت وأمي، قد كنتُ والله أُحبّ أن أسمع هذا منك. قال: هو والله ذلك، قال: [الطويل]

فما قِيلَ لي مِنْ بَعْدِها مِنْ مَقالَةٍ ... ولا عَلِقتْ مني جَدِيداً ولا دَرْسا

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا الحارثُ، عن المدائنيّ قال: لما مات أميةُ بنُ الأسكر عاد ابنه كلاب إلى البصرة، فكان يغزو مع المسلمين منها مغازيهم، وشهد فتوحات كثيرة، وبقي إلى أيام زياد، فولاّه الأُبُلّة، فسمع كلابٌ يوماً عثمانَ بنَ أبي العاص يحدّث أن داود نبيَّ الله ﷺ ـ كان يجمع أهلَه في السّحَر فيقول: ادعوا ربكم فإن في السّحَر ساعة لا يدعو فيها عبد مؤمن إلا غُفِر له، إلا أن يكون عَشّاراً[٢] أو عَريفاً[٣]. فلما سَمِع ذلك كلاب كتب إلى زياد، فاستعفاه من عمله فأعفاه.

قال المدائنيّ: ولم يزل كلاب بالبصرة حتى مات، والمربعة المعروفة بمربعة كلاب بالبصرة منسوبةٌ إليه.

وقال أبو عمرو الشيبانيُّ: كان بين بني غِفَارٍ قومِه وبني ليث حربٌ، فظفرَتْ بنو ليث بغِفَار، فحالف رَحْضةُ بنُ خُزَيمةَ بنِ خلافِ بنِ حارثة بن غِفَار وقومُه جميعاً بني أسلمَ بنِ أَفْصَى بنِ خُزاعة، فقال أمية بن الأسكر في ذلك، وكان سيدَ بني جندُعِ بنِ ليث وفارسَهم: [الطويل]

لقد طِبْتَ نَفْساً عَنْ مواليكَ يا رَحْضا ... وآثَرْتَ أَذْنابَ الشّوائِلِ والحمضا[٤]
تُعَلِّلُنا بالنَّصْرِ في كُلِّ شَتْوَةٍ ... وكُلِّ رَبيعٍ أنْت رافِضُنا رَفْضا
فَلَوْلا تَأَسِّينا وحَدُّ رِماحِنا ... لقد جَرَّ قَوْمٌ لَحْمَنا تَرِباً قَضّا

---

(١) القِنّ: العبد.
(٢) العشّار: جابي عشر الأموال.
(٣) العريف: الرئيس، أو النقيب، وهو دون الرئيس.
(٤) الشوائل: جمع شائلة وهي التي مضى على حملها سبعة أشهر. والحمض: كل نبت ترعاه الإبل.

ـ القضّ والقضيض: الحصا الصغار ـ

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثني أحمدُ بنُ زُهَير قال: حدثنا مُصعَبُ بنُ عبدِ الله عن أبيه قال: افتعل عمرو بن الزبير كتاباً عن معاويةَ إلى مروانَ بنِ الحكم بأن يدفع إليه مالاً، فدفعه إليه، فلما عرف معاوية خبره كتب إلى مروان بأن يحبس عَمْراً حتى يؤدّيَ المال، فحبسه مروانُ، وبلغ الخبرُ عبدَ الله بنَ الزبير، فجاء إلى مروانَ وسأله عن الخبر، فحدّثه به، فقال: مالُكم في ذمتي، فأطلق عَمراً، وأدّى عبدُ الله المالَ عنه، وقال: والله إني لأُؤديه عنه وإني لأعلم أنه غير شاكر، ثم تمثّل قولَ أمية بن الأسكر الليْثيّ: [الطويل]

فلولا تَأَسَّيْنا وَحدّ رِماحنا لقد جَرَّ قَوْمٌ لَحْمَنا تَرِباً قَضّا

وقال ابنُ الكلبيّ: حدثنا بعضُ بني الحارثِ بنِ كعبٍ قال: اجتمع يزيدُ بنُ عبدِ المدانِ وعامرُ بنُ الطّفَيل بمَوسم عُكاظَ[1]، فَقَدِم أميةُ بنُ الأسكر، ومعه بنت له من أجمل أهل زمانها، فخطبها يزيدُ وعامرٌ، فقالت أمُّ كلابٍ امرأةُ أمية: مَن هذان الرجلان؟ قال: هذا ابنُ الديّان، وهذا عامرُ بنُ الطفَيل. قالت: أعرف ابنَ الديّان، ولا أعرف عامراً. قال: هل سمعْتِ بمُلاعبِ الأسنة؟ قالت: نعم والله. قال: فهذا ابنُ أخيه. وأقبل يزيدُ فقال: يا أميّةُ أنا ابنُ الديّان، صاحبُ الكثيب، ورئيسُ مَذْحِج، ومكلّمُ العُقاب، ومن كان يَصُوب[2] أصابعه فتنطف دماً، ويدلُك راحتَيْه فتخرجان ذهباً. قال أمية: بَخٍ بَخٍ. فقال عامر: جدّي الأحزمُ، وعمّي أبو الأصبع، وعمّي ملاعبُ الأسنة، وجدّي الرّحّال، وأبي فارس قُرْزُل. قال أمية: بَخٍ بَخٍ، مَرْعًى ولا كالسَّعْدان[3]، فأرسلها. مثلاً. فقال يزيد: يا عامرُ، هل تعلم شاعراً من قومي رحَل بمدحِه إلى رجل من قومك؟ قال: لا، قال: فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدحِهم إلى قومي؟ قال: نعم. قال: فهل لك نَجْمٌ يمانٍ أو بُرْدٌ يمَانٍ أو سيف يمَانٍ أو ركنٌ يمانٍ؟ فقال: لا، قال: فهل ملكناكم ولم تملكونا؟ قال: نعم، فنهض يزيد وقام، ثم قال:

أُمَيَّ يا بنَ الأسكر بنِ مُدْلِجِ لا تَجْعَلَنْ هَوازِناً كَمذْحِجِ

---

(١) عكاظ: سوق للعرب بين نخلة والطائف. وكانوا يتناشدون فيها الأشعار ويتفاخرون.

(٢) يَصُوب: يفرك.

(٣) السعدان: نبت من أفضل مراعي الإبل ضرب به المثل فقيل: «مرعى ولا كالسعدان».

إنَّكَ إنْ تَلْهَجْ بِأَمْرٍ تَلْجَجِ ... ما النَّبْعُ في مَغْرِسِهِ كالعَوْسَجِ
ولا الصَّرِيحُ المَحْضُ كالمُمَزَّجِ

وقال مُرّةُ بنُ دُودان العُقَيلي، وكان عدوًّا لعامر بن الطفيل:

يا لَيْتَ شِعْرِي عَنْكَ يا يزيدُ ... ماذا الذي مِنْ عامِرٍ تُرِيدُ؟
لِكُلِّ قَوْمٍ فَخْرُهُم عَتِيدُ ... أَمُطْلَقونَ نَحْنُ أَمْ عَبِيدُ؟
لا بل عَبِيدٌ زادُنا الهَبِيدُ[1]

فزوّج أمية يزيد فقال يزيد في ذلك: [الكامل]

يا لَلرِّجالِ لِطارِقِ الأحْزانِ ... ولِعامِرِ بنِ طُفَيْلِ الوسْنانِ
كانَتْ إتاوةُ قَوْمِهِ لِمحرِّقٍ ... زَمناً وصارَتْ بَعْدُ لِلنُّعْمانِ
عَدَّ الفَوارِسَ مِنْ هَوازِنَ كُلِّها ... كَثْفاً عليّ وجِئْتُ بالدَّيَّانِ[2]
فإذا ليَ الفَضْلُ المُبِينُ بِوالِدٍ ... ضَخْمِ الدَّسِيعةِ أزأنيٍّ ويمانِ[3]
يا عامِ إنَّكَ فارِسٌ مُتَهَوِّرٌ ... غَضُّ الشَّبابِ أخو نَدىً وقِيانِ
واعْلَمْ بأنَّكَ يا بنَ فارِسِ قُرْزُلٍ ... دُونَ الذي تَسْمو له وتُداني
لَيْسَتْ فوارِسُ عامِرٍ بِمُقِرَّةٍ ... لك بالفَضِيلةِ في بني عَيْلانِ
فإذا لَقِيتَ بني الخَمِيسِ ومالِكاً ... وبني الضِّبابِ وحَيَّ آلِ قَنانِ
فاسْأَلْ مَنِ المَرْءُ المُنَوَّهُ باسْمِهِ ... والدَّافِعُ الأعْداءَ عَنْ نَجرانِ؟
يُعْطى المَقادَةَ في فوارِسِ قَوْمِهِ ... كَرَماً لَعَمْرُكَ والكَرِيمُ يمانِ

فقال عامر بن الطفيل مجيباً له: [الكامل]

يا لَلرِّجالِ لِطارِقِ الأحْزانِ ... ولِما يَجِيءُ بِهِ بَنو الدّيّانِ
فَخَروا عَلَيَّ بِحَبْوَةٍ لِمحَرِّقٍ ... وإتاوةٍ سَلَفَتْ مِنَ النُّعْمانِ
ما أنتَ وابنَ مُحَرِّقٍ وقبيلَهُ ... وإتاوةَ اللَّخْمِيِّ في عَيْلانِ؟
فاقْصِدْ بِذَرْعِكَ قَصْدَ أَمْرِكَ قَصْدَهُ ... وَدَعِ القبائِلَ مِنْ بني قَحْطانِ
إذْ كانَ سالِفُنا الإتاوةَ فيهم ... أَوْلى فَفَخْرُكَ فَخْرُ كُلِّ يمانِ
وافْخَرْ بِرَهْطِ بني الحَماسِ ومالِكٍ ... وابنِ الضِّبابِ وزَعْبَلٍ وقِيانِ

(١) الهبيد: الحنظل.
(٢) الكثف: الكثرة، الالتفاف.
(٣) الدسيعة: الجفنة الكبيرة. وأزأنيّ: نسبة إلى يزن.

وأنـا الـمُـنَـخَّـلُ وابـنُ فـارس قُـرْزُلٍ وأبـو نِـزارٍ زانَـنـي ونـمـانـي
وإذا تَـعـاظَـمَـتِ الأمـورُ مـوازنـاً كُـنْـتُ الـمُـنَـوَّهَ بـاسْـمِـهِ والـثَّـانـي

فلما رجع القوم إلى بني عامر وثبوا على مُرّةَ بنِ دُودانَ، وقالوا: أنت شاعر بني عامر ولم تَهْجُ بَني الديان، فقال: [الوافر]

تُـكَـلِّـفُـنـي هَـوازِنُ فَـخْـرَ قَـوْمٍ يَـقُـولـونَ الأنـامُ لَـنـا عَـبِـيـدُ
أبـوهـم مَـذْحِـجٌ وأبـو أبـيـهـم ـ إذا مـا عُـدَّتِ الآبـاءُ ـ هـودُ
وهـل لـي إن فَـخَـرتُ بِـغَـيْـرِ فَـخْـرٍ مـقـالٌ والأنـامُ لـه شُـهـودُ؟
فـإنّـا لَـمْ نَـزَلْ لـهـمُ قـطـيـنـاً تَـجِـيءُ إلـيـهـمُ مـنـا الـوُفـودُ[1]
فـإنّـا نَـضْـرِبُ الأحْـلامَ صَـفْـحـاً عَـنِ الـعَـلْـيـاءِ أو مَـنْ ذا يَـكـيـدُ؟
فَـقُـولـوا يـا بـنـي عَـيـلانَ كُـنَّـا لـكـم قِـنًّـا ومـا عـنْـكُـم مَـحِـيـدُ[2]

وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبيّ، والتوليد فيه بيّن، وشعره شعر ركيك غثّ، لا يشبه أشعار القوم. وإنما ذكرتُه لئلاّ يخلوَ الكتاب من شيء قد رُوي.

وقال محمدُ بنُ حبيب فيما رَوى عنه أبو سعيدٍ السكَّريّ، ونسخته من كتابه: قال أبو عمرو الشيبانيُّ: أُصِيب قوم من بني جُندُع بنِ ليث بنِ بكرِ بنِ هوازنَ رهطِ أميةَ بنِ الأسكرِ يقال لهم بنو زَبِينةَ، أصابَهم أصحاب النبي ﷺ ـ يوم المُرَيْسِيع[3] في غزوتِه بني المُصْطَلقِ، وكانوا جيرانَه يومئذ ـ ومعهم ناسٌ من بني لِحْيانَ من هُذَيل، ومع بني جُندُع رجلٌ من خُزاعةَ يقال له: طارق، فاتهمه بنو ليث بهم، وأنه دَلّ عليهم. وكانت خزاعةُ مُسلمها ومشركُها يميلون إلى النبي ﷺ ـ على قريش. فقال أميةُ بنُ الأسكر لطارقٍ الخُزاعيّ: [الطويل]

لَـعَـمْـرُكَ إنِّـي والـخُـزاعِـيَّ طـارِقـاً كَـنَـعْـجَـةِ عـادٍ حَـتْـفَـهـا تَـتَـحَـفَّـرُ
أثـارَتْ عَـلَـيْـهـا شَـفْـرةً بِـكُـراعِـهـا فَظَلَّتْ بها مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ تَجْزَرُ[4]
شَمِتَّ بِقَوْمٍ هُمْ صَدِيقُكَ أهلِكوا أصـابَـهُـمُ يَـوْمٌ مِـنَ الـدَّهْـرِ أعْـسَـرُ

---

(١) القطين: الأتباع، والخدم.

(٢) القِنّ: العبد.

(٣) المريسيع: ماء في ناحية قديد. (معجم البلدان ٥/١١٨).

(٤) الكراع: مستدقّ الساق العاري من اللحم. وتجزر: تنحر.

كَـأَنَّـكَ لَـمْ تُـنـبـأْ بِـيَـوْمِ ذُؤالَـةَ ... ويَـوْمِ الـرَّجـيـعِ إذْ تَـنَـحَّـرَ حَـبْـتَـرُ[1]
فـهـلاّ أبـاكـم فـي هُـذَيْـلٍ وعَـمَّـكـم ... ثَـأَرتُـمْ وَهُـمْ أَعْـدى قُـلـوبـاً وأَوْتَـرُ
ويَـوْمِ الأراكِ يَـومَ أُرْدِفَ سَـبْـيُـكُـم ... صَـمِـيـمُ سَـراةِ الـدِّيـلِ عـبـدٌ ويـعـمـرُ
وسَـعْـدُ بـن لَـيْـثٍ إذ تُـسـلُّ نِـسـاؤكـم ... وكـلـبُ بـن عـوفٍ نَـحَّـرُوكـم وَعَـقَّـرُوا
عَـجِـبْـتُ لِـشَـيْـخٍ مِـنْ رَبـيـعـةَ مُـهْـتَـرٍ ... أُمِـرَّ لَـهُ يَـوْمٌ مِـنَ الـدَّهْـرِ مُـنْـكَـرُ[2]

فأجابه طارق الخزاعيّ فقال: [الطويل]

لَـعَـمْـرُكَ مـا أدْرِي وإنِّـي لَـقـائـلٌ ... إلـى أيِّ مَـن يَـظُـنُّـنـي أتَـعَـذَّرُ؟[3]
أُعَـنَّـفُ أنْ كـانَـتْ زَبِـيـنـةُ أُهْـلِـكَـتْ ... ونـالَ بـنـي لَـحْـيـانَ شَـرٌّ ونُـفِّـروا

وهذه الأبيات: الابتداء والجواب، تمَثّل بابتدائها ابن عباس في رسالة إلى معاويةَ، وتمثل بجوابها معاوية في رسالة أجابه بها.

حدّثني بذلك أحمدُ بنُ عيسى بن أبي موسى العِجليُّ العطارُ بالكوفة، قال: حدثنا الحسينُ بنُ نصرِ بن مزاحم المِنقريّ قال: حدثنا زيد بن المعذَّل النَّمريُّ، قال: حدثنا يحيى بن شعيبِ الخراز، قال: حدثنا أبو مِخْنَف، قال: لما بلغ معاويةَ مصابُ أمير المؤمنين عليّ ـ عليه السلام ـ دسّ رجلاً من بني القَيْن إلى البصرة يتجسس الأخبار ويكتب بها إليه، فدُلّ على القينيّ بالبصرة في بني سُلَيم، فأُخِذ وقتل. وكتب ابن عباس من البصرة إلى معاوية:

أما بعد، فإنك ودسَّك أخا بني القين إلى البصرة تلتمس من غَفَلات قريش مثل الذي ظفرتَ به من يمانيتِك لَكَما قال الشاعر: [الطويل]

لَـعَـمْـرُكَ إنِّـي والـخُـزاعـيَّ طـارِقـاً ... كَـنَـعْـجَـةِ عـادٍ حَـتْـفَـهـا تَـتَـحَـفَّـرُ
أثـارَتْ عـلـيـهـا شَـفْـرةً بِـكُـراعِـهـا ... فَـظَـلَّـتْ بـهـا مِـنْ آخِـرِ الـلَّـيْـلِ تُـجْـزَرُ
شَـمِـتَّ بِـقَـوْمٍ هُـمْ صَـدِيـقُـكَ أُهْـلِـكوا ... أصـابَـهُـمُ يَـوْمٌ مِـنَ الـدَّهْـرِ أَمْـعَـرُ[4]

فأجابه معاوية: أما بعد، فإن الحسنَ قد كتب إليّ بنحوٍ مما كتبت به وأنّبني بما لم أَجْنِ ظناً وسوءَ رأي، وإنك لم تَصب مَثلَنا، ولكنْ مثلُنا ومثلُكم كما قال

---

(١) الرجيع: ماء بين مكة والطائف. (معجم البلدان ٣/٢٩).
(٢) المهتر: الذي فسد عقله من الكبر أو المرض أو الحزن.
(٣) يظنني: يتهمني.
(٤) الأمعر: القليل الخير.

طارقٌ الخزاعيُّ: [الطويل]

فـوالله مـا أَدْرِي وإنِّـي لَـصـادِقٌ إلـى أيِّ مَـنْ يَـظـنُّـنـي أتَـعَـذَّرُ؟
أُعَـنِّفُ أنْ كـانَـتْ زَبـيـنـةُ أهْـلِكَـتْ ونـالَ بـنـي لَـحْـيـانَ شَـرٌّ ونُـفِّـروا

صوت

أبُـنـيّ إنِّـي قَـدْ كَـبِـرْتُ ورابـنـي بَـصَـري وَفِـيَّ لِـمُـصْـلِح مُـسْـتَـمْـتَـعُ
فَـلَـئِـنْ كَـبِـرْتُ فـقـد دَنَـوْتُ مِـنَ الـبـلـى وحَـلَـتْ لـكـم مـنّـي خَـلائِـقُ أرْبَـعُ

عروضه من الكامل، والشعر لِعَبْدَة بنِ الطبيب، والغناء لابن مُحرِز، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وفيه لمعبَد خفيف ثقيل أول بالبِنصر في مجراها عنه أيضاً.

نسب عبدة بن الطبيب وأخباره

[اسمه ونسبه]

هو فيما ذكر ابنُ حبيب عن ابنِ الأعرابيِّ، وأبو نصر أحمدُ بنُ حاتم عن الأصمعيِّ وأبي عمرٍو الشيبانيِّ وأبي فرْوة العُكْلِيِّ: عَبْدَةُ بن الطبيب، والطَّبيب اسمه يزيدُ بن عمرٍو بنِ وَعْلَةَ بنِ أنسِ بنِ عبدِ الله بنِ عبدِ تيمِ بنِ جُشَمَ بنِ عبد شمسٍ. ويقال: عَبْشَمْسُ بنُ سعدِ بنِ زيدِ مناةَ بنِ تميم.

وقال ابنُ حبيب خاصةً: وقد أخبرني أبو عبيدة قال: تميم كلها كانت في الجاهلية يقال لها: عبدُ تَيمٍ، وتَيمٌ: صنم كان لهم يعبدونه.

[شاعر مُجيد ولكنه مُقِلّ]

وعَبْدةُ شاعر مُجيد ليس بالمكثِر، وهو مُخَضْرَم، أدرك الإسلام فأسلم، وكان في جيش النعمان بنِ المُقرِّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن. وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أولها: [البسيط]

هَلْ حَبْلُ خَوْلةَ بَعْدَ الهَجْرِ مَوْصولُ ... أم أنت عنها بَعيدُ الدَّارِ مَشْغُولُ؟
حَلَّتْ خُوَيْلَةُ في دارٍ مُجاوِرةً ... أَهْلَ المَدِينةِ فيها الدِّيكُ والفِيلُ
يُقارِعُونَ رُؤوسَ العُجْمِ ضاحِيَةً ... منهم فَوارِسُ لا عُزْلٌ ولا مِيلُ[1]

أخبرني محمدُ بنُ العباسِ اليزيديُّ قال: حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: أرْثَى بيتٍ قالته العرب قول عَبْدَةَ بنِ الطبيب: [الطويل]

فما كانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحِدٍ ... ولكنه بُنْيانُ قَوْمٍ تَهَدَّما

وتمام هذه الأبيات أنشدَناه عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ عن السكري والمبرِّد

(١) ميل: جمع أميل، وهو من ليس معه سلاح. وضاحيةً: باديةً.

والأحول لعَبْدَة يرثي قيساً: [الطويل]

عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ قَيْسَ بنَ عاصِمٍ ورَحْمَتُهُ ما شاءَ أَنْ يَتَرَحَّما
تَحِيَّةَ مَنْ أَوْلَيْتَهُ مِنْكَ نِعْمَةً إذا زارَ عَنْ شَحْطٍ بِلادَكَ سَلَّما
وما كانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحِدٍ ولكنه بُنْيانُ قَوْمٍ تَهَدَّما

[ترفعه عن الهجاء]

أخبرني محمدُ بنُ الحسن بنِ دُريد قال: حدثنا أبو عثمانَ الأُشناندانيّ عن التوّزيّ عن أبي عبيدة عن يونُس قال: قال رجل لخالدِ بنِ صَفوانَ: كان عبدَةُ بنُ الطبيب لا يُحسن أن يهجو فقال: لا تقل ذاك، فوالله ما أَبَى مِن عِيّ، ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه ضَعة، كما يرى تركَه مروءة وشرفاً، قال: [الوافر]

وَأَجْرَأُ مَنْ رَأَيْتُ بِظَهْرِ غَيْبٍ على عَيْبِ الرِّجالِ أولو العُيوبِ

أخبرني محمدُ بنُ القاسمِ الأنباريُّ قال: حدثنا أحمدُ بنُ يحيى ثعلب، عن ابن الأعرابيّ: أن عبد الملك بنَ مروانَ قال يوماً لجلسائه: أيّ المناديل أشرف؟ فقال قائل منهم: مناديل مصر، كأنها غِرْقِىءُ[1] البيض. وقال آخرون: مناديل اليمن، كأنها نَوْر الربيع، فقال عبد الملك: مناديل أخي بني سعد عَبدةَ بن الطبيب، قال: [البسيط]

لمّا نَزَلْنا نَصَبْنا ظِلَّ أَخْبِيَةٍ وفارَ لِلقَوْمِ باللَّحْمِ المَراجِيلُ[2]
وَرْدٌ وأَشْقَرُ ما يُؤْنِيهِ طابِخُهُ ما غيَّر الغَليُ منه فهو مَأْكُولُ
ثُمّتَ قُمْنا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمةٍ أَعْرافُهنّ لأَيْدِينا مَناديلُ

يعني بالمراجيل: المراجل، فزاد فيها الياء ضرورة.

صوت

إنَّ اللَّيالي أَسْرَعَتْ في نَقْضي أَخَذْنَ بَعْضِي وتَرَكْنَ بَعْضي
حَنَيْنَ طُولي وطَوَيْنَ عَرْضي أَقْعَدْنَني مِنْ بَعْدِ طُولِ نَهْضِ

عروضه من الرّجز، الشعر للأغلب العجليّ، والغناء لعمرو بن بانة، هزَج بالبنصر.

---

(١) الغرقىء: القشرة الرقيقة الملتزقة ببياض البيض.

(٢) المراجيل: القدور.

أخبار الأغلب ونسبه

[اسمه ونسبه]

هو ـ فيما ذَكر ابنُ قُتَيبة ـ الأغلبُ بنُ جُشَمَ بنِ سعد بنِ عِجلِ بنِ لُجَيم بن صعبِ بنِ عليٍّ بنِ بكرِ بن وائل. وهو أحد المعمَّرين، عُمِّر في الجاهلية عَمراً طويلاً، وأدرك الإسلام فأسلم، وحَسن إسلامه وهاجر، ثم كان فيمن توجّه إلى الكوفة مع سعدِ بنِ أبي وقّاص، فنزلها، واستُشهد في وَقعةِ بِنَهاوَنْد، فقبره هناك في قبور الشهداء.

[أول من رجز الأراجيز الطوال]

ويقال: إنه أوّل من رجّز الأراجيز الطِّوال من العرب، وإياه عَنَى الحجاج بقوله مفتخراً: [الرجز]

إنِّـي أنـا الأغْـلَـبُ أمْـسَـى قَـدْ نَـشَـدْ

قال ابن حبيب: كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحُداء[1] والمفاخرة وما جرى هذا المجرى، فتأتِي منه بأبيات يسيرة، فكان الأغلب أولَ من قصّد الرجز، ثم سلك الناسُ بعده طريقته.

أخبرنا الفضلُ بن الحُباب الجُمحيّ أبو خليفة في كتابه إلينا، قال: أخبرنا محمد بن سلاَّم، قال: حدثنا الأصمعيّ. وأخبرنا أحمدُ بنُ محمدٍ أبو الحسن الأسديُّ، قال: حدثنا الرياشيّ، قال حدثنا مَعْمَر بنُ عبد الوارث عن أبي عمرو بن

(١) الحُداء: الغناء للإبل.

العلاء، قال: كانت للأغلب سَرْحة[1] يصعد عليها، ثم يرتجز: [الرجز]

قد عرَفَتْني سَرْحتي فأطَّتِ وقد شَمِطتُ بَعْدَها واشْمَطَّتِ[2]

فاعترضه رجل من بني سعد، ثم أحدِ بني الحارث بن عمرو بنِ كعب بنِ سعد، فقال له: [الرجز]

قَبُحْتَ مِنْ سالِفةٍ ومِنْ قَفا عَبْدٌ إذا ما رَسَبَ القَوْمُ طفا[3]
كما شِرارُ الرَّعْيِ أطْرافُ السَّفَى[4]

[إنقاص عمر بن الخطاب من عطائه وسبب ذلك]

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريُّ، قال: حدثنا عمرُ بنُ شبّة، قال: حدثني محمدُ بن عباد بنِ حبيبٍ المهلّبيُّ، قال: حدثني نصرُ بن ناب عن داود بن أبي هند عن الشعبيِّ قال: كتبَ عمرُ بنُ الخطاب إلى المغيرة بن شُعبةَ وهو على الكوفة: أن استنشد مَن قِبَلك من شعراء قومك ما قالوا في الإسلام، فأرسل إلى الأغلب العجليّ فاستنشده فقال:

لَقَدْ سَألْتَ هيِّناً مَوْجُودا أرَجَزاً تُرِيدُ أمْ قَصِيدا؟

ثم أرسل إلى لَبِيد فقال له: إن شئتَ مما عفا الله عنه ـ يعني الجاهلية ـ فعلتُ. قال: لا، أنشدني ما قلت في الإسلام. فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة، وقال: أبدلَني الله عزّ وجلّ بهذه في الإسلام مكانَ الشعر. فكتب المغيرة بذلك إلى عمر، فنقّص عمرُ من عطاء الأغلب خمسمائة، وجعلها في عطاء لبيد؛ فكتب إلى عمرَ: يا أمير المؤمنين، أتنقص عطائي أن أطعتك! فرد عليه خمسمائة وأقرّ عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة.

أخبرني محمدُ بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمرُ بن شبة، قال: حدثنا محمد بن حاتم، قال: حدثنا عليُّ بنُ القاسم، عن الشعبيّ قال: دخل الأغلبُ

(١) السرحة: واحدة السرح، وهو ضرب من الشجر.
(٢) أطّت: صوّتت.
(٣) أصل السالفة: مقدم عنق الرأس. والمراد هنا ذمه بقبح وجهه وقفاه.
(٤) الرّعي: ما يرعى. والسّفى: الشوك.

على عمرَ، فلما رآه قال: هِيهِ، أنت القائل:

أَرَجَزاً تُرِيدُ أَمْ قَصِيدَا؟ لَقَدْ سَأَلْتَ هَيِّناً مَوْجُودا

فقال: يا أمير المؤمنين إنما أطعتك. فكتب عمر إلى المغيرة: أن اردد عليه الخمسَ المائة، وأَقِرّ الخمسَ المائة للبيد.

[بعض أخبار سجاح وشعره فيها]

أخبرنا أبو خليفةَ عن محمد بن سلاّم قال: قال الأغلب العجليّ في سجاح لما تزوجت مُسيلمةَ الكذّاب: [الرجز]

لَقَدْ لَقِيَتْ سَجاحُ مِنْ بَعْدِ العَمَى مُلَوَّحاً في العَيْنِ مَجْلُودَ القَرا[1]
مِثْلَ العَتِيقِ في شَبابٍ قَدْ أتى مِنَ اللُّجَيْمِيّين أَصْحابِ القِرَى[2]
لَيْسَ بِذي واهِنَةٍ ولا نَسا نشا بِلَحْمٍ وبِخُبْزٍ ما اشْتَرى[3]
حَتَّى شَتا يَنتح ذِفراهُ النَّدَى خاظِي البَضِيع لَحْمُهُ خظا بظا[4]
كَأَنَّما جُمِّعَ مِنْ لَحْمِ الخُصَى إذا تَمَطَّى بَيْنَ بُرْدَيْهِ صَأَى[5]
كأنَّ عِرْقَ أَيْرِهِ إذا وَدَى حَبْلُ عَجُوزٍ ضَفَّرَتْ سَبْعَ قُوَى[6]
يَمْشِي على قَوائم خمسٍ زَكا يرفع وُسطاهنَّ من بَرْدِ النَّدَى[7]
قالت: مَتَى كنتَ أباَ الخيرِ مَتَى؟ قالَ حديثاً لم يُغَيِّرني البِلى
ولم أُفارِقْ خُلَّةً لي عن قِلَى فانتُسِفَتْ فَيْشَتُهُ ذاتُ الشَّوَى[8]
كأن في أجلادِها سَبْعَ كُلَى ما زالَ عنها بالحديثِ والمُنَى[9]

---

(١) الملوّح: الذي لوّحه السفر وغيَّره.
(٢) العتيق: الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب.
(٣) الواهنة: ريح تأخذ في المنكبين أو العضد أو الأخدعين. والنسا: عرق من الورك إلى الكعبين.
(٤) ينتح: يخرج. والذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن. وخاظي: مكتنز. والبضيع: لحم الفخذين. وخظا: اكتنز. أي ركب بعضه بعضاً. وبظا: توكيد لما قبله.
(٥) صأى: صوّت.
(٦) وَدَى: قام.
(٧) الزكا: الشفع من العدد. وخمس زكا: خمس عدداً.
(٨) القلى: البغض والعداوة. وانتسفت: نقرت. والشوى: قحف الرأس.
(٩) الأجلاد: جمع جلد. جلد الإنسان.

والخُلُقِ السَّفسافِ يُرْدِي في الرَّدَى قالَ: ألا تـرَيْـنَـهُ قـالـت: أرَى[١]
قـالَ: ألا أُدْخِـلُـهُ؟ قـالـت: بـلـى فشامَ فيها مثلَ مِحْراثِ الغَضَى[٢]
يقولُ لما غابَ فيها واستَوى لمِثلِها كُنْتُ أُحَسِّيكِ الحَسَا

وكان من خبر سجاح وادعائها النبوة وتزويج مسيلمة الكذاب إياها ما أخبرنا به إبراهيم بن النسوي يحيى، عن أبيه عن شعيب عن سيف، أنَّ سجاح التميميّة ادعت النبوّة بعد وفاة رسول اللهﷺ، واجتمعَتْ عليها بنو تميم، فكان فيما ادّعت أنه أُنزل عليها: يٰأيها المؤمنون المتقون، لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها، ولكنَّ قريشاً قوم يبغون. واجتمعت بنو تميم كلها إليها لتنصرها. وكان فيهم الأحنف بن قيس، وحارثة بن بدر، ووجوه تميم كلها. وكان مؤذّنَها شبيبُ بن ربعيّ الرياحيّ، فعمدت في جيشها إلى مسيلمة الكذاب وهو باليمامة، وقالت: يا معشرَ تميم، اقصدوا اليمامة، فاضربوا فيها كل هامة[٣]، وأضرموا فيها ناراً مِلْهامة، حتى تتركوها سوداء كالحمامة. وقالت لبني تميم: إن الله لم يجعل هذا الأمر في ربيعة، وإنما جعله في مضر، فاقصدوا هذا الجمع، فإذا فضضتموه كررتم على قريش. فسارت في قومها وهم الدّهم[٤] الداهم. وبلغ مسيلمةَ خبرُها، فضاق بها ذرعاً، وتحصّن في حجر حصن اليمامة. وجاءت في جيوشها فأحاطت به، فأرسل إلى وجوه قومه وقال: ما ترون؟ قالوا: نرى أن نسلّم هذا الأمر إليها وتدعنا، فإن لم نفعل فهو البوار[٥]. وكان مسيلمة ذا دهاء، فقال: سأنظر في هذا الأمر. ثم بعث إليها: إن الله ـ تبارك وتعالى ـ أنزل عليكِ وحياً، وأنزل عليّ. فهَلُمِّي نجتمع، فنتدارس ما أنزل الله علينا، فمَن عرف الحق تبعه، واجتمعنا فأكلْنا العرب أكلاً بقومي وقومك.

فبعثَت إليه: أفعل، فأمَر بقُبّة أدَم فضُربَت، وأمر بالعُود المَندَليّ[٦] فسُجر

(١) يُردي: يهلك.
(٢) شام هنا: أدخل. والمحراث: ما تحرك به النار. والغضى: نوع من الشجر جمره يبقى طويلاً لا ينطفىء.
(٣) الهامة: الرأس.
(٤) الدهم: العدد الكثير.
(٥) البوار: الهلاك.
(٦) المندلي: منسوب إلى مندّل: بلد بالهند منه يجلب العود الفائق الذي يقال له المندلي. (معجم البلدان ٢٠٩/٥).

فيها، وقال: أكثِروا من الطيب والمِجْمر[١]، فإنّ المرأة إذا شمت رائحةَ الطيب ذكرت الباه، ففعلوا ذلك. وجاءها رسوله يخبرها بأمر القُبّة المضروبة للاجتماع، فأتته فقالت: هات ما أُنزل عليك. فقال: ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج منها نُطْفة تسعى، بين صِفاق[٢] وحَشا، من بين ذكر وأنثى، وأموات وأحيا، ثم إلى ربهم يكون المنتهى. قالت: وماذا؟ قال: ألم تر أن الله خلقنا أفواجا، وجعل النِّساء لنا أزواجا، فنولج فيهن الغراميل إيلاجا، ونخرجها منهن إذا شئن إخراجا. قالت: فبأي شيء أمرك؟ قال: [الهزج]

ألا قُـومِـي إلـى الـنَّـيْـكِ ... فَـقَـدْ هُـيِّـي لَـكِ الـمَـضْـجَـعْ
فـإن شِـئْـتِـي فـفـي الـبَـيْـتِ ... وإن شِـئْـتِـي فـفـي الـمَـخْـدَعْ
وإن شِـئْـتِـي سَـلَـقْـنـاكِ ... وإن شِـئْـتِـي عـلـى أرْبَـعْ
وإن شِـئْـتِـي بِـثُـلْـثَـيْـهِ ... وإنْ شِـئْـتِـي بـهِ أجْـمَـعْ

قال: فقالت: لا، إلا به أجمع. قال: فقال: كذا أوحَى الله إليّ، فواقعها. فلما قام عنها قالت: إن مثلي لا يجري أمرُها هكذا، فيكون وصمة على قومي وعليّ، ولكني مُسلِّمةُ النبوّة إليك، فاخطبني إلى أوليائي يزوّجوك، ثم أقود تميماً معك. فخرج وخرجَت معه، فاجتمع الحَيّان من حنيفة وتميم، فقالت لهم سجاح: إنه قرأ عليّ ما أُنزل عليه، فوجدته حقّاً، فاتبعتُه. ثم خطبها، فزوّجوه إياها، وسألوه عن المهر، فقال: قد وضعتُ عنكم صلاة العصر، فبنو تميم إلى الآن بالرّمل لا يصلّونها، ويقولون: هذا حق لنا، ومهر كريمة منا لا نردّه. قال: وقال شاعر من بني تميم يذكر أمر سَجَاح في كلمة له: [البسيط]

أضحَتْ نَبِيَّتُنا أنْثَى نُطِيفُ بها ... وأصْبَحَتْ أنبياءُ اللّهِ ذُكْرانا

قال: وسَمع الزبرقانُ بن بدرٍ الأحنفَ يومئذ ـ وقد ذكر مسيلمة وما تلاه عليهم ـ فقال الأحنف: والله ما رأيت أحمق من هذا النبي قَطّ. فقال الزبرقان: والله لأُخبرن بذلك مسيلمةَ. قال: إذاً والله أحلف إنك كذبت فيصدّقني ويكذبك. قال: فأمسك الزبرقان، وعلم أنه قد صدق.

قال: وحُدِّث الحسنُ البصريّ بهذا الحديث، فقال: أمِن والله أبو بحر من

(١) المِجْمر: وعاء الجمر.
(٢) الصفاق: الجلد الباطن تحت الجلد الظاهر.

نزول الوحي. قال: فأسلمَت سجاحِ بعد ذلك وبعد قتل مسيلمة، وحسُن إسلامها.

صوت

[المنسرح]

كَمْ لَيْلَةٍ فيكِ بِتُّ أسْهَرُها ... وَلَوْعَةٍ مِن هواكِ أُضْمِرُها
وَحُرْقَةٍ والدُّموعُ تُطْفِئُها ... ثم يَعُودُ الجَوَى فَيُسْعِرُها
بيضاءُ رُودُ الشَّبابِ قد غُمِسَتْ ... في خَجَلٍ دائبٍ يُعَصْفِرُها[1]
الله جارٌ لها فما امتلأتْ ... عيناي إلاّ مِنْ حَيْثُ أُبْصِرُها

الشعر للبحتريّ، والغناء لعَريب، رمَل مطلق من مجموع أغانيها، وهو لحن مشهور في أيدي الناس، والله أعلم.

(١) الرُّود: الفتاة الشابة الحسنة. ويعصفرها: يجعل لونها كلون العصفر من الخجل.

أخبار البحتري ونسبه

[٢٠٦ - ٢٨٤ هـ/ ٨٢١ - ٨٩٨ م]

[اسمه ونسبه]

هو الوليدُ بنُ عُبَيْدِ الله بنِ يحيى بنِ عبيد بن شِمْلال بن جابر بن سَلَمَةَ بن مُسْهِر بن الحارث بن خيثم بن أبي حارثةَ بن جَدْي بن تدول بن بُحتُر بن عَتود بن عَثَمَة بن سَلاَمان بن ثُعَلَ بن عمرو بن الغوث بن جُلْهُمَةَ وهو طيِّءُ بنُ أُدَدَ بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان ويُكنَى أبا عُبادة.

[جودة شعره وعلوّ كعبه فيه]

شاعر فاضل فصيح حسن المذهب، نَقِيّ الكلام، مطبوع، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء، وله تصرّف حسن فاضل نقيٌّ في ضروب الشعر، سِوى الهجاء، فإن بضاعته فيه نزْرة، وجيّدُه منه قليل. وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب في قلة بضاعته في هذا الفن أنه لمّا حضره الموتُ دعا به، وقال له: اجمع كلّ شيء قلتُه في الهجاء. ففعل، فأمره بإحراقه، ثم قال له: يا بني، هذا شيء قلتُه في وقت، فشفيتُ به غيظي، وكافأت به قبيحاً فُعِل بي، وقد انقضى أَرَبي في ذلك، وإن بقي رُوِي، وللناس أعقاب[1] يورثونهم العداء والمودة، وأخشى أن يَعودَ عليك من هذا شيء في نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولي فيه. قال: فعلمت أنه قد نصحَني وأَشْفق عليّ، فأحرقته. أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي الغَوْث.

(١) الأعقاب: جمع عقب وهو الولد.

وهذا ـ كما قال أبو الغوث ـ لا فائدة لك ولا لي فيه، لأن الذي وجدْناه وبقي في أَيْدي الناس من هجائه أكْثَرُهُ ساقط، مثل قوله في ابن شير زاد: [الرجز]

نـفـقْـتَ نُـفُـوق الـحِـمـارِ الـذّكَـرْ ... وبـانَ ضُـراطُـكَ عَـنّـا فَـمُـرْ

ومثل قوله في عليِّ بن الجهم: [الوافر]

وَلـو أعـطـاكَ ربُّـكَ مـا تـمَـنَّـى ... لـزادكَ مـنـه فـي غِـلَـظِ الأيُـورِ

عَـلامَ طَـفِـقْـتَ تـهـجـونـي مَـلِـيًّـا ... بـمـا لَـفَّـقْـتَ مـن كَـذِبٍ وزُورِ

وأشباه لهذه الأبيات، ومثلها لا يُشاكل طبعَه، ولا تليق بمذهبه، وتنبىءُ بركاكتها وغَثَاثة ألفاظها عن قِلَّة حَظّه في الهجاء، وما يُعرف له هجاء جيّدٌ إلا قصيدتان إحداهما قولُه في ابن أبي قماش: [المنسرح]

مَـرّتْ عـلـى عَـزْمِـهـا ولـم تَـقِـفِ ... مُـبْـدِيَـةً لِـلـشِّـنـانِ والـشَّـنَـفِ[1]

يقول فيها لابن أبي قماش:

قـد كـان فـي الـواجـب الـمُـحَـقَّـق أن ... تَـعْـرِفَ مـا فـي ضَـمِـيـرِهـا الـنَّـطِـفِ

بـمـا تَـعـاطَـيْـتَ فـي الـعُـيـوبِ ومـا ... أُوتِـيـتَ مـن حِـكْـمَـةٍ ومـنْ لَـطَـفِ

أمـا رأيـتَ الـمِـرِّيـخَ قـد مـازجَ الـزُّ ... هْـرَةَ فـي الـجِـدِّ مـنـهُ والـشّـرَفِ

وأخْـبَـرَتْـكَ الـنّـحـوسُ أنـكـمـا ... فـي حـالَـتَـيْ ثـابـتٍ ومُـنْـصَـرِفِ

مـن أيـنَ أعـمـلـتَ ذا وأنْـتَ عـلـى ... الـتَّـقْـويـم والـزِّيـج جِـدُّ مُـنْـعَـكِـفِ[2]

أمـا زَجَـرْتَ الـطَّـيْـرَ الـعـلا أو تـعَـيَّـ ... ـفْـت الـمَـهـا أو نظَـرتَ في الـكَـتِـفِ[3]

رَذُلْـتَ فـي هـٰـذِهِ الـصـنـاعـةِ أو ... أكْـدَيْـتَ أو رُمْـتَـهـا عـلـى الـخَـرَفِ[4]

لـم تَـخْـطُ بـابَ الـدّهـلـيـزِ مُـنْـصَـرِفـاً ... إلا وخَـلْـخَـالُـهـا مَـعَ الـشَّـنَـفِ

وهي طويلة، ولم يكن مذهبي ذكرها إلا للإخبار عن مذهبه في هذا الجنس، وقصيدته في يعقوب بن الفرج النّصرانيّ، فإنها ـ وإن لم تكن في أسلوب هذه

---

(١) الشّنان: جمع شنّ وهي القربة. والشنف: ما عُلّق بالأذن.

(٢) الزّيج: كتاب يتضمن جداول فلكية.

(٣) زجر الطير: أثارها ليتيمن بسنوحها أو يتشاءم ببروحها. وتعيّفت: تكهنت.

(٤) أكديت: افتقرت.

وطريقتها ـ تجري مجرى التَّهكّم باللفظ الطيّب الخبيث المعاني، وهي: [المتقارب]

تَظُنُّ شُجُونِيَ لَمْ تَعْتَلِجْ وقد خَلَجَ البَيْنُ من قَدْ خَلَجْ(١)

[المقارنة بينه وبين أبي تمام]

وكان البحتريّ يتشبَّه بأبي تمّام في شعره، ويحذو مَذْهَبَه، ويَنْحو نحوَه في البديع الذي كان أبو تمام يستعمله، ويراه صاحباً وإماماً، ويُقدّمه على نفسه، ويقول في الفرق بينه وبينه قولَ مُنصِف: إن جَيِّدَ أبي تمّام خيرٌ من جَيّدِه، ووسَطَه ورَدِيئَه خيرٌ من وسط أبي تمّام ورديئه، وكذا حكم هو على نفسه.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني الحسين بن علي الياقُطانيّ، قال: قلت للبحتريّ: أَيُّما أشعر أنتَ أو أَبُو تمام؟ فقال: جيّده خير من جيّدي، ورَديئِي خَيْر من رديئه.

حدثني محمد بن يحيى قال: حدثني أبو الغوث يحيى بن البحتريّ، قال: كان أبي يُكنّى أبا الحسن، وأبا عبادة، فأُشير عليّ في أيام المتوكل بأن أقتصر على أبي عبادة، فإنها أشهر، فاقتصرت عليها.

حدثني محمد قال: سمعتُ عبدَ الله بن الحسين بن سعد يقول للبحتريّ ـ وقد اجتمعنا في دار عبد الله بالخلد، وعنده المبرّد في سنة ست وسبعين ومائتين، وقد أنشد البحتريّ شعراً لنفسه قد كان أبو تمام قال في مثله ـ: أنت واللَّهِ أشعرُ من أبي تمّام في هذا الشعر، قال: كلاّ والله، إن أبا تمام للرّئيسُ والأستاذُ، واللَّهِ ما أكلتُ الخبزَ إلاّ به، فقال له المُبرّد: لله دَرُّك يا أبا الحسن، فإنك تأبى إلا شَرَفاً من جميع جَوَانِبك.

حدثني محمد، قال: حدثني الحسين بن إسحاق، قال: قلت للبحتريّ: إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام، فقال: والله ما ينفعني هذا القول، ولا يضرّ أبا تمّام، والله ما أكلت الخبزَ إلا به، ولَوَدِدْتُ أنّ الأمر كان كما قالوا، ولكني والله تابعٌ له آخذٌ منه لائذٌ به، نَسِيمي يركدُ عند هوائه، وأرْضِي تَنْخَفِض عند سمائه.

حدثني محمدُ بن يحيى، قال: حدثني سَوَّار بن أبي شراعة، عن البحتريّ:

---

(١) تعتلج: تلتطم. وخَلَج: تحرك.

قال: وحدثني أبو عبد الله الألوسيّ، عن علي بن يوسف، عن البحتريّ، قال: كان أوَّلَ أمرِي في الشعر ونباهتِي أنّي صِرتُ إلى أبي تَمَّام، وهو بِحمْص، فعرضتُ عليه شعري، وكان الشّعراء يعرضون عليه أشعارهم، فأقبل عليّ، وترك سائرَ مَنْ حضر، فلما تفرّقوا قال لي: أنتَ أشعرُ مَنْ أنشَدني، فكيف بالله حالك؟ فشكوت خَلَّةً[١] فكتب إلى أهل مَعَرّة النّعمان، وشهد لي بالحِذق بالشعر، وشفع لي إليهم وقال: امتدحْهم، فصرتُ إليهم، فأكرموني بكتابه، ووظَّفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أولَ مالٍ أصبتُه. وقال عليّ بن يوسف في خبره: فكانت نسخة كتابه: «يصل كتابي هذا على يد الوليد أبي عُبادَة الطائيّ، وهو ـ على بذاذته[٢] ـ شاعر، فأكرموه».

حدثني جَحظةُ، قال: سمعتُ البُحتريّ يقول: كنت أتعشّقُ غلاماً من أهل مَنْبج[٣] يقال له شُقران، واتّفق لي سفرٌ، فخرجت فيه، فأطلت الغَيْبة، ثم عُدتُ، وقد التحى، فقلت فيه، وكان أولَ شعر قلتُه: [الطويل]

نَبَتَتْ لِحْيَةُ شُقْرا ... نَ شَقِيقِ النَّفْسِ بَعْدِي
حَلِقَتْ، كَيْفَ أَتَتْهُ ... قبلَ أن يُنْجِزَ وَعْدِي!

وقد روي في غير هذه الحكاية أن اسم الغلام شنْدان.

[كيف تم التعارف بينه وبين أبي تمام]

حدثني عليّ بن سليمان، قال: حدثني أبو الغوث بن البحتريّ عن أبيه، وحدثني عمي، قال: حدثني علي بن العباس النُّوبَخْتيّ عن البحتريّ، وقد جمعت الحكايتين، وهما قريبتان، قال: أولُ ما رأيتُ أبا تَمّام أنّي دخلتُ على أبي سعيد محمد بن يوسف، وقد مدحته بقصيدتي: [الكامل]

أأفاقَ صَبٌّ مِنْ هَوًى فأُفِيقَا ... أو خانَ عَهْداً أو أطاعَ شَفِيقَا؟

فسُرّ بها أبو سَعيد، وقال: أَحسنتَ والله يا فتى وأجدتَ، قال: وكان في مجلسه رجل نبيلٌ رفيع المجلس منه، فوق كل مَنْ حضر عنده، تكاد تمسُّ ركبتُه

(١) الخلّة: الحاجة.
(٢) البذاذة: سوء الحال ورثة الهيئة.
(٣) مَنْبج: مدينة كبيرة من مدن حلب. وهي موطن الشاعر. (انظر معجم البلدان ٥/ ٢٠٥).

ركبتَه، فأقبل عليَّ ثم قال: يا فتى، أما تستحي منّي! هذا شِعْر لي تنتحله، وتُنشِدُه بحضرتي! فقال له أبو سعيد: أحقًّا تقول! قال: نعم، وإنما عَلِقه مني، فسبقني به إليك، وزاد فيه، ثم اندفع فأنشد أكثر هذه القصيدة، حتى شَكّكني ـ علم الله ـ في نفسي، وبقيت مُتَحيّراً، فأقبل عليّ أبو سعيد، فقال: يا فتى، قد كان في قرابتك منّا ووُدّك لنا ما يُغنيك عن هذا، فجعلتُ أحلِف له بكل مُحْرِجَة من الأيْمانِ أنَّ الشِّعْر لي ما سبَقني إليه أحدٌ، ولا سَمعتُه منه، ولا انتحلتُه، فلم ينفعْ ذلك شَيْئاً، وأطرَق أبو سعيد، وقُطِع بي، حتى تَمَنَّيت أني سُخْتُ في الأرض، فقمت منكسرَ البال أجرُّ رِجليَّ، فخرجت، فما هو إلا أن بلغتُ بابَ الدّار حتى خرج الغِلمان فردّوني، فأقبل عليّ الرّجل، فقال: الشعرُ لك يا بني، والله ما قلتُه قطّ، ولا سمعتُه إلا منك، ولكنني ظَنَنتُ أنّك تهاونتَ بمَوْضعي، فأقدمتَ على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا، تُريد بذلك مُضاهَاتي ومُكاثَرتي، حتى عَرَّفَني الأميرُ نسبَك وموضعَك، ولَوَدِدْت ألاّ تلد أبداً طائِيَّةٌ إلا مثلَك، وجعل أبو سعيد يضْحَك، ودعاني أبو تمام، وضَمَّني إليه، وعانَقَني، وأقبل يقرّظني[1]، ولَزِمْته بعد ذلك، وأخذتُ عنه، واقتديتُ به، هذه رواية من ذكرت.

وقد حدثني عليُّ بن سليمان الأخفش أيضاً، قال: حدثني عبدُ الله بنُ الحُسَيْن بن سَندٍ القُطْرُبُّليّ[2]، أن البحتريّ حدثه أنّه دخل على أبي سعيد محمد بن يوسف الثّغريّ، وقد مدحه بقصيدة، وقَصَده بها، فألفى عنده أبا تمام وقد أنشده قصيدة له فيه، فاستأذنه البحتريّ في الإنشاد وهو يومئذ حَديثُ السّنّ، فقال له: يا غلام أتنشدني بِحضرة أبي تمّام؟ فقال: تأذن ويستمع، فقام، فأنشده إياها، وأبو تمام يسمع ويهتزّ من قَرْنه إلى قَدَمِه استحساناً لها، فلما فرغ منها قال: أحسنتَ والله يا غلام، فَمِمَّن أنت؟ قال: من طيّىء، فطَرِب أبو تمّام وقال: من طيّىء، الحمد لله على ذلك، لَوددْتُ أن كل طائيةٍ تَلِدُ مِثلَك، وقبَّل بَين عَيْنَيه، وضمّه إليه وقال لمحمد بن يوسف: قد جعلتُ له جائزتي، فأمر محمد بها، فضُمَّت إلى مثلها، ودُفِعت إلى البحتريّ، وأعطى أبا تَمّام مثلها، وخُصّ به، وكان مدّاحاً له طول أيامه ولابنه بعده، ورثاهما بعد مقتليهما، فأجاد، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه، وروى أنه قيل له في ذلك فقال: من تمام الوفاء أن تفْضُل المَراثي المدائحَ لا كما قال

(١) يقرظني: يثني عليّ.

(٢) القُطْرُبُّليّ: منسوب إلى قطربل. وهي قرية بين بغداد وعكبرا. (معجم البلدان ٤/ ٣٧١).

الآخر ـ وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال ـ: كنا نَعْمَل للرَّجاء، نحن نَعْملَ اليوم للوَفَاء، وبَيْنَهما بُعْد.

[بعض صفاته وأخباره]

حدثني حكم بن يحيى الكنتحي قال: كان البحتريّ من أوسخ خلق الله ثوْباً وآلة وأبخلهم على كل شيء، وكان له أخ وغلام معه في داره، فكان يقتلهما جوعاً، فإذا بلغ منهما الجوعُ أتياه يبكيان، فيرمي إليهما بثمن أقواتهما مُضَيّقاً مُقَتّراً، ويقول: كُلاَ، أجاعَ اللَّهُ أكبادكما، وأعْرى أجْلاَدَكما وأطال إجهادكما.

قال حكم بن يحيى: وأنشدته يوماً من شعر أبي سهل بن نوبخت، فجعل يُحرّك رأسه، فقلت له: ما تقول فيه؟ فقال: هو يشبه مضغ الماء، ليس له طعم ولا معنى.

وحدثني أبو مسلم محمدُ بنُ بحر الأصبهانِيّ الكاتب قال: دخلت على البحتريّ يوماً فاحتَبسني عنده، ودعا بطعام له، ودعاني إليه، فامتنعت من أكله، وعنده شيخٌ شامِيٌّ لا أعرفه، فدعاه إلى الطّعام، فتقدّم، وأكل معه أكلاً عنيفاً، فغاظه ذلك، والتفت إليّ، فقال لي: أتعرف هذا الشيخَ؟ فقلت: لا، قال: هذا شيخ من بني الهُجَيْم الذين يقول فيهم الشاعر: [الكامل]

وَبنو الهُجَيْم قبيلةٌ مَلْعونَةٌ حُصُّ اللِّحَى مُتشابهو الألْوانِ[1]
لو يسمعونَ بأكلةٍ أو شَرْبةٍ بعُمانَ أصبحَ جَمعُهم بعُمانِ

قال: فجعل الشيخ يشتمه، ونحن نضحك.

وحدثني جحظة، قال: حدثني عليّ بنُ يحيى المُنَجّمُ، قال: اجتازت جارية بالمتوكّل معها كوز ماء، وهي أحسنُ من القمر، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: برهان، قال: ولمن هذا الماء؟ قالت: لسِتّي قُبَيْحة، قال: صُبّيه في حَلْقِي، فشربه عن آخره، ثم قال للبحتريّ: قل في هذا شيئاً، فقال البحتريّ: [البسيط]

ما شَرْبَةٌ مِنْ رَحِيقٍ كَأْسُها ذَهَبٌ جاءَتْ بها الحُورُ مِنْ جَنَّاتِ رِضْوانِ
يَوْماً بأطيبَ مِنْ ماءٍ بلا عَطَشٍ شَرِبْتُهُ عَبَثاً مِنْ كَفّ بُرْهانِ

(١) حُصُّ اللّحى: قليلو شعر اللحى.

أخبرني عليُّ بن سليمانَ الأخفش، وأحمدُ بن جعفر جحظة. قالا: حدثنا أبو الغوث بن البحتري، قال: كتبتُ إلى أبي يوماً أطلب منه نَبِيذاً، فبعث إليّ بنصف قِنّينةِ دُرْديّ[١] وكتب إليّ: دونَكها يا بنيّ، فإنها تكشِفُ القحْط، وتضبِطُ الرّهْط. قال الأخفش، وتُقِيتُ الرّهْط.

حدثني أبو الفَضْل عباسُ بن أحمد بن ثوابَةَ قال: قدم البحتريُّ النَّيلَ[٢] على أحمدَ بنِ عَليّ الإسكافِيّ مادحاً له، فلم يُثِبْه ثَواباً يرضاه بعد أن طالت مُدَّتُه عنده، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها: [الخفيف]

ما كسبنا مِنْ أحمدَ بنِ عَلِيّ ... ومِنَ النَّيلِ غيرَ حُمَّى النَّيلِ

وهجاه بقصيدة أُخرى أولها:

قِصَّةُ النّيلِ فاسمعوهَا عُجابَه

فجمع إلى هجائه إيّاه هجاءَ أبي ثَوابةَ، وبلغ ذلك أبي، فبعث إليه بألف درهم وثيابٍ ودَابّةٍ بسَرْجها ولجامها، فردّه إليه، وقال: قد أسلفتكم إساءةً لا يجوز معها قبولُ رفْدِكم[٣]، فكتب إليه أبي: أمّا الإساءة فَمغْفُورة وأما المعذرة فمشكورة، والحَسناتُ يُذهِبْن السيئات، وما يأسو جراحَك مثلُ يدك. وقد رددتُ إليك ما رددتَه عليّ، وأضعفتُه، فإن تلافَيْتَ ما فَرَط منك أثبنا وشكرنا، وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا. فقبل ما بَعث به، وكتب إليه: كلامُك واللّهِ أحسنُ من شعري، وقد أسلفْتَني ما أخجَلَني، وحَمّلْتني ما أثقلني، وسيأتيك ثنائي. ثم غدا إليه بقصيدة أولها:

ضَلالٌ لها ماذا أرادتْ إلى الصَّدِّ

وقال فيه بعد ذلك:

بَرْقٌ أضاءَ العَقِيقَ من ضَرَمِهْ

وقال فيه أيضاً:

---

(١) الدرديّ: الكَدَر الراسب في أسفل الوعاء من الأشربة ونحوها.
(٢) النَّيل: بليدة في الكوفة وقيل نهر من أنهار الرقة. (انظر معجم البلدان ٥/ ٣٣٤).
(٣) الرفد: العطاء.

دانٍ دعـا داعِـي الـصَّـبـا فـأجـابَـهْ

قال: ولم يزل أبي يصله بعد ذلك، ويتابع برّه لديه حتى افترقا.

أخبرني جحظة قال: كان نسيمٌ غُلامُ البحتريّ الذي يقول فيه: [مجزوء الرمل]

دَعا عَبْرتي تَجْري على الجَورِ والقَصْدِ   أظنُّ نَسِيماً قارفَ الهمَّ مِنْ بَعْدي[1]
خلاَ ناظِري مِنْ طَيْفِهِ بَعْدَ شخصِهِ   فيا عجبا للدَّهْرِ فقدٌ على فَقْدِ

غلاماً روميًّا ليس بحسن الوجه، وكان قد جعله باباً من أبواب الحِيَل على النّاس، فكان يَبيعهُ ويعتمد أن يُصَيّره إلى مِلْك بعض أهل المروءات ومن يَنْفُق عنده الأدب، فإذا حصل في مِلْكِه شَبّب به، وتشوّقه، ومدح مولاه حتى يهبه له، فلم يزل ذلك دأبَه حتى مات نسيم، فكُفِي النَّاسُ أمرَه.

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: كتب البحتريّ إلى أبي محمد بن عَليّ القُمّيّ[2] يستَهدِيه نبِيذاً، فبعث إليه نبيذاً مع غلام له أمرد، فجَمَّشه[3] البحتريّ، فغضب الغلامُ غضباً شديداً، دلّ البحتريَّ على أنه سَيُخْبِر مولاه بما جرى، فكتب إليه: [المتقارب]

أبـا جـعـفـرٍ كـان تَـجْـمِـيـشُـنـا   غـلامَك إحدى الـهَـنـاتِ الـدَّنِـيّـهْ[4]
بَـعَـثْـتَ إلـيـنـا بِـشَـمْـسِ الـمُـدام   تُـضـيءُ لـنـا مـع شـمـسِ الـبـرِيّـهْ
فـلـيـت الـهـديّـةَ كـان الـرّسـولُ   ولَـيْـتَ الـرَّسـولَ إلـيـنـا الـهَـدِيّـهْ

فبعث إليه محمدُ بنُ عَليّ الغُلامَ هَدِيَّة، فانقطع البحتريّ عنه بعد ذلك مدة، خجلاً مما جرى، فكتب إليه محمدُ بن عليّ: [الطويل]

هَـجَـرْتَ كـأنّ الـبِـرَّ أعـقـب حِـشْـمَـةً   ولم أرَ وَصْلاً قبل ذا أعقب الهَجْرَا[5]

فقال فيه قصيدته التي أولها:

فـتـى مَـذْحـج عَـفْـواً فـتـى مـذحـجٍ غُـفْـرا

(١) قارف الهمَّ: خالطه.
(٢) القمّيّ: نسبة إلى قمّ. وهي مدينة إسلامية ومركز علمي مهمّ في إيران. (معجم البلدان ٤/ ٣٩٧).
(٣) جمشه: داعبه وغازله.
(٤) الهَنات: جمع هنة: الفساد والشرّ.
(٥) الحشمة: الحياء.

وهي طويلة. وقال فيه أيضاً: [الكامل]

أمــواهــبٌ هــاتِــيــكَ أَمْ أَنْــواءُ ... هُــطُــل وأخــذُ ذَاكَ أم إعْــطــاءُ[١]

إن دَامَ ذا أو بَــعــضُ ذا مــن فــعــل ذا ... ذَهَــبَ الــسَّــخــاءُ فــلا يُــعَــدُّ سَــخــاءُ

لــيس الــذي حــلَّــت تَــمِــيــمٌ وسْطَهُ الــــدّهــنــاءَ، لــكــن صــدْرُكَ الــدَّهْــنــاءُ[٢]

مَــلِــكٌ أَغَــرُّ لآلِ طَــلْــحَــةَ مَــجْــدُه ... كــفّــاه بَــحْــرُ ســمــاحــةٍ وســمــاءُ

وشَــريــفُ أشْــرافٍ إذا احْــتَــكَّــت بــهــم ... جُــرْبُ الــقَــبــائِــلِ أَحْــسَــنــوا وأســاءُوا

أمُــحَــمَّــدُ بــنَ عــلــيّ اســمَــعْ عُــذْرَةً ... فــيــهــا شِــفــاءٌ لــلــمُــســيءِ ودَاءُ

مــا لــي إذا ذُكِــرَ الــكِــرامُ رأيــتُــنــي ... مــا لــي مــع الــنّــفــرِ الــكِــرام وَفــاءُ؟

يَــضْــفُــو عَــلَــيَّ الــعَــذْلُ وهــو مُــقــاربٌ ... ويَــضــيــق عــنــي الــعُــذْرُ وهْــوَ فَــضــاءُ

إنّــي هَــجَــرْتُــكَ إذ هَــجَــرْتُــكَ حِــشْــمــةً ... لا الــعَــوْدُ يُــذهِــبُــهــا ولا الإبــداءُ

أَخْــجَــلْــتَــنــي بــنَــدى يَــدَيْــك فــسوَّدَت ... مــا بــيــنــنــا تِــلْــكَ الــيَــدُ الــبَــيْــضــاءُ

وقَــطَــعــتَــنــي بــالــبــرّ حــتــى إنّــنــي ... مُــتَــوَهِّــمٌ أن لا يَــكُــونَ لِــقــاءُ

صِــلَــةٌ غَــدَت فــي الــنــاسِ وَهْــي قَــطِــيــعَــةٌ ... عَــجَــبــاً وبِــرٌّ راحَ وَهْــوَ جَــفــاءُ

لــيــواصِــلــنَّــك رَكْــبُ شِــعْــريَ ســائِــراً ... تُــهْــدَى بــه فــي مَــدْحِــكَ الأعْــداءُ

حــتــى يــتــمّ لــك الــثّــنــاءُ مُــخَــلَّــداً ... أبــداً كــمــا دامَــتْ لــكَ الــنّــعــمــاءُ

فــتــظَــلَّ تَــحْــسُــدكَ الــمُــلــوكُ الــصِّــيــدُ بــي ... وأظَــلَّ يَــحْــسُــدُنــي بــكَ الــشُّــعــراءُ[٣]

[مات في السكتة]

أخبرني عليُّ بن سُلَيْمانَ الأَخفشُ، قال: سألني القاسِمُ بنُ عبيد الله عن خَبَر البُحتريّ، وقد كان أُسكِت، ومات من تلك العِلّة، فأخبرتُه بوفاته، وأنه مات في تلك السّكْتَة، فقال: ويحه رُمِي في أحسَنِه[٤].

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني محمدُ بن عليّ الأنباريّ، قال: سمعتُ البحتريَّ يقول: أنشدني أبو تمامٍ يوماً لنفسه: [البسيط]

وســابِــحٍ هَــطْــلِ الــتَّــعــداءِ هَــتّــان ... عــلــى الــجــراءِ أمــيــنٍ غــيــر خــوَّانِ[٥]

---

(١) أنواء: أمطار.

(٢) الدهناء: الصحراء.

(٣) الصِّيد: جمع أصيد. وهو كل ذي حول وطول من ذوي السلطان.

(٤) أحسنه: لعله يريد بأحسن ما فيه لسانه.

(٥) الجراء: جمع جرو وهو صغير الكلب.

أظْمى الفصُوصِ ولم تظمأ قوائِمهُ فخلٌ عينيك في ظمآنَ رَيّانِ[١]
فلو تَراهُ مُشِيحاً والحَصَى زِيَمٌ بَيْنَ السّنابِكِ مِنْ مَثْنًى ووُحدانِ[٢]
أيْقَنْتَ إنْ لم تَثَبَّتْ أنّ حافِرَهُ مِنْ صَخْرِ تَدْمُر أو من وَجْهِ عثمانِ[٣]

ثم قال لي: ما هذا الشعر؟ قلت: لا أدري، قال: هذا هو المستطرد، أو قال الاستطراد. قلت: وما معنى ذلك؟ قال: يُريك أنه يريد وصف الفَرَس وهو يريد هجاءَ عثمان، وقد فعل البحتريّ ذلك، فقال في صِفَة الفَرس: [الكامل]

ما إن يَعافُ قَذًى ولو أوْرَدتَهُ يَوْماً خلائقَ حَمْدَوَيْهِ الأحْول

وكان حمدويه الأحولُ عدوًّا لمحمد بن علي القُمّي الممتَدح بهذه القصيدة فهجاه في عُرض مدحه محمداً. والله أعلم.

[رأي أبي تمام فيه]

حدثني عليُّ بنُ سُليمان الأخفش، قال: حدَّثني أبو الغَوْث بن البُحتريّ، قال: حدّثني أبي، قال: قال لي أبو تمام: بلغني أنَّ بني حُمَيْد أعطَوك مالاً جَلِيلاً فيما مدحتهم به، فأنشِدني شيئاً منه، فأنشدته بعضَ ما قلتُه فيهم، فقال لي: كم أعَطوْك؟ فقلت: كذا وكذا، فقال: ظلموك، والله ما وَفَوْك حقّك، فلِمَ اسْتكثرتَ ما دفعوه إليك؟ والله لَبيتٌ منها خَيرٌ مما أخذْت، ثم أطرق قليلاً، ثم قال: لعَمْري لقد استكثرت ذلك، واستُكثِر ذلك لمّا مات الناسُ وذهب الكرامُ، وغاضت المكارمُ، فكسدت سُوقُ الأدب، أنت والله يا بُنَيَّ أمِيرُ الشعراء غدا بعدي، فقمتُ فقبّلت رأسَه ويديه ورجليه، وقلت له: والله لهذا القولُ أسرُّ إلى قلبي وأقوى لنفسي مما وصل إليَّ من القوم.

حدثني محمد بن يحيى عن الحسن بن علي الكاتب، قال: قال لي البحتريّ: أنشدتُ أبا تمام يوماً شيئاً من شعري، فتمثّل ببيت أوس بن حجر: [الطويل]

إذا مُقرَمٌ منا ذرا حَدُّ نابِهِ تَخَمَّطَ فينا نابُ آخَرَ مُقرَمِ[٤]

---

(١) الفصوص: المفاصل. وأظمى: أضمر.
(٢) زِيَمٌ: جمع زيمة وهي القطعة من كل شيء.
(٣) تثبت: فعل مضارع، حذفت منه إحدى التاءين. ووجه عثمان: المراد وصف وجه عثمان بالصفاقة. وعثمان: هو عثمان بن إدريس.
(٤) المُقرم: السيد المقدم المعظم. وذرا حدُّ نابه: انكسر. وتخمّطَ: قهر وغلب.

ثم قال لي: نعيتَ والله إليّ نفسِي، فقلْتُ: أُعِيذك بالله من هذا القول، فقال: إنّ عمري لن يَطول، وقد نشأ في طيّيء مِثْلُك، أمَا علمتَ أنّ خالدَ بن صفوان رأى شبيب بنَ شَيْبة، وهو من رَهْطه يتكلم، فقال: يا بُنَيّ، لقد نَعَى إليّ نفسي إحسانُك في كلامك، لأنَّا أهلُ بيت ما نشأ فينا خَطِيبٌ قطّ إلاّ مات مَنْ قبله، فقلت له: بل يُبقِيك الله، ويجعلني فداءَك. قال: ومات أبو تمام بعد سنة.

[البحتري شاعر المتوكل]

حدثني أحمد بن جعفر جحظة: قال حدثني أبو العَنْبس الصَّيْمرِيّ قال: كنتُ عند المتوكل والبُحتريّ يُنشِده: **[مجزوء الكامل]**

عَـــنْ أيِّ ثَـــغْـــرٍ تَـــبْـــتَـــسِـــمْ ... وبــــأيِّ طَـــرْفٍ تَـــحْـــتَـــكِـــمْ؟

حتى بلغ إلى قوله:

قُــلْ لــلــخَــلِــيــفَــةِ جَــعْــفــرِ الــ ... ــمــتــوكّــلِ بــنِ الــمُــعْــتَــصِــمْ
الــمُــبْــتــدِي لــلــمُــجْــتَــدِي ... والــمُــنْــعِــم بــنِ الــمُــنْــتَــقِــمْ
اسْــلَــمْ لــدِيــنِ مُــحَــمَّــدٍ ... فــإذا سَــلِــمْــتَ فَــقَــدْ سَــلِــمْ

قال: وكان البحتريّ من أبغض الناس إنشاداً، يتشادق ويتزاور[1] في مشيه مرة جانباً، ومرّة القَهْقَرَى، ويهزّ رأسه مَرَّة، ومنكبيه أُخرى، ويشير بكُمّه، ويقف عند كل بيت، ويقول: أحسنتُ والله، ثم يُقبِل على المستمعين، فيقول: ما لكم لا تقولون أحسنت؟ هذا والله ما لا يُحسِن أحدٌ أن يقول مثله، فضجر المتوكل من ذلك وأقبل عليَّ، وقال: أما تسمع يا صَيْمَرِيّ ما يقول؟ فقلت: بلى يا سيّدي، فمُرنِي فيه بما أحببتَ، فقال: بحياتي اهجُه على هذا الرّويّ الذي أنشَدنيه، فقلت: تأمُر ابنَ حمدون أن يكتب ما أقول، فدعا بدواةٍ وقرطاسٍ، وحضَرني على البديهة أن قلت: **[مجزوء الكامل]**

أَدْخَــلْــتَ رَأْسَــكَ فــي الــرّحِــمْ ... وعَــلِــمْــتَ أنَّــكَ تَــنْــهَــزِمْ
يــا بُــحْــتــريُّ حَــذارِ وَيْــحَــ ... ــكَ مِــنْ قُــضــاقِــضــةٍ ضُــغُــمْ[2]

---

(١) يتزاور: يتمايل.
(٢) القُضاقضة: الأسد. والضغم: جمع ضاغم: وهو الذي يعض بملء فيه.

فلقد أسلت بواديك من الهجا سيل العرم[1]
فبأي عرض تعتصم وبهتكه جف القلم؟
والله جل فقدة صادق وبقبر أحمد والحرم
وبحق جعفر الإما م ابن الإمام المعتصم
لأصيرنك شهرة بين المسيل إلى العلم[2]
حي الطلول بذي سلم حيث الأراكة والخيم[3]
يا ابن الثقيلة والثقيل على قلوب ذوي النعم
وعلى الصغير مع الكبير من الموالي والحشم
في أي سلح ترتطم وبأي كف تلتقم؟
يا ابن المباحة للورى أمن العفاف أم التهم
إذ رحل أختك للعجم وفراش أمك في الظلم
وبباب دارك حانة في بيته يؤتى الحكم

قال: فغضب، وخرج يعدو، وجعلت أصيح به: [مجزوء الكامل]

أدخلت رأسك في الرحم وعلمت أنك تنهزم

والمتوكل يضحك، ويصفق حتى غاب عن عينه.

هكذا حدثني جحظةُ عن أبي العنبس. ووجدت هذه الحكاية بعينها بخط الشاهيني حكاية عن أبي العنبس، فرأيتُها قريبة اللفظ، موافقةَ المعنى لمَا ذكره جحظةُ، والذي يتعارفه النَّاس أن أبا العَنْبَس قال هذه الأبيات ارتجالاً، وكان واقفاً خلف البحتريّ، فلما ابتدأ وأنشد قصيدته: [مجزوء الكامل]

عن أي ثغر تبتسم وبأي طرف تحتكم

صاح به أبو العنْبَس من خلفهِ: [مجزوء الكامل]

في أي سلح ترتطم وبأي كف تلتقم
أدخلت رأسك في الرحم وعلمت أنك تنهزم

---

(١) العَرِم: الشديد.

(٢) أي أنه سيجعل منه شنعة بين النَّاس.

(٣) ذو سَلَم: وادٍ ينحدر على أرض بني البكّاء. (معجم البلدان ٣/ ٢٤٠).

فغضب البحتريّ، وخرج، فَضحِكَ المتوكّل حتى أكثر، وأمر لأبي العَنْبَس بعشرة آلاف درهم والله أعلم.

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن يحيى الصّولّيّ، وحدثني عبد الله بن أحمد بن حمدون عن أبيه قال: وحدثني يحيى بن علي عن أبيه، أن البحتريّ أنشد المتوكّل - وأبو العَنْبَس الصّيمريّ حاضر - قصيدَتَه: [مجزوء الكامل]

عَـــنْ أيّ ثَـــغْـــرٍ تَـــبْـــتَـــسِـــمْ وبـــأيّ طَـــرْفٍ تَـــحْـــتَـــكِـــمْ؟

إلى آخرها، وكان إذا أنشد يختال، ويعجب بما يأتي به، فإذا فرغ من القصيدة ردّ البيت الأول، فلما رده بعد فراغه منها. وقال: [مجزوء الكامل]

عَـــنْ أيِّ ثَـــغْـــرٍ تَـــبْـــتَـــسِـــمْ وبـــأيِّ طَـــرْفٍ تَـــحْـــتَـــكِـــمْ

قال أبو العنْبَس وقد غمزه المتوكل أن يولع به:

فـــي أيِّ سَـــلْـــحٍ تَـــرْتَـــطِـــمْ وبـــأيِّ كَـــفٍّ تَـــلْـــتَـــقِـــمْ
أَدْخَـــلْـــتَ رَأْسَـــكَ فـــي الـــرّحِـــمْ وعَـــلِـــمْـــتَ أنّـــكَ تَـــنْـــهَـــزِمْ

فقال نصف البيت الثاني، فلما سمع البحتريُّ قوله ولّى مُغْضَباً، فجعل أبو العنْبَس يصيح به:

وعَـــلِـــمْـــتَ أَنَّـــكَ تَـــنْـــهَـــزِمْ

فضحِكَ المتوكّل من ذلك حتى غُلِب، وأمر لأبِي العنْبَس بالصّلة التي أُعِدّت للبحتريّ.

قال أحمد بن زياد، فحدّثني أبي: قال: جاءني البحتريّ، فقال لي: يا أبا خالد أنت عشيرتي وابنُ عمّي وصديقي، وقد رأيتَ ما جرى عليَّ، أفتأذنُ لي أن أخرج إلى مَنْبج بغير إذن، فقد ضاع العِلْم، وهلك الأدب؟ فقلت: لا تفعل من هذا شيئاً، فإن الملوك تمزَح بأعظم مما جرى، ومضيت معه إلى الفتح[1]، فشكا إليه ذلك، فقال له نحواً من قولي، ووصله، وخلع عليه، فسكن إلى ذلك.

حدّثني جحظةُ عن عليّ بن يَحْيى المُنجّم، قال: لمّا قُتِل المتوكّلُ قال أبو

(١) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل.

العنْبَس الصَّيمريُّ: [السريع]

يـا وَحْـشَـةَ الـدُّنـيـا عـلـى جَـعْـفَـرٍ عـلـى الـهـمـامِ الـمَـلِـكِ الأزْهـرِ
عـلـى قَـتِـيـلٍ مِـنْ بـنـي هـاشِـمٍ بـيـن سَـرِيـرِ الـمُـلْـكِ والـمِـنْـبَـرِ
والـلَّـهِ ربِّ الـبَـيْـتِ والـمَـشْـعَـرِ والله أن لـو قُـتِـل الـبُـحْـتُـرِي[1]
لـثـارَ بـالـشّـامِ لـه ثـائِـرٌ في أَلْفِ نَغْلٍ مِنْ بني عَضْ خَري[2]
يـقـدُمـهـم كُـلُّ أخـي ذِلَّـةٍ عـلـى حِـمـارٍ دابِـرٍ أَعْـوَرِ

فشاعت الأبيات حتى بلغت البحتريّ، فضحك ثم قال: هذا الأحمق يرى أنّي أُجِيبُه على مثل هذا، فلو عاش امرؤ القيس، فقال، من كان يجيبه؟

(١) المَشْعَر: موضع مناسك الحج.
(٢) النّغْل: ابن الزنى.

ذكر نتف من أخبار عَريبَ مستحسنة

[١٨١ ـ ٢٧٧ هـ/ ٧٩٨ ـ ٨٩٠ م]

[شاعرة مغنية حسنة الخط]

كانت عريب مغنّية محسنةً، وشاعرةً صالحة الشعر، وكانت مليحةَ الخطّ والمذهب في الكلام، ونهايةً في الحسنِ والجمالِ والظّرفِ، وحسن الصورة وجودة الضّرب، وإتقان الصنعة والمعرفة بالنّغم والأوتار، والرواية للشعر والأدب، لم يتعلق بها أحدٌ من نظرائها، ولا رُئي في النِّساء بعد القيانِ الحجازيّات القديمات، مثل جميلة وعَزّة الميلاء وسَلاّمة الزرقاء ومَن جَرَى مَجْراهن ـ على قِلّة عَدَدهن ـ نظيرٌ لها، وكانت فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لهنّ مما يكون لمثلها من جواري الخلفاء، ومَنْ نشأ في قصور الخلافة وغُذِّي برقيق العيش، الذي لا يدانيه عيش الحجاز، والنَّشء بين العامة والعرب الجفاة، ومن غلُظ طبعه، وقد شهد لها بذلك مَنْ لا يحتاج مع شهادته إلى غيره.

أخبرني محمد بن خلف وَكِيع، عن حماد بن إسحاق، قال: قال لي أبي: ما رأيتُ امرأة أضربَ من عَرِيب، ولا أحسنَ صنعة ولا أحسنَ وجهاً، ولا أخفّ رُوحاً، ولا أحسَن خِطاباً، ولا أسرعَ جَواباً، ولا ألعبَ بالشّطرنج والنَّرد، ولا أجمعَ لخصْلة حَسَنة لم أر مثلها في امرأة غيرها. قال حمّاد: فذكرت ذلك ليحيى بن أكثم في حياة أبي، فقال: صدق أبو محمد، هي كذلك، قلت: أفسمعتها؟ قال: نعم هناك، يعني في دار المأمون، قلت: أفكانت كما ذكر أبو محمد في الحِذق؟ فقال يحيى: هذه مسألة الجواب فيها على أبيك، فهو أعلم مني بها، فأخبرتُ بذلك أبي، فضحك، ثم قال: ما اسْتَحْييتَ من قاضي القضاة أن تسأله عن مثل هذا.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثني أبي، قال: قال لي إسحاق: كانت عندي صَنّاجة[1] كنت بها مُعجباً، واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون، فبينا أنا ذات يوم في منزلي، إذ أتاني إنسان يَدُقّ الباب دقّاً شديداً، فقلت: انظروا من هذا؟ فقالوا: رسول أمير المؤمنين، فقلت: ذهبت صَنَّاجتي، تجدُه ذكرها له ذاكرٌ، فبعث إليّ فيها. فلمّا مضى بي الرسول انتهيتُ إلى الباب، وأنا مُثخَن، فدخلت، فسلّمت، فردّ عليّ السلام، ونظر إلى تغيّر وجهي، فقال لي: اسكن، فسكنت، فقال لي: غنّ صوتاً وقال لي: أتدري لمن هو؟ فقلت: أسمعه، ثم أُخبِرُ أميرَ المؤمنين إن شاء الله ذلك، فأمر جارية من وراء الستارة، فَغَنَّته وضربت، فإذا هي قد شبّهته بالغناء القديم، فقلت: زدني معها عوداً آخر، فإنه أثبت لي، فزادني عوداً آخر، فقلت: هذا الصوت مُحدَث لامرأة ضاربة، قال: من أين قلت ذاك؟ قلت: لمَّا سمعت لِينَه عرفت أنه مُحدَث من غناء النِّساء، ولما رأيت جَودَة مقاطِعِه علمت أنّ صاحبته ضاربة، وقد حَفِظت مقاطِعَه وأجزاءَه، ثم طلبتُ عوداً آخر، فلم أشكّ، فقال: صدقت، الغناء لعريب.

قال ابن المعتز: وقال يحيى بن عليّ: أمرني المعتمد على الله أن أجمع غناءَها الذي صنعَتْه، فأخذت منها دفاترَها وصُحُفها التي كانت قد جمعت فيها غِناءَها فكتبتُه فكان ألفَ صوت.

وأخبرني علي بن عبد العزيز، عن ابن خُرْدَاذْبه، أنه سأل عريبَ عن صَنْعتها، فقالت: قد بلغتْ إلى هذا الوقت ألفَ صوت.

وحدثني محمد بن إبراهيم قريض أنه جمع غناءها من ديواني ابن المعتز، وأبي العُبيس بن حمدون، وما أخذه عن بِدْعة جاريتها التي أَعطاها إياها بنو هاشم، فقابل بعضَه ببعض، فكان ألفاً ومائة وخمسة وعشرين صوتاً. وذكر العَتَّابيّ أنّ أحمد بن يحيى حدثه، قال: سمعت أَبا عبد الله الهِشاميّ يقول ـ وَقد ذُكِرت صنعةُ عريب ـ: صنعتُها مثلُ قول أَبي دلف في خالد بنِ يزيدَ حيث يقول:

[مجزوء الكامل]

يـا عـيـنُ بَـكّـي خـالِـدا ... أَلْـفـاً ويُـدعَـى واحـدَا

---

(١) الصناجة: آلة موسيقية ذات أوتار.

يريد أنّ غِنَاءها ألف صوت في مَعْنى واحد، فهي بمنزلة صَوْت واحد.

وحكى عنه أيضاً هذه الحكاية ابنُ المعتز. وهذا تحامُلٌ لا يَحِلّ، ولعمري إن في صنعتها لأشياء مرذولة لَيِّنة، وليس ذلك مما يَضَعُها، ولا عَرِي كبيرُ أحدٍ من المغنّين القدماء والمتأخرين من أن يكون في صَنْعَتِه النادِرُ والمتوسّطُ سِوَى قوْم معدودين مثلِ ابن محرز ومَعْبد في القدماء، ومثلِ إسحاق وحده في المتأخرين، وقد عِيبَ بمثل هذا ابنُ سُرَيج في محله، فبلغه أن المغنين يقولون: إنما يغني ابنُ سريج الأرْمال والخفاف، وغناؤه يَصلُح للأعراس والولائم، فبلغه ذلك فتغنى بقوله:

لَقَدْ حبَّبَتْ نُعْمٌ إلينا بِوَجْهِها مساكنَ ما بين الوتائِرِ فالنَّقْعِ[1]

ثم توفّي بعدها، وغناؤه يجري مجرى المعيب عليه. وهذا إسحاق يقول في أبيه ـ على عظيم محلّه في هذه الصناعة وما كان إسحاق يُشيد به من ذكره وتفضيله على ابن جامع وغيره ـ: ولأبي ستُّمائة صوت، منها مائتان تشبّه فيها بالقديم، وأتى بها في نهاية من الجودة، ومائتان غناءٌ وسط مثل أغاني سائر الناس، ومائتان فلسية[2] ودِدْت أنه لم يُظهِرها ويَنْسبها لنفسه، فأسترها عليه. فإذا كان هذا قولَ إسحاق في أبيه فمن يعتذر بعده من أن يكون له جيّد ورديء، وما عَرِي أحد في صناعة من الصناعة من حال يَنقُصه عن الغاية، لأن الكمالَ شيء تفرّد الله العظيم به، والنقصانَ جبلَّةٌ طَبَعَ بني آدم عليها، وليس ذلك إذا وُجِد في بعض أغاني عريب مما يدعو إلى إسقاط سائرها، ويلزمه اسم الضّعف واللّين، وحسب المحتجّ لها شهادةُ إسحاق بتفضيلها، وقلّما شهِد لأحد، أو سَلِم خَلْق ـ وإن تَقدَّم وأُجْمِع على فضله ـ من شَيْنه إيّاه وطعنِه عليه، لنفاسته في هذه الصناعة، واستصغاره أهلَها، فقد تقدّم في أخباره مع علّوية، ومُخارق، وعمرو بن بانة، وسليم بن سلام، وحسين بن محرز، ومن قبلهم ومن فوقهم مثلُ ابن جامع وإبراهيم بن المهديّ وتهجينه إياهم، وموافقته لهم على خطئهم فيما غنّوه وصنعوه مما يُسْتغنى به عن الإعادة في هذا الموضع، فإذا انضاف فِعلُه هذا بهم، وتفضيلُه إياها، كان ذلك أدلَّ

---

(١) الوتائِر: موضع بين مكة والطائف. (معجم البلدان ٥/ ٣٦٠). والنَّقْعُ: موضع قرب مكة في جنبات الطائف. (معجم البلدان ٥/ ٣٠٠).

(٢) فلسية: تافهة لا قيمة لها.

دليل على التحامل ممّن طعن عليها، وإبطاله فيما ذكرها به، ولقائل ذلك ـ وهو أبو عبد الله الهشامي ـ سببٌ كان يصطنعه عليها، فدعاه إلى ما قال، نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى.

ومما يدلّ على إبطاله أنّ المأمون أراد أن يمتحن إسحاقَ في المعرفة بالغناء القديم والحديث، فامتحنه بصوت من غنائها من صنعتها، فكاد يجوز عليه، لولا أنه أطال الفكر والتلوّم واستَثبت، مع علمه بالمذاهب في الصنعة، وتقدُّمِه في معرفة النّغم وعِلَلِها، والإيقاعات ومجاريها.

وأخبرنا بذلك يحيى بن عليّ بن يحيى، قال: حدثني أبي عن إسحاق: فأمّا السبب الذي كان من أجله يعاديها الهشاميّ، فأخبرني به يحيى بن محمد بن عبد الله بن طاهر قال: ذُكِر لأبي أحمدَ عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر عَمّي أنّ الهشاميّ زعم أن أحسن صوت صنعتْه عريب:

صَـاحِ قـد لـمـتَ ظـالـمـا

وأن غناءها بمنزلة قول أبي دُلفٍ في خالد: [مجزوء الكامل]

يـا عـيـنُ بَـكِّـي خـالـدا ألـفـاً ويُـدعَـى واحِـدَا

فقال: ليس الأمر كما ذكر، ولعريبَ صنعةٌ فاضلة متقدّمة، وإنما قال هذا فيها ظلماً وحَسَداً، وغَمطها[1] ما تستحقّه من التّفضيل، بخبر لها معه طريف، فسألناه عنه، فقال: أخرجتُ الهشاميَّ معي إلى سُرَّ مَنْ رأى، بعد وفاة أخي، يعني أبا محمدَ بن عبد الله بن طاهر؛ فأدخلتُه على المعتزّ وهو يشرب، وعريب تغنّي، فقال له: يابن هشام، غَنّ، فقال: تُبتُ من الغناء مذ قُتِل سَيِّدي المتوكّل، فقالت له عريب: قد واللّهِ أحسنتَ حيث تُبتَ، فإن غناءك كان قليلَ المعنى، لا مُتْقَنٌ ولا صحيح ولا مُطْرِب، فأضحكت أهلَ المجلس جميعاً منه، فخجل؛ فكان بعد ذلك يَبسُط لسانَه فيها، ويَعِيبُ صنعتَها، ويقول: هي ألفُ صوت في العدد، وصوتٌ واحد في المعنى. وليس الأمرُ كما قاله، إن لها لصنعةً تشَبَّهت فيها بصنعة الأوائل، وجوّدت، وبرزت فيها، منها:

أَئِـنْ سَـكَـنَـتْ نَـفْـسِـي وقـلَّ عَـويـلُـهـا

(١) غمطها: أنكرها ولم يشكرها.

ومنها:

تَـــقـــولُ هَـــمِّـــي يَـــوْمَ وَدَّعْـــتُـــهـــا

ومنها:

إذَا أرَدْتَ انـتـصـافـاً كـانَ نـاصِـرُكُـمْ

ومنها:

بـــأبـــي مَـــنْ هـــوَ دَائـــي

ومنها:

أَسْـلَـمُـوهـا فِـي دِمَـشْـقَ كَـمَـا

ومنها:

فَـلا تَـتَـعَـنَّـتـي ظُـلْـمـاً وَزُورا

ومنها:

لـقـد لام ذا الـشَّـوْقِ الـخَـلِـيُّ مِـنَ الـهَـوَى

ونسختُ ما أذكره من أخبارها، فأنسبه إلى ابن المعتزّ من كتاب دفعه إليَّ محمدُ بن إبراهيم الجراحيّ المعروف بقريض، وأخبرني أن عبد الله بن المعتز دفعه إليه، من جمعه وتأليفه، فذكرت منها ما استحسنته من أحاديثها، إذ كان فيها حشو كثير، وأضفت إليه ما سمعتُه ووقع إليَّ غيرَ مسموع مجموعاً ومتفرقاً، ونسبت كل رواية إلى راويها.

[نسبها]

قال ابنُ المعتزّ: حدّثني الهشاميّ أبو عبد الله وأخبرني علي بن عبد العزيز، عن ابن خُرداذْبه قالا: كانت عرِيبُ لعبد الله بن إسماعيل صاحبِ مراكب الرّشيد، وهو الذي ربّاها، وأدّبها، وعلّمها الغناء.

قال ابنُ المعتزّ: وحدثني غيرُ الهشاميّ، عن إسماعيل بن الحسين خالِ المعتصم، أنها بنتُ جعفرِ بن يحيى، وأنَّ البرامكة لما انتُهِبوا سُرِقت وهي صغيرة.

قال: فحدثني عبدُ الواحد بنُ إبراهيم بن محمد بن الخَصِيب، قال: حَدّثني مَنْ أثِق به، عن أحمدَ بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي، أنّ أُمَّ عريب كانت تسمَّى فاطِمة، وكانت قَيِّمةً[١] لأمّ عبد الله بن يحيى بن خالد، وكانت صَبيّة نظيفة، فرآها جعفرُ بن يحيى، فهويَها، وسأل أمَّ عبد الله أن تُزوّجه إيّاها، ففعلت، وبلغ الخبرُ يَحْيى بنَ خالد، فأنكره؛ وقال له: أتتزوّج مَن لا تُعرف لها أمٌّ ولا أب؟ اشْتَرِ مكانها مائة جارية وأخرجها، فأخرجها، وأسكنها داراً في ناحية باب الأنبار سرّاً من أبيه، ووكّل بها مَنْ يحفَظها، وكان يتردّد إليها، فولدت عَريب في سنة إحدى وثمانين ومائة، فكانت سِنُوها إلى أن ماتت ستّاً وتسعين سنة، قال: وماتت أمّ عريب في حياة جَعْفر، فدَفعها إلى امرأة نصرانية، وجعلها دايةً لها، فلما حَدَثت الحادِثة بالبرامكة باعَتْها من سِنْبِسٍ النخّاس، فباعها من المراكبي.

قال ابن المعتز: وأخبرني يوسفُ بنُ يعقوب، أنه سمع الفضل بنَ مَرْوان يقول: كنتُ إذا نظرتُ إلى قَدمَيْ عَريب شبّهتُهما بقدمي جعفر بن يحيى، قال: وسمعت مَنْ يحكي أن بلاغتها في كتبها ذُكِرت لبعض الكُتّاب فقال: فما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر بن يحيى؟

وأخبرني جحظة قال: دخلتُ إلى عريب مع شروين المغني وأبي العُبيس بن حمدون، وأنا يومئذٍ غلام عليَّ قِباء ومِنْطقة[٢]، فأنكرتني وسألت عنّي، فأخبرها شَروين، وقال: هذا فتى من أهلِك، هذا ابنُ جعفر بن مُوسَى بن يحيى بن خالد، وهو يغنّي بالطّنبور، فأدنَتْني، وقرّبت مجلسي، ودعت بطُنْبور، وأمرتْني بأن أُغنّي، فغنّيت أصواتاً، فقالت: قد أحسنتَ يا بُنيَّ ولتكونَنَّ مغنّياً، ولكن إذا حَضرت بين هَذين الأسدين[٣] ضِعْتَ أنت وطنبورُك بين عُودَيْهما، وأمرت لي بخمسين ديناراً.

قال ابنُ المعتزّ: وحدّثني مَيمونُ بنُ هارون، قال: حدَّثني عَرِيبُ قالت: بعثَ الرشيد إلى أهلها ـ تَعْني البرامكة ـ رسولاً يسألهم عن حالهم، وأمره ألاّ يعلمهم أنه من قبله، قالت: فصار إلى عمي الفضل، فسأله، فأنشأ عمّي يقول:

---

(١) القيّمة: المدبّرة.
(٢) المنطقة: ما يشدّ به الوسط.
(٣) الأسدين: تقصد شروين المغني وأبا العبيس بن حمدون.

صوت

[الخفيف]

سـألُونـا عَـنْ حَـالِـنـا كـيـف أنـتـمُ ... مَـنْ هَـوَى نَـجْـمُـهُ فـكـيـفَ يَـكُـونُ؟
نَـحْـنُ قَـوْمٌ أصـابـنـا عَـنَـتُ الـدّهْـ ... ـرِ فَـظَـلْـنـا لِـرَيْـبِـهِ نَـسْـتَـكِـيـنُ

ذكرت عَرِيبُ أنّ هذا الشعر للفَضْل بنِ يَحيى، ولها فيه لحنان: ثاني ثقيل وخفيف ثقيل، كلاهما بالوُسْطى، وهذا غَلَط من عَريب، ولعله بلغها أنّ الفضل تمثّل بشعرٍ غير هذا، فأُنسيَتْه وجعلت هذا مكانه. فأمَّا هذا الشِّعر فللحُسَيْن بنِ الضحّاك، لا يُشَكّ فيه، يَرثي به محمداً الأمينَ بعد قوله: [الخفيف]

نَـحْـنُ قَـوْمٌ أصـابـنـا حـادِثُ الـدَّهْـ ... ـرِ فَـظَـلْـنـا لـرَيْـبـهِ نَـسْـتَـكِـيـنُ
نَـتَـمَـنَّـى مِـنَ الأَمِـيـنِ إيـابـاً ... كُـلَّ يَـوْمٍ وأيـنَ مـنّـا الأَمِـيـنُ؟

وهي قصيدة.

[بعض أخبارها وشعرها]

قال ابنُ المعتزّ: وحدّثني الهِشاميّ، أنّ مولاها خرج إلى البصرة، وأدَّبَها وخرّجها وعلّمها الخَطَّ والنّحوَ والشّعر والغناءَ، فبرعت في ذلك كلّه، وتزايدت حتى قالت الشعر، وكان لمولاها صَديقٌ يُقال له حاتم بن عديٍّ من قُوَّاد خُراسَان، وقيل: إنه كان يكتب لعُجَيْف على ديوان الفرض، فكان مولاها يَدْعُوه كثيراً، ويخالطه، ثم ركبه دَيْنٌ فاستَتر عنده، فمدّ عينَه إلى عَرِيب، فكاتبها، فأجابَتْه، وكانت المُواصَلةُ بينهما، وعَشِقَته عَرِيب، فلم تزل تَحْتال حتى اتخذت سُلَّماً من عَقَب[1]، وقيل من خيوط غلاظ، وسَترته، حتى إذا همَّت بالهَرَب إليه بعد انتقاله عن منزل مولاها بمُدّة ـ وقد أعدّ لها موضعاً ـ لَفّت ثِيابَها وجعلَتْها في فراشها بالليل، ودَثَّرَتْها بدِثارها، ثم تسوَّرَت من الحائِطِ، حتى هرَبت، فمَضَت إليه، فمكثت عنده زَماناً، قال: وبلغني أنها لمَّا صارت عنده بعث إلى مولاها يستَعير منه عُوداً تُغنّيه به، فأعاره عودَها، وهو لا يعلم أنها عنده، ولا يتهمه بشيءٍ من أمرها، فقال عيسى بنُ عَبْد الله بنِ إسماعيل المراكبيّ، وهو عيسى بنُ زَيْنب يَهْجُو أباه

(١) العَقَب: العصب الذي تصنع منه الأوتار.

ويُعَيّره بها، وكان كثيراً ما يهجوه: [مجزوء الرمل]

قاتَلَ اللهُ عَرِيبَا فَعَلَتْ فِعْلاً عَجِيبَا
رَكِبَتْ والليْلُ داجٍ مَرْكَباً صَعْباً مهوبا
فارْتَقَتْ مُتَّصِلاً بالنَّجْـ ـم أو منه قَرِيبا
صَبَرَتْ حتى إذا ما أَقْصَدَ النَّوْمُ الرَّقِيبا[1]
مَثَّلَتْ بَيْنَ حَشَايَا ها لِكَيلا تَسْتَرِيبَا
خَلَفاً منها إذا نو دِيَ لم يُلفَ مُجِيبَا
وَمَضَتْ يَحْمِلُها الخَوْ فُ قَضِيباً وكَثِيبا
مُحَّةٌ لو حُرّكت خِفْـ ـتَ عليها أن تذوبا[2]
فَتَدَلَّتْ لمُحِبٍّ فَتَلَقّاها حَبِيبَا
جَذِلاً قد نالَ في الدُّنْـ ـيا مِنَ الدُّنيا نصيبا
أيُّها الظَّبْيُ الذي تَسْحَـ ـرُ عَيْناهُ القُلُوبَا
والذي يَأْكُلُ بَعْضاً بَعْضُهُ حُسْناً وطِيبا
كُنْتَ نَهْباً لِذِئابٍ فَلَقَد أَطْعَمْتَ ذِيبا
وكذا الشَّاةُ إذا لم يَكُ راعِيها لَبِيبَا
لا يُبالي وَبأَ المَرْ عَى إذا كانَ خَصِيبا
فلقد أَصْبَحَ عبدُ اللـ ـه كَشخانَ حَرِيبَا[3]
قد لَعَمْرِي لَطَمَ الوَجْهَ وقد شَقَّ الجُيُوبَا
وجَرَتْ منه دُموعٌ بَلَّتِ الشَّعْرَ الخَضِيبا

وقال ابن المُعتَزّ: حدّثنا محمد بن موسى بن يُونُس، أنَّها مَلَّتْه بعد ذلك، فهربت منه، فكانت تُغَنّي عِنْد أقوام عَرَفَتْهم ببَغْداد، وهي متسترّة متخَفِّية، فَلمَّا كان يَوْم من الأيّام اجتاز ابنُ أخ للمراكبي ببُسْتان كانت فيه مع قوم تغنّي، فسمع غِناءَها، فعرفه، فبعَثَ إلى عمه من وقته، وأقام هو بمكانه، فلم يبرح حتى جاء عمُّه فلبَّبها[4] وأخذها، فضربها مائة مِقْرعة، وهي تصيح: يا هذا لِمَ

(١) أقصد النوم: أصاب.
(٢) المحة: صغار البيض. يشبهها بمح البيضة في اللين والرقة.
(٣) الكشخان: الديّوث. والحريب: المسلوب المال.
(٤) لبّبها: أخذ بتلابيبها، وهي مجتمع ثيابها عند العنق.

تَقْتُلُنِي! أنا لستُ أصبر عليك، أنا امرأة حُرَّة إن كنتُ مملوكة فبِعني، لست أصبر على الضِّيقة، فلما كان من غدٍ ندم على فعله، وصار إليها فقبَّلَ رأسَها ورِجْلَها، ووهب لها عَشْرة آلاف درهم، ثم بلغ مُحَمَّداً الأمِينَ خَبرُها، فأخذها منه، قال: وكان خبرُها سَقَط إلى محمد في حياة أبيه، فطلبها منه، فلم يجبه إلى ما سأل، وقبل ذلك ما كان طلب منه خادماً عنده، فاضطغَن[1] لذلك عليه، فلما وَلِيَ الخلافةَ جاء المراكبيّ، ومحمد راكب، ليُقبّل يدَه، فأمر بِمنَعِهِ ودفعه، ففعل ذلك الشّاكريُّ، فضربه المراكبيّ وقال له: أتمنعني من يدِ سيّدي أنْ أقبّلَها؟ فَجاء الشّاكريُّ لَمَّا نزل محمدٌ فشكاه، فدعا محمد بالمراكبيّ، وأمر بضرب عنقه، فسُئل في أمره، فأعفاه، وحبسه، وطالبه بخمسمائة ألف درهم مما اقتطعه من نفقات الكُراع، وبعث، فأخَذَ عريبَ من منزله مع خَدَم كانوا له، فلما قُتِل مُحمَّد هَرَبت إلى المراكبيّ، فكانت عنده، قال: وأنشَدني بعضُ أصحابنا لحاتم بن عديّ الذي كانت عنده لَمَّا هَرَبت إليه، ثم ملّته فهَرَبت منه، وهي أبيات عدّة، هذان منها: [الطويل]

قَتِيلَ عَرِيبٍ لا قَتِيلَ حُروبِ ورُشُّوا على وَجْهي مِنَ الماءِ واندُبُوا
تَكونِينَ مِنْ بَعْدِ المماتِ نصِيبي فَلَيْتَكِ إن عجّلتني فَقَتَلتِني

قال ابن المعتزّ: وأمّا رواية إسماعيل بن الحُسين، خالِ المعتَصِم فإنها تخالف هذا، وذكر أنّها إنما هربت من دار مؤلاها المراكبيّ إلى محمد بن حامد الخاقانيّ المعروف بالخشن، أحدِ قواد خُراسان قال: وكان أشقر أصهب[2] الشعر أزرق، وفيه تقول عَرِيب ـ ولها فيه هزج ورَمل من روايتي الهشامي وأَبِي العباس ـ:

[مجزوء الخفيف]

أَصْهبِ اللَّوْنِ أَشْقَرِ بأبي كُلُّ أزرقٍ
سَ جُنُوني بمُنْكَرِ جُنَّ قَلْبي به ولَيْـ

قال ابن المعتزّ: وحدّثني ابن المدبّر قال: خرجْتُ مع المأمون إلى أرض الروم، أطلُب ما يطلبه الأحداث من الرزق، فكنا نسير مع العَسْكر، فلما خرجنا

(١) اضطغن: حقد.
(٢) الشعر الأصهب: ما كان أصفر ضارباً إلى حمرة.

من الرّقّة رأينا جماعة من الحَرَم في العَمَارِيَّات(١) على الجمَّازَات(٢) وكنّا رُفْقَةً، وكُنَّا أتراباً، فقال لي أحدهم: على بعض هذه الجمَّازَات عَرِيب، فقلت: من يراهنني أمُرُّ في جنبات هذه العُمارِيّات، وأُنشد أبيات عيسى بن زينب؟

[مجزوء الرمل]

قـــاتَـــلَ الله عـــرِيـــبَـــا فَـعَـلَـتْ فِـعْـلاً عـجـيـبَـا

فراهنني بَعضُهم وعُدِّل الرّهنان وسِرت إلى جانبها فأنشدْتُ الأبياتَ رافعاً صَوْتي بها، حتى أتممتها، فإذا أنا بامرأة قد أخرجت رأسَها فقالت: يا فتى أنسِيتَ أجودَ الشّعر وأَطْيَبه؟ أنسيت قوله:

وعَـــرِيـــبٌ رَطْـــبـــةُ الـــشَّـــفْـــرَيْـــنِ قَـــدْ نِـيـكَـتْ ضُـروبـا

اذهبْ فخُذْ ما بايَعْت فيه، ثم ألقت السّجْف، فعَلِمت أنها عَرِيب، وبادرتُ إلى أصحابي خوفاً من مكروه يلحقني من الخدم.

أخبرني إسماعيلُ بنُ يُونُس قَال: قال لنا عمر بن شبّة: كانت للمراكبيّ جاريةٌ يقال لها مظلومة، جميلةُ الوجه، بارعةُ الحسن، فكان يبعث بها مع عَرِيب إلى الحَمّام، أو إلى من تزوره من أهله ومعارفه، فكانت ربما دخلت معها إلى ابن حامد الذي كانت تميل إليه، فقال فيها بعضُ الشعراء وقد رآها عنده: [الوافر]

لَـقَـدْ ظَـلَـمـوكِ يـا مَـظْـلُـومَ لـمّـا أقـامـوكِ الـرَّقـيـبَ عـلـى عَـريـبِ
ولـو أوْلـوكِ إنْـصـافـاً وَعَـدْلاً لـمـا أَخْـلَـوْكِ أَنْـتِ مِـنَ الـرّقـيـبِ
أتَـنْـهَـيْـنَ الـمُـرِيـبَ عَـنِ الـمعـاصـي فـكـيـف وأنـتِ مِـنْ شَـأْنِ الـمُـريـبِ
وكـيـف يُـجـانِـبُ الـجـانـي ذُنـوبـاً لـديـك وأنـت داعِـيَـةُ الـذُّنـوبِ
فـإن يَـسْـتَـرقِـبُـوكِ عـلـى عَـرِيـبٍ فـمـا رَقَّـبُـوكِ مِـنْ غَـيْـبِ الـقُـلُـوبِ

وفي هذا المعنى، وإن لم يكن من جنسٍ ما ذكرته، ما أنشدنيه عليُّ بنُ سليمان الأخْفَش في رَقِيبَة مُغَنّيَةٍ استُحْسِنت وأظنه للنَّاشِيء: [المتقارب]

فَـدَيْـتُـكِ لـو أنـهـم أنـصَـفُـوا لـقـد مَـنَـعُـوا الـعَـيْـنَ عـن نـاظـرَيْـكِ
أَلَـمْ يَـقْـرأُوا وَيْـحَـهُـم مـا يَـرَوْ نَ مِـنْ وَحْـيِ طَـرْفِـكِ فـي مُـقْـلَـتَـيْـكِ

(١) العَمَارِيّات: الهوادج.

(٢) الجمّازات: جمع جمازة. وهي وصف للناقة السريعة.

وقــد بَــعــثــوكِ رَقِــيــبــاً لــنــا فَــمَــنْ ذا يــكــون رَقِــيــبــاً عــلــيــكِ
تَــصُــدّيــنَ أعْــيُــنَــنــا عَــنْ سِــواكِ وهــل تَــنْــظُــرُ الــعَــيْــنُ إلا إلــيــكِ

قال ابن المعتز: وحدثني عبد الواحد بن إبراهيم، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، وعن محمد بن إسحَاق البغويّ، عن إسحاق بنِ إبراهيمَ، أنّ خَبَر عَرِيب لمّا نُمِيَ إلى محمد الأمين بعث في إحضارها وإحضار مَوْلاها، فأُحْضِرا، وغنّت بحضرة إبراهيمَ بنِ المهديّ تقول: [الطويل]

لِــكُــلِّ أُنــاسٍ جَــوْهَــرٌ مــتــنــافــسٌ وأنــتِ طــرازُ الآنــســاتِ الــمَــلائــحِ

فطَرِب محمد، واستعَاد الصوتَ مِراراً، وقال لإبراهيم: يا عَمّ كيف سمعت؟ قال: يا سيدي، سمعتُ حسناً، وإن تطاولت بها الأيام، وسكن رَوْعها ازداد غِناؤُها حُسْناً، فقال للفضل بن الربيع: خُذْها إليك، وساوِمْ بها، ففعل، فاشتَطّ[1] مولاها في السَّوْم، ثم أوجَبَها له بمائة ألف دينار، وانتَقَض أمرُ مُحمّد، وشُغِل عنها، وشُغِلت عنه، فلم يأمُر لمَوْلاها بثَمَنها حتى قُتِل بعد أن افتَضَّها، فرجعت إلى مولاها، ثم هربت منه إلى حاتم بن عديّ، وذكر باقي الخبر كما ذكره من تقدم.

وقال في خبره: إنها هَرَبت من مولاها إلى ابن حامد، فلم تزل عنده حتى قدم المأمون بغداد، فتظلّم إليه المراكبيّ من محمد بن حامد، فأمر بإحضاره فأُحضِر، فسأله عنها فأنكر، فقال له المأمون: كذبت قد سقط إليّ خبرُها. وأمر صاحبَ الشرطة أن يجرده في مجلس الشرطة، ويضع عليه السّياط حتى يردّها، فأخذه، وبلغها الخبرُ فركبت حمارَ مُكارٍ، وجاءت وقد جُرّد ليُضْرب، وهي مكشوفة الوجه، وهي تصيح: أنا عَرِيب، إن كُنتُ مملوكةً فلْيبِعْني، وإن كُنتُ حُرَّة فلا سَبِيلَ له عليَّ، فرُفع خَبرُها إلى المأمون، فأمر بتعْدِيلها[2] عند قتيبة بن زياد القاضي، فَعُدِّلَتْ عنده، وتقَدَّم إليه المراكِبيّ مطالباً بها، فسألَه البَيّنة على مِلكه إياها، فعاد متظلّماً إلى المأمون، وقال: قد طولبت بما لم يُطالَبْ به أحد في رقَيق، ولا يوجد مِثْلُه في يد مَن ابتاع عَبْداً أو أَمَة. وتظلمَت إليه زُبيدةُ، وقالت: من أغلظ ما جَرَى عليّ بعد قتل محمد ابني هُجومُ المراكبيّ على دَاري وأخذُه عَرِيباً منها. فقال المراكبي: إنما أخذتُ مِلْكي، لأنّه لم يَنقُدْني الثَّمَن. فأمر المأمونُ بدفْعِها إلى

(١) اشتطّ: جار.
(٢) تعديلها: إقامة العدل في أمرها.

محمد بن عمر الواقديّ ـ وكان قد ولاّه القضاء بالجانب الشرقي ـ فأخذها من قتيبة بن زياد، فأمر ببيعها ساذجة، فاشتراها المأمون بخمسين ألف درهم، فذهبت به كُلَّ مذهب ميلاً إليها ومحبّة لها.

قال ابن المعتز: ولقد حدثني علي بن يحيى المنجم أن المأمون قَبَّل في بعض الأيام رِجلَها، قال: فلما مات المأمون بِيعت في ميراثه، ولم يُبَع له عبدٌ ولا أمَة غَيْرها، فاشتراها المعتصم بمائة ألفِ درهم وأعتقها، فهي مولاته.

وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنها لمّا هربت من دار محمد حِين قتل تدلّت من قصْر الخُلْد بحَبْل إلى الطريق، وهربت إلى حاتم بن عديّ.

وأخبرني جحظةُ، عن ميمون بن هارون أنّ المأمونَ اشتَراها بخَمْسة آلاف دينار، ودعا بعبد الله بن إسماعيل، فدفعها إليه وقال: لولا أنّي حلفتُ ألاَّ أشتَرِيَ مملوكاً بأكثرَ من هذا لزِدْتك، ولكني سأُولّيك عَمَلاً تكسب فيه أضعافاً لهذا الثمن مضاعفة، ورمى إليه بخاتَمَين من ياقوت أحمر، قيمتهما ألف دينار، وخلع عليه خِلَعاً سَنِيّة، فقال: يا سيدي، إنما يَنْتَفِع الأحياء بمثل هذا، وأما أنا فإني ميّت لا محالة، لأن هذه الجارية كانت حياتي، وخرج عن حضرته، فاختلط[1] وتَغَيَّر عَقلُه، ومات بعد أربعين يوماً.

قال ابن المعتز: فحدثني عليّ بن يحيى قال: حدثني كاتب الفضل بن مروان، قال: حدثني إبراهيمُ بن رباح قال: كنت أتَولَّى نفقاتِ المأمونِ، فوصف له إسحاق بن إبراهيم الموصلي عريبَ، فأمره أن يَشْتَرِيَها، فاشْتَراها بمائة ألف درهم، فأمرني المأمون بحملها وأن أحمل إلى إسْحاق مائة ألف درهم أُخرى، ففعلتُ ذلك، ولم أدر كيف أُثبتها، فحكيت في الدّيوان أن المائةَ الألف خرجت في ثمن جَوْهرة، والمائة الألف الأُخرى خرجت لصائِغها ودلاَّلها، فجاء الفضلُ بن مروان إلى المأمون، وقد رأى ذلك، فأنكره، وسألني عنه، فقلت: نعم هو ما رأيت، فسأل المأمونَ عن ذلك، وقال: أوَجبَ وهب لدلاَّل وصائغ مائة ألفِ درهم، وغَلّظ القصة، فأنكرها المأمون، فدعاني، ودنوت إليه، وأخبرته أنه المال الذي خرج في ثمن عَرِيب وصلة إسحاق، وقلت: أيّما أصوبُ يا أمير المؤمنين: ما فعلتُ أو أُثبِتُ في الدّيوان أنها خرجت في صلة مُغَنّ وثمن مُغَنّية؟ فضحك

(١) اختلط: فسد عقله من الكبر.

المأمون، وقال: الذي فَعلتَ أصوبُ، ثم قال للفضل بن مروان: يا نَبطيّ، لا تعترض على كاتبي هذا في شيء.

وقال ابن المكي: حدثني أبي عن نَحرير الخادم، قال: دخلتُ يوماً قصر الحرم، فلمحت عريبَ جالسةً على كرسي ناشرة شعرها تغتسل، فسألت عنها، فقيل: هذه عرِيب دعا بها سَيّدُها اليومَ، فافتَضَّها.

قال ابن المعتز: فأخبرني ابن عبد الملك البصريّ، أنّها لما صارت في دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد، وكانت قد عشقته وكاتبته بصوت قالته، ثم احتالت في الخروج إليه، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت، حتى حَبِلت منه وولدت بنتاً، وبلغ ذلك المأمون فزوجه إياها.

وأخبرنا إبراهيم بن القاسم بن زرزور، عن أبيه، وحدّثني به المظفّر بن كيغلغ عن القاسم بن زرزور، قال: لما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد أمر بإلباسها جُبَّة صوف وختْم زِيقها[1] وحَبَسها في كَنِيف مظلم شهراً لا ترى الضوء، يُدْخَل إليها خبزٌ وملحٌ وماءٌ من تحت الباب في كل يوم، ثم ذكرها، فَرقَّ لها، وأمر بإخراجها، فلما فُتح البابُ عنها، وأُخرِجَت لم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغني:

حَجَبُوهُ عَنْ بَصَري فَمُثِّل شَخْصُهُ ... في القَلْبِ فَهْوَ مُحَجَّبٌ لا يُحْجَبُ

فبلغ ذلك المأمونَ، فعجب منها، وقال: لن تَصْلُح هذه أبداً، فزوَّجها إيّاه.

نسبة هذا الصوت

صوت

[الكامل]

لـو كـان يَـقـدرُ أن يَـبُـثَّـكَ مـا بـه ... لَـرَأيْـتَ أَحْـسَـنَ عـاتِـبٍ يَـتَـعَـتَّـبُ

حَجَبُوهُ عن بَصَري فَمُثِّل شَخْصُهُ ... في القَلْبِ فَهْوَ مُحجَّبٌ لا يُحْجَبُ

الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى.

قال ابن المعتزّ: وحدثني لؤلؤٌ صديقُ علي بن يحيى المنجّم، قال: حدثني

(١) زيق القميص ونحوه: ما أحاط بالعنق منه.

أحمدُ بنُ جعفر بنِ حامدٍ قال: لما توفّي عَمِّي محمدُ بن حامد صار جدّي إلى منزله، فنظر إلى تركَتِه، وجعل يُقلّب ما خلّف، ويُخرَج إليه منها الشيءُ بعد الشيء إلى أن أُخرِج إليه سَفَطٌ[1] مختوم، فَفَضَّ الخاتمَ، وجعل يَفْتحه، فإذا فيه رِقاع عَرِيب إليه، فجعل يتصَفّحها ويَبْتَسم، فوقعت في يده رقعةٌ، فقرأها، ووضعها من يده وقام لحاجة، فقرأتُها فإذا فيها قوله:

صوت

[المجتث]

ويــلــي عــلــيــكَ ومِــنْــكَــا ... أَوْقَــعْــتَ فــي الــحَــقِّ شَــكّــا

زَعَــمْــتَ أنّــي خَــؤُونٌ ... جَــوْراً عــلــيّ وإِفْــكَــا

إن كــان مــا قُــلْــتَ حَــقّــاً ... أو كُــنْــتَ أَزْمَــعْــتَ تَــرْكَــا

فــأبــدلَ الله مــا بــي ... مــن ذِلَّــة الــحُــبِّ نُــسْــكَــا

لعَرِيب في هذه الأبيات رمل وهزج، عن الهِشاميّ والشّعر لها.

قال ابنُ المعتز: وحدثني عبد الوهاب بن عيسى الخراسانيّ، عن يعقوب الرّخاميّ قال: كنّا مع العباس بن المأمون بالرّقة وعلى شرطته هاشم ـ رجل من أهل خراسان ـ فخرج إليّ، وقال: يا أبا يوسُف، أُلقِي إليك سِرًّا لثقتي بك، وهو عندك أمانة، قلت: هاتِه، قال: كنت واقفاً على رأس الأمين وبي حَرٌّ شديد، فخرجت عَرِيبُ، فوقفت معي، وهي تنظر في كتاب فما ملكتُ نفسي أن أومأتُ إليها بقُبْلة، فقالت: كحاشية البُرد. فوالله ما أدري ما أرادت، فقلت: قالت لك: طعنة. قال: وكيف ذاك؟ قلت: أرادت قول الشاعر: [الطويل]

رَمَى ضرعَ نابٍ فاسْتَمَرَّ بِطَعْنةٍ ... كحاشيةِ البُرْدِ اليمانِيِّ المُسهّم[2]

وحكى هذه القصة أحمد بن أبي طاهر، عن بشر بن زيد، عن عبد الله بن أيوب بن أبي شمر، أنهم كانوا عند المأمون ومعهم محمد بن حامد، وعرِيب تغنّيهم، فغنّت تقول:

رمى ضَرع نابٍ فاسْتَمرَّ بِطَعْنَةٍ ... كحاشيةِ البُرْدِ اليمانيِّ المُسَهّم

---

(١) السفط: ما يعبّأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النّساء.

(٢) الناب: الناقة المسنة.

فقال لها المأمون: من أشار إليك بقبلة، فقُلتِ له طعنة؟ فقالت له: يا سيدي، مَن يشير إليّ بقبلة في مجلسك؟ فقال: بحياتي عليك! قالت: محمد بن حامد، فسكت.

قال ابن المعتزّ: وحدثني محمد بن موسى قال: اصطَبح المأمونُ يوماً ومعه ندماؤه، وفيهم محمد بن حامد وجماعةٌ من المغنين، وعريبُ معه على مُصَلاّه، فأومأ محمدُ بنُ حامد إليها بقبلة، فاندفعت تغني ابتداءً: [الطويل]

رَمَى ضَرْع نابٍ فاسْتَمرَّ بطَعْنةٍ كحاشيةِ البُرْدِ اليمانيّ المُسَهّم

تريد بغنائها جوابَ محمد بن حامد بأن تقول له: طعنة، فقال لها المأمون: أمسكي، فأمسكت، ثم أقبل على النّدماء فقال: من فيكم أومأ إلى عريب بقبلة؟ والله لئن لم يَصدُقْني لأضربنّ عُنقَه، فقام محمد، فقال: أنا يا أمير المؤمنين أومأتُ إليها، والعفو أقرب للتقوى، فقال: قد عفوتُ. فقال: كيف استدلّ أميرُ المؤمنين على ذلك؟ قال: ابتدأتْ صوتاً، وهي لا تغني ابتداءً إلا لمعنى، فعلمتُ أنها لم تبتدىء بهذا الصوت إلا لشيء أُومىء به إليها، ولم يكن من شرط هذا الموضع إلاّ إيماء بقبلة، فعلمت أنها أجابت بطعنة.

قال ابن المعتز: وحدثني عليّ بن الحسين أنّ عَرِيبَ كانت تتعشق أبا عيسى بن الرشيد وروى غيرُه أنها كانت لا تضرب المَثَل إلا بحُسْنِ وجه أبي عيسى وحُسْنِ غنائه، وكانت تزعم أنها ما عَشِقت أحداً من بَنِي هاشم وأَصْفَتْه المحبَّةَ من الخُلَفاء وأولادِهم سِواه.

قال ابن المعتز: وحدثني بعضُ جوارينا، أنّ عَرِيبَ كانت تتعشّق صالِحاً المنذريّ الخادمَ، وتزوّجته سرّاً، فوجَّه به المتوكل إلى مكان بعيد في حاجة له، فقالت فيه شعراً، وصاغت لحنه في خفيف الثقيل وهو:

صوت

[مجزوء الكامل]

أَمّا الحَبِيبُ فَقَدْ مَضَى بالرّغْم منّيَ لا الرِّضا
أَخْطَأْتُ في تَرْكِي لِمَنْ لَمْ أَلْقَ مِنْهُ مُعَوّضا

قال: فغنّته يوماً بين يدي المتوكل، فاستعاده، وجعل جواريه يتغامَزْن

ويضحكن، فأصغَتْ إليهنّ سِرّاً من المتوكل، فقالت: يا سَحّاقات، هذا خير من عملكنّ.

قال: وحُدِّثْت عن بعض جواري المتوكل، أنها دخلت يوماً على عريب، فقالت لها: تعالَيْ ويحكِ إليّ، فجاءت. قال: فقالت: قَبِّلي هذَا الموضع مِنّي فإنك تجدين ريح الجَنَّة فأومأتْ إلى سَالفتِها، ففعلت، ثم قالت لها: ما السبب في هذا؟ قالت: قبَّلَني صالحٌ المنذريّ في ذلك الموضع.

قال ابن المعتز: وأخبرني أبو عبد الله الهشاميّ قال: حدثني حمدون بن إسماعيل، قال: حدثني محمد بن يحيى الواثقيّ، قال: قال لي محمد بن حامد ليلة: أُحبُّ أن تُفرِغ لي مَضْرِبَك(١)، فإني أُريد أن أجيئك، فأُقيمَ عندك، ففعلتُ، ووافاني، فلما جلس جاءت عريبُ، فدخلت.

وقد حدّثني به جحظة، قال: حدثني أبو عبد الله بن حمدون أنّ عريب زارت محمدَ بنَ حامد، وجَلَسا جميعاً، فجعل يُعاتِبها، ويقول: فعلتِ كذا، وفعلتِ كذا، فقالت لي: يا محمد، هذا عندكَ رأي؟ ثم أقبلت عليه، فقالت: يا عاجز خُذْ بنا فيما نحن فيه وفيما جئنا إليه.

وقال جحظة في خبره: اجعل سراويلي مِخْنَقَتي، وألْصِق خَلْخالِي بقُرْطي، فإذا كان غدٌ فاكتب إليَّ بعِتابك في طومارٍ(٢) حتى أكتب إليك بعذري في ثلاثة، ودع هذا الفضولَ، فقد قال الشاعر:

صوت

[الوافر]

دَعِـي عَـدَّ الـذّنـوبِ إذا الْـتَـقَـيْـنـا ... تَـعـالَـيْ لا أعـدُّ ولا تـعـدِّي

وتمام هذا قوله:

فـأُقـسِـم لـو هـمـمـت بِـمَـدِّ شعـري ... إلـى نـارِ الـجَـحِـيـمِ لـقُـلْـت مُـدِّي

الشعر للمؤمّل، والغناء لعريب، خفيف رمل، وفيه لعلّوية رَمَل بالبِنصر من رواية عمرو بن بانه:

(١) المضرب: الفسطاط العظيم.
(٢) الطومار: الصحيفة.

أخبرني أبو يعقوب إسحاق بن الضحّاك بن الخَصِيب، قال: حدثني أبو الحسن عليّ بن محمد بن الفُرات قال: كنت يوماً عند أخي أبي العباس، وعنده عَرِيب جالسة على دَسْت مفرد لها، وجواريها يغنِّين بين يدينا وخلف ستارتنا، فقلت لأخي ـ وقد جرى ذكر الخلفاء ـ: قالت لي عريب: ناكني منهم ثمانية ما اشتهيت منهم أحداً إلا المعتَزّ، فإنه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد. قال ابن الفرات: فأصغيت إلى بعض بني أخي، فقلت له: فكيف ترى شهوتها الساعة، فضحك ولَمحَتْه، فقالت: أيَّ شيء قلتم؟ فجحدتُها. فقالت لجواريها: أمسكن، ففعلن، فقالت: هنّ حرائر لئن لم تخبراني بما قلتما ليَنصرفْنَ جميعاً، وهنّ حرائر إن حرِدْتُ من شيء جرى، ولو أنها تسفيل، فصَدقتُها. فقالت: وأي شيء في هذا؟ أما الشهوة فبحالها، ولكن الآلة قد بَطَلت[1] أو قالت: قد كَلَّت، عودوا إلى ما كنتم فيه.

[شرطان فاحشان]

وحدثني الحسن بن علي بن مودّة، قال: حدثني إبراهيمُ بن أبي العُبَيْس، قال: حدثنا أبي قال: دخلنا على عريب يوماً مُسلّمين، فقالت: أقيموا اليوم عندي حتى أُطعمكم لوزينجة[2] صَنَعتْها بِدْعة بيدها من لوز رطب، وما حضر من الوظيفة، وأُغنيكم أنا وهي، قال: فقلت لها: على شريطة، قالت: وما هي؟ قلت: شيء أريد أن أسألك عنه منذ سنين، وأنا أهابُك، قالت: ذاك لك، وأنا أُقدم الجواب قبل أن تسأل، فقد علمت ما هو، فعجبتُ لها، وقلت: فقولي، فقالت: تريد أن تسألني عن شرطي أي شرط هو؟ فقلت: إي والله ذاك الذي أردت. قالت: شرطي أيْرٌ صُلْب، ونَكْهَة طيبة، فإن انضاف إلى ذلك حسنٌ يُوصَف، وجمال يُحْمد فقد زاد قَدرُه عندي، وإلا فهذان ما لا بدّ لي منهما.

وحدّثني الحسنُ بنُ علي، عن محمد بن ذي السّيفين إسحاق بن كنداجيق، عن أبيه قال: كانت عَرِيب تُولَع بي وأنا حديث السنّ، فقالت لي يوماً: يا إسحاق قد بلغني أنَّ عندك دَعْوة فابعث إليَّ نَصِيبي منها، قال: فاستأنَفْتُ طعاماً كثيراً، وبعثت إليها منه شيئاً كثيراً؛ فأقبل رسولي من عندها مُسرِعاً، فقال لي: لما بلغتُ

---

(١) الآلة قد بطلت: تريد أن شبابها ولى.

(٢) اللوزينجة: نوع من الحلوى.

إلى بابها، وعرفَتْ خبري أمَرتْ بالطعام فأُنْهِب وقد وَجَّهتْ إليك برسول، وهو معي، فتحيّرت وظننت أنها قد استقصَرَت فِعْلي، فدخَل الخادم ومعه شيء مشدود في منديل ورقعة، فقرأتها، فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، يا عجميّ يا غبيّ، ظننتَ أنّي من الأتراك وَوَخْش[١] الجند، فبعثتَ إليّ بخبز ولَحم وحلواء، الله المستعانُ عليك، يا فَدَتْك نفسِي، قد وجهت إليك زلّة[٢] من حضرتي، فتعلم ذلك من الأخلاق ونحوه من الأفعال، ولا تستعمل أخلاق العامة، في ردّ الظرف، فيزداد العيبُ والعَتْبُ عليك إن شاء الله. فكشفت المنديل فإذا طبق ومِكبّة من ذهب منسوج على عمل الخلاف، وفيه زبدية فيها لقمتان من رقاق، وقد عَصَبَتْ طرفيهما وفيها قطعتان من صدر درّاج مشوي ونقل وطَلْع[٣] وملح. وانصرف رسولها.

قال ابن المعتز: حدثني الهشاميُّ أبو عبد الله، عن رجل ذكره، عن علّويه قال: أمرني المأمونُ وسائرَ المغنين في ليلة من اللّيالي أنْ نَصِير إليه بُكرةً ليصطبحَ، فغدونا ولَقِيني المراكبِيُّ مولى عَرِيب، وهي يومئذ عنده، فقال لي: يا أيها الرجل الظالم المعتدي، أما تَرِقّ ولا ترحم ولا تَستحي؟ عريبُ هائمة تَحْلم بك في النوم ثلاث مرات في كلّ لَيْلة، قال علّويه: فقلت: أمُّ الخلافة زانية[٤]. ومضيت معه، فحين دخلت قلت: استوثِق من الباب، فإني أعرَف خلق الله بفضول البَوَّابين والحُجاب، وإذا عريبُ جالسةٌ على كرسيّ تطبخ، وبين يديها ثلاث قدور من دجاج، فلما رأتني قامت تعانقني وتقبّلني، ثم قالت: أيما أحب إليك أن تأكل من هذه القدور، أو تشتهي شيئاً يُطْبخ لك؟ فقلت: بل قِدْر من هذه تكفينا، فغرفت قِدْراً منها، وجعلتها بيني وبينها، فأكلنا ودَعَوْنا بالنبيذ، فجلسنا نشرب حتى سكرنا، ثم قالت: يا أبا الحسن، صنَعت البارحة صوتاً في شعرِ لأبي العتاهية، فقلت: وما هو؟ فقالت: هو:

[الطويل]

عَـذِيـري مِـن الإنـسـانِ لا إنْ جَـفَـوْتُـهُ ... صَـفـا لـي ولا إنْ كُـنْـتُ طَـوْعَ يَـدَيْـهِ

وقالت لي: قد بقي فيه شيء، فلم نزل نردده أنا وهي حتى استوى، ثم جاء

(١) الوخش: الرديء من كل شيء.

(٢) الزلة: ما يحمل إلى الصديق من مائدة صديقه.

(٣) الطلع: ثمر النخل أول ظهوره.

(٤) أم الخلافة زانية: يقصد بهذه العبارة تنبيه عريب بموعد الخليفة والاستخفاف به.

الحُجَّاب فكسروا باب المراكبيّ واستخرجوني، فدخلتُ على المأمون، فلما رأيته أقبلت أمشي إليه برقص وتصفيق، وأنا أُغنّي الصوت، فسمع وسمع مَنْ عنده ما لم يعرفوه واستظرفوه، وسألني المأمون عن خبره، فشرحتُه له، فقال لي: ادنُ ورَدّدْه، فردّدْته عليه سبع مرات فقال في آخر مرة: يا علّويه، خذ الخلافة وأعْطِني هذا الصاحب.

نسبة هذا الصوت

صوت

عَـذِيـري مِـنَ الإنـسـانِ لا إنْ جَـفَـوتُـهُ ... صـفـا لـي ولا إن كُـنْـتُ طَـوعَ يَـدَيْـهِ

وإنّـي لَـمُـشْـتـاقٌ إلـى قُـرْبِ صـاحِـبٍ ... يَـرُوق ويَـصْـفُـو إن كَـدرْتُ عـلـيـهِ

الشعر من الطويل وهو لأبي العتاهية، والغناء لعريب، خفيف ثقيل أول بالوسطى، ونسبه عمرو بن بانة في هذه الطريقة والأصبغ إلى عَلُّويه.

قال ابن المعتز: وحدثني القاسمُ بن زُرْزور قال: حدثتني عَرِيبُ قالت: كنت في أيام محمد[1] ابنةَ أربع عشرة سنة، وأنا حينئذ أصوغ الغناء.

قال القاسم: وكانت عريب تكايد الواثق فيما يَصُوغه من الألحان وتصوغ في ذلك الشعر بعينه لحناً فيكون أجودَ من لحنه، فمن ذلك: [البسيط]

لـم آتِ عـامِـدةً ذَنْـبـاً إلـيـك بَـلَـى ... أُقِرّ بـالـذَّنْـبِ فـاعْـفُ الـيَـوْمَ عَـنْ زلَـلـي

لحَنُها فيه خَفِيف ثقيل، ولحن الواثق رَمَل، ولحنها أجود من لحنه. ومنها:

أشْـكُـو إلـى الله مـا أَلْـقَـى مِـنَ الـكَـمَـدِ ... حَـسْـبِـي بِـرَبِّـي ولا أشْـكُـو إلـى أحَـدِ

لحنُها ولحن الواثق جميعاً من الثقيل الأول، ولحنها أجوَدُ من لَحْنِه.

---

(١) محمد: هنا محمد الأمين بن هارون الرشيد.

نسبة هذين الصوتين

صوت [البسيط]

لـم آتِ عـامِـدَةً ذَنْبـاً إلـيـكَ بَـلَـى أُقِرُّ بالذَّنْبِ فاعْفُ اليَوْمَ عَنْ زَلَلي
فالصَّفْحُ مِنْ سَيِّدٍ أَوْلى لمُعْتَذرٍ وقـاكَ رَبُّـك يَـوْمَ الـخَـوْفِ والـوَجَـلِ

الغِناء للواثق رمل، ولعريب خفيف ثقيل وذكر ذكاء وجه الرزة أن لِطالب بن يزداد فيه هزجاً مطلقاً.

صوت [البسيط]

أَشْكُو إلى الله ما أَلْقَى مِنَ الكَمَدِ حَسْبي بِرَبِّي ولا أَشْكُو إلى أحَدِ
أينَ الزمانُ الذي قد كنتُ ناعِمَةً في ظِلّهِ بدُنُوِّي منكَ يا سَنَدِي
وأَسْأَلُ اللّهَ يَوْماً منكَ يُفْرِحُني فَقَدْ كَحَلْتُ جُفُونَ العَيْنِ بالسَّهَدِ
شَوْقاً إليكَ وما تَدْرِي بما لَقِيَتْ نَفْسِي عَلَيْكَ وما بِالقَلْبِ مِنْ كَمَدِ

الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى، وللواثق ثقيل أول بالبِنْصر.

قال ابن المعتز: وكان سببَ انحرافِ الوَاثق عنها، وكيادها إيّاه، وانحرافِ المعتصم عنها أنه وَجَد لها كِتاباً إلى العَبّاس بن المأمونِ ببَلَد الرُّوم: اقتُلْ أَنت العِلْج ثَمّ، حتى أقتل أنا الأعور الليلي ها هنا. تعني الواثِق، وكان يَسْهَر بالليل، وكان المعتصم استخلفه ببغداد.

قال: وحدثني أبو العُبَيس بنُ حَمْدون قال: غَضِبت عَرِيب على بَعْض جواريها المذكورات ـ وسمّاها لي ـ فجئتُ إليها يوماً، وسألتُها أن تعفو عنها، فقالت في بعض ما تقوله، مما تعتد به عليها من ذنوبها: يا أبا العُبَيْس إن كنت تشتهي أن ترى زِنايَ وصَفاقةَ[1] وجْهي وجراءَتي على كل عظيمة أيام شبابي فانظر إليها، واعرف أخبارها.

(١) صفاقة وجهي: وقاحته.

قال ابن المعتز: وحدثني القاسم بن زُرْزُور قال: حدثني المعتمد، قال: حدثني عَرِيبُ أنها كانت في شبابها يُقدَّم إليها بِرْذَوْن، فتَطفِر[1] عليه بلا ركاب.

قال: وحدثني الأسديّ، قال: حدثني صالح بن علي بن الرشيد المعروف بزعفرانة، قال: تمارى[2] خالي أبو عليّ مع المأمون في صوت، فقال المأمون: أين عَرِيب؟ فجاءت وهي محمومة، فسألها عن الصوت فقالت فيه بعلمها، فقال لها: غنِّيه، فولّت لتجيءَ بعود، فقال لها: غنيه بغير عود، فاعتمدت على الحائط للحُمّى وغَنّت، فأقبلت عقرب، فرأيتُها قد لسعت يدها مرتين أو ثلاثاً، فما نَحَّتْ يدها، ولا سكتت، حتى فرغت من الصوت، ثم سقطت وقد غُشِي عليها.

قال ابن المعتزّ: وحدثني أبو العباس بنُ الفرات، قال: قالت لي تحفة جارية عَريب: كانت عَريبُ تجد في رأسها بَرْداً، فكانت تغلّف شعرها مكان العِلّة[3] بستّين مِثْقَالاً مِسْكاً وعَنْبراً، وتغسله من جُمْعَةٍ إلى جمعة، فإذا غَسلَتْه أعادته، وتتقسم الجواري غُسالةَ راسها بالقوارير وما تُسرّحه منه بالمِيزان.

حدثني أحمد بن جعفر جحظة، عن عليّ بن يحيى المنجّم، قال: دخلتُ يوماً على عَرِيب مسلّماً عليها، فلما اطمأننتُ جالساً هطلت السماء بمَطَر عظيم، فقالت: أقم عندي اليوم حتى أُغَنّيَكَ أنا وجواريَّ، وابعثْ إلى من أحببتَ من إخوانك، فأمرتُ بدوابّي فرُدّت، وجلسنا نتحدّث، فسألتني عن خبرنا بالأمس في مجلس الخليفة، ومن كان يغنينا، وأيَّ شيء استحسنا من الغناء، فأخبرتها أنَّ صوت الخليفة كان لَحناً صنعه بنانٌ من الماخوريّ، فقالت: وما هو؟ فأخبرتها أنه:

صوت

[مجزوء الوافر]

تُجافِي ثم تَنْطَبِقُ	جُفُونٌ حَشْوُها الأرَقُ
وَذِي كَلَفٍ بَكَى جَزَعاً	وسَفْرُ القَوْمِ مُنْطَلِقُ
بهِ قَلَقٌ يُمَلْمِلُهُ	وكانَ وما بهِ قَلَقُ
جَوانِحُهُ على خَطَرٍ	بِنارِ الشَّوْقِ تَحْتَرِقُ

(١) تطفر عليه: تقفز.
(٢) تمارى: تجادل.
(٣) العلة: الداء.

فوجّهتْ رسولاً إلى بنان، فحضر من وقته، وقد بلّته السماء، فأمرت بِخلَع فاخرة، فخُلِعَت عليه، وقُدّم له طعام فاخر، فأكل وجلس يشرب معنا، وسألتْه عن الصوت، فغناها إيّاه فأخذت دَواةً ورُقعَة وكتبت فيها: [مجزوء الوافر]

أجابَ الوابِلُ الغَدِقُ وصاحَ النَّرْجِسُ الغَرِقُ[1]
وقد غَنَّى بنانُ لنَا جُفُونٌ حَشْوُها الأَرَقُ
فهاتِ الكأسَ مُتْرَعَةً كَأنَّ حُبابَها حَدَقُ[2]

قال عليّ بن يحيى: فما شربنا بِقيّة يومنا إلا على هذه الأبيات.

حدّثني محمد بن خلف بنُ المرزبان، عن عبد الله بن محمد المروزيّ، قال: قال لي الفضل بن العباس بن المأمون: زارتني عَرِيبُ يوماً ومعها عِدَّةٌ من جواريها، فوافتنا ونحن على شرابنا، فتحادثنا ساعة، وسألتها أن تُقِيم عندي، فأبت وقالت: دعاني جماعة من إخواني من أَهْل الأدب والظَّرف، وهم مجتمعون في جزيرة المؤيد، فيهم إبراهيمُ بن المُدَبّر وسَعِيدُ بنُ حُمَيد ويحيى بن عيسى بن منارة، وقد عزمتُ على المسير إليهم، فحلفت عليها، فأقامت عندنا، ودعت بدواة وقرطاس فكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم وكتبت بعد ذلك في سطر واحد ثلاثة أحرفٍ متفرقة لم تزد عليها، وهي:

أردت، ولولا، ولعلّي[3]. ووجهت به إليهم، فلما وصلت الرقعة عَيُّوا بجوابها، فأخذ إبراهيم بن المدبّر الرقعةَ، فكتب تحت أردت: ليت، وتحت لولا: ماذا، وتحت لعلّي: أرجو. ووجهوا بالرقعة فصفَّقت ونَعَرت[4] وشربت رطلاً وقالت لنا: أأترك هؤلاء وأقعد عندكم؟ إذاً تركني الله من يديه، ولكنّي أُخلِّف عندكم من جواريّ مَنْ يكفيكم، وأقوم إليهم، ففعلت ذلك وخلَّفت عندنا بعضَ جواريها، وأخذت معها بعضَهن، وانصرفت.

أخبرنا محمد بن خلف، عن سعيد بن عثمان بن أبي العلاء، عن أبيه قال: عتَب المأمون على عَرِيب، فهجرها أياماً، ثم اعتلّت فعادها، فقال لها: كيف

---

(١) الوابل: المطر الشديد.
(٢) الحباب: الفقاقيع على وجه الماء.
(٣) مراد الرموز هذه: أردت الحضور إليكم، ولولا أنهم منعوني ما تخلفت. ولعلي أستطيع الإفلات.
(٤) نعرت: صاحت وصوّتت.

وجدت طعم الهَجْر؟ فقالت: يا أميرَ المؤمنين، لولا مرارة الهجر ما عُرِفت حَلاوةُ الوَصْل، ومن ذَمّ بدءَ الغضب أحمد عَاقبةَ الرضا، قال: فخرج المأمون إلى جلسائه، فحدثهم بالقصة، ثم قال: أتُرى هذا لو كان من كلام النّظام[1] ألم يكن كبيراً؟

حدثني محمد بن خلف، عن أبي العيناء، عن أحمد بنِ أبي دؤاد، قال: جرى بين عَرِيب وبين المأمون كَلامٌ، فكلمها المأمون بشيء غَضِبت منه، فهَجَرتْه أياماً، قال أحمد بن أبي دُواد: فدخلتُ على المأمونِ، فقال لي: يا أحمد، اقضِ بيننا، فقالت عريبُ: لا حاجة لي في قضائه ودخوله فيما بيننا، وأنشأت تقول: [المنسرح]

وَتَـخْـلِـطُ الـهـجـرَ بـالـوِصـالِ ولا ... يَـدْخُـلُ فـي الـصُّـلْـحِ بَـيْـنَـنـا أَحَـدُ

حدّثني محمد بن خلف قال: حدثني محمدُ بن عبد الرحمن، عن أحمد بن حمدون عن أبيه، قال: كنتُ حاضراً مجلس المأمون ببلاد الروم بعد صَلاة العشاء الآخرة في ليلة ظلماء ذاتِ رُعود وبُروق، فقال لي المأمون: اركب الساعة فرسَ النَّوْبة وسِرْ إلى عَسْكر أبي إسحاق - يعني المعتصم - فأدِّ إليه رِسالتي في كيت وكيت، قال: فركبتُ ولم تَثبُت معي شمعة، وسمعت وقع حافر دابة، فرهبْت ذلك، وجعلت أتوقّاه، حتى صَكَّ ركابي رِكابَ تلك الدّابة، وبَرقت بارقة فأضاءت وَجْه الراكب، فإذا عَرِيب، فقلت: عريب؟ قالت: نعم، حمدون؟ قلت نعم. ثم قلت: من أين أقبلتِ في هذا الوقت؟ قالت: من عند محمد بن حامد، قلتُ: وما صنعتِ عنده؟ قالت عريب: يا تَكش[2]، عريب تجيء من عند محمد بن حامد في هذا الوقت خارجةً من مَضْرِب الخليفة وراجعةً إليه، تقول لها: أيَّ شيء عَمِلت عنده؟ صَلَّيتُ معه التراويح؟! أو قرأت عليه أجزاءً من القرآن، أو دارسته شيئاً من الفقه، يا أحمق تعاتبنا، وتحادثْنا، واصطلحنا، ولعبنا، وشربنا، وغنينا، وتنايكنا، وانصرفنا، فأخجلتْني وغاظتني، وافترقنا، ومضيت فأدّيت الرّسالة، ثم عدت إلى المأمون وأخذنا في الحديث وتَنَاشُد الأشعار، وهمَمت والله أن أُحدِّثَه حديثها، ثم

---

(١) النظام: هو إبراهيم بن سيار بن هانىء البصري، أبو إسحاق. انفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت النظامية، فنسبت إليه.

(٢) يا تكش: كلمة نابية فيها تقريع وتجريح استعملت في ذلك الزمن وليست عربية.

هِبْتُه فقلت: أُقدّم قبل ذلك تعريضاً بشيء من الشعر، فأنشدته: [الطويل]

ألا حَيِّ أطْلالاً لِواسِعَةِ الحَبْلِ ... أَلُوفٍ تُسَوِّي صالحَ القَوْمِ بالرَّذْلِ[1]

فَلَوْ أنَّ مَنْ أمْسَى بجانِبِ تَلْعَةٍ ... إلى جَبَلَيْ طَيٍّ فسَاقِطَةِ الحَبْلِ[2]

جلوسٌ إلى أن يَقْصُرَ الظُّلُّ عِنْدَها ... لَرَاحُوا وكُلُّ القَوْمِ منها على وَصْلِ

فقال لي المأمون: اخفِض صوتَك لا تَسمعك عَرِيب فتَغْضَب، وتظنّ أنّا في حديثها، فأمسكتُ عما أردت أن أخبره، وخار الله لي في ذلك.

حدثني محمد بن أحمد الحكيمي قال: أخبرني ميمون بن هارون قال: قال لي ابن اليزيدي: حدثني أبي قال: خرجنا مع المأمون في خروجه إلى بلد الرّوم، فرأيت عريبَ في هودج، فلما رأتني قالت لي: يا يزيديّ، أنشدني شعراً قلتَه حتى أصنع فيه لحناً فأنشدتها: [الرجز]

ماذا بِقَلْبِي مِنْ دَوامِ الخَفْقِ ... إذَا رأَيْتُ لَمَعَانَ البَرْقِ

مِنْ قِبَلِ الأرْدُنِّ أو دِمَشْقِ ... لأَنَّ مَنْ أهْوَى بذاكَ الأفْقِ

فإنَّ فِيهِ وَهْوَ أعَزُّ الخَلْقِ ... عَلَيَّ وَالزُّورُ خلافُ الحَقِّ

ذاكَ الَّذِي يَمْلِكُ مِنِّي رِقِّي ... وَلَسْتُ أبْغِي ما حَيِيتُ عِتْقِي

قال: فتنفّستْ تنفّساً ظننت أن ضُلوعَها قد تقصّفت منه، فقلْت: هذا والله تنفس عاشق، فقالت: اسكت يا عاجز أنا أعشق، والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس فادّعاها من أهل المجلس عشرون رئيساً طريفاً.

حدثني محمد بن خلف، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني أحمدُ بنُ حَمْدون، قال: وقعَ بَين عَرِيب وبين محمد بن حامد شَرّ، وكان يَجِد بها الوَجْد كُلَّه، فكادا يَخرُجان من شَرّهما إلى القَطيعة، وكان في قلبها منه أكثرُ مما في قلبه منها، فلقيتْه يوماً، فقالت له: كيف قلبُك يا محمد؟ قال: أشقى والله ما كان وأَقرحُه، فقالت له: استبدل تسْلُ، فقال لها: لو كانت البلوى باختيار لفَعلت، فقالت: لقد طال إذاً تعبك، فقال: وما يكون؟ أَصْبِر مُكْرَهاً، أما سَمعتِ قَولَ العباسِ بن الأحنف: [الكامل]

تَعَبٌ يَطُولُ مَعَ الرَّجاءِ بذي الهَوَى ... خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَاحَةٍ في الياسِ

---

(١) واسعة الحبل: الشديدة الشبق. وهو كناية.

(٢) جبلا طيىء: أجأ وسلمى.

لـولا كَـرَامَـتُـكُـمْ لـمـا عـاتَـبْـتُـكُـمْ   وَلَـكُـنْـتُـمُ عِـنْـدِي كـبَـعْـضِ الـنَّـاسِ

قال: فذرفَت عيناها، واعتذرت إليه وأعتَبَتْه، واصطلحا، وعادا إلى أفضلِ ما كانا عليه.

[اختلاف النقاد في قيمة فنها]

حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال: قال لي أبو العباس بن حمدون ـ وقد تجاذبنا غناءَ عَرِيب ـ: ليس غناؤها مما يعتدّ بكثرته، لأن سَقَطه كثير، وصنعتها ساذجة، فقلت له: ومن يُعرَف في الناس كُلّهم من مُغنّي الدولة العباسية سَلِمت صنعتُه كلّها حتى تكون مثلَه! ثم جعلت أعدّ ما أعرفه من جَيّد صنعَتها ومُتقدّمها وهو يعترف بذلك، حتى عددت نحواً من مائة صوت مثل لحنها في:

يـا عـز هَـلْ لَـكِ فـي شَـيْـخٍ فَـتًـى أبـدا

وسـيـسـلـيـكَ عـمـا فـات دَوْلَـةَ مُـفْـضِـلِ

وصـــاحِ قـــدْ لُـــمْـــتَ ظـــالـــمـــا

وضَـــحِـــكَ الـــزَّمـــانُ وأشْـــرَقَـــتْ

ونحو هذا، ثم قال لي: ما خَلّفتْ عريبُ بعدها امرأةً مثلَها في الغناء والرّواية والصَّنْعة، فقلت له: لا، ولا كثيراً من الرجال أيضاً.

ولعريبَ في صنعتها:

يـا عَـز هَـلْ لـكِ فـي شَـيْـخٍ فَـتًـى أبـدا

خبرٌ أخبرني ببعضِه أحمد بنُ عبيد الله بن عمار، عن ميمون بن هارون.

وذكر ابن المعتز أن عبد الواحد بنَ إبراهيم بن الخصيب حدّثه عَمَّن يثِق به، عن أحمد بنِ عبد الله بن إسماعيل المراكبيّ قال: قالت لي عريب: حج بي أبوك وكان مضعوفاً، فكان عديلي، وكنت في طريقي أطلب الأعراب فأستنشدُهم الأشعارَ، وأكتب عنهم النوادر وسائرَ ما أسمعه منهم، فوقف شيخٌ من الأعراب علينا يسأل، فاستنشدتُه، فأنشدني: [البسيط]

يـا عـز هَـلْ لَـكِ فـي شَـيْـخ فَـتًـى أبَـداً   وقـد يـكـونُ شَـبـابٌ غَـيْـرُ فِـتـيـانِ

فاستحسنتُه، ولم أكن سمعته قبل ذلك، قلت: فأنشدني باقي الشعر، فقال

لي: هو يتيم، فاستحسنت قوله وبرَّرتُه، وحفِظت البيت وغنّيت فيه صوتاً من الثقيل الأول، ومولاي لا يعلم بذلك لضعفه. فلمّا كان في ذلك اليوم عَشِيّاً قال لي: ما كان أَحسن ذلك البيت الذي أنشدَكَ إياه الأعرابيّ، وقال لك إنه يتيم. أنشدينيه إن كنت حَفِظْته، فأنشدتُه إياه، وأعلمته أني قد غَنَّيت فيه، ثم غنيته له، فوهب لي ألف درهم بهذا السبب، وفرح بالصوت فرحاً شديداً.

قال ابن المعتز: قال ابن الخصيب: فحدثني هذا المحدِّث أنه قد حضر بعد ذلك بمجلس أبي عيسى بن المتوكل ـ ومن ها هنا تتصل روايةُ ابن عَمَّار، عن ميمون، وقد جَمعتُ الرّوايتين إلا أن مَيْمون بنَ هارون ذَكَر أنهم كانوا عِنْد جَعْفر بنِ المأمون، وعندهم أبو عيسى، وكان عندهم عليُّ بن يَحْيى، وبِدعة جاريةُ عَرِيب تغنيهم ـ فذكر عليُّ بنُ يحيى أن الصَّنعةَ فيه لِغَير عَرِيب، وذكر أنها لا تَدَّعي هذا وكابَرَ فيه، فقام جعفرُ بنُ المأمون، فكتب رُقْعَة إلى عريب ـ ونحن لا نعلم ـ يسألُها عن أمر الصوت وأن تكتب إليه بالقصة، ففعلت، فكتبت إليه بخطها:

بسم الله الرحمن الرحيم. **[الطويل]**

هَنِيّاً لأربابِ البيوتِ بُيُوتُهُمْ وَلِلْعَزَبِ المِسْكِينِ ما يَتَلَمَّسُ[1]

أنا المسكينة، وحيدة فريدة بغير مؤنس، وأنتم فيما أنتم فيه، وقد أخذتم أُنسي ومن كان يُلهيني ـ تعني جاريتيها بدعة وتحفة ـ فأنتم في القصف والعزف، وأنا في خلاف ذلك، هناكم الله وأبقاكم، وسألتَ ـ مدّ الله في عمرك ـ عما اعتَرضَ فيه فلان، والقِصَّةُ في هذا الصوت كذا وكذا. وقصَّتْ قِصَّتها مع الأعرابيّ كما حدّثت به، ولم تَخْرُم حرفاً منها، فجاء الجواب إلى جَعْفر بن المأمون فَقرأه وضَحِك. ثم رمى به إلى أبي عيسى، ورمى به أبو عيسى إليّ، وقال: اقرأه، وكان عليّ بن يحيى جالساً إلى جَنْبي، فأراد أن يَسْتَلِب الرقعة، فمنعتُه، وقمت ناحية، فقرأتُها، فأنكر ذلك، وقال: ما هذا؟ فورّينا الأمرَ عنه لئَلا تقع عربدة، وكان ـ عفا الله عنا وعنه ـ مبغضاً لها.

قال ابن المعتز: وحدثني أبو الخطّاب العَبّاسُ بنُ أحمدَ بنِ الفُرات، قال:

---

(١) العزب: من لا زوج له.

حدثني أبي، قال: كنا يوماً عند جعفر بن المأمون نشرب وعَرِيبُ حاضرةٌ إذ غَنَّى بعضُ مَنْ كان هناك: [الكامل]

يا بدرُ إنَّكَ قد كُسِيتَ مشابِهاً ... من وَجْهِ ذاكَ المُسْتَنِيرِ اللاّئحِ
وأراكَ تَمْصَحُ بِالمحاقِ، وَحُسْنُها ... باقٍ على الأيّامِ ليسَ بِبارِحِ[1]

فضحكت عَرِيب وصفَّقت وقالت: ما على وجه الأرض أحدٌ يعرف خبر هذا الصَّوتِ غيري، فلم يُقدِم أحدٌ منا على مسألتها عنه غيري، فسألتها، فقالت: أنا أُخبركم بقصته، ولولا أن صاحب القِصَّة قد مات لَمَا أخبرتكم، إن أبا مُحلَّم قدِمَ بغداد، فنزل بقرب دار صالح المسكين في خانٍ هناك، فاطّلعت أُمُّ محمد ابنةُ صالح يوماً، فرأته يبول، فأعجبها مَتاعُه، وأحبَّت مواصلتَه، فجعلت لذلك علّة بأن وَجَّهتْ إليه تقتَرض منه مالاً، وتُعلِمُه أنها في ضِيقَة وأنّها تَردُّه إليه بعد جُمْعَة، فبَعَثَ إليها عَشرة آلافِ دِرْهم، وحلَف أنّه لو مَلَك غيرَها لبَعَث به، فاستحسنتْ ذلك وواصلته، وجعلت القرضَ سبباً للوُصْلة، فكانت تُدخلُه إليها ليلاً، وكنت أنا أُغنّي لهم، فشربنا ليلة في القمر، وجعل أبو مُحَلّم ينظر إليه، ثم دعا بدواة ورقعة، وكتب فيها قوله: [الكامل]

يا بَدْرُ إنَّكَ قد كُسِيتَ مشابِهاً ... مِنْ وَجْهِ أُمّ مُحَمَّدِ ابْنَةِ صَالِحِ

والبيت الآخر، وقال لي: غنِّي فيه، ففعلتُ واستحسَنّاه وشرِبنَا عليه، فقالت لي أم محمد في آخر المجلس: يا أختي، قد تنبّلت في هذا الشعر إلا أَنَّه سيبقى عليَّ فَضِيحة آخر الدهر، فقال أبو مُحَلّم: وأنا أُغيّره، فجعل مكان أمّ محمد ابنة صالح، «ذاكَ المستنير اللائح». وغَنّيتُه كما غَيَّره، وأخذه الناسُ عني، ولو كانت أُمُّ محمد حَيَّة لما أخبرتكم بالخَبر.

فأما نِسْبة هذا الصوت

فإنَّ الشعر لأبي مُحَلَّم النَّسَّابة، والغِناء لعَرِيب ثَقيل أَوَّل مُطْلق في مَجْرى الوُسْطى من رواية الهِشاميّ وغيره، وأبو مُحَلّم اسمه عوف بنُ مُحَلّم.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، عن ميمونِ بن هارون قال: كتبت عَرِيبُ

(١) تمصح بالمحاق: تذهب به. والمقصود هنا: ذهاب الضوء. وبارح: زائل.

إلى محمد بن حامد ـ الذي كانت تهواه ـ تستزيرهُ، فكتب إليها: إني أخاف على نفسي، فكتبت إليه:

صوت

[المتقارب]

إذا كُنْتَ تَحْذَرُ ما تَحْذَرُ وَتَزْعُمُ أَنَّكَ لا تَجْسُرُ
فما لي أُقِيمُ عَلَى صَبْوَتي ويَوْمُ لِقائِكَ لا يُقْدَرُ

فصار إليها من وقته.

لعريب في هذين البيتين وبيتين آخرين بعدهما لم يذكرا في الخبر رَمَل، ولشارية خَفِيف رمل، جُمعا من رواية ابن المعتز والبيتان الآخران: [المتقارب]

تَبَيَّنْتَ عُذْرِي وما تَعْذِرُ وأبْلَيْتَ جِسْمِي وما تَشْعُرُ
أَلِفْتَ السُّرورَ وخَلَّيْتَنِي ودَمْعِي من العينِ ما يَفْتُرُ

وذكر ميمون في هذا الخبر أن محمدَ بن حامد كتب إليها يُعاتبها في شيء كَرِهَه، فكتبت إليه تعتذر، فلم يقبل، فكتبت إليه بهذين البيتين الآخرين اللذين ذكرتهما بعد نسبة هذا الصوت.

صوت

[البسيط]

أَحْبَبْتُ من شِعْرِ بَشّارٍ لِحُبِّكُمُ بَيْتاً، كَلِفْتَ بهِ من شِعْرِ بَشّارِ
يا رحمةَ اللَّهِ حُلّي في مَنازِلنا وجاوِرِينا فَدَتْكِ النَّفسُ من جارِ
إذا ابْتَهَلْتُ سألتُ اللَّهَ رَحْمَتَهُ كنيتُ عنكِ وما يَعدُوكِ إضمارِي

الشعرُ لأبي نُواس منه البيت الأول، والثاني لبشار ضمّنه أبو نواس، والغناء لعريب ثقيل أول بالبنصر، ولعمرو بن بانة في الثاني والثالث رمل.

وهذا الشعر يقوله أبو نواس في رحمة بن نجاح عَمّ نجاح بن سَلَمة الكاتب.

أخبرني بخبره عليُّ بنُ سليمان الأخفَشُ، عن محمد بن يزيد النحويِّ، قال: كان بَشّارٌ يُشبِّب بامرأة يقال لها رحمة، وكان أبو نواس يتعشق غلاماً اسمه رحمة بن نجاح، عَم نَجَاح بنِ سَلَمَة الكاتب، وكان متقدماً في جماله، وكان أبوه قد ألزمه وأخاه رجلاً مدنياً، وكان معهم كأحدهم، وأكثر أبو نواس التّشبيبَ برحمة

في إقامته ببغداد وشخوصه عنها؛ وكان بشار قد قال في رحمة المرأة التي يهواها.

[البسيط]

يا رحمةَ الله حُلّي في منازلنا حَسْبي برائحةِ الفِرْدَوْس من فِيكِ
يا أطْيَبَ النّاسِ رِيقاً غَيْرَ مُخْتَبَرٍ إلا شهادَةَ أطْرافِ المَساوِيكِ

فقال أبو نواس، وضمّن بيتَ بَشّار. [الطويل]

أحْبَبْتُ من شعر بشارٍ لِحُبِّكُمُ بَيْتاً كَلِفْتُ بهِ من شِعْرِ بَشّارِ

الأبيات الثلاثة...

وقال فيه: [الكامل]

يا مَنْ تأهَّبَ مُزْمِعاً لِرواحِ مُتَيَمِّماً بَغْدادَ غَيْرَ مُلاحِ
في بَطْنِ جَارِيَة كَفَتْكَ بِسَيْرِها رَمَلاً وَكُلَّ سِباحَةِ السَّبّاحِ(١)
بُنِيَتْ على قَدَرٍ ولاءَمَ بَيْنَها صِنْفانِ من قارٍ ومن ألْواحِ
وكأنها ـ والماءُ يَنْضَحُ صَدْرَها والخَيْزُرانَةُ في يَدِ المَلاَّحِ(٢)
جُونٌ من الغِرْبانِ يبتدرُ الدُّجى يَهْوِي بصَوْتٍ واصْطِفاقِ جَناحِ(٣)
سَلِّم على شاطِي الصَّرَاةِ وأهْلِها واخْصُصْ هُناكَ مَدِينةَ الوَضَّاحِ(٤)
واقْصدْ ـ هُديت ـ ولا تَكُنْ مُتَحَيِّراً في مَقْصِدٍ عن ظَبْيِ آلِ نَجاحِ
عَنْ رَحْمَةِ الرَّحْمٰنِ واسألْ مَنْ تَرَى سِيماهُ سِيما شارِبٍ لِلرَّاحِ(٥)
فإذا دُفِعْتَ إلى أغَنَّ وألْثَغٍ ومُنَعَّمٍ ومُكَحَّلٍ ورَداحِ(٦)
وَكَشَمْسِنا وَكَبَدْرِنا حاشَى الّتي سَمَّيْتُها منه بِنَوْرِ أقاحِي
فاقْصِدْ لِوَقْتِ لِقائِهِ في خَلْوَةٍ لِتَبُوحَ عَنِّي ثَمَّ كُلَّ مُباحِ
واخبرْ بما أحبَبْت عن حالي التي مُمْسَايَ فيها واحدٌ وصبَاحِي

(١) جارية: يقصد سفينة جارية. والرَّمل: ضرب من السَّير وهو الهرولة.

(٢) الخيزرانة: المجداف.

(٣) الجُون: يريد هنا الأسود.

(٤) الصراة: نهران ببغداد. (انظر معجم البلدان ٣/ ٣٩٩).

(٥) الراح: الخمر.

(٦) الأغنُّ: من كان في صوته غنة، أي يخرج صوته من خياشيمه. والألثغ: من كان في لسانه لثغة، وهو تحوّل اللسان من الراء إلى الغين وغيرها من الأحرف. والرّداح: الثقيل الأوراك.

قال: فافتدى أبو رحمة من أبي نواس ذِكر ابنه بأن عَقَد بينه وبينه حُرْمَة، ودعاه إلى منزله، فجاءه أبو نواس والمدينيّ لا يعرفه، فمازحه مِزاحاً أسرف عليه فيه، فقام إليه رحمة، فعرفه أنه أبو نواس، فأشفق المدِينيّ من ذلك، وخاف أن يهجوه ويشهِّر اسمه، فسأل رحمةَ أن يكلمه في الصفح له والإغضاء عن الانتقام، فأجابه أبو نواس وقال: [الكامل]

اذْهَبْ سَلِمْتَ مِنَ الهجاءِ وَلَذْعِهِ ... وَأَمَا ولَثْغَةِ رَحْمَةَ بْنِ نَجاحِ
لَوْلا فُتُورٌ في كلامِكَ يُشْتَهى ... وَتَرَقُّقِي لَكَ بَعْدُ واسْتِملاحِي
وَتَكَسُّرٌ في مُقْلَتَيْكَ هُوَ الَّذِي ... عَطَفَ الفُؤادَ عَلَيْكَ بعدَ جِماحِ
لعَلِمْتَ أنَّكَ لا تُمازِحُ شاعِراً ... في ساعَةٍ ليستْ بِحِينِ مُزاحِ

صوت

أأبكاكَ بالعُرُفِ المَنْزِلُ ... وما أنْتَ والطَّلَلُ المُحْوِلُ؟
وما أنْتَ وَيْكَ وَرَسْمُ الدِّيَارِ ... وَسِنُّكَ قَدْ قارَبَتْ تَكْمُلُ؟

عروضه من المتقارَب، والشعر للكميت بنِ زيد الأسديّ، والغناء لمعْقِل بنِ عِيسى أَخِي أبي دُلَفِ العِجليّ، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر، وهذان البيتان من قصيدة مدح الكميت بهما عبدَ الرحمن بنَ عَنْبسة بنِ سَعِيد بن العاصي بن أمية.

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدثني الحسَن بن عُلَيْل العَنَزيّ، عن علي بن هشام عن محمد بن عبد الأعلى بن كناسة، قال: كان بين بني أسد وبين طيىء بالحُصّ - وهي قريبة من قادِسِيّة الكوفة - حربٌ، فاصطلحوا وبقي لطيىء دِماءُ رَجُلَين، فاحتمل ذلك رَجلٌ من بني أسد، فمات قبل أن يؤدّيه، فاحتمله الكميت بن زيد، فأعانه فيه عبدُ الرحمن بنُ عَنْبسة، فمدحه بقوله: [المتقارب]

أأبكاكَ بالعُرُفِ المَنْزِلُ ... وما أنْتَ والطَّلَلُ المُحْوِلُ

فأعانه الحكم بن الصلت الثقفيّ، فمدحه بقصيدته التي أولها:

رأيتُ الغَوانِيَ وَحْشاً نُفُورا

وأعانه زيادُ بن المُغفّل الأسديّ، فمدحه بقصيدته التي أولها:

هل للشبابِ الَّذِي قد فاتَ مِنْ طَلَبِ؟

ثم جلس الكميت وقد خرج العطاء، فأَقبل الرجل يعطي الكميتَ المائتين، والثلاث المائة، وأكثر وأقل، قال: وكانت دِيَةُ الأعرابي حينئذ ألفَ بَعِيرٍ ودِيةُ الحَضريّ عَشْرةَ آلافِ دِرهم، وكانت قيمة الجمل عَشْرة دراهم، فأَدّى الكميتُ عِشْرين ألفاً عن قيمة ألفي بَعِير.

نسبة ما في أشعار الكميت هذه من الأغاني

منها: **صوت** [البسيط]

هل للشبابِ الذي قد فاتَ مِنْ طَلَبِ أَمْ لَيْسَ غابِرُه المَاضِي بِمُنْقَلِبِ
دَعِ البكاءَ على ما فاتَ مِنْ طَلَبِ فالدَّهْرُ يأتِي بألْوانٍ مِنَ العَجَبِ

غنّاه إبراهيمُ الموصلّي خَفِيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية إسحاق.

ذكر معقل بن عيسى

[الفارس الجواد الشاعر المغني]

كان معقِلُ بن عيسى فارساً شاعراً جَواداً، مغنّياً فَهِماً بالنّغم والوتر، وذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبي دُلَف وتَقريظِه في المعرفة بالنغَم، وقال: إنه من أحسن أهل زمانه وأجود طبقته صَنْعةً؛ إذ سَلَّم ذلك له أخوه مَعْقِل، وإنما أخملَ ذكرَه ارتفاعُ شأن أخيه، وهو القائل لأبي دُلَف في عَتْبٍ عَتَبه عليه: [البسيط]

أُخَيَّ ما لَكَ تَرْمِني فَتُقْصِدَنِي وإن رَمَيْتُكَ سَهْماً لَمْ يَجُزْ كَبِدِي
أُخَيَّ ما لَكَ مَجْبُولاً على تِرَتي كأنَّ أجْسادَنا لَمْ تُغْذَ مِنْ جَسَدِ

وهو القائل لمخارقٍ ـوقد كان زار أبا دُلَف إلى الجبل، ثم رجع إلى العراق، أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي سَعيدٍ السكريّ- :

صوت

لَعَمْرِي لَئِنْ قَرَّتْ بِقُرْبِكَ أعْيُنٌ لقد سَخِنَتْ بالبَيْنِ مِنْكَ عُيُونُ[1]
فَسِرْ أَوْ أَقِمْ وَقْفٌ عَلَيْكَ مَحَبَّتي مكانُكَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ مَصُونُ
فما أَوْحَشَ الدُّنيا إذا كُنْتَ نازِحاً وما أحْسَنَ الدُّنيا بِحَيْثُ تكونُ

عروضه من الطويل، والشعر لمعقل بن عيسى، والغناء لمخارق، ولحنه من الثَّقِيل الأول بالوسطى، وفيه لحن لمعقل بن عيسى خفيف رمل، وفيه ثاني ثقِيل يقال إنه لمخارق، ويقال إنه لمعقل.

ومن شعر معقل قولُه يمتدح المعتصمَ، وفيه غِناء للزُّبَير بن دَحْمان من الثقيل الأول بالبنصر:

(١) يقال: سخنت العين: أي كثر دمعها، والدمع الكثير يسبب السخونة.

صوت

[الكامل]

الـدّارُ هـاجَـكَ رَسْـمُـهـا وَطُـلُـولُـهـا أمْ بَـيْـنُ سُـعْـدَى يَـوْمَ جَـدَّ رَحِـيـلُـهـا
كُـلٌّ شَـجـاكَ فَـقُـلْ لِـعَـيْـنِـكَ أَعْـوِلِـي إنْ كـانَ يُـغـنِـي فـي الـدِّيـارِ عَـوِيـلُـهـا
وَمـحـمـدٌ زيـنُ الـخَـلائِـفِ وَالَّـذِي سَـنَّ الـمـكـارِمَ فـاسْـتَـبـانَ سَـبِـيـلُـهـا

صوت

أَلَيْسَ إلى أجبالِ شَمْخٍ إلى اللِّوَى لِوَى الرَّمْلِ يوماً لِلنُّفوس مَعادُ؟
بِلادٌ بها كُنّا، وَكُنا مِنَ أهْلِها إذِ النّاسُ ناسٌ والبلادُ بلادُ

الشعر لرجل من عاد فيما ذكروا، والغناء لابن محرز، ولحنه من الثّقيل الأول بالبنصر عن ابن المكي، وقيل إنه من منحوله إليه.

أخبرني ابن عمار عن أبي سعد، عن محمد بن الصّبّاح، قال: حدثنا يحيى بن سلمة بن أبي الأشهب التيميّ عن الهيثم بن عديّ، قال: أخبرني حمّاد الراوية قال: حدثني ابنُ أخت لنا من مراد، قال: ولِيتُ صدقاتِ قومٍ من العرب، فبينا أنا أقسمها في أهلها إذ قال لي رجل منهم: ألا أريك عجباً؟ قلت: بلى، فأدخلني في شِعب[1] من جبل، فإذا أنا بسهم من سهام عاد، من فتى قد نشب في ذِروة الشّعب وإذا على الجبل تجاهي مكتوب:

ألا هَلْ إلى أبياتِ شَمْخٍ إلى اللِّوى لِوَى الرَّمْلِ يوماً للنفوسِ مَعادُ؟
بلادٌ بها كُنَّا وكنّا مِنَ أهْلِها إذِ النّاسُ ناسٌ والبلادُ بلادُ

ثم أخرجني إلى ساحل البحر، وإذا أنا بحجر يعلوه الماء طوراً، ويظهر تارة، وإذا عليه مكتوب: يابن آدم يابن عبدِ ربه، اتّقِ الله، ولا تعجل في أمرك، فإنك لن تسبق رزقَك، ولن تُرزق ما ليس لك! ومن البصرة إلى الديل ستمائة فرسخ، فمن لم يصدق بذلك فليمشِ الطريقَ على الساحل حتى يتحقّقَه، فإن لم يَقْدِر على ذلك فلينْطَحْ برأسه هذا الحجر.

---

(١) الشعب: الطريق الضيق إلى الجبل.

صوت

[الكامل]

يـا بَـيْـتَ عـاتـكَـةَ الَّـذِي أتَـعَـزَّلُ حَـذَرَ الـعِـدا وبِـهِ الـفُـؤادُ مُـوَكَّـلُ
إنِّـي لأمْـنَـحُـكَ الـصُّـدُودَ وإنَّـنِـي قَـسَـمـاً إلـيـكَ مَـعَ الـصّـدودِ لأمْـيَـلُ

أتعزله: أتجنبه وأكون بمعزل عنه. العِدا: جمع عدوّ، ويقال عُدًا بالضم وعِدا بالكسر، وأمنحك: أعطيك. والمنيحة: العطية. وفي الحديث أن رجلاً منح بعض ولده شيئاً من ماله، فقال له النبي ﷺ: «**أكلَّ ولدك منحتَ مثل هذا؟**» قال: لا، قال: «**فارجعه**»[1].

الشعر للأحوص بن محمد الأنصاري، من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز. الغناء لمعبد ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر، عن إسحاق ويونس وغيرهما، وفيه لابن سُرَيج خفيف ثقيل الأول بالبنصر عن الهشامي وابن المكي وعلي بن يحيى.

---

(١) صحيح البخاري ٣/٢٠٦، ومسلم في الهبات ٩/١٠/١١.

الأحوص وبعض أخباره

[توفي نحو سنة ١٠٥ هـ/ نحو سنة ٧٢٣ م]

[إغارته على شعر غيره وسرقته]

أخبرني بخبر الأحوص في هذا الشعر الحرميّ عن الزبير قال: حدثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي، وأخبرنا به الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن مُصْعَب الزبيريّ، عن المؤمّلي، عن عمر بن أبي بكر الموصلي، عن عبد الله بن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر قال: خرجت أنا والأحوصُ بنُ محمد مع عبدِ الله بن الحسن بن الحسن إلى الحج، فلما كنا بِقُدَيْد[1] قلنا لعبد الله بن الحسن: لو أرسلت إلى سليمانَ بن أبي دُباكل، فأنشدَنا شيئاً من شعره! فأرسل إليه فأتانا، فاستنشدناه، فأنشدنا قصيدته التي يقول فيها: [الكامل]

يا بَيْتَ خَنْساءَ الَّذِي أتَجَنَّبُ ... ذَهَبَ الشبابُ وَحُبُّها لا يَذْهَبُ
أصْبَحْتُ أمْنَحُكِ الصُّدودَ وإنّني ... قَسَماً إليكِ مع الصّدودِ لأجْنُبُ
ما لي أحِنُّ إلى جمالِكِ قُرِّبَتْ ... وأصُدُّ عَنْك وأنتِ مِنّيَ أقْرَبُ
لله دَرُّك هَلْ لديكِ مُعَوَّلٌ ... لِمُتَيَّمٍ أمْ هَلْ لِوُدِّكِ مَطْلَبُ؟
فَلَقَدْ رأيْتُكِ قبلَ ذاكَ وإنَّني ... لَمُوكَّلٌ بهواكِ أو مُتَقَرِّبُ
إذ نَحْنُ في الزَّمَنِ الرَّخِيِّ وأنتُمُ ... متجاورونَ كلامُكُمْ لا يُرْقَبُ
تَبْكِي الحَمامَةُ شَجْوَها فتَهِيجُني ... ويروحُ عازِبُ هَمِّيَ المتأوِّبُ
وَتَهبُّ جارِيةُ الرِّياحِ مِنَ ارْضِكُمْ ... فأرَى البلادَ لها تُطِلُّ وتُخْصِبُ
وأرَى السَّمِيَّةَ باسْمِكُمْ فَيَزِيدُني ... شَوْقاً إليكِ رجاؤكِ المُتَنَسِّبُ
وأرَى العَدُوَّ يَوَدُّكُمْ فأوَدُّهُ ... إنْ كانَ يُنْسَبُ منكِ أو لا يُنْسَبُ

---

(١) قديد: اسم موضع قرب مكة. (انظر معجم البلدان ٤/٣١٣).

وأُخالِفُ الواشِينَ فيكِ تَجَمُّلاً وَهُمُ عَلَيَّ ذَوُو ضَغائِنَ دُؤَّبُ[١]
ثمَّ اتَّخَذْتِهِمُ عَلَيَّ وَليجَةً حَتَّى غَضِبْتُ ومثلُ ذلكَ يُغْضِبُ[٢]

قال: فلما كان من قابل[٣] حجَّ أبو بكر بنُ عبد العزيز بن مروان، فقدم المدينة، فدخل عليه الأحوصُ، واستصحبه فأصحبه، فلما خرج الأحوصُ قال له بعض من عنده: ماذا تريد بنفسك؟ تقدُم بالأحوص الشام، وبها من يُنافِسك من بني أبيك، وهو من الأَفَن[٤] والسَّفَه على ما قد علمت فَيَعِيبُونك به. فلما رجع أبو بكر من الحج دخل عليه الأحوص متنجّزاً لما وعده من الصحابة فدعا له بمائة دينار وأثواب وقال: يا خال، إني نظرت فيما سألتني من الصحابة فكرهت أن أهجم بك على أمير المؤمنين من غير إذنه، فيجبهكَ فيشمَتَ بك عدوّي من أهل بيتي، ولكن خُذْ هذه الثيابَ والدنانير، وأنا مستأذن لك أميرَ المؤمنين، فإذا أذن لك كتبت إليك، فقدمتَ عليّ، فقال له الأحوص: لا ولكن قد سُبِعْتُ[٥] عندك، ولا حاجة لي بعطيّتك! ثم خرج من عنده، فبلغ ذلك عمرَ بنَ عبد العزيز، فأرسل إلى الأحوص وهو يومئذ أميرُ المدينة، فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار، وكساه ثياباً فأخذ ذلك، ثم قال له: يا أخي هَبْ لي عِرْض أبي بكر، قال: هو لك، ثم خرج الأحوص، فقال في عروض قصيدة سليمان بن أبي دُباكل قصيدةً مدح بها عمرَ بنَ عبد العزيز.

وقال حماد: قال أبي: سرق أبيات سليمان بأعيانِها، فأدخلها في شِعره، وغيَّر قوافِيَها فقط، فقال: [الكامل]

يا بيتَ عاتكةَ الَّذي أتَعَزَّل حذَرَ العِدَا وبه الفؤادُ مُوَكَّلُ
أصبحتُ أمْنَحُكَ الصّدودَ وإنَّني قسَماً إليك مع الصّدود لأَمْيَلُ
فَصَدَدْتُ عنكَ وما صَدَدْتُ لِبغْضَةٍ أخْشَى مقالةَ كاشِحٍ لا يَعْقِلُ[٦]
هل عَيْشُنا بكَ في زمانِكَ راجعٌ فلقد تفاحَشَ بعدكَ المتعلّلُ؟

(١) دؤَّب: جمع دؤوب، وهو الملازم للشيء لا يتركه.
(٢) الوليجَة: الأصدقاء والأعوان.
(٣) القابل: أي العام القابل.
(٤) الأفن: الغباء.
(٥) سُبِعْتُ: شُتِمْتُ وصغرت.
(٦) الكاشح: المبغض.

إنّي إذا قُلتُ استقامَ يَحُطُّهُ ... خُلْفٌ كما نظر الخِلافَ الأقْبَلُ(١)

لو بالّذي عالَجْتُ لِينَ فؤاده ... فأبَى يُلانُ بِه لَلانَ الْجَنْدَلُ(٢)

وتَجَنُّبي بَيتَ الحبيبِ أوَدُّهُ ... أُرْضِي البَغِيضَ به، حَديثٌ مُعْضِلُ

ولئنْ صَدَدْتُ لأنْتِ لولا رِقبتي ... أهْوَى من اللائي أزورُ وأدْخُلُ

إنّ الشَّبابَ وعيشَنا اللذَّ الذي ... كُنّا به زَمَناً نُسَرُّ ونَجْذَلُ

ذهبتْ بشاشتُهُ وأصبَحَ ذكرُهُ ... حُزْناً يُعَلُّ به الفؤادُ ويُنْهَلُ

إلّا تَذَكُّرَ ما مَضَى وصبابةً ... مُنِيَتْ لِقَلْبٍ مُتَيَّمٍ لا يَذْهَلُ

أودَى الشَّبابُ وأخْلَقَتْ لذّاتُهُ ... وأنا الحَزِينُ على الشبابِ المُعْوِلُ

يَبْكِي لما قَلَبَ الزَّمانُ جديدَهُ ... خَلقاً وليس على الزّمانِ مُعَوَّلُ(٣)

والرأسُ شامِلُهُ البَياضُ كأنّهُ ... بَعْدَ السّوادِ بهِ الثَّغامُ المُحْجِلُ(٤)

وسفيهةٍ هَبَّت عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ ... جَهْلاً تلومُ على الثّواءِ وتَعْذِلُ(٥)

فأجَبْتُها أنْ قلتُ لَسْتِ مُطاعةً ... فَذَرِي تَنَصُّحَكِ الذي لا يُقْبَلُ

إنّي كَفانِي أن أُعالِجَ رِحْلَةً ... عُمَرٌ ونَبْوَةُ مَنْ يَضِنُّ ويَبْخَلُ

بِنَوالِ ذِي فَجْرٍ تكونُ سِجالُهُ ... عَمَماً إذا نزلَ الزّمانُ المُمْحِلُ(٦)

ماضٍ على حَدَثِ الأمُورِ كأنّهُ ... ذو رَوْنقٍ عَضْبٌ جَلاهُ الصَّيْقَلُ(٧)

تُبدِي الرِّجالُ إذا بدا إعظامَهُ ... حَذَرَ البُغاثِ هَوَى لَهُنَّ الأجْدَلُ(٨)

فَيَرَوْنَ أنَّ لَهُ عَلَيْهِمْ سَوْرَةً ... وفَضِيلَةً سَبَقَتْ لَهُ لا تُجْهَلُ

مُتَحَمِّلٌ ثِقَلَ الأمُورِ حَوَى لَهُ ... سَبْقَ المَكارِمِ سابِقٌ مُتَمَهِّلُ

ولَهُ إذا نُسِبَتْ قُرَيْشٌ مِنْهُمُ ... مَجْدُ الأرُومَةِ والفَعالُ الأفْضَلُ(٩)

وله بمكّةَ إذْ أمَيَّةُ أهلُها ... إرْثٌ إذا عُدَّ القَديمُ مُؤَثَّلُ

---

(١) الأقبل: الأحول.

(٢) الجندل: الصخر.

(٣) قلب: صيّر. وخلقاً: بالياً.

(٤) الثغام: جمع ثغامة: وهي شجرة بيضاء الثمر والزهر، تنبت في قنة الجبل. والمحجل: من الحجل وهو البياض في رجل الفرس ونحوه.

(٥) السحرة: وقت السحر. والثواء: الإقامة.

(٦) السجال: المطر المتواصل. والممحل: المجدب.

(٧) رونق السيف: ماؤه وصفاؤه. وعضبٌ: قاطع.

(٨) البغاث: طائر أبغث اللون أصغر من الرخم بطيء الطيران. والأجدل: الصقر. ويريد هنا أن الرجال يهابون عمر كما يهاب البغاث الصقر.

(٩) الأرومة: الأصل.

أغْـيَـتْ قـرابَـتُـهُ وكـانَ لُـزومُـهُ أمْـراً أبـانَ رَشَـادَهُ مَـنْ يَـعْـقِـلُ
وَسَمَوْتَ عن أخْلاقِهِمْ فَتَرَكْتَهُمْ لِـنَـدَاكَ إنَّ الـحـازِمَ الـمُـتَـحَـوِّلُ
وَلَـقَـدْ بـدأتُ أرِيـدُ وُدَّ مـعـاشِـرٍ وَعَدُوا مَوَاعِدَ أخْلَفَتْ إنْ حُصِّلوا
حتى إذا رَجَعَ اليقينُ مَطامِعِي يـأسـاً وأخْـلَـفَـنـي الَّـذيـن أُؤمِّـلُ
زايَلْتُ ما صَنَعُوا إليكَ برحلةٍ عَجْلَى وعندكَ عنهمُ مُتَحَوَّلُ
وَوَعدتَني في حاجَةٍ فصَدَقْتَني وَوَفَيْتَ إذْ كَذَبُوا الحَدِيثَ وبَدَّلوا
وَشَكَوْتُ غُرْماً فادِحاً فَحَمَلْتَهُ عَنِّي وأنتَ لِمِثْلِهِ مُتَحَمِّلُ
فَلأشْكُرَنَّ لكَ الَّذِي أوْليتَني شُكْراً تُحَلُّ بهِ المَطِيُّ وتُرْحَلُ
مِدَحاً تكونُ لكم غرائبُ شِعْرِها مَبْذُولَةً وَلِغَيْرِكُمْ لا تُبْذَلُ
فإذا تَنَحَّلْتُ القَرِيضَ فإنَّهُ لَكُمُ يكونُ خِيارُ ما أتَنَحَّلُ
وَلَعَمْرُ مَن حَجَّ الحَجِيجُ لِبَيْتِهِ تَهْوِي به قُلُصُ المَطِيِّ الذُّمَّلُ
إنَّ امْرأً قد نالَ منكَ قَرَابَةً يَبْغي منافِعَ غَيْرِها لَمُضَلَّلُ
تَعْفُو إذا جَهِلُوا بِحِلْمِكَ عَنْهُمُ وتُنِيلُ إنْ طَلَبُوا النّوالَ فتُجْزِلُ
وتكونُ مَعْقِلَهُمْ إذا لم يُنْجِهِمْ مِنْ شَرٍّ ما يَخْشَوْنَ إلاّ المَعْقِلُ
حتى كأنَّكَ يُتَّقَى بكَ دُونَهُمْ من أُسْدِ بِيشةَ خادِرٌ مُتَبَسِّلُ(١)
وأراكَ تَفْعَلُ ما تَقُولُ وبَعْضُهُمْ مَذِقُ الحَدِيثِ يقولُ ما لا يَفْعَلُ(٢)
وأرى المَدِينةَ حينَ صِرْتَ أميرَها أمِنَ البَرِيءُ بها ونامَ الأعْزَلُ

فقال عمر: ما أراكَ أعفيتني مما استعفيت منه، قال: لأنه مَدَحَ عمر وعَرَّض بأخيه أبي بكر.

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

[الكامل]

ما لي أجِنُّ إذا جِمالُكِ قُرِّبَتْ وأصُدُّ عنكِ وأنتِ منِّيَ أقْرَبُ؟
وأرى البلادَ إذا حَلَلْتِ بِغَيْرِها وَحْشاً وإن كانَتْ تُظِلُّ وتُخْصِبُ

(١) بيشة: وادٍ فيه موضع شجر كثير الأسد. وخادر: ملازم عرينه. ومتبسل: غاضب أو شجاع.
(٢) مذق الحديث: مخلوطه، غير خالصه.

يـا بَـيْـتَ خـنـسـاءَ الـذي أتـجـنَّـبُ ذَهَـبَ الـشـبـابُ وحُـبُّـهـا لا يـذهَـبُ
تَـبْـكِـي الـحَـمـامـةُ شَـجْـوَهـا فَـتَـهِـيـجُـنـي ويَـرُوحُ عـازِبُ هَـمِّـيَ الـمُـتَـأَوِّبُ

الشعر لسليمان بن أبي دُباكل، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر، عن عمرو. وقال ابن المكّي: فيه خفيف ثقيل آخر لابن محرز، وأوله:

تـبـكـي الـحـمـامـةُ شَـجْـوَهـا فَـتَـهِـيـجُـنِـي

أخبرني الحسينُ بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي، وقال محمدُ بن كُناسة: حدثني أبو دُكين بنُ زكريا بن محمد بن عمار بن ياسر قال: رأيت عاتكة التي يقول فيها الأحوص:

يـا بـيـتَ عـاتِـكَـةَ الَّـذِي أَتَـعَـزَّلُ

وهي عجوز كبيرة وقد جعلت بين عينيها هلالاً من نيلج[1] تتمَلَّح به.

أخبرني الحرميّ عن الزبير، عن محمد بن محمد العمريّ قال: عاتكة التي يُشبّب بها الأحوصُ عاتكةُ بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية. أخبرني الحرمي، عن الزبير، عن إسحاق بن عبد الملك، أن الأحوص كان لَيِّناً، وأن عاتكة التي يَنْسِب بها ليست عاتكةَ بنتَ عبد الله بن يزيد بن معاوية، وإنما هو رجل كان ينزل قُرى كانت بين الأشراف كنى عنه بعاتكة.

أخبرني الحرميّ عن الزبيريّ عن يعقوب بن حكيم، قال: كان الأحوص لَيِّناً، وكان يلزم نازلاً بالأشراف، فنهاه أخوه عن ذلك، فتركه فَرَقاً[2] من أخيه، وكان يمرّ قريباً من خيمة النازل بالأشراف ويقول: [الكامل]

يـا بـيـتَ عـاتِـكَـةَ الَّـذِي أَتَـعَـزَّلُ حَـذَرَ الـعِـدا وبـهِ الـفـؤادُ مُـوَكَّـلُ

يكني عنه بعاتكة ولا يقدر أن يدخل عليه.

[بينه وبين الفرزدق وكثير عزة]

أخبرني الحرمي، عن الزبيري، عن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن

(١) النيلج: دخان الشحم، يعالج به الوشم ليخضرّ.
(٢) فرقاً: فزعاً.

إبراهيم، قال: حدثني عبد العزيز بن عمران قال: قدم الفرزدق المدينة، فقال لكُثَيِّر: هل لك بنا في الأحوص نأتيه ونتحدث عنده؟ فقال له: وما نصنع به؟ إذاً والله نجد عنده عبداً حالكاً أسود حلوكاً يؤثره علينا، ويَبِيتُ مُضاجِعه ليلته حتى يصبح، قال الفرزدق: فقلت: إن هذا من عداوة الشعراء بَعْضِهم لبعض، قال: فانهَضْ بنا إليه إذاً - لا أبَ لغيرك - قال الفرزدق: فأردفْتُ كُثَيِّراً ورائي على بَغْلَتي، وقلت: تلفّف[1] يا أبا صخر، فمثلُك لا يكون رَدِيفاً، فخمَّر رأسَه وألصق فيَّ وجهه، فجعلتُ لا أجتاز بمجلس قوم إلا قالوا: من هذا وراءَك يا أبا فراس؟ فأقول: جارية وَهبَها لي الأمير، فلما أكثرت عليه من ذلك، واجتاز على بني زُرَيق، وكان يُبغِضهم، فقلتُ لهم ما كنت أقول قبلِ ذلك، كشف عن رأسه وأومَض[2] وقال: كذَب، ولكني كرِهتُ أن أكون له رديفاً وكان حديثهُ لي مُعجباً، فركِبت وراءه، ولم تكن لي دابة أركبُها إلا دابّته، فقالوا: لا تعجل يا أبا صَخر، ههنا دَوابُّ كثيرة تركَبُ منها ما أردت، فقال: دَوابّكم والله أَبغضُ إلي من رِدْفه، فسَكَتُوا عنه. وجعل يتغشَّم[3] عليهم، حتى جاوز أبصارهم، فقلت: والله ما قالوا لك بأساً، فما الذي أغضبك عليهم؟ فقال: والله ما أعلم نفراً أشدَّ تعصباً للقرشيين من نفر اجتزتُ بِهم، قال: فقلت له: وما أنتَ - لا أمَّ لك ولقريش - قال: أنا والله أحدهم، قلت: إن كنتَ أحدَهم فأنت والله دَعيُّهم[4] قال: دَعِيُّهم خيرٌ من صَحيح نسب العرب، وإلا فأنا والله من أكرم بيوتهم، أنا أحد بني الصَّلت بن النضر، قلت: إنما قريش ولد فهر بن مالك، فقال: كذَبت. فقال: ما عِلمُك يابن الجعْراء بقريش؟ هم بنو النَّضْر بنِ كنانة، ألم تر إلى النبيﷺ انتسب إلى النَّضْر بن كنانة، ولم يكن ليجاوز أكرمَ نسبه. قال: فخرجنا حتى أتينا الأحوص، فوجدناه في مشربة له، فقلنا له: أنَرقَى إليك أم تنزل إلينا؟ قال: لا أقدر على ذلك، عندي أمّ جعفر، ولم أرها منذ أيام، ولي فيها شُغل، فقال كُثيّر: أم جعفر والله بعضُ عبيد الزَّرانِيق[5]! فقلنا له: فأنشدنا بعضَ ما أحدثتَ به، فأنشدنا قوله:

---

(١) تلفف هنا: بمعنى تنكر حتى لا يعرفك أحد.

(٢) أومض: أشار إشارة خفيفة.

(٣) يتغشم: يتجنّى.

(٤) الدعيّ: الزنيم، اللاحق.

(٥) الزّرانيق: جمع زرنوق وهو النهر الصغير. وعبيد الزّرانيق: عبيد السقي.

يــا بَــيْــتَ عــاتِــكَــةَ الَّــذِي أتَــعَــزَّلُ حَــذَرَ الــعِــدا وبِــهِ الــفُــؤادُ مُــوَكَّــلُ

حتى أتى على آخرها، فقلت لكثير: قَاتلَه الله، ما أشعره، لولا ما أفسد به نَفسَه! قال: ليس هذا إفساداً، هذا خَسْفٌ إلى التُّخُوم، فقلت: صدقت، وانصرفنا من عنده، فقال: أين تريد؟ فقلت: إن شئت فمنزلي، وأحملك على البغلة، وأهب لك المِطْرف، وإن شئت فمنزلك ولا أرزؤك شيئاً، فقال: بل منزلي، وأبْذُلُ لك ما قَدرت عليه، وانصرفنا إلى منزله، فجعل يحدثني ويُنشدني حتى جاءت الظهر، فدعا لي بعشرين ديناراً وقال: استعِن بهذه يا أبا فراس على مقدمك، قلت: هذا أشد من حُمْلاَن بني زُرَيق، قال: والله إنك ما تأنَف من أخذ هذا من أحد، غيرِ الخليفة، قال الفرزدق: فجعلت أقول في نفسي: تالله إنه لمن قريش، وهممت ألا أقبل منه. فدعتني نفسي ـ وهي طَمِعَةٌ ـ إلى أخذها منه، فأخذتها.

معنى قول كُثَيّر للفرزدق: يابن الجعراء: يُعَيّره بِدُغَة، وهي أم عمرو بن تميم وبها يُضرب المثل في الحماقة، فيقال: هي أحمق من دُغَة، وكانت حاملاً، فدخلت الخلاء، فولدت، وهي لا تعلم ما الولد، وخرجت وسَلاها[1] بين رجليها، وقد استهل ولدها، فقالت: يا جارتا، أيَفْتَح الجعر[2] فاه؟ فقالت جارتها: نعم يا حمقاء، ويدعو أباه، فبنو تَمِيم يُعَيَّرُون بذلك، ويقال للمنسوب منهم: يابن الجعراء.

[بعض أخباره وشعره]

أخبرني الحرميُّ، عن الزبير قال: حدّثني سُليمانُ بن داود المجمعيّ، قال: اجتاز السّريّ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عُتبة بن عويمر بن ساعدة الأنصاريّ بالأحوص وهو ينشد قوله:

يــا بَــيْــتَ عــاتِــكَــةَ الَّــذِي أتَــعَــزَّلُ

فقال السّريّ: [الكامل]

يـا بـيـتَ عـاتِـكَـةَ الـمُـنَـوَّهَ بـاسْـمِـهِ اقْعُـد على مَنْ تَحْتَ سَقْفِكَ واعْـجَلِ

(١) السلا: غشاء رقيق يحيط بالجنين ويخرج معه من بطن أمه.
(٢) الجعر: ما يبس من العذرة.

فواثَبَه الأحوصُ، وقال في ذلك:

فـأنْتَ وشتـمـي فـي أكـارِيـسِ مـالـكٍ ... وَسَبِّي بِهِ كالكَلْب إذ يَنْبَحُ النَّجْما[1]

تَـداعَـى إلـى زَيْـدٍ ومـا أنْـتَ مِـنْـهُـمُ ... تَــحُــقُّ أَبــاً إلاَّ الــولاءَ ولا أمّــا[2]

وإنَّـكَ لـو عَـدَّدْتَ أحـسـابَ مـالِـكٍ ... وأيّامَهـا فيـهـا ولـم تنطق الرَّجْما[3]

أعـادتْـكَ عَـبْـداً أوْ تـنَـقَّـلْـتَ كـاذِبـاً ... تَلَمَّسُ في حَيٍّ سِوَى مالِكٍ جِذْما[4]

وما أنا بـالـمَحْسوسِ في جِذْمِ مالـكٍ ... ولا بـالـمُـسَمَّـى ثـم يَـلْـتَـزِمُ الإِسْـمَـا

وَلٰـكِـنْ أَبِـي لَـوْ قَـدْ سَـأَلْـتَ وَجَـدْتَـهُ ... تَوَسَّطَ منها العِزَّ والحَسَبَ الضَّخْما

فأجابه السّريُّ فقال: [الوافر]

سـألـتُ جَـمِـيـعَ هٰـذا الـخَـلْـقِ طُـرًّا ... مـتـى كـانَ الأُحَـيْـوِصُ مـن رِجـالِـي

وهي أبيات ليست بجيدة ولا مختارة، فألغَيْتُ ذكرها.

[شعره يسعف دليل المنصور]

أخبرني محمد بن أحمد بن الطّلاّس أبو الطيّب، عن أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، وأخبرني به الحَرَمِيّ، عن الزبير، قال: حدثني عمي - وقد جمعت روايتيهما - أنّ المنصورَ أمر الرّبيع لما حجّ أن يُسايره برجل يعرف المدينة وأهلها وطرقَها ودُورَها وحيطانها، فكان رجل من أهلها قد انقطع إلى الربيع زماناً، وهو رجل من الأنصار، فقال له: تهيأ فإني أظن جَدَّك قد تحرَّك، إن أمير المؤمنين قد أمرني أن أُسايره برجل يعرف المدينة وأهلها وطرقها وحيطانها ودورها فتَحسَّسْ موافقته ولا تبتدئه بشيءٍ حتى يسألك، ولا تكتُمه شيئاً، ولا تسأله حاجة. فغدا عليه بالرجل، وصَلَّى المنصور، فقال: يا ربيعُ، الرجل، فقال: ها هو ذا، فسار معه يخبره عما سأل حتى ندر[5] من أبيات المدينة، فأقبل عليه المنصور، فقال: من أنت أولاً؟ فقال: من لا تبلغُه معرفتُك - هكذا ذكر الخرّاز وليس في رواية الزبير - فقال: ما لك من الأهل والولد؟ فقال: والله ما تزوجتُ، ولا لِي خادمٌ، قال: فأين

(١) الأكاريس: الجماعات. والكرس ما تجمع وتلبد من التراب وأبعار الغنم في الدار.

(٢) تداعى: حذفت منه إحدى التاءين «تتداعى» والمعنى تنسب إلى زيد ولست منهم.

(٣) الرجم: الظن من غير دليل.

(٤) تلمّس: تتلمس «حذفت منه إحدى التاءين». والجذم: الأصل، الأرومة.

(٥) ندر: خرج.

منزلك؟ قال: ليس لي منزل، قال: فإن أمير المؤمنين قد أمر لك بأربعة آلاف درهم، فرمى بنفسه فقبَّلَ رجله، فقال له: اركب، فركب، فلما أراد الانصراف قال للربيع: يا أبا الفضل، قد أمَرَ لي أمير المؤمنين بصلة، قال: إيه، قال: إن رأيت أن تنجِّزَها لي، قال: هيهات، قال: فأصنع ماذا؟ قال: لا أدري والله - وفي رواية الخراز أنه قال: ما أمر لك بشيء، ولو أمر به لدعاني، فقال: أعْطه أو وقِّعَ إليَّ - فقال الفتى: هذا همٌّ لم يكن في الحساب، فلبِثتُ أياماً، ثم قال المنصور للربيع: ما فعلَ الرجل؟ قال: حاضر، قال: سايرنا به الغداة، ففعل، وقال له الربيع: إنه خارج بعد غد، فاحتلْ لنفسك، فإنه والله إن فاتك فإنه آخرُ العهد به، فسار معه، فجعل لا يمكنه شيءٌ حتى انتهى إلى مسيره، ثم رجع وهو كالمُعْرِض عنه، فلما خاف فوتَه أقبل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، هذا بيتُ عاتكة، قال: وما بيتُ عاتكة؟ قال: الذي يقول فيه الأحوصُ:

يا بيتَ عاتكة الذي أتعزل

قال: فَمَهْ، قال: إنه يقول فيها:

إنّ امْرَأً قد نالَ منكَ وسيلةً ... يَرْجُو منافِعَ غيرِها لَمُضَلَّلُ
وأراكَ تَفْعَلُ ما تَقُولُ وبَعْضُهُمْ ... مَذِقُ الحَدِيثِ يقولُ ما لا يَفْعَلُ

فقال الزّبير في خبره: فقال له: لقد رأيتُك أذكرتَ بنفسك، يا سليمان بن مخلد، أعطه أربعة آلاف درهم، فأعطاه إياها، وقال الخرّاز في خبره: فضحك المنصور، وقال: قاتلك الله، ما أظرفك، يا ربيعُ أعطِه ألف درهم، فقال: يا أمير المؤمنين إنها كانت أربعةَ آلاف درهم، فقال: ألفٌ يُحَصَّل خير من أربعة آلاف لا تُحصَّل.

وقال الخراز في خبره: حدّثني المدائني، قال: أُخِذ قومٌ من الزنادقة، وفيهم ابنٌ لابنِ المقفع، فمرّ بهم على أصحاب المدائن، فلما رآهم ابنُ المقفع خَشِي أن يُسَلّم عليهم فيُؤْخَذ، فتمثَّل: [الكامل]

يا بَيْتَ عاتِكةَ الذي أتَعَزَّلُ ... حَذَرَ العِدا وبه الفؤادُ مُوكَّلُ

الأبيات، ففَطِنوا لما أراد، فلم يُسلّموا عليه، ومضى.

[الأحوص ومعبد عند يزيد بن عبد الملك]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ عن ابن شَبَّة، قال: بلغني أنّ يزيدَ بنَ عبد الملك كتب إلى عامله أن يُجَهّز إليه الأحوصَ الشاعر ومعبداً المُغَنّي.

فأخبرنَا محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبدُ الله بنُ شبيب، قال: حدثني إسماعيل بن أبي أويس، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا سلمة بن صفوان الزّرقي، عن الأحوص الشاعر ـ وذكر إسماعيل بن سعيد الدمشقي ـ: أنّ الزُّبير بن بكّار حدثه عن ابن أبي أويس، عن أبيه، عن مسلمة بن صفوان، عن الأحوص، وأخبرني به الحرمي، عن الزبير، عن عمه، عن جرير المدينيّ المغني، وأبو مسكين، قالوا جميعاً: كتب يزيدُ بن عبد الملك في خلافته إلى أمير المدينة ـ وهو عبدُ الواحد بن عبد الله النّصريّ ـ أن يحمل إليه الأحوص الشاعر ومَعْبداً المغني مولى ابن قَطَن قال: فجُهِّزنا وحُمِلنا إليه، فلما نزلنا عُمانَ أبصرنا غديراً وقصوراً، فقعدنا على الغدير وتحدثنا وذكرْنا المدينة، فخرجتْ جارية من بعض تلك القصور، ومعها جرة تريد أن تستقِي فيها ماءً، قال الأحوص، فتغنّت بمدحي في عُمَر بن عبد العزيز:

يــا بَــيْــتَ عــاتِــكَــةَ الــذي أَتــعَــزَّلُ

فتغنت بأحسن صوت ما سمعْتُه قطّ، ثم طربت، فألقت الجرة فكسرتها، فقال مَعبد: غنائي والله، وقلت: شعري والله، فوثبنا إليها، وقلنا لها: لمن أنت يا جارية؟ قالت: لآل سعيد بن العاص ـ وفي خبر جرير المغني: لآل الوليد بن عقبة ـ ثم اشتراني رجل من آل الوحيد بخمسين ألفَ درهم، وشُغف بي، فَغَلَبَتْه بنتُ عم له طرأت عليه، فتزوّجها على أمري، فعاقَبتْ منزِلتُها منزلتِي، ثم علا مكانُها مكاني، فلم تزدها الأيّامُ إلا ارتفاعاً، ولم تزدني إلا اتضاعاً، فلم ترضَ منه إلا بأن أخدمها، فوكلتني باستقاء الماء، فأنا على ما تريان، أخرج أستقي الماء، فإذا رأيت هذه القصورَ والغُدرانَ ذكرتُ المدينة، فطربت إليها، فكسَرْتُ جرتي، فيعذلني أهلي، ويلومونني. قال: فقلت لها: أنا الأحوص، والشعر لي، وهذا مَعْبد، والغناء له، ونحن ماضيان إلى أمير المؤمنين، وسنذكرُك له أحسنَ ذكر. وقال جرير في خبره ووافقه وكيع، ورواية عمر بن شبة، قالوا: فأنشأت الجارية تقول:

إنْ تَـرَوْنـي الـغَـداةَ أَسْـعَـى بِـجـرٍّ أسـتَـقِـي الـمـاءَ نَـحْـوَ هـذا الـغَـديـرِ

فلقد كُنْتُ في رَخاءٍ مِنَ العَيْـ / ـشِ وفي كُلِّ نِعْمَةٍ وسُرورِ
ثُمَّ قد تُبصِرانِ ما فيه أمْسَيْـ / ـتُ وماذا إليه صارَ مَصيري
فإلى الله أَشْتَكي ما أُلاقي / مِنْ هَوانٍ وما يُجِنُّ ضَميري
أَبْلِغا عَنّي الإمامَ وما يَعْـ / ـرِفُ صِدْقَ الحَديثِ غَيْرُ الخَبيرِ
أَنَّني أَضْرَبُ الخَلائقِ بالعُو / دِ وأَحْكاهُم بِبَمٍّ وزيرِ(١)
فَلَعَلّ الإلهَ يُنقِذُ مما / أنا فيه فإنّني كالأسيرِ
ليتني مِتُّ يَوْمَ فارَقْتُ أَهْلي / وبلادي فزُرْتُ أَهْلَ القُبورِ
فاسْمَعا ما أَقُولُ لَقّاكما / الله نجاحاً في أَحْسَنِ التَّيْسيرِ

فقال الأحوص من وقته:

صوت [الخفيف]

إنّ زَيْنَ الغَديرِ مَنْ كَسَرَ الجَرَّ / وَغَنَّى غِناءَ فَحْلٍ مُجيدِ
قُلْتُ: مَنْ أَنْتِ يا ظَعِينُ فقالَتْ: / كُنْتُ فيما مَضَى لآلِ الوَليدِ

وفي رواية الدّمشقي:

قُلْتُ: مِنْ أَيْن يا خَلوبُ فقالَتْ: / كُنْتُ فيما مَضَى لآلِ سَعيدِ(٢)
ثُمَّ أصْبحْتُ بَعْدَ حيٍّ قُرَيشٍ / في بني خالِدٍ لآلِ الوَحيدِ
فغِنائي لِمَعْبَدٍ وَنَشيدي / لفتى النّاسِ الأحْوَصِ الصِّنْديدِ(٣)
فَتَباكَيْتُ ثُمَّ قُلْتُ: أنا الأحْـ / ـوَصُ والشَّيْخُ مَعْبَدٌ فأعِيدي
فأعادَتْ لنا بِصَوْتٍ شَجِيٍّ / يَتْرُكُ الشَّيْخَ في الصِّبا كالوَليدِ

وفي رواية أبي زيد:

فأعادَتْ فَأَحْسَنَتْ ثُمَّ ولَّتْ / تَتَهادَى فَقُلْتُ قَوْلَ عَميدِ
يعجِزُ المالُ عَنْ شِراكِ ولكن / أنتِ في ذِمّةِ الهُمامِ يَزيدِ(٤)
ولكِ اليَوْمَ ذِمّتي بوفاءٍ / وعلى ذاكِ مِنْ عِظامِ العُهودِ

---

(١) البمّ: الوتر الغليظ من أوتار المزهر. والزير: الدقيق من الأوتار أو أحدّها.
(٢) الخلوب: التي تفتن القلوب وتخدعها.
(٣) الصنديد: الشديد.
(٤) الهمام: البطل، الشجاع.

أَنْ سَيجْرِي لَكِ الحَدِيثُ بِصَوْتٍ مَعْبَدِيٍّ يَرُدُّ حَبْلَ الوَرِيدِ
يَفْعَلُ الله ما يَشاءُ فَظُنِّي كُلَّ خَيْرٍ بنا هناكَ وزِيدِي
قالَتِ القَيْنَةُ الكَعَابُ: إلى اللَّهِ أُمورِي وأرْتَجِي تَسْدِيدِي

غَنّاه معبد ثاني ثقيل بالبنصر من رواية حبش والهشامي وغيرِهما، وهي طريقة هذا الصوت، وأهلُ العِلْم بالغناء لا يصححونه لمعبَد.

قال الأحوص: وضع فيه معبَدٌ لحناً فأجادَه، فلما قَدِمنا على يزيدَ قال: يا مَعْبَد أَسْمِعنِي أحدثَ غِناء غنَّيتَ وأَطْرَاه، فغناه معبد: [الخفيف]

إنّ زَيْنَ الغَديرِ مِنْ كَسَرَ الجَرَّ وغَنَّى غِناءَ فَحْلٍ مُجِيدِ

فقال يزيدُ: إن لهذا لَقِصَّة فأَخْبِراني بها، فأخْبراه، فكتب لعامِله بتلك الناحية: إنَّ لآل فلان جاريةً، من حالها ذيت وذيت، فاشْتَرِها بِمَا بَلَغَت، فاشتراها بمائة ألف درهم، وبعث بها هديَّة، وبعث معها بألطافٍ[1] كثيرة، فلما قَدِمَتْ على يزيدَ رأى فضلاً بارِعاً فأُعْجِبَ بها، وأجازها، وأَخْدَمَها، وأقطعها، وأفرد لها قصراً، قال: فوالله ما برحنا حتى جاءتنا منها جوائز وكُساً وطُرَف.

وقال الزبير في خبره عن عَمّه قال: أظن القصة كلها مصنوعة، وليس يشبه الشِّعرُ شعرَ الأحوص، ولا هو من طرازِه، وكذلك ذَكَرَ عُمر بن شبّة في خبره.

[شعره أنذر بزوال بني أمية]

أخبرني الحَرميّ، عن الزّبير قال: سمعت هشامَ بنَ عبد الله بن عِكْرِمة يحدّث عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، قال: كنتُ مع يزيد بنِ عُمَرَ بن هبيرة ليلة الفرات، فلما انهزم الناسُ التفتَ إليّ فقال: يا أَبَا الحارث، أَمْسَيْنَا والله وهُم كما قال الأحوص: [الكامل]

أَبْكِي لما قَلَبَ الزَّمانُ جَدِيدَهُ خَلَقاً وَلَيْسَ على الزَّمانِ مُعَوَّلُ

أخبرني الحَرميّ عن الزبير عن محمد بن محمد العُمَريّ، أنّ عاتكةَ بنتَ عبد الله بن يزيدَ بن معاوية رُئِيت في النّوم قبل ظُهورِ دَوْلة بَنِي العباس على بَنِي أمية

(١) الألطاف: جمع لطف وهو الهدية.

كأنّها عُريانة ناشِرَةٌ شعرَها تقول: [الكامل]

أَيْنَ الشَّبابُ وَعَيْشُنا اللّذُّ الذي كُنَّا به زَمَناً نُسَرُّ ونُجذَل
ذَهَبَتْ بَشاشتُهُ وأصبَحَ ذِكرُهُ حُزْناً يُعَلُّ به الفؤادُ ويُنْهَل

فتأول الناس ذلك بزَوال دنيا بني أمية، فكان كما قالوا.

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الجمحي، عن شيخ من قريش، أنه رأى في النوم امرأة من ولد عثمان بن عفان على منايم على دار عثمان المقبلة على المسجد، وهي حاسرة في يديها عود وهي تضرب به وتغني:

أَيْنَ الشَّبابُ وَعَيْشُنا اللّذُّ الذي كنا به يَوْماً نُسَرُّ ونُجْذَلُ
ذَهَبَتْ بَشاشَتُهُ وأَصْبَحَ ذِكْرُهُ حُزناً يُعَلَّ به الفُؤادُ ويُنْهَلُ

قال: فما لبثنا إلا يسيراً حتى خرج الأمر عن أيديهم، وقتل مروان.

قال إسحاق: المنامة: الدكان وجمعها منايم.

صوت

[مجزوء الكامل]

يا هِنْدُ إنَّكِ لو عَلِمْـ ـتِ بِعَاذلَيْنِ تَتَابعا
قالا فَلَمْ أسْمَعْ لِمَا قالا وقُلْتُ بَلِ اسْمَعا
هِنْدُ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ مالي وروحيَ فارْجِعَا
ولقد عَصَيْتُ عَواذِلي وأطعْتُ قَلْباً مُوجَعا

الشعر لعبد الله بنِ الحسن بنِ الحسن عليه السلام، والغناء لابن سُرَيْج، ولحنه فيه لحنان أحدهما من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر رَمَل بالوسطى عن عمرو، وفيه خفيف ثقيل، ذكر أبو العُبَيس أنه لابن سريج وذكر الهشامي وابنُ المكيِّ أنه للغريض، وذكر حَبَش أن لإبراهيم فيه رملاً آخر بالبنصر، وقال أحمَدُ بنُ عُبَيْد: الذي صح فيه ثقيل الأول وخفيفه ورمله، وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لابن عبّاد.

ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن
ونسبه وأخباره وخبر هذا الشعر

[٧٠ ـ ١٤٥ هـ/ ٦٩٠ ـ ٧٦٢ م]

[نسبه وكنيته]

عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ـ عليهم السلام ـ وقد مضى نسبُه في أخبار عمِّه الحسينِ صلواتُ الله عليه في شِعرِه الذي يقول فيه: [الوافر]

لَعَمْرُكَ إنَّني لأُحِبُّ داراً تَحلُّ بِهَا سُكَيْنَةُ والرَّبابُ

ويُكنى عبدُ الله بنُ الحسن أبا محمد، وأمُّ عبدِ الله بنِ الحسن بن الحَسَن فاطمةُ بنتُ الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، وأمُّها أم إسحاق بنتُ طلحةَ بن عبيد الله، وأُمُّها الجرباء بنت قُسامةَ بن رومان من طيىء.

أخبرني أحمد بن سعيد، قال: حدثنا يحيى بنُ الحسن، قال: إنما سُمِّيت الجَرباء لِحُسْنها، كانت لا تقف إلى جنبها امرأةٌ ـ وإن كانت جميلة ـ إلا استُقْبِحَ منظرُها لجمالها، وكان النساء يتحامَيْنَ[1] أن يَقِفْنَ إلى جنبها، فشُبّهت بالنّاقة الْجَرباء التي تتوقّاها الإبلُ مخافةَ أن تُعْدِيَها.

وكانت أم إسحاق من أجمل نساء قريش وأسوئِهن خُلُقاً، ويقال إن نساء بني تَيْم كانت لهنّ حُظْوةٌ عند أزواجهنّ على سوء أخلاقهنّ، ويروى أن أَمَّ إسْحاقَ كانت ربّما حملت وولدت وهي لا تُكَلِّمُ زَوْجَها.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمّه بذلك قال: وقد

(١) يتحامين: يتجنبن.

كانت أم إسحاق عند الحسن بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه قبل أخيه الحسين عليه السلام، فلما حضرتْه الوفاةُ دعا بالحسين صلوات الله عليه فقال له: يا أخي إنّي أرضى هذه المرأة لك، فلا تَخْرُجَنَّ من بيوتكم، فإذا انقضت عِدَّتُها فَتَزَوَّجْها. فلما تُوفّي الحَسَن عنها تزوجها الحسين عليه السلام، وقد كانت ولدت من الحسن عليه السلام ابنَه طلحة بن الحسن، فهو أخو فاطمة لأمها وابن عمها، وقد درج طلحة ولا عقب له.

ومن طرائف أخبار التَّيْمِيَّات من نساء قريش في حظوتهن وسوء أخلاقهن ما أخبرنا به الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن محمد بن عبد الله، قال: كانت أمُّ سلمة بنتُ محمد بنِ طلحة عند عبد الله بن الحسن وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة وتُغْلِظ له، ويَفْرَق[1] منها ولا يخالفها، فرأى يوماً منها طيبَ نَفْس، فأراد أن يشكو إليها قسوتها، فقال لها: يا بنتَ محمد، قد أُحرِق والله قلبي... فَحَدَّدَتْ له النَّظَر، وجمعت وجهها وقالت له: أحرقَ قلبَك ماذا؟ فخافها فلم يقدر على أن يقول لها: سوءُ خُلقك، فقال لها: حُبُّ أبي بَكْر الصّدّيق، فأمسكتْ عنه.

وتزوَّجَ الحسنُ بن الحسن فاطمةَ بنتَ الحُسَيْن في حَياة عَمّه، وهو - عليه السلام - زوَّجَهُ إيّاها.

[زواجه فاطمة بنت الحسين]

أخبرني الطوسيّ والحَرميّ، عن الزبير، عن عمه بذلك وحدثني أحمدُ بن محمد بن سعيدٍ عن يحيى بن الحَسَن عن إسماعيلَ بن يعقوبَ، قال: حدثني جَدّي عبدُ الله بنُ مُوسَى بن عبد الله بن الحسن، قال: خطب الحسن بن الحسن إلى عمه الحُسَينِ - صلوات الله عليه - وسأله أن يزوِّجه إحدى ابنتيه، فقال له الحسين عليه السلام. اختَرْ يا بُنَيَّ أحبَّهما إليك، فاستَحْيا الحسن، ولم يُحر جواباً، فقال له الحسين عليه السلام: فإني اخترتُ منهما لك ابنتي فاطمة، فهي أكثر شبهاً بأمّي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرني الطوسيّ والحرميّ عن الزبير عن عمه مصعب، أنَّ الحَسَن لمَّا خَيَّره عمُّه اختار فاطمة، وكانوا يقولون: إنَّ امرأةً، سُكَيْنَة مردودتها، لمنقطعةُ القَرين في الجَمال.

---

(١) يفرق: يخاف.

[قوله حين وفاته]

أخبرني الطوسيّ والحرميّ بن أبي العلاء، عن الزبير بن بكار، وأخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، عن أحمد بن يحيى وأحمدَ بن زهير، عن الزبير، وأخبرني أحمدُ بن سعيد، عن يحيى بن الحسن، عن الزبير بن بكار واللفظ للحَسَن بن علي، وخبرُه أتمّ، قال: قال الزبير: حدثني عمي مصعب ولم يذكر أحداً. وأخبرني محمدُ بن يحيى عن أيوبَ، عن عمر بن أبي المَوالِي، قال الزبير: وحدثني عبد الملك بنُ عبد العزيز بنِ يُوسُف بنِ الماجَشون، وقد دخل حديثُ بعضهم في بعض حديثِ الآخرين: أنّ الحسن بن الحسن لما حضرتْه الوفَاةُ جَزِع، وجعل يقول: إني لأجِد كَرْباً ليس إلا هو كربَ الموت، وأعاد ذلك دفعات، فقال له بعض أهله: ما هذا الجزع، تُقدِم على رسول الله ﷺ وهو جَدُّك وعلى عَلِيّ والحَسَن والحُسَيْن - صلوات الله عليهم - وهم آباؤُك! فقال: لعمري إنّ الأمرَ لكذلك، ولكن كأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان حين أموت وقد جاء في مُضَرَّجَتَيْن[1] أو مُمَصرتين وهو يُرجّل جُمَّتَه[2] يقول: أنا من بني عبد مناف جئتُ لأشْهَد ابنَ عمِّي، وما به إلا أن يخطُب فاطمة بنتَ الحُسَين، فإذا جاء فلا يَدْخُلْ عَليَّ، فصاحت فاطمة: أتسمع؟ قال: نعم، قالت: أعْتقت كل مملوك لي، وتصدقت بكل ملك لي إن أنا تزوجتُ بعدك أحداً أبداً، قال: فسكن الحسن وما تنفّس ولا تحرّك حتى قَضَى، فلما ارتفع الصّياح أقبل عبد الله على الصِّفَةِ التي ذكرها الحسن، فقال بعضُ القوم: نُدخِله. وقال بعضهم: لا يَدْخُل، وقال قوم: لا يضرّ دُخُولُه، فدخل وفاطمة تَصُكُّ وجهها، فأرسل إليها وصيفاً كان معه، فجاء يتخطى النَّاسَ حتى دنا منها فقال لها: يقول لك مولاي أبقي على وجهك فإن لنا فيه أَرَباً، قال: فأرسلت يدَها في كُمّها واختمرتْ وعُرِف ذلك منها، فما لَطَمَتْ وجهَهَا حتى دُفِن صلوات الله عليه. فلما انقضت عِدَّتُها خَطَبَها فقالت: فكيف لي بِنَذْرِي ويميني؟ فقال: نخلف عليك بكل عبد عبدين، وبكل شيء شيئين، ففعل وتزوجته. وقد قيل في تزويجه إياها غيرُ هذا.

أخبرني به أحمدُ بن محمد بنِ إسماعيل الهمدانيّ، عن يحيى بن الحسن

---

(١) ضرج الثوب: صبغه باللون الأحمر.

(٢) يرجّل: يزيّن. والجمة: ما ترامى من شعر الرأس على المنكبين.

العلويّ، عن أخيه أبي جعفر، عن إسماعيل بن يعقوب، عن محمد بن عبد الله البكريّ، أنّ فاطمة لما خطبها عبدُ الله أبت أن تتزوجه، فحلفتْ عليها أُمُّها لتتزوجَنَّه، وقامَتْ في الشّمس، وآلت لا تَبْرَح حتى تتزوجه، فكرهت فاطمةُ أن تُحرجَ، فتزوجته.

وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخَ أهله وسيّداً من ساداتهم ومقدَّماً فيهم فَضْلاً وعلماً وكرماً، وحبسه أبو جَعْفر المنصور في الهاشمية بالكُوفة لَمَّا خرج عليه ابناه محمدٌ وإبراهيمُ فمات في الحَبْسِ، وقيل إنَّه سقط عليه، وقيل غير ذلك.

[بعض صفاته وسماته وأخباره]

أخبرني أحمدُ بنُ محمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن عن عليِّ بن أحمد الباهليّ، قال: سمعتُ مُصعباً الزبيريَّ يقول: انْتَهى كلّ حُسْنٍ إلى عبد الله بنِ حسن، وكان يقال: مَنْ أحسنُ الناس؟ فيقال: عبدُ الله بنُ الحسن، ويقال: مَنْ أفضلُ الناس؟ فيقال: عبد الله بن الحسن.

حدثني محمد بن الحسن الخثْعَمِيُّ الأشناني والحسن بن عليّ السلوليّ قالا: حدثنا عبّاد بن يعقوب قال: حدّثنا تلميذُ بن سليمان، قال: رأيت عبدَ الله بن الحسن، وسمعتُه يقول: أنا أقربُ الناس إلى رسول اللهﷺ، ولدتْني بنتُ رسول اللهﷺ مرتين[1].

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن، عن إسماعيل بن يعقوب، عن عبد الله بن موسى، قال: أوّلُ من اجْتَمَعَت له وِلادةُ الحسنِعليه السلام والحسينِ ـ صلوات الله عليهما ـ عبدُ الله بن الحسنعليه السلام.

حدثني محمد بن الحسن الأشنانيّ، عن عبد الله بن يعقوبَ، عن بُنْدقة بن محمد بن حِجازة الدّهان قال: رأيت عبدَ الله بن الحسن، فقلت: هذا والله سَيّدُ الناس، كان مكسُوّاً نوراً من قرنه إلى قَدَمه.

قال عليُّ بن الحسين: وقد رُوِيَ ذلك في أخبار أبي جعفر محمد بن عليّعليه السلام، وأمُّه أمُّ عبد الله بنتُ الحسن بن عليعليه السلام.

(١) أي أنه ينتسب إلى رسول اللهﷺ من جهتين.

حدثني أحمَدُ بن محمد بن سَعِيد، عن يحيى بن الحسن، عن القاسم بن عبد الرزّاق قال: جاء منظورُ بنُ زَبَّانَ الفَزارِيُّ إلى حَسَنِ بن حَسَن ـ وهو جَدُّه أبُو أُمّه ـ فقال له: لعلك أحْدَثْتَ بعدي أهلاً؟ قال: نعم، تزوجت بنت عَمّي الحسين بن عليّ ـ عليه السلام ـ قال: بِئْسَما صنعتَ، أما علمت أن الأرحام إذا الْتَقَت أَضْوَتْ[1]، كان ينبغي أن تتزوج في الغُرُبِ، قال: فإن الله جل وعز قد رزقني منها ولداً، قال: أرِنِيه، فأخرج إليه عَبَد الله بن الحسن فسُرَّ به، وقال: أنجبت، هذا والله ليثُ غاب ومَعْدُوٌّ عليه، قال: فإن الله تعالى قد رزقني منها ولداً ثانياً، قال: فأرنيه، فأخرج إليه حسن بن حسن بن حسن، فسُرّ به، وقال: أنجبت، وهذا دون الأول، قال: فإن الله قد رزقني منها ولداً ثالثاً، قال: فأرنيه. فأراه إبراهيمَ بنَ الحسن.

حدثني أبو عُبَيْدٍ محمد بن أحمد الصيرفيّ، قال: حدثنا محمد بن علي بن خلَف قال: حدثنا عمر بن عبد الغفار قال: حدثنا سعيد بن أبانٍ القُرشيُّ قال: كنتُ عند عمر بن عبد العزيز، فدخل عبد الله بن الحسن عليه، وهو يومئذ شاب في إزارٍ ورداءٍ، فرحَّبَ به وأدناه وحيّاه، وأجلسه إلى جنبه وضاحكه، ثم غمز عُكْنة[2] من بطنه، وليس في البيت حينئذ إلا أمَوِيّ، فقيل له: ما حملك على غمز بطن هذا الفتى؟ قال: إني لأرجو بها شفاعةَ محمدﷺ.

حدثني عمر بن عبد الله بن جميل العتكيّ، عن عمرَ بن شبّة، عن إسماعيلَ بن جعفر الجعفريّ، قال: حدثني سعيد بن عقبة الجُهَنيّ قال: إني لعِندَ عبدِ الله بن الحسن إذ أتاني آتٍ، فقال: هذا رجل يدعوك، فخرجت، فإذا أنا بأبي عَدِيٍّ الشاعرِ الأمويّ، فقال: أعْلِم أبَا محمد، فخرج إليه عبدُ الله، وهم خائفون، فأمر له بأربعمائة دينار، وهِنْدٍ[3] بمائتي دينار، فخرج بستمائة دينار، وقد روى مالك بن أنس عَنْ عبدِ الله بنِ الحَسنِ الحديث.

حدثني أحمدُ بن محمد بنِ سَعِيدٍ عن يحيى بن الحسن قال: حدثنا عليُّ بنُ أحمد الباهليُّ عن مُصْعبِ بن عبد الله قال: سئل مالكٌ عن السَّدْل[4] قال: رأيت مَنْ يَرْضَى بِفعْله؛ عبد الله بن الحسنِ يفعلُه. والسبب في حَبْس عبدِ الله بنِ الحسن

---

(١) أضوت: دقت وضمرت.

(٢) العُكْنة: ما انطوى وتثنى من لحم البطن.

(٣) الهِند: المائة من الإبل.

(٤) السَّدل: إرخاء الثوب والستر والشعر.

وخروج ابْنَيه وقتلِهما يَطولُ ذِكرهُ. وقد أتَى عُمَرُ بن شَبَّة منه بما لا يَزيدُ عليه أحدٌ إلا اليَسِير، ولكن من أخباره ما يَحسُن ذكره ها هنا فنذكرهُ.

أخبرني عُمرُ بن عبد الله العتكي عن عُمرَ بنِ شَبّة، قال: حدثني موسى بن سَعِيد بن عَبْد الرحمن وأيوبُ بنُ عُمر عن إسماعيلَ بنِ أبي عَمْرو قالوا: لَمَّا بنى أبو العَبّاس بِناءَه بالأنبار الذي يُدعَى الرُّصافةَ، رصافةَ أَبي العباس قال لعبدِ الله بن الحسن: ادخل فانظر ودخل معه، فلما رآه تمثل: [الوافر]

أَلَـمْ تَـرَ حَـوْشَـبـاً أمْـسَـى يُـبَـنِّـي ... بِـنـاءً نَـفـعُـه لـبـنِـي نُـفَـيْـلـه
يُـؤمِّـلُ أن يُـعَـمَّـرَ عُـمْـرَ نُـوحٍ ... وأَمْـرُ الـلَّـهِ يَـحْـدُثُ كُـلَّ لَـيْـلَـهْ

فاحتَملَه أبُو العَبَّاس ولم يُبَكته بها[1].

أخبرني عَمّي عن ابن شبّة عن يعقوب بن القاسم عن عَمْرو بن شهاب. وحدَّثني أحمدُ بنُ محمّد بنِ سَعِيدٍ عن يحيى بن الحَسَن عن الزُّبير عن محمد بنِ الضّحّاكِ عن أبيه قالوا: إن أبا العبَّاس كتب إلى عبد الله بن الحَسَن في تَغَيُّب ابنَيْه: [الوافر]

أُرِيــدُ حَـيــاتَــهُ ويُـريـدُ قَـتْـلِـي ... عَـذيـرَكَ مِـنْ خَـلِـيـلِـكَ مِـنْ مُـرادِ

قال عُمرُ بنُ شَبّة: وإنما كتب بها إلى محمد، قال عمر بن شَبَّة: فبعثوا إلى عبد الرحمن بنِ مسعود مولى أبي حنين، فأجابه: [الوافر]

وكَـيْـفَ يُـرِيـدُ ذاكَ وأَنْـتَ مـنـه ... بِـمَـنْـزِلَـةِ الـنِّـيـاطِ مِـنَ الـفُـؤادِ[2]
وكَـيْـفَ يُـرِيـدُ ذاكَ وأَنْـتَ مـنـه ... وزَنْـدُكَ حِـيـنَ تَـقْـدَحُ مِـنْ زِنـادِ
وكَـيْـفَ يُـرِيـدُ ذاكَ وأنـتَ مـنـه ... وأنـتَ لِـهَـاشِـمٍ رَأْسٌ وَهـادِ

أخبرني عُمرُ بن عبد الله بن شَبّة عن عِيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن الحسن بن زيد عن عبد الله بن الحسن قال: بينا أنا في سَمَر أبي العباس، وكان إذا تَثاءَب أو ألقى المِرْوحة من يَدِه قمنا، فألقاها ليلة فقمنا، فأمسكَني فلم يبقَ غيري، فأدخل يدَه تحت فراشه، وأخرج

(١) بكته: قرّعه ووبّخه.

(٢) النياط: عرق غليظ معلّق به القلب إلى الرئتين. وقد يسمى القلب بالنياط.

إضْبارة كُتُب وقال: اقرأ يا أبَا محمد، فقرأت فإذا كتابٌ من مُحمّد بن هِشام بن عمرو التّغلبيّ يدعوه إلى نَفْسِه، فلما قرأتُه قلت له: يا أمير المؤمنين، لك عهدُ الله ومِيثاقُه ألاّ ترى منهما شيئاً تكرهه ما كانا في الدنيا.

أخبرنا العتكيّ عن ابن شَبَّة عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمر، عن عبد الله بن عبدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: لما استُخلِف أبو جعفر ألحَّ في طلب مُحمَّد والمسألةِ عنه، وعمّن يُؤوِيه، فدعا بَنِي هاشم رجلاً رجلاً، فسألهم عنه، فكلهم يقول: قد عَلِم أمير المؤمنين أنك قد عَرفته بطلب هذا الشأن قبل اليوم، فهو يخافك على نفسه، ولا يريد لك خلافاً، ولا يحب لك معصية، إلاّ الحسن بن زيد فإنه أخبره خبرَه، فقال: والله ما آمنُ وثوبَه عليك، وأنه لا يَنامُ فيه. فَرَ رأيك فيه قال ابن أبي عبيدة: فأَيقَظ مَنْ لا ينام.

[المنصور يكلّف عقبة بالبحث عن عبد الله بن الحسن]

أخبرني عمر بن عبد الله بن شبّة عن عيسى بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ محمّد بن عُمَر بن علي بن أبي طالبﷺ عن محمدِ بن عِمْران عن عُقبَةَ بن سَلْم، أنّ أبا جَعْفرٍ دعاه، فسأله عن اسمه ونَسَبه، فقال: أنا عُقبَةُ بن سَلْم بنِ نافعِ بنِ الأَزْدَهَانيّ، قال: إني أرى لك هَيئَةً وموضعاً، وإني لأُرِيدك لأمرٍ أنا به معنيّ، قال: أرجو أن أُصدِّقَ ظنَّ أميرِ المؤمنين، قال: فأخفِ شخصَك، وائتِني في يوم كذا وكذا، فأتيتُه، فقال: إن بَنِي عَمّنا هؤلاء قد أبَوْا إلا كَيْداً بمُلكِنا، ولهم شِيعَةٌ بخراسان بقرْية كذا وكذا، يُكاتبونهم، ويرسلون إليهم بصدقات وأَلْطاف[1]، فاذهب حتى تأتيَهم مُتنكِّراً بكتاب تكتبُه عن أهل تلك القرية، ثم تسير ناحيتهم، فإن كانوا نزعوا عن رأيهم علمت ذلك، وكنت على حذر منهم حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشعاً، وإن جَبَهَك ـ وهو فاعل ـ فاصبر وعاوده أبداً حتى يأنسَ بك، فإذا ظهر لك ما في قلبه فاعجل إليّ. ففَعَل ذلك، وفُعِل به حتى أنِس عبد الله بناحِيته، فقال له عقبة: الجواب، فقال له: أمّا الكتاب فإني لا أكتُب إلى أحد، ولكن أنت كتابي إليهم، فأقرئهم السلام، وأخبرهم أن ابني خارج لوقت كذا وكذا، فشخص عُقبَةُ حتى قدِم على أبي جعفر، فأخبَره الخَبَر.

---

(١) ألطاف: هدايا.

[جواب عبد الله بن الحسن لما سأله المنصور عن ابنيه]

أخبرني العتكيّ عن عمر بن محمد بن يحيى بن الحارث بن إسحاق، قال: سأل أبو جعفر عبدَ الله بن الحسن عن ابنيه لما حَجّ، فقال: لا أعلم بهما، حتى تغالظا[١]، فأمضّه[٢] أبو جعفر، فقال له: يا أبا جعفر، بأيّ أمهاتي تُمِصُّني؟ أبخديجة بنت خويلد أم بفاطمةَ بنتِ رسول الله ﷺ، أم بفاطمة بنت الحسين - عليها السلام - أم بأم إسحاق بنت طلحة؟ قال: لا ولا بواحدة منهنّ، ولكن بالجرباء بنت قسامة فوثب المُسيَّب بنُ زهير، فقال: يا أمير المؤمنين، دعني أضرب عنق ابن الفاعلة، فقام زيادُ بن عبيد الله، فألقى عليه رداءه، وقال: يا أمير المؤمنين، هبه لي، فأنا المستخرج لك ابنيه، فتخَلَّصه منه.

قال ابنُ شَبَّة: وحدثني بكر بنُ عبد الله مولى أبي بكر، عن علي بن رباح أخي إبراهيم بن رباح، عن صاحب المصلَّى، قال: إني لواقِفٌ على رأس أبي جعفر وهو يتَغَدَّى بأوطاس[٣]، وهو مُتوجّه إلى مكة، ومعه على مائدته عبد الله بن الحسن وأبو الكرام الجَعْفَرِيّ وجماعة من بني العباس، فأقبل على عبد الله بن الحسن، فقال: يا أبا محمد؛ محمدٌ وإبراهيمُ أراهما قد استوحَشا من ناحِيتي، وإني لأُحِب أن يأنسا بي ويأتياني فأصِلَهُما وأُزوّجَهما، وأخلطهما بنفسي، قال: وعبد الله يطرق طويلاً، ثم يرفع رأسه ويقول: وحَقّك يا أمير المؤمنين ما لي بهما ولا بموضعهما من البلاد عِلم، ولقد خرجا عن يَدِي، فيقول: لا تفعل يا أبا محمد، اكتب إليهما وإلى من يُوصّل كتابك إليهما، قال: وامتنع أبو جعفر عن عامة غدائه ذلك اليوم إقبالاً على عبد الله، وعَبدُ الله يحلف أنه لا يعرَف موضِعَهما، وأبو جَعْفر يكرر عليه: لا تَفْعل يا أبا محمد.

قال ابن شبة: فحدَّثني محمد بن عباد عن السّندي بن شاهك، أن أبا جعفر قال لعقبة بن سَلْم: إذا فرغنا من الطَّعام فلحَظْتُك فامثُل بَيْن يدي عبد الله، فإنه سيَصْرِف بَصَره عنك، فَدُرْ حتى تغمز ظهرَه بإبهام رجلك، حتى يملأ عَيْنَيه منك، ثم حسبُك وإياك أن يراك ما دام يأكل، ففعل ذلك عُقبةُ، فلما رآه عبدُ الله وثب حتى

(١) تغالظا: أغلظ كل منهما الكلام لصاحبه.
(٢) أمضّه: سبّه قائلاً له: يا ماصّ كذا.. من أُمّه.
(٣) أوطاس: وادٍ وقعت فيه وقعة حنين. (انظر معجم البلدان ١/ ٢٨١).

جثا بين يَدَي أبي جعفر، وقال: يا أمير المؤمنين أقِلْني[١] أقالك الله، قال: لا أقالنِي الله إن أقَلْتُك، ثم أمر بحَبسه.

قال ابنُ شبة: فحدَّثني أيوبُ بنُ عمر، عن مُحمد بن خلف المَخْزوميّ قال: أخبرني العباسُ بنُ محمد بن علي بن عَبْد الله بن عباس قال: لمّا حَجَّ أبو جَعْفر في سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حَسَن، فإنهما وإياي لعنْده، وهو مَشغولٌ بكتاب ينظر فيه إذ تكلَّم المهديُّ فلَحَن[٢]، فقال عبدُ الله: يا أمير المؤمنين، ألا تأمر بهذا من يُعدِّل لِسانَه، فإنه يفعل فِعْل الأمة، فلم يَفْهم، وغمزْتُ عبد الله فلم ينتبه، وعاد لأبي جعفر فأُحْفِظ من ذلك، وقال له: أين ابنك؟ قال: لا أدري، قال: لتأتينّي به، قال: لو كان تحت قدميّ ما رَفعْتُهما عنه، قال: يا رَبيعُ فَمُرْ به إلى الحبس.

[وفاة عبد الله بن الحسن في الحبس]

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن قال: توفي عبد الله في مَحْبسه بالهاشمية[٣] وهو ابن خَمْس وسَبْعين سنة في سنة خمس وأربعين ومائة، وهند التي عناها عبدُ الله في شعره الذي فيه الغناء زوجته هند بنت أبي عُبَيدة بنِ عَبْد الله بن زمعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبدِ العُزّى بن قُصيّ، وأمها قرينة بنتُ يزيد بن عبد الله بن وَهْب بن زَمْعة بن الأسود بن المُطّلب. وكان أبو عبيدة جواداً ومُمَدَّحاً، وكانت هندُ قبلَ عبد الله بن الحسن تَحْت عَبدِ الله بن عَبْد الملك بن مروان، فمات عنها.

فأخبرني الحرميّ عن الزبير عن سليمان بن عيَّاش السعديّ قال: لما توفي أبو عبيدة وَجِدَتْ ابنَتُه هِنْد وَجْداً شديداً، فَكَلَّم عبدُ الله بن الحسن مُحَمد بن بشير الخارجي أن يدخل على هندَ بنْتِ أبي عُبَيدة، فيُعَزّيَها ويُؤسِّيَها عن أبيها، فدخل معه عليها، فلما نظر إليها صاح بأبْعد صوته: [الطويل]

قُومي اضْربي عَيْنَيْكِ يا هِنْدُ لَنْ تَرَيْ ... أباً مِثْلَهُ تَسْمُو إليه المَفاخِرُ
وكُنْتِ إذا أَسْبَلْتِ فَوْقَكِ والداً ... تَزِيني كما زانَ اليَدَيْنِ الأساوِرُ

---

(١) أقلني: أُعف عني واصفح.
(٢) لحن: أخطأ الصواب في الإعراب.
(٣) الهاشمية: مدينة بناها أبو العباس السفاح بالكوفة. (معجم البلدان ٥/٣٨٩).

فصَكَّت وجهَها، وصاحت بحَرَبها[١] وجهدها، فقال له عبد الله بن الحسن: ألهذا دخلت؟ فقال الخارجيّ: وكيف أُعَزِّي عن أبي عُبَيْدة وأنا أُعَزَّى به!

أخبرني العَتَكيّ، عن شَبَّة قال: حدثني عبدُ الرحمن بن جعفر بن سليمان، عن عليّ بن صالح، قال: زوّج عبد الملك بنُ مروان ابنه عبد الله هِندَ بنتَ أبي عُبيدة وريطةَ بنت عبد الله بن عبد المدان لِمَا كان يقال إنه كائِنٌ في أولادهما، فمات عنهما عبد الله أو طلقهما، فتزوج هنداً عبدُ الله بن الحسن، وتزوج ريطة محمدُ بن عليّ، فجاءت بأبي العباس السفاح.

أخبرني العتكيّ عن عمر بن شبة عن ابنِ داجة عن أبيه قال: لما مات عبد الله بن عبد الملك رجعت هِند بميراثها منه، فقال عبد الله بن حسن لأمه فاطمة: اخطُبِي عليّ هنْداً، فقالت: إذاً تَرُدَّك، أتطمَع في هند وقد وَرثت ما ورثته، وأنت تَرِبٌ[٢] لا مالَ لك؟ فتركها ومضى إلى أبي عبيدة أبي هند، فخطبها إليه، فقال: في الرَّحْب والسَّعَة، أمَّا مِنّي فقد زوّجتك، مكانك لا تَبْرَحْ، ودخل على هند، فقال: يا بنية، هذا عبد الله بن حسن، أتاك خاطباً، قالت: فما قلت له؟ قال: زوَّجته. قالت: أحسنت، قد أَجزتُ ما صنعْتَ. وأرسلت إلى عبد الله: لا تبرح حتى تدخلَ على أهلك. قال: فتزيَّنَتْ له فبات بها مُعَرّساً من ليلته، ولا تشعر أمه، فأقام سبعاً، ثم أصبح يوم سابعه غادياً على أُمّه وعليه رَدْع[٣] الطيب، وفي غير ثيابه التي تَعرِف، فقالت له: يا بنيّ، من أين لك هذا؟ قال: من عند التي زَعمْتِ أنها لا تريدني.

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلّبي وعَمّي عبدُ العزيز بنُ أحمد بن بَكّار، قالا: حدثنا الزبير قال: حدثتني ظبية مولاة فاطمة، قالت: كان جدّك عبدُ الله بنُ مَصْعَب يستنشدني كثيراً أبيات عَبْدِ الله بن حسن ويُعْجَب بها: [الخفيف]

إنَّ عَـيْـنـي تَـعَـوَّدَتْ كُـحْـلَ هِـنْـدٍ ... جَـمَـعَـتْ كَـفُّـهـا مَـعَ الـرِّفْـقِ لِـيـنـا

(١) الحرب: الهلاك وكانوا يقولون: وا حرباه عند الحزن على عزيز أي وا هلاكي.

(٢) التَّرِب: الفقير كأنه لفقره لصق بالتراب.

(٣) الرَّدع: أثر الطيب على الجسد.

صوت

[البسيط]

يـا عِـيـدُ مـا لـكَ مِـنْ شَـوْقٍ وإيـراقِ ومـرِّ طَـيْـفٍ عـلـى الأَهْـوالِ طَـرَّاقِ
يَسْرِي على الأيْنِ والحيَّاتِ مُحْتَفياً نَـفْـسـي فِـداؤُكَ مِـنْ سـارٍ عـلـى سـاقِ

عروضه من البسيط. العيد: ما اعتاد الإنسانَ من هَمّ أو شوق أو مرض أو ذِكْر. والأين والأيم: ضرب من الحيات. والأين: الإعياء أيضاً، وروى أبو عَمْرو:

يَـا عِـيـدُ قَـلْـبُـكَ مِـنْ شَـوْقٍ وإيـراقِ

الشعر لتأبط شَرّاً، والغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالوسطى من رواية يحيى المكي وحَبَش، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى إلى ابن محرز.

أخبار تأبط شرّاً ونسبه

[اسمه ونسبه ولقبه]

هو ثابت بن جابر بن سُفيان بن عُمَيْثل بن عديّ بن كعب بن حزن. وقيل: حرب بن تميم بن سعد بن فَهْم بن عمرو بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار. وأمّه امرأة يقال لها: أميمة، يقال إنها من بني القَيْن بَطْن من فَهْم ولدت خمسةَ نَفَر: تأبط شراً، ورِيش بِلَغْب، وريش نسر، وكعب جُدِر، ولا بَوَاكِي له، وقيل: إنها ولدت سادساً اسمه عمرو.

وتأبط شراً لقب لُقّب به، ذكر الرواة أنه كان رأى كبشاً في الصحراء، فاحتمله تحت إبطه، فجعل يَبول عليه طُولَ طريقه، فلما قَرُب من الحَيّ ثَقُل عليه الكَبْش، فلم يُقِلَّه[1] فرمى به فإذا هو الغول، فقال له قومه: ما تأبطت يا ثابت؟ قال: الغول. قالوا: لقد تأبطت شرّاً فسمّي بذلك. وقيل: بل قالت له أمه: كل إخوتك يأتيني بشيء إذا راح غيرَك، فقال لها: سآتيك الليلة بشيء، ومضى فصاد أفاعيَ كثيرة من أكبر ما قدر عليه، فلما راح أتى بهن في جراب متأبّطاً له، فألقاه بين يديها، ففتحته، فتساعَيْن في بيتها، فوثبت، وخرجت، فقال لها نساء الحي: ماذا أتاكِ به ثابت؟ فقالت: أتاني بأفاع في جراب. قُلن: وكيف حَمَلَها؟ قالت: تأبَّطها. قلن: لقد تأبط شراً، فلزمه تأبطَ شراً.

حدثني عمّي قال: حدثني علي بن الحسن بن عبد الأعلى عن أبي مُحلَّم بمثل هذه الحكاية وزاد فيها: أنّ أُمّه قالت له في زمن الكمأة: ألا تَرَى غِلمانَ الحي يجتنون لأهليهم الكمأة، فيروحون بها؟ فقال: أعطيني جرابَك، حتى أجتني لك فيه، فأعطته، فملأه لها أفاعيَ، وذكر باقي الخبر مثلَ ما تقدم.

(١) لم يقلّه: لم يستطع حمله، لم يستطع زحزحته ولا تحريكه.

ومَن ذكر أنه إنما جاءها بالغول يحتج بكثرة أشعاره في هذا المعنى، فإنه يصف لقاءه إيّاها في شعره كثيراً، فمن ذلك قوله: [المتقارب]

فَأَصْبَحَتِ الغُولُ لي جارةً فيا جارتا لكِ ما أهولا
فطالَبْتُها بُضْعَها فالْتَوَتْ عَلَيَّ وحاوَلْتُ أَنْ أَفْعَلا
فَمَنْ كانَ يَسْأَلُ عَنْ جارتي فَإِنَّ لها باللِّوى مَنْزلاَ[1]

[تأبط شرّاً أحد العدائين المشهورين عند العرب]

أخبرني عمّي عن الحَزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال: نزلت على حي من فهم إخوة بني عَدْوان من قيس، فسألتهم عن خبر تأبط شرّاً، فقال لي بعضُهم: وما سُؤَالك عنه، أتريد أن تكون لصّاً؟ قلت: لا، ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدَّائين، فأتحدَّث بها، فقالوا: نحدثك بخبره: إن تأبط شرّاً كان أَعدَى ذِي رِجْلين وذي ساقَيْن وذي عَيْنَيْن، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة، فكان ينظر إلى الظباء فينْتَقِي على نظره أسمَنها، ثم يجري خلفه فلا يَفُوته، حتى يأخذه، فيذبَحه بسَيْفه، ثم يَشْويه فيأْكُلَه. وَإنما سُمِّي تأَبط شرّاً لأنه ـ فيما حُكيَ لنا ـ لَقِيَ الغُولَ في ليلة ظلماء في موضع يقال له رَحَى بَطَان في بلاد هُذَيل، فأخذتْ عليه الطّريق فلم يَزل بها، حتى قَتلَها، وبات عليها، فلمّا أصبَح حَمَلها تحت إبطه وجاء بها إلى أَصحابه، فقالوا له: لقد تأَبّطت شرّاً، فقال في ذلك: [الطويل]

تَأَبَّطَ شَرّاً ثُمَّ راحَ أَوِ اغْتَدى يُوائم غُنْماً أو يَشِيف على ذَحْل[2]

يوائم: يوافق، ويشيف: يقتدر. وقال أيضاً في ذلك: [الوافر]

ألا مَنْ مُبلغٌ فِتيانَ فَهْمٍ بما لاقَيْتُ عِنْد رَحَى بطانِ[3]
وأنِّي قد لَقِيتُ الغُولَ تَهْوِي بسَهْبٍ كالصَّحِيفةِ صَحْصَحانِ[4]
فَقُلْتُ لها: كِلانا نِضْو أَيْنٍ أخو سفر فَخَلِّي لي مكاني
فَشَدَّتْ شدَّةً نَحْوي فأَهْوَى لها كَفِّي بمَصْقولٍ يَمانِي

---

(١) اللِّوى: وادٍ من أودية سليم. (معجم البلدان ٥/ ٢٣).
(٢) الذحل: الثأر.
(٣) رحى بطان: موضع.
(٤) السهب: الفلاة. والصحصحان: المستوية من الأرض.

فـأَضْـربُـهـا بـلا دَهَـشٍ فَـخَـرّتْ صَـريـعـاً لـلـيَـدَيْـنِ ولـلـجِـرانِ[١]
فـقـالـت عُـد، فَـقُـلْـتُ لـهـا رُوَيْـداً مـكـانَـكِ إنَّـنـي ثَـبْـتُ الـجـنـانِ
فَـلَـمْ أَنْـفَـكَّ مُـتّـكِـئـاً عـلـيـهـا لأنْـظُـرَ مُـصْـبِـحـاً مـاذا أتـانـي
إذا عـيـنـانِ فـي رَأْسٍ قَـبِـيـحٍ كَـرَأسِ الـهِـرِّ مَـشْـقـوقِ الـلِّـسـانِ
وسـاقـا مُـخْـدجٍ وشـواةُ كَـلْـبٍ وَثَـوْبٌ مِـنْ عَـبـاءٍ أو شِـنـانِ[٢]

أخبرنا الحسين بن يحيى، قال: قرأت على حمّاد: وحدثك أبوك عن حمزة بن عتبة اللِّهبي، قال: قيل لتأبط شرّاً: هذه الرجال غلبتّها، فكيف لا تنهشك الحيّات في سُراك؟ فقال: إني لأسري البَرْدَين. يَعْني أولَ اللّيل، لأنها تمور[٣] خارجة من حُجْرتها، وآخرَ الليل تمورُ مُقبِلة إليها.

قال حمزةُ: ولقي تأبّط شرّاً ذات يوم رَجُلاً من ثَقيف يقال له أبو وَهْب، كان جَباناً أهوجَ، وعليه حُلّة جَيّدة، فقال أبو وَهْب لتأَبَّط شَرّاً: بِمَ تغلب الرجال يا ثابت، وأنت كما أرى دَمِيمٌ ضَئِيل؟ قال: باسمي، إنما أقول ساعة ما ألقى الرَّجُل: أنا تأبط شرّاً، فينخلع قَلْبُه حتى أَنال منه ما أَردت، فقال له الثقفي: أقطّ قال: قَطّ، قال: فهل لك أن تبيعني اسمَك؟ قال: نعم، فبمَ تبتاعُه؟ قال: بهذه الحُلّة وبكنيتك قال له: أفعل، ففعل، وقال له تأبط شرًّا: لك اسمي ولي كنيتك، وأخذ حُلَّته وأعطاه طِمْرَيْه[٤]، ثم انصرف، وقال في ذلك يخاطب زوجة الثّقفيّ: [الطويل]

أَلا هَـلْ أَتـى الـحَـسْـنـاءَ أنّ حَـلِـيـلَـهـا تـأَبَّـطَ شَـرّاً واكْـتَـنَـيْـتُ أَبَـا وَهْـبِ
فَهَبْهُ تَـسمَّـى اسْـمي وسُمِّيتُ باسِمِهِ فأيْنَ له صَبْري على مُعْظَم الخَطْبِ؟
وأَيْـنَ لـه بـأسٌ كَـبَـأْسـي وسَـوْرتـي وأيْـنَ لـه فـي كُـلِّ فـادِحـةٍ قَـلْـبِـي؟

قال حمزة: وأحبّ تأبّط شرّاً جارية من قومه، فطَلَبها زماناً لا يقدر عليها، ثم لقِيتْه ذاتَ ليلة فأَجابته وأرادها، فعجز عنها، فلما رأت جَزَعه من ذلك تناومت عليه

(١) الجران: مقدم العنق.

(٢) أخدجت الناقة: ولدت قبل أوان الولادة. والشواة: قحف الرأس. والشنان: جمع شنّ وهو القربة الممزقة.

(٣) تمور: تندفع وتتحرك بسرعة.

(٤) الطمر: الثوب الخَلَق أو الكساء البالي.

فآنسته وهدأ، ثم جعل يقول: [الرجز]

مـا لـكَ مِـنْ أيْـرٍ سُـلِبْـتَ الـخـلّـه عَـجَـزْتَ عَـنْ جـاريـة رِفَـلَّـهْ[١]
تَـمْـشِـي إِلَـيْـكَ مـشـيـةً خَـوْزَلَّـهْ كَـمِـشْـيَـةِ الأرخِ تُـرِيـدُ الـعـلَّـهْ

الأرخ: الأنثى من البقر التي لم تُنتَج. العلة تريد أن تُعل بعد النهل، أي أنها قد رويت فمِشْيَتُها ثَقِيلة. والعل: الشّرب الثاني.

لـو أنَّـهـا راعِـيـةٌ فـي ثُـلَّـهْ تَـحْـمِـلُ قِـلْـعَـيْـنِ لـهـا قـبَـلّـهْ
لَـصِـرْتُ كـالـهـراوةِ الـعُـتُـلَّـهْ[٢]

○

[غزوة بجيلة وشعره]

أخبرني الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن أبي بركة الأشجعي قال: أغار تأبط شرّاً ـ وهو ثابت بن العميثل الفهمي، ومعه ابن براق الفهميّ على بَجيلة ـ فأطْرَدا لهم نَعَماً، ونَذَرت بهما بجيلة، فخرجت في آثارهما ومضيا هارِبَين في جبال السّراة، وركبا الحزن، وعارضتهما بَجيلة في السهل فسبقوهما إلى الوَهط ـ وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف ـ فدخلوا لهما في قصبة العين، وجاءا، وقد بلغ العَطَش منهما، إلى العَيْن، فلما وقفا عليها قال تأبط شرّاً لابن برّاق: أقِلّ من الشّراب فإنها ليلة طرد، قال: وما يدريك؟ قال: والذي أعدو بطيره، إنّي لأسمع وجيبَ قلوب الرجال تحت قدميّ. وكان من أسمَع العرب وأكيدِهم. فقال له ابنُ برّاق: ذلك وجيب قَلْبك. فقال له تأبّط شرّاً: والله ما وَجَب قَطّ، ولا كَان وَجّاباً، وضرب بيده عليه، وأصاخ نحو الأرض يستمع فقال: والذي أعدو بطيره، إني لأسمع وَجِيبَ قلوبِ الرّجال، فقال له ابنُ برّاق: فأنا أنزل قبلك، فنزل فبرك وشرب وكان أكَلّ القومِ عند بجيلة شوكة[٣]، فتركوه وهم في الظّلمة، ونزل ثابت، فلما توسط الماء وثَبوا عليه، فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفاً، وابنُ برّاق قريب منهم لا يطمعون فيهِ لمَا يَعْلمون من عَدْوه، فقال لهم ثابت: إنه من أصْلَف الناس وأشدّهم عُجْباً بعدوه، وسأقول له: استأسِرْ معي،

---

(١) الرفَلّة: السمينة المكتنزة.
(٢) العتلّة: الغليظة.
(٣) أكلّ شوكة: أقلّ قوة.

فسيدعوه عُجبه بعَدْوه إلى أن يَعْدُو من بين أَيْدِيكم، وله ثلاثة أطلاق: أولها كالرّيح الهابّة، والثاني كالفرس الجواد، والثالث يكبو فيه ويعثر، فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه فإني أُحِب أن يصير في أيديكم كما صِرت إذ خالفني ولم يقبل رأيي ونصحي له، قالوا: فافعل، فصاح به تأبط شرّاً: أنت أخي في الشدّة والرّخاء، وقد وعدني القومُ أن يَمُنّوا عليك وعليَّ، فاستأسِرْ، وَوَاسني بنفسك في الشدة، كما كنتَ أخي في الرخاء، فضحك ابنُ برّاق، وعلم أنه قد كادهم، وقال: مهلاً يا ثابت، أيستأسر مَنْ عنده هذا العَدْو؟ ثم عدا فعدا أول طَلَق مثل الريح الهابة كما وصف لهم، والثاني كالفرس الجواد، والثالث جعل يكبو ويَعْثُر ويقع على وجهه. فقال ثابت: خذوه، فعدوا بأجمعهم، فلما أن نَفّسَهم عنه شيئاً عدا تأبط شرّاً في كتافه، وعارضه ابن بُرّاق، فقطع كتافه، وأفلتا جميعاً، فقال تأبط شرّاً قصيدتَه القافيّة في ذلك: [البسيط]

يـا عـيـدُ مـا لَـكَ مِـنْ شَـوْقٍ وإيـراقِ ... ومَـرِّ طَـيْـفٍ عـلـى الأهْـوالِ طـرَّاقِ
يَسْري على الأيْنِ والحيّاتِ مُحْتَفِياً ... نَفْسي فداؤُك مِنْ سارٍ على ساقِ[1]
طيْف ابنة الحُرِّ إذْ كنّا نُواصِلُها ... ثم اجْتُنِبْتُ بها مِنْ بَعْدِ تَفراقِ
لـتَـقـرعِـنَّ عَـلَـيَّ الـسِّـنَّ مِـنْ نَـدَمٍ ... إذا تـذكّـرتِ يَـوْمـاً بَـعْـضَ أخْـلاقـي
تـالله آمَـنُ أُنْـثَـى بَـعْـدَمـا حَـلَـفَـتْ ... أَسْـمـاءُ بـالله مِـنْ عَـهْـدٍ ومـيـثـاقِ[2]
ممزوجَةَ الودِّ بينا واصلَتْ صَرَمَتْ ... الأوّلُ اللّذْ مَضَى والآخِرُ الباقِي[3]
فالأوّلُ اللّذْ مَضَى قالٍ مودّتَها ... واللّذُّ منها هُذاءٌ غَيْرُ إحْقاقِ[4]
تُعْطِيك وَعْدَ أمانيٍّ تَغُرُّ به ... كالقَطْر مَرَّ على صَخْبَانَ برّاقِ[5]
إنّي إذا خُلّةٌ ضَنَّتَ بنائِلها ... وأمْسَكَتْ بضعيفِ الحَبْلِ أحْذَاقِ[6]
نجوْتُ منها نجائي مِنْ بَجيلةَ إذ ... ألقيْتُ للقَوْمِ يَوْمَ الرّوعِ أرواقي[7]

وذكرها ابن أبي سعد في الخبر إلى آخرها.

---

(١) الأين: الحيّة الذكر.
(٢) تالله آمن أنثى: والله لا آمن أنثى.
(٣) صرمت: قطعت. واللّذ: الذي.
(٤) القالي: المبغض. والهذاء: الهذيان.
(٥) الصخبان: الشديد الصخب والضجيج.
(٦) حبل أحذاق: حبل مقطوع.
(٧) ألقى أرواقه: أسرع في عدوه. ويوم الروع: يوم الفزع الشديد.

وأما المفضّل الضّبيّ فذكر أن تأبط شَرّاً وعمرو بن بَرّاق والشّنْفَرَى - وغيره يجعل مكان الشنفرى السُّليك بن السّلكةَ - غَزَوا بَجِيلة فلم يظفروا منهم بِغرّة، وثاروا إليهم فأسروا عمراً، وكَتّفوه، وأفْلَتَهم الآخران عَدْواً، فلم يقدروا عليهما، فلما علما أن ابنَ برّاقٍ قد أُسِر قال تأبط شرّاً لصاحبه: امضِ فكن قريباً من عَمْرو، فإني سأتراءى لهمّ وأُطمعهم في نفسي حتى يَتباعَدُوا عنه، فإذا فعلوا ذلك فحُلّ كِتافَه وانْجُوَا، ففعل ما أمره به، وأقبل تأبط شرّاً، حتى تراءى لبَجِيلة، فلما رأوْه طمعوا فيه، فطلبوه، وجعل يُطمِعهم في نفسه، ويعدو عدواً خفيفاً يُقَرِّبُ فيه، ويسألهم تخفيف الفِدْية وإعطاءَه الأمانَ، حتى يستأسر لهم، وهم يُجيبونه إلى ذلك، ويطلبونه وهو يُحضِر إحضاراً خفيفاً، ولا يتباعد، حتى علا تَلْعَة[1] أشرف منها على صاحبَيْه، فإذا هما قد نَجَوَا، ففَطِنت لهما بَجِيلة، فألحقتهما طلباً ففاتاهم، فقال: يا معشر بَجِيلة أأعجبكم عَدوُ ابن برّاق اليوم، والله لأعدونّ لكم عَدْواً أُنسيكم به عَدْوَه، ثم عدا عدواً شديداً، ومضى وذلك قوله:

يـا عِـيـدُ مـا لَـك مـن شَـوقٍ وإبـراقِ

وأمّا الأصمعيّ فإنه ذكر فيما أخبرني به ابنُ أَبِي الأزهر عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عمه، أنّ بَجِيلة أمهلتْهُم حتى وَرَدُوا الماء وشَرِبوا وناموُا، ثم شَدُّوا عليهم، فأخذوا تأبّط شرّاً، فقال لهم: إن ابن بَرَّاق دَلاَّني[2] في هذا، وإنه لا يقدر على العَدْو لعقرٍ[3] في رجليه، فإن تبعتموه أخذتموه، فكتّفوا تأبّط شرًّا، ومضوا في أثر ابن براق، فلما بعدوا عنه عدا في كتافه ففاتهم، ورجعوا.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا أبو سَعِيد السكريّ قال: حدثنا ابنُ الأثرم، عن أبيه. وحدثنا محمدُ بن حَبِيب، عن أبي عمرو، قالا: كان تأبّط شرّاً يَعدُو على رجليه، وكان فاتِكاً شَدِيداً، فبات ليلة ذات ظلمة وبَرْق ورعد في قاع يقال له رحَى بِطَان، فلقيته الغُولُ فما زال يُقاتلها ليلتَه إلى أن أصبَح وهي تَطْلبُه، قال: والغول: سَبُعٌ من سِباع الجِنّ، وجعل يراوغها، وهي تَطلبه، وتلتمس غِرَّة منه، فلا تقدِر عليه، إلى أن أصبح، فقال تأبط شرّاً:

---

(١) التلعة: المرتفع.

(٢) دلاّه: أرسله.

(٣) العقر: أثر كالحزّ في الرجلين وجرح.

[الوافر]

أَلا مَنْ مُبلغٌ فِتيانَ فَهْمٍ ... بِما لاقَيْتُ عِندَ رَحَى بِطانِ
بِأنّي قد لَقِيتُ الغُولَ تَهوِي ... بِسَهْبٍ كالصَّحيفةِ صَحْصَحانِ
فقلتُ لها: كلانا نِضْوُ أينٍ ... أخو سَفَرٍ فخَلِّي لي مكاني
فَشَدَّتْ شدّةً نَحْوي فَأَهْوى ... لها كفِّي بِمَصْقولٍ يمانِي
فَأضربُها بلا دَهَشٍ فخَرَّتْ ... صريعاً لليدينِ وللجِرانِ
فقالت عُدْ، فقلتُ لها رويداً ... مكانَك إنني ثَبْتُ الجَنانِ
فَلَمْ أنْفَكَّ مُتَّكِئاً عليها ... لأَنْظُرَ مُصْبِحاً ماذا أتاني
إذا عينانِ في رَأْسٍ قَبيحٍ ... كَرَأْسِ الهِرِّ مَشْقوقِ اللّسانِ
وساقا مُخْدجٍ وشَواةُ كلبٍ ... وثَوْبٌ مِنْ عَباءٍ أو شِنانِ

قالوا: وكان من حديثه أنه خرج غازياً يريد بجيلة هو ورجل معه، وهو يريد أن يَغْتَرّهم[1] فيصيب حاجتَه، فأتى ناحية منهم، فقتل رجلاً، ثم استاق غنماً كثيرة، فَنَذروا بِه، فتبِعه بعضُهم على خيل، وبعضُهم رَجّالة، وهم كثير، فلما رآهم، وكان من أبْصَر الناس عرف وجوههم، فقال لصاحبه: هؤلاء قوم قد عرفتهم، ولن يُفارِقونا اليوم حتى يُقاتِلونا أو يظْفَروا بحاجتهم، فجعل صاحبُه ينظر، فيقول: ما أتبيّن أحداً، حتى إذ دهموهما قال لصاحبه: اشتدّ فإني سأمنعك ما دام في يدي سَهْم، فاشتد الرجل، ولقيهم تأبّط شرّاً، وجعل يَرْميهم حتى نَفِدت نبلُه، ثم إنه اشتدّ فمرّ بصاحبه فلم يطق شَدَّه، فقَتل صاحِبَه، وهو ابن عمٍّ لزَوْجَته، فلما رجع تأبّط شَرّاً وليس صاحبُه معه عرفوا أنه قد قُتل، فقالت له امرأته: تركتَ صاحِبَك وجئت مُتباطِئاً، فقال تأبط شراً في ذلك:

[الطويل]

ألا تِلكما عرسي منيعةُ ضُمِّنَتْ ... مِنَ اللَّهِ إثماً مُستَسِرّاً وعالِنا
تقول: تَرَكْتَ صاحِباً لك ضائِعاً ... وجئت إلينا فارِقاً مُتبَاطِنا[2]
إذا ما تَرَكْتُ صاحبي لثلاثة ... أو اثْنَيْنِ مِثْلَينا فلا أُبْتُ آمِنا
وما كُنْتُ أبّاء على الخِلّ إذ دعا ... ولا المَرْءِ يدعوني مُمِرًّا مُداهِنا
وكَرّي إذا أُكْرِهْتُ رَهْطاً وأَهْلَهُ ... وأرضاً يكونُ العَوْصُ فيها عُجاهِنَا[3]

(١) اغترهم: أخذهم على غفلة.
(٢) الفارق: الخائف، الجبان. والمتباطن: المليء البطن.
(٣) الرهط: موضع. والعوص: قبيلة. والعجاهن: القنفذ.

ولمّا سمعت العَوصَ تدعو تنفّرت عصافيرُ رأسي مِنْ غُواةٍ فَراتِنا(١)
ولم أنتظرْ أن يَدْهَموني كأنَّهم ورائيَ نَحْلٌ في الخليّةِ واكِنا(٢)
ولا أن تُصيبَ النّافذاتُ مقاتِلي ولم أكُ بالشَّدِّ الذّليقِ مُدايِنا(٣)
فأَرْسَلْتُ مثنيّاً عَنِ الشَّدِّ واهِناً وقُلْتُ تَزَحْزَحْ لا تكونَنّ حَائِنا(٤)
وحثحثتُ مَشْعوفَ النَّجاءِ كأنَّهُ هِجفّ رأى قصراً سِمالاً وداجنا(٥)
من الحُصِّ هِزْروفٌ يَطيرُ عِفاؤهُ إذا اسْتَدْرَجَ الفَيْفا ومَدَّ المغابِنا(٦)
أزجُّ زَلوجٌ هذرفيٌّ زفازفٌ هِزَفٌّ يبذُّ الناجيات الصوَّافِنا(٧)
فزحزحت عنهم أو تجِئْني مَنِيَّتي بغبراءَ أو عرفاءَ تَفْرِي الدَّفائنا(٨)
كأنّي أراها المَوْتَ لا درّ دَرُّها إذا أمكنَتْ أنيابَها والبراثِنا(٩)
وقالَتْ لأُخْرى خَلْفَها وبناتِها حتوفٌ تُنَقِّي مُخَّ مَنْ كان واهِنا(١٠)
أخاليجُ ورَّادٍ على ذي محافل إذا نزعوا مدّوا الدِّلا والشَّواطِنا(١١)

وقال غيره: بل خرج تأبّط شرّاً هو وصاحبان له، حتى أغاروا على العوص من بجيلة، فأخذوا نعماً لهم، واتبعتهم العَوْص، فأدركوهم، وقد كانوا استأجروا لهم رجالاً كثيرة، فلما رأى تأبّط شرّاً ألاّ طاقة لهم بهم شَمّر وتركهما، فقُتِل صاحباه، وأُخِذت النعم، وأفلَتَ، حتى أتى بني القَيْن من فَهْم، فبات عند امرأة منهم يتحدث

(١) تدعو: أي تدعو إلى الحرب. وتنفرت عصافير رأسي: غضبت وامتلأت غيظاً.
(٢) واكناً: داخلاً كنّه. والكنّ: العش.
(٣) الشدّ: السرعة. والذليق: السريع الماضي.
(٤) حائن: هالك.
(٥) حثحث: حضّ. والمشعوف: المجنون، أو المذعور. والنجاء: السير السريع. والهجفّ: الظليم. والقصر: هنا وقت اختلاط النهار بالظلمة. والسمال: الماء بالحوض، والداجن: المطر، الغيث.
(٦) الحصّ: جمع أحصّ، وهو الطائر القليل الريش. والهزروف: السريع. والعفاء: الشعر والوبر. والمغابن: بواطن الأفخاذ.
(٧) أزجّ: بعيد الخطو. والزلوج: السريع. والهذرفي: الكثير الحركة والنشاط. وزفازف: رياح، جمع زفّ، يشبه حصانه بالريح لسرعته. والهزف: النافر. والناجيات: الخيل السريعة التي تنجي صاحبها عند الروع لسرعتها. والصوافن مفردها الصافن: الجواد يقف على ثلاث قوائم.
(٨) الغبراء: أنثى الذئب. العرفاء: الضبع. تفري: تقطع. الدفائن: المدفونين.
(٩) البراثن: المخالب.
(١٠) الواهن: الضعيف.
(١١) الأخاليج: جمع أخلج وهو الحبل. وذو المحافل: البئر. والدلا: الدلاء: جمع دلو. والشواطن: جمع شطن، وهو الحبل.

إليها، فلما أراد أن يأتي قومه دَهنتْه ورَجَّلته، فجاء إليهم وهم يبكون، فقالت له امرأتُه: لعنك الله تركت صاحبيك وجئت مُدّهناً. وإنه إنما قال هذه القصيدة في هذا الشأن، وقال تأبّط شَرّاً يرثيهما وكان اسمُ أحدهما عَمراً: [الطويل]

أَبَعْدَ قَتِيلِ العَوْصِ آسَى على فتًى ... وصاحِبِه أو يَأْمُلُ الزّادَ طارِقُ؟
أأطْرُدُ فَهْماً آخِرَ اللَّيْلِ أبتغي ... عُلالَةَ يَوْمٍ أن تَعُوقَ العوائقُ
لَعَمرُ فتًى نِلْتُم كأنّ رداءَهُ ... على سَرْحةٍ مِنْ سَرْحِ دَوْمَةَ سامقُ[1]
لأطرُد نَهْباً أو نرودَ بفِتْيةٍ ... بأيمانهم سُمْرُ القَنا والعقائقُ[2]
مَساعِرَةٌ شُعْثٌ كأنّ عُيونَهُم ... حَريقُ الغضا تُلْقَى عليها الشقائقُ[3]
فعُدُّوا شُهورَ الحُرْمِ ثم تَعَرّفوا ... قَتيلَ أُناسٍ أو فتاةً تعانِقُ[4]

[بعض غاراته على القبائل وشعره في ذلك]

قال الأثرم: قال أبو عمرو في هذه الرواية: وخرج تأبط شرّاً يريد أن يغزو هذيلاً في رهط، فنزل على الأحلّ بن قنصل ـ رَجُلٍ من بجيلة ـ وكان بينهما حِلْف، فأنزلهم ورحّب بهم، ثم إنه ابتغى لهم الذّراريح[5] ليسقيهم فيستريح منهم، ففطن له تأبّط شرّاً، فقام إلى أصحابه، فقال: إني أحب ألا يعلم أنا قد فطنّا له، ولكن سابُّوه حتى نحلِف ألا نأكل من طعامه، ثم أغترُّه فأقتلُه لأنه إن علم حَذِرني ـ وقد كان مالأ ابنَ قنصل رجلٌ منهم يقال له لُكَيْز قتلت فَهْمٌ أخاه ـ فاعتلَّ عليه وعلى أصحابه فسَبُّوه وحلفوا ألاّ يَذُوقُوا من طعامه ولا من شرابه، ثم خرج في وَجْهه، وأخذ في بَطْن وادٍ فيه النّمور، وهي لا يكاد يسلم منها أحد، والعرب تسمي النمر ذا اللونين، وبعضهم يسميه السّبنتَى، فنزل في بطنه وقال لأصحابه: انطلقوا جميعاً فتصيّدوا، فهذا الوادي كثير الأرْوى[6]، فخرجوا وصادوا، وتركوه في بطن الوادي فجاءوا فوجدوه قد قتل نمراً وحده، وغزا هُذَيْلاً فغَنِم وأصاب، فقال تأبّط شرّاً في

---

(١) السرح: ضرب من الشجر. والسامق: الشامخ المرتفع.
(٢) العقائق: جمع عقيقة، وهي هنا السيف.
(٣) مساعرة: جمع مسعر: وهو الذي يوقد نار الحرب ويؤججها. والغضا: شجر صلب يبقى جمره فترة طويلة لا ينطفىء. والشقائق: نبات أحمر الزهر.
(٤) شهور الحرم: الأشهر التي يمتنع فيها العرب عن القتال.
(٥) الذراريح: جمع ذراح، وهي دويبة حمراء منقطة بسواد. وهي من السموم.
(٦) الأروى: ضأن الجبل.

ذلك: [الطويل]

أَقْسَمْتُ لا أنْسى وإن طالَ عَيْشُنا ... صَنيعَ لُكيْزٍ والأحلّ بن قنصلِ[1]
نَزَلْنا به يَوْماً فساءَ صَبَاحُنا ... فإنَّكَ عَمْري قد تَرَى أيَّ منزلِ
بَكَى إذ رآنا نازِلينَ ببابِهِ ... وكَيف بُكاءُ ذي القليلِ المُعَيَّلِ[2]
فلا وأبيك ما نَزَلنا بعامِرٍ ... ولا عامِرٍ ولا الرئيس ابن قَوقلِ

ـ عامر بن مالك أبو براء مُلاعِب الأسِنَّة، وعامر بن الطُّفَيْل، وابن قوقل: مالك بن ثَعْلَبة أحد بني عوف بن الخزرج ـ

ولا بالشَّليلِ ربِّ مَرْوانَ قاعِداً ... بأحْسَنِ عَيْشٍ والنُّفاثيّ نوفَلِ

ـ رَبّ مروان: جرير بن عبد الله البَجلي. ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر أحد بني الدِّيْل بن بكر ـ

ولا ابن وَهيبٍ كاسِبِ الحَمْدِ والعُلاَ ... ولا ابن ضُبَيْعٍ وسط آلِ المُخبَّلِ
ولا ابنِ حُلَيْسٍ قاعداً في لِقاحِهِ ... ولا ابن جُرَيٍّ وسط آلِ المُغَفَّلِ[3]
ولا ابنِ رِياحٍ بالزُّليفاتِ دارُهُ ... رِياحِ بنِ سعدٍ لا رياحِ بن مَعْقلِ
أولئِك أَعطَى للوَلائدِ خِلْقَةً ... وأدْعَى إلى شَحْمِ السَّديفِ المُرَعْبَلِ[4]

وقال أيضاً في هذه الرواية: كان تأبَّط شرّاً يَشْتار عَسَلاً في غار من بلاد هذيل، يأتيه كل عام، وأنّ هذيلاً ذكرته، فرصدوه لإبَّانِ ذلك، حتى إذا جاء هو وأَصحابُه تَدَلَّى، فدخل الغار، وقد أغاروا عليهم فأنفروهم، فسبقوهم ووقَفوا على الغار، فحركوا الحبل، فأَطْلع تأبَّط شراً رأسه، فقالوا: اصعد، فقال: ألا أراكم، قالوا: بلى قد رأيتنا. فقال: فعلام أصعد، أعلى الطَّلاقة أم الفداء؟ قالوا: لا شرط لك، قال: فأراكم قاتليّ وآكلي جَنايَ، لا والله لا أفعل، قال: وكان قبل ذلك نقب في الغار نقباً أعدّه للهرب، فجعل يُسِيل العسل من الغار ويُهرِيقه، ثم عمِد إلى الزّق فشده على صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح ينزلق عليه حتى خرج سَلِيماً وفاتهم،

(١) في البيت خرم، وهو من عيوب العروض.
(٢) المعيَّل: ذو العيال.
(٣) اللقاح: جمع لقحة، وهي الناقة الحلوب.
(٤) السديف: لحم السنام. والمرعبل: المقطع.

وبين موضعه الذي وقع فيه وبين القوم مسيرة ثلاث، فقال تأبط شرّاً في ذلك:

[الطويل]

أقولُ للَحْيانٍ وقد صَفِرتْ لهم ... وِطابي ويَوْمي ضَيّق الحَجْرِ مُعوِرُ[١]
هما خُطَّتا إما إسارٌ ومِنَّةٌ ... وإما دَمٌ والقَتْلُ بالحُرِّ أجدَرُ
وأُخرى أُصادِي النّفسَ عنها وإنها ... لمورِدُ حَزْمٍ إن ظَفِرْتُ ومَصدَرُ
فرَشْتُ لها صدري فزَلَّ عَنِ الصّفا ... به جؤجؤٌ صَلْبٌ ومتنٌ مُخصَّرُ[٢]
فخالطَ سَهْلَ الأرضِ لَمْ يَكْدَحِ الصَّفا ... به كَدْحَةً والمَوْتُ خزيانُ يَنْظُرُ[٣]
فأُبْتُ إلى فَهْمٍ وما كُنْتُ آئِباً ... وكم مثلها فارَقْتُها وهي تَصْفِرُ[٤]
إذا المَرْءُ لم يَحْتَلْ وقد جَدَّ جِدُّهُ ... أضاعَ وقاسَى أمرَهُ وهو مُدبِرُ
ولكن أخُو الحَزْمِ الذي لَيْسَ نازِلاً ... به الأمْرُ إلا وهُوَ للحزم مُبْصِرُ
فذاك قَريعُ الدَّهرِ ما كان حُوَّلاً ... إذا سُدَّ منه مَنْخِرٌ جاشَ مَنْخِرُ
فإنَّك لو قَايَسْتَ باللِّصبِ حِيلَتي ... بلُقْمان لم يُقصِرْ بي الدَّهْرَ مُقْصِرُ[٥]

وقال أيضاً في حديث تأبّط شراً: إنه خرج في عِدَّة من فَهْم، فيهم عامر بن الأخنس، والشَّنْفَرَى، والمُسيَّب، وعمرُو بن برّاق، ومُرَّة بن خليف، حتى بيتوا العوص وهم حيٌّ من بجيلة، فقتلوا منهم نفراً، وأخذوا لهم إبلاً، فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة، فاعترضت لهم خَثْعَم وفيهم ابنُ حاجز، وهو رئيس القوم، وهم يومئذ نحو من أربعين رجلاً، فلما نظرت إليهم صعاليك فَهْم قالوا لعامر بن الأخنس: ماذا ترى؟ قال: لا أرى لكم إلاَّ صِدق الضِّراب، فإن ظفرتم فذاك، وإن قُتِلْتُم كنتم قد أخذتم ثأركم، قال تأبط شرّاً: بأبي أنت وأمّي، فنعم رئيسُ القوم أنت إذا جَدّ الجِدّ، وإذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإني أرى لكم أن تحملوا على القوم حَمْلَةً واحدة فإنكم قليل والقوم كثير، ومتى افترقتم كَثَركم القومُ، فحملوا عليهم فقَتلوا منهم في حملتهم، فحملوا ثانية فانهزمت خثعم

---

(١) صفر: فرغ. والوطاب: جمع وطب، وهو سقاء من جلد. والحجر: الناحية. والمعوِر: البيِّن العور، الظاهر العيب.
(٢) الجؤجؤ: الصدر. المتن: الظهر. والمخصر: الضامر، النحيل.
(٣) الخزيان: الذي أصابه الخزي.
(٤) وهي تصفر: كناية عن ندمها.
(٥) اللصب: الطريق الضيق في الجبل.

وتفرقت، وأقبل ابن حاجز فأسند في الجبل فأعجز، فقال تأبط شراً في ذلك:

[الطويل]

جَزَى الله فِتياناً على العوْصِ أَمْطَرَتْ ... سَماؤُهُم تَحْتَ العَجاجةِ بالدَّم

وقد لاحَ ضَوءُ الفَجْرِ عَرْضاً كأَنَّهُ ... بلَمْحته إقراب أَبْلَق أدْهَم[١]

فإنَّ شِفَاءَ الدَّاءِ إدراكُ ذَحْلةٍ ... صباحاً على آثارِ حَوْمٍ عَرَمْرَمِ[٢]

وضاربْتُهم بالسَّفْحِ إذ عارَضَتْهُمُ ... قبائِلُ مِنْ أبناءِ قَسْرٍ وخَثْعَم

ضِراباً عَدَا منه ابنُ حاجزَ هارباً ... ذُرا الصَّخرِ في جَوْفِ الوَجينِ المُديَّمِ[٣]

وقال الشَّنفرى في ذلك:

[الطويل]

دَعيني وقُولي بَعدُ ما شِئْتِ إنّني ... سَيُغدَى بنَعْشِي مَرّةً فأُغيَّبُ

خَرَجْنَا فلم نَعْهَدْ وقَلَّت وصاتُنا ... ثمانيةٌ ما بعدها مُتعَتَّبُ

سراحينُ فتيانٍ كأَنَّ وُجوهَهم ... مصابيحُ أو لَوْنٌ مِنَ الماءِ مذهبُ[٤]

نَمُرّ برَهْو الماء صَفْحاً وقد طَوَتْ ... ثمائِلُنا والزّادُ ظَنٌّ مُغَيَّبُ[٥]

ثلاثاً على الأَقدام حتى سما بنا ... على العَوْص شَعْشاعٌ مِنَ القَوْمِ مِحْربُ[٦]

فثاروا إلينا في السَّوادِ فَهجْهَجُوا ... وصَوَّت فينا بالصّباحِ المُثوّبُ[٧]

فَشَنَّ عليهم هِزَّةَ السَّيْفِ ثابِتٌ ... وصَمَّم فيهم بالحُسامِ المُسيِّبُ

وظَلْتُ بفتيانٍ معي أتّقيهمُ ... بهنّ قليلاً ساعةً ثم جنّبوا[٨]

وقد خَرَّ منهم راجلانِ وفارِسٌ ... كميّ صَرَعْناهُ وحَوْم مسلّبُ[٩]

---

(١) إقراب المهر: إدناؤه. والأبلق: ما خالط بياضه سواد. والأدهم: الأسود، يريد أن ضوء الفجر دنا في الليل دنوّ فرس اختلط سواده ببياضه.

(٢) الذحلة: الثأر. والحوم: الجماعة. والعرمرم: الكثير.

(٣) الوجين: شط الوادي. والمديّم: من الديمة وهي المطرة.

(٤) السراحين: جمع سرحان وهو الذئب.

(٥) الرهو: الساكن. والثمائل: جمع ثميلة وهي السويق أو التمر.

(٦) الشعشاع: الطويل. والمحرب: ذو التجربة والخبرة في الحروب.

(٧) الهجهجة: صياح الجيش عند القتال. والمُثوّب: العائد.

(٨) أتّقيهم بهنّ: يقصد السيوف. وجنبوا: يقصد الأعداء أي مالوا.

(٩) الكميّ: الشجاع. وحوم: جمع. ومسلب: مدجج بالسلاح.

يَشُقُّ إليه كُلَّ رَبْعٍ وقَلْعَةٍ ثمانيةٌ والقَوْمُ رَجْلٌ ومِقْنبُ[١]
فلما رآنا قَوْمنا قِيلَ أفلَحُوا فَقُلْنا: اسْألوا عَن قائِلٍ لا يُكَذَّبُ

وقال تأبط شرّاً في ذلك: [الوافر]

أَرَى قَدَمَيَّ وقْعهُما خَفيفٌ كَتَحْليلِ الظَّليم حَدَا رِئالَه[٢]
أرى بِهِما عذاباً كُلَّ يَوْمٍ بخَثْعَم أو بَجِيلَةَ أو ثُمالَه[٣]

فَفَرَّق تأبّط شرّاً أصحابَه، ولم يزالوا يقاتلونهم حتى انهزمت خثعم، وساق تأبط شرّاً وأصحابُه الإبَل حتى قدم بها عُلْيَا مكة.

وقال غيره: إنما سمي تأبط شرّاً ببيت قاله، وهو: [الطويل]

تَأبَّطَ شَرّاً ثُمَّ راحَ أو اغْتَدَى يُوائِمُ غُنْماً أو يَشِيفُ على ذَحْل

قال: وخرج تأبط شرّاً يوماً يريد الغارةَ، فلقيَ سَرْحاً لمراد فأطرده، ونذرت به مراد، فخرجوا في طلبه، فسبقهم إلى قومه، وقال في ذلك: [الخفيف]

إذا لاقَيْتَ يَوْمَ الصّدقِ فارْبَعْ عليه ولا يَهُمَّكَ يَوْمُ سَوِّ
على أنّي بِسَرْح بني مرادٍ شَجَوْتُهُم سِباقاً أيَّ شجوِ
وآخر مثله لا عَيْبَ فيه بَصَرتُ به لِيَوْمِ غيرِ زوِّ[٤]
خَفَضتُ بساحةٍ تجْري علينا أباريق الكَرامةِ يَوْمَ لَهْوِ[٥]

أغار تأبط شرّاً وحده على خثعم، فبينا هو يطوف إذ مرّ بغلام يتصيّد الأرانبَ، معه قوسُه ونبلُه، فلما رآه تأبط شرّاً أهوى ليأخذه، فرماه الغلام فأصاب يده اليسرى، وضربه تأبط شرّاً فقتله، وقال في ذلك: [الطويل]

وكادَتْ وبيتِ الله أطنابُ ثابتٍ تقوّضُ عن لَيْلَى وتبكي النَّوائحُ[٦]
تمنّى فتىً منّا يُلاقي ولم يَكَدْ غلامٌ نَمَتْهُ المُحْصنات الصَّرائِحُ[٧]

---

(١) الرَّجْل: المشاة. والمِقْنبُ: الخيل يبلغ عددها أربعين.
(٢) التحليل: ضرب من السير. والظليم: ذكر النعام. والرئال: جمع رأل وهو ولد النعامة.
(٣) خثعم وبجيلة وثمالة: قبائل.
(٤) غير زوّ: لا مثيل له.
(٥) خفضت: نعمت. والكرامة. غطاء الرأس.
(٦) الأطناب: جمع طنب وهو حبل يشدّ به الخباء والسرادق ونحوهما.
(٧) الصرائح: الخالصات النسب.

غـلامٌ نَـمـى فَـوْق الـخُـمـاسيِّ قـدرُه ... ودُون الـذي قـد تَـرْتَـجِـيـهِ الـنّـواكـحُ
فـإنْ تَـكُ نـالَـتْـهُ خـطـاطِـيـفُ كَـفِّـهِ ... بـأبـيـضَ قـصّـالٍ نـمـى وهـو فـادِحُ[١]
فَـقَـدْ شَـدَّ فـي إحْـدَى يَـدَيْـهِ كِـنـانَـهُ ... يُداوىَ لـهـا في أَسْوَدِ القَلْبِ قادِحُ[٢]

ـ هذه الأبيات أن تكون لقوم المقتول أشبه منها بتأبط شرّاً ـ

قال: وخطب تأبط شرّاً امرأة من هذيل من بني سَهْم فقال لها قائل: لا تنكحيه، فإنه لأولِ نصلٍ غداً يُفقَد[٣] فقال تأبط شرّاً: [الطويل]

وقـالـوا لـهـا لا تَـنـكَـحِـيـهِ فـإنّـهُ ... لأَوّلِ نَـصْـلٍ أنْ يُـلاقـي مَـجْـمَـعـا
فَـلَـمْ تَـرَ مِـنْ رَأْيٍ فـتـيـلاً وحـاذَرَتْ ... تـأَيّـمَـهـا مِـنْ لابسِ اللَّيْلِ أرْوَعـا[٤]
قـلـيـلِ غِـرارِ الـنّـوْمِ أكْـبَـرُ هَـمِّـهِ ... دَمُ الـثّـأْرِ أو يـلـقـى كَـمِـيّـاً مُـقَـنَّـعـا
قـلـيـلِ ادّخـارِ الـزّادِ إلاّ تَـعِـلَّـةً ... وقد نَشَزَ الشُّرسُوفُ والْتَصَقَ المِعَى[٥]
تُـنـاضِـلُـه كُـلٌّ يُـشَـجِّـعُ نَـفْـسَـهُ ... ومـا طـبُّـهُ فـي طـرْقِـه أنْ يُـشـجَّـعـا
يَبيتُ بـمغـنـى الوَحْشِ حتى أَلِفْنَهُ ... وَيُصْبِحُ لا يَحْمي لها الدَّهْرَ مَرْتَعا[٦]
رَأيْـنَ فَـتًـى لا صَـيْـدُ وَحْـشٍ يَـهُـمُّـهُ ... فَلَوْ صافَحَتْ إنْساً لصافَحْنَهُ معا
ولـكـنّ أرْبـابَ الـمـخـاضِ يـشـقّـهـم ... إذا افْـتَـقَـدوهُ أو رَأوْهُ مُـشَـيّـعـا[٧]
وإنـي ـ ولا عِـلْـمٌ ـ لأعـلَـمُ أنّـنـي ... سـألـقَى سِنانَ المَوْتِ يرشُقُ أضلعا
عـلـى غِـرّةٍ أو جَـهْـرةٍ مِـنْ مُـكـاثِـرٍ ... أطالَ نِزالَ المَوْتِ حتى تَسَعْسَعا[٨]

ـ تسعسع: فني وذهب. يقال: قد تسعسع الشَّهْر، ومنه حديثُ عُمَر رضي الله عنه حين ذكر شهر رمضان فقال: «إن هذا الشهر قد تَسَعْسَع» ـ

وكُنْتُ أَظُنُّ المَوْتَ في الحَيِّ أو أرى ... أَلَـذّ وأُكـرَى أو أَمُـوتَ مُـقَـنَّـعـا[٩]

---

(١) الخطاطيف: جمع خطاف وهو الحديدة الحجناء تعلق في سقف البيت. والقصال: السيف القاطع.
(٢) الكنانة: جعبة السهام. وقادح: صفة للجرح يترك أثراً من حزن أو همّ.
(٣) لأول نصل غَدا يُفقد: معرض للموت في كل لحظة.
(٤) الفتيل: الخيط في شق النواة. والتأيم: فقدان الزوج. ولابس الليل: كثير الغارات ليلاً. والأروع: الجريء القلب.
(٥) الشرسوف: الطرف اللين من الضلع مما يلي البطن.
(٦) المغنى: المقام، المنزل.
(٧) أرباب المخاض: أصحاب الإبل. ويشقّهم: يؤرقهم. ومشيعاً: مودّعاً.
(٨) على غرة: على غفلة. والمكاثر: الكثير الغارات. وتسعسع: كبر حتى هرم.
(٩) أكرى: أزيد. والمقنع: من يلبس البيضة على رأسه.

ولست أبيتُ الدَّهرَ إلا على فتى أُسَلِّبُهُ أو أُذعِرُ السِّرْبَ أجمَعَا[١]
ومن يَضربُ الأبطالَ لا بدّ أنه سيَلْقى بهم مِنْ مَصْرعِ المَوْتِ مَصْرعا

قال: وخرج تأبط شرّاً ومعه صاحبان له: عمرو بن كلاب أخو المسيّب، وسعد بن الأشرس وهم يريدون الغارة على بجيلة فنذِروا بهم، وهم في جبل ليس لهم طريق عليهم فأحاطوا بهم وأخذوا عليهم الطَّريق، فقاتلوهم فَقُتِل صاحبا تأبَّطَ شرّاً ونجا، ولم يكد حتى أتى قومه. فقالت له امرأته وهي أخت عمرو بن كلاب إحدى نساء كعب بن علي بن إبراهيم بن رياح: هَرَبْتَ عن أخي وتركتَه وغررته، أما والله لو كنت كريماً لما أسلمته، فقال تأبط شرّاً في ذلك: **[الطويل]**

ألا تِلكما عِرْسي مَنيعة ضُمِّنَتْ مِنَ الله خِزْياً مُسْتسِرّاً وعاهِنا

وذكر باقي الأبيات.

وإنما دعا امرأتَه إلى أن عَيَّرَتْه أنه لمّا رجع بعد مقتل صاحبيه انطلق إلى امرأة كان يتحدث عندها، وهي من بني القَيْن بن فهم، فبات عندها، فلما أصبح غدا إلى امرأته وهو مُدَّهن مُتَرجّل[٢]، فلما رأته في تلك الحال علمت أين بات، فغارت عليه فعيّرته.

وذكروا أن تأبط شرّاً أغَار على خثعم، فقال كاهن لهم: أروني أثره حتى آخذه لكم فلا يبرح حتى تأخذوه، فكفأُوا على أثره جَفْنة، ثم أرسلوا إلى الكاهن فلما رأى أثره قال: هذا ما لا يجوز في صاحبه الأَخَذ، فقال تأبط شرّاً: **[الوافر]**

ألا أَبْلِغْ بني فَهْمِ بنِ عَمْرٍو على طُولِ التَّنائي والمقَالَهْ[٣]
مقَالَ الكاهِنِ الجَامِيّ لمّا رأى أثري وقد أُنْهِبتُ مالَهْ
رَأى قَدمَيّ وقعُهما حَثِيثٌ كَتَحْليلِ الظَّليم دعا رئالَهْ
أرى بهما عذاباً كُلَّ عامٍ لِخَثْعَمَ أو بَجِيلَةَ أو ثُمالَهْ
وشرٌّ كان صُبَّ على هُذَيْلٍ إذا عَلِقَتْ حِبالُهمُ حِبالَهْ
ويَومُ الأزْدِ منهم شَرُّ يَوْمٍ إذا بَعُدوا فقد صَدَّقتُ قالَهْ[٤]

(١) السرب: الجماعة من الحيوانات.
(٢) المترجّل: الذي سرح شعره وزينه.
(٣) المقالة: الرسالة.
(٤) القال هنا: بمعنى القول، والضمير في قاله يعود على الكاهن.

فزعموا أن ناساً من الأزد ربئوا[(١)] لتأبط شرّاً ربيئة وقالوا: هذا مضيق ليس له سبيل إليكم من غيره، فأقيموا فيه حتى يأتيكم، فلما دنا من القوم توجس، ثم انصرف، ثم عاد فنهضوا في أثره حين رأوه لا يجوز، ومر قريباً فطمعوا فيه، وفيهم رجل يقال له حاجز؛ ليث من ليوثهم سريع، فأغروه به فلم يلحقه، فقال تأبط شرّاً في ذلك: [الطويل]

تَتَعْتَعْتُ حِضْنَيْ حاجزٍ وصحابِهِ ... وقد نَبَذوا خُلقانَهم وتشنَّعوا[(٢)]
أَظَنُّ وأن صادَفْتُ وَعْثاً وأَنْ جرَى ... بِيَ السّهلُ أو متنٌ مِنَ الأَرْضِ مَهْيَعُ[(٣)]
أُجارِي ظِلالَ الطَّيْرِ لو فاتَ واحِدٌ ... ولو صَدَقُوا قالوا له هو أَسْرَعُ
فلو كان مِنْ فتيانِ قَيْسٍ وخِنْدفٍ ... أطافَ به القُنَّاصُ مِنْ حَيْثُ أُفزِعوا
وجابَ بلاداً نِصْفَ يَوْمٍ ولَيْلَةً ... لآبَ إليهم وهو أَشْوَسُ أَرْوَعُ[(٤)]
فلو كان منكم واحِدٌ لَكُفِيتُهُ ... وما ارْتَجَعوا لو كانَ في القَوْمِ مَطْمَعُ

فأجابه حاجز: [الطويل]

فإنْ تَكُ جارَيْتَ الظّلالَ فَرُبَّما ... سُبِقْتَ ويَوْمُ القِرْنِ عُريانُ أَسْنَعُ[(٥)]
وخلَّيْتَ إِخْوانَ الصَّفاءِ كأَنَّهم ... ذبائِحُ عَنزٍ أو فَحِيلٌ مُصرَّعُ
تبكِّيهمُ شَجْوَ الحمامةِ بعدما ... أرحْتَ ولَم تُرفَع لهم منك إِصْبَعُ[(٦)]
فهذي ثلاثٌ قد حويت نجاتَها ... وإِنْ تَنْجُ أُخرى فهي عِنْدَكَ أَرْبَعُ

أخبرني عمّي قال: حَدَّثنا عَبدُ الله بنُ أبي سَعْد قال: ذكر عليُّ بن محمد المدائِنِيُّ، عن ابن دَأب قال: سُئِل تأبط شرّاً: أي يَوْم مَرَّ بك خَيْر؟ قال: خرجت حتى كنت في بلاد بَجِيلة، أضاءَت لي النارُ رجلاً جالساً إلى امرأة. فعَمَدتُ إلى سيفي فدَفَنْتُه قرِيباً، ثم أَقبلتُ حتى استأْنَسْت، فنَبَحَنِي الكَلبُ، فقال: ما هذا؟ فقُلتُ: بَائِس. فقال: ادنُه، فدنَوْتُ، فإذا رَجُلٌ جِلْحاب آدم[(٧)]، وإذا أَضْوَى[(٨)]

---

(١) ربئوا له ربيئة: أقاموا عليه جاسوساً.
(٢) الحضن: ما دون الإبط إلى الكشح. والخلقان: ما بلي من الثياب. وشنع الخرقة: شعثها.
(٣) الوعث: الطريق الصعبة. والمهيع: الطريق السهلة. يريد أنه لا يهاب الطريق مهما كانت صعبة.
(٤) أشوس: ينظر بمؤخرة عينه خوفاً. والأروع: من الروع، وهو الفزع.
(٥) القرن: المثيل في الشجاعة والشدّة وغير ذلك. وعريان: صحو لا غيم فيه، وأسنع: أفضل.
(٦) أرحت: عدت إلى حيِّك. ولم ترفع لهم منك إصبع: لم تحاول الدفاع عنهم.
(٧) رجل جلحاب آدم: ضخم شديد السمرة.
(٨) أضوى: يريد الرشاقة وعدم الترهل.

الناس إلى جانبه، فشكوتُ إليه الجوعَ والحاجةَ، فقال: اكْشِف تلك القَصْعة، فأتيت قَصْعَة إلى جَنْب إبله، فإذا فيها تَمْر ولبن، فأكلتُ منه حتى شَبِعْت، ثم خَررتُ مُتناوماً، فوالله ما شئت أن أَضْطَجِع حتى اضْطَجَع هو ورفع رِجْله على رِجْله ثم اندفع يُغنّي وهو يقول: [الكامل]

خَيرُ اللَّيالي إنْ سَألْتَ بليلةٍ ... ليلٌ بخيْمة بين بِيشَ وعَثّرِ[1]
لِضَجيعِ آنسةٍ كأنَّ حَديثَها ... شَهْدٌ يُشابُ بمزجةٍ مِنْ عَنْبرِ
وضجيعِ لاهيةٍ ألاعِبُ مِثْلَها ... بيضاءَ واضحةٍ كَظِيظِ المِئْزَرِ
ولأنْت مثْلُهما وخَيْرٌ منهما ... بَعْدَ الرُّقادِ وقبل أن لم تُسْحِري

قال: ثم انْحَرَف فنَام، ومَالَت فَنَامَت، فَقلتُ: ما رأيتُ كاللَّيلة في الغِرَّة، فإذا عَشْر عُشْراوات[2] بين أَثلات[3] فيها عبد واحد وأَمَة، فَوثبتُ فانْتَضَيت سَيْفي، وانتحَيْت للعَبْد فَقَتَلْته وهو نائم، ثم انحرَفْت إلى الرجل فوضَعْت سَيفي على كَبِده حتى أخرجتُه من صُلْبه، ثم ضَربْت فَخِذ المرأة فجَلَست، فلما رأَتْه مَقْتُولاً جَزِعَت، فقلت: لا تَخافِي، أنا خير لك منه. قال: وقُمْت إلى جُلّ متاعها فرحلْته على بعض الإبل أنَا والأمَة فما حللتُ عَقْده حتى نزلت بصَعْدة بَنِي عَوْف بن فِهْر، وأعرستُ بالمرأة هناك وحين اضطجعت فتحت عقيرتي وغنَّيت:

بحَليلة البجليّ بِتُّ مِنْ ليلِها ... بَيْنَ الإزارِ وكَشْحِها ثُمَّ الصَقِ
بأنيسةٍ طُويت على مَطْويّها ... طيَّ الحمالةِ أو كَطَيِّ المِنْطَقِ[4]
فإذا تقوم فصَعْدةٌ في رَمْلَة ... لبَدَت بِريّق دِيمة لم تُغدِقِ[5]
وإذا تَجِيءُ تَجِيءُ شحب خلفها ... كالأيْم أصْعَد في كَثِيبٍ يَرْتَقِي[6]
كَذَبَ الكَوَاهِنُ والسَّواحِرُ والهُنا ... أن لا وَفاءَ لعاجِزٍ لا يَتَّقِي

قال: فهذا خَيْرُ يوم لَقِيتُه.

---

(١) خيمة وبيش وعثر: أماكن.
(٢) العشراوات: جمع عشراء وهي الناقة مضى على حملها عشرة أشهر.
(٣) الأثلات: جمع أثلة: نوع من الشجر المعروف.
(٤) الحمالة: حمالة السيف، والمنطق: ما يتمنطق به.
(٥) الصعدة: القناة المستوية، يشبه بها القوام الحسن. والديمة: السحابة.
(٦) الشخب: العمود. والأيم: الحية الذكر. والكثيب: الرمل المحدودب.

وشَرُّ يوم لَقيت أنّي خَرجتُ، حتى إذا كنتُ في بلاد ثُمالَة أطوف، حتى إذا كُنتُ من الفقير[١] عَشيّاً إذا أنا بسبع خلِفات[٢] فيهن عَبْد، فأقبلْت نحوَه وكأنّي لا أُريدُه وحذرني فجعَل يَلُوذُ بنَاقَة فيها حَمراء، فقلتُ في نَفسِي: والله إنه ليَثِق بها. فأُفوّق له، وَوَضَع رِجلَه في أَرْجُلِها وجَعَل يَدُور معها، فإذا هو على عَجُزها. وأرميه حين أشْرف فوضعتُ سَهْمِي في قَلْبه فَخرَّ، وندَّت الناقةُ شَيْئاً وأتبعتُها فرجَعَت فسُقْتُهُنَّ شيئاً ثم قلت: واللّهِ لو رَكِبْت الناقَة وطردْتُهُنَّ، وأخذت بعُثْنُون[٣] الحَمْراء فوثبت، فساعَة استويت عليها كَرَّت نحو الحَيّ تريع وتَبِعَتها الخَلِفات، وجَعلتُ أُسَكِّنها وذهبت، فلمَّا خَشِيت أن تَطْرحَني في أيدي القَوْم رَميتُ بنَفْسي عنها، فانكَسَرت رِجْلي، وانطَلَقتْ والذَّودُ[٤] معها. فخرجْتُ أُعرّج، حتى انخنسْتُ[٥] في طرف كثيب وَجازني الطَّلب، فَمَكثْت مكانِي حتى أظْلمت، وشَبَّت لي ثلاثةُ أنوار فإذا نار عَظِيمة ظَننْت أن لها أهلاً كثيراً، ونَارٌ دُونَها، ونُويْرة صغيرة، فهوَيت للصُّغْرى، وأنا أجمِر[٦]، فلما نَبَحَنِي الكلبُ نادى رَجُل فقال: مَنْ هذا؟ فقلت: بائِس، فقال: ادنُهْ، فدَنَوتُ وجلست وَجَعل يُسائِلُني، إلى أنْ قال: والله إني لأجد منك ريح دم. فَقلت: لا واللّهِ، ما بي دَمٌ. فوَثَب إليَّ فَنَفَضنِي، ثم نَظَر في جَعْبَتي فإذا السهم، فَقُلت: رمَيت العَشيَّةَ أرنباً فقال: كذبت، هذا رِيحُ دَم إنسان، ثم وَثَب إليَّ ولا أدفعُ الشَّرَّ عن نَفسِي فأوثَقني كِتافاً، ثم علَّق جَعبتي وقَوسِي، وطرحَنِي في كِسْر البَيْتِ ونام، فلما أسحرتُ حَرّكْت رِجْلِي، فإذا هي صالحة وانْفَتَل الرِّباط فَحلَلْته، ثم وَثبت إلى قوسي وَجعْبتي فأخذتُهما ثم هَممْت بقَتْله فَقلت: أنا ضَمِنُ[٧] الرِّجل، وأنا أخشى أن أُطلَب فأُدرَك ولم أقتُلْ أحداً أحب إلي، فولَّيت وَمَضيْت. فوالله إني لَفِي الصَّحراء أُحدِّثُ نَفسِي إذا أنا به على ناقَةٍ يَتْبَعُني، فلمَّا رأيتُه قد دَنَا مني جلست على قوسي وَجعْبتي وأمنته، وأقبل فأناخ راحِلَته ثم عَقَلَها، ثم أقبل إليَّ، وعَهدُه بي عَهدُه، فقلت له: وَيْلَكَ، ما تُريد مِنّي؟ فأقبل يَشتُمُني،

---

(١) الفقير: مخرج الماء من القناة.
(٢) الخلفات: جمع خلفة، وهي الناقة الحامل.
(٣) العثنون: شعيرات طوال عند مذبح البعير أو الناقة.
(٤) الذُّود: جماعة من الإبل.
(٥) انخنس: تأخَّر وتخلَّف.
(٦) أجمر: أثب كالجواد المقيد.
(٧) ضمن الرِّجل: متلكىء لا يسير إلا بصعوبة.

حتى إذا أمكَنَنِي، وَثَبْتُ عليه فما ألبَثْتُه أن ضَربتُ به الأرض، وَبَركت عليه أربطه، فجعل يصيح: يا لشمالة، لم أرَ كاليوم. فَجَنبْتُه إلى ناقته وَركبْتُها، فما نزعت حَتَّى أحللتُه في الحَيّ، وقلت:

أغـرّكَ مـنّـي يـا بـنَ فَـعْـلـة عِـلَّـتـي ... عَـشِـيَّـةَ أن رابَـتْ عَـلَـيَّ روائِـبِـي[١]

وَمـوقـد نـيـران ثَـلاثٍ فـشَـرُّهَـا ... والأَمُـهـا إذ قُـدْتُـهـا غـيـر عـازِبِ

سلبتَ سِلاحِي بَائِساً وشَتَمْتَنِي ... فـيـا خَـيْـر مَـسْـلُـوبٍ ويـا شَـرَّ سَـالِـبِ

فـإنْ أَكُ لَـمْ أخْـضِـبْـكَ فـيـهـا فـإنَّـهـا ... نُـيـوبُ أساوِيـدَ وشَـوْلُ عَـقـارِبِ[٢]

ويـا رَكْـبَـة الـحَـمْـراء شَـرَّة رَكْـبـةٍ ... وكـادَتْ تَـكُـونُ شَـرَّ ركـبـةِ راكِـبِ[٣]

قال: وخرج تأبَّط غازِياً يُرِيد الغارةَ على الأَزْد في بعضِ ما كان يُغِير عليهم وَحْدَه، فنَذَرت به الأَزْد، فأَهْمَلُوا له إبلاً، وأمرُوا ثَلاثةً من ذَوِي بَأْسِهِم: حاجزَ بنَ أُبَيّ، وسَوادَ بنَ عَمْرو بنِ مَالِك، وعَوْفَ بنَ عَبْد الله، أن يتبعوه حتّى يَنام فيَأخذُوه أَخْذاً، فَكمَنوا له مَكْمناً، وأقبل تأبّط شَرّاً فبصُرَ بالإبِل، فطَردَها بَعضَ يَومِه. ثم تركها ونَهَض في شِعْب لِيَنْظُر: هل يَطْلُبه أحدٌ؟ فكَمَنَ القومُ حين رَأَوْه ولم يَرَهُم، فلمّا لم يَرَ أحداً في أثره عاود الإبِل فشَلَّها[٤] يومه ولَيْلَته والغد حتى أمسَى، ثم عَقَلها، وصَنَع طَعاماً فأكَلَه، والقومُ يَنْظُرون إليه في ظله، ثم هيّأ مُضْطَجعاً على النّار، ثم أخْمَدها وَزحَف على بَطْنِه ومعه قَوسُه، حتى دَخَل بين الإبل، وخَشِي أن يَكونَ رآه أحد وهو لا يَعْلَم، ويأبى إلا الحذَر والأخْذ بالحَزْم، فَمكَث ساعة وقد هَيَّأ سَهْماً على كَبد قَوسِه، فلما أحَسُّوا نومَه أقبلوا ثَلاثَتُهم يَؤُمّون المِهادَ الذي رَأوه هَيّأه، فإذا هو يرمي أحدَهم فيَقْتُلُه، وجال الآخران، ورَمَى آخَر فقتَله، وأفْلَت حاجِزٌ هارِباً، وأخذ سَلَب الرَّجلَين، وأطلق عقل الإبل وشَلَّها حتى جاء بها قومه، وقال تأبَّط في ذلك: [الطويل]

تُـرَجِّـي نِـسـاءُ الأَزْدِ طـلـعـةَ ثـابِـتٍ ... أسِـيـراً ولـم يَـدْرِيـن كـيـف حَـوِيـلـي[٥]

فـإنّ الأُلـى أَوصَـيْـتُـم بَـيْـن هـارِبٍ ... طَـرِيـدٍ ومَـسْـفُـوحِ الـدِّمـاءِ قَـتِـيـلِ

---

(١) الروائب: جمع رائبة وهي النازلة الشديدة.

(٢) الأساويد: الحيات، وشَوْلُ العقارب: العقارب رافعة أذنابها.

(٣) الحمراء: يريد الناقة التي كانت سبباً في إصابته.

(٤) شَلّها: طردها.

(٥) الحويل: الحذق والمهارة.

وخدتُ بهم حتى إذا طالَ وَخْدُهم ورابَ عليهم مَضْجَعِي وَمَقِيلِي[١]
مَهدتُ لهم حتى إذا طابَ رَوْعُهم إلى المَهْدِ خَاتلْتُ الضِّيا بِخَتِيل[٢]
فلما أحسُّوا النَّوْمَ جاءُوا كأنَّهم سِباعٌ أصابَتْ هَجْمةً بِسَلِيلِ[٣]
فَقلّدتُ سَوَّارَ بنَ عَمْرو بنِ مَالكٍ بأسْمَر جَسْرِ القُذَّتين طَمِيلِ[٤]
فخَرَّ كأنّ الفِيلَ ألْقَى جِرانَهُ عليه بريّانِ القِواءِ أسيلِ[٥]
وظَلَّ رعاعُ المَتْنِ مِنْ وقع حاجِزٍ يخرُّ ولو نَهْنَهْتَ غَيْر قَلِيلِ[٦]
لأُبتَ كما آبا ولو كُنْتَ قَارِناً لَجِئْتَ وما مالكتَ طُولَ ذَمِيلِي[٧]
فَسرَّكَ نَدْمانَاك لمَّا تَتَابَعا وأنَّك لم تَرْجِعْ بعَوْص قَتِيلِ
سَتأتي إلى فَهْمٍ غَنِيمَةُ خلْسَة وفي الأَزْدِ نَوْحُ وَيْلةٍ بِعَوِيلِ

فقال حاجِزُ بنُ أبيّ الأزدي يُجِيبُه:

سألتُ فلم تُكلِّمني الرُّسوم

وهي في أشعار الأزد.

فأَجابه تأبّط شَرّاً: [الوافر]

لقد قالَ الخليُّ وقال خَلْساً بِظَهْرِ اللَّيْلِ شُدَّ به العُكومُ[٨]
لِطَيفٍ مِنْ سُعادَ عَناك منها مُراعاةُ النُّجوم ومَنْ يَهِيمُ[٩]
وَتِلْكَ لَئِنْ عُنِيتَ بها رَداحٌ مِنَ النّسوانِ مَنْطِقُها رَخِيمُ[١٠]
نِياقُ القُرطِ غَرَّاءُ الثَّنايَا ورَيْداءُ الشَّباب ونِعْم خِيمُ[١١]

---

(١) الوخد: ضرب من السير. ورأب عليهم الأمر: التبس. ومقيلي: موضع القيلولة والراحة.
(٢) خاتلت: خادعت.
(٣) السليل: مجرى الماء في الوادي.
(٤) الأسمر: يريد السهم. والجسر: الضخم، والقذة: ريش السهم، والطميل: العريض النصل.
(٥) الجران: مقدم العنق، والقواء: الأرض القفر، والأسيل: المستوي الأملس.
(٦) الرعاع: من لا قلب له، وحاجز: اسم رجل. ونهنهت: زجرت نفسك عن الفرار.
(٧) القارن: حامل النبل أو السيف، والذميل: نوع من السير.
(٨) العُكوم: ما تشدّ به الرحال.
(٩) مراعاة النجوم: مراقبتها وعدّها.
(١٠) الرداح: الممتلئة الجسم.
(١١) غرّاء الثنايا: بيضاء الأسنان. ونِعم الخيم: نِعم الطبيعة والجبِلّة.

وَلَكِنْ فَاتَ صَاحِبُ بَطْنِ رَهْوٍ وصَاحِبُه فأنتَ بِه زَعِيمُ[١]
أُؤاخِذُ خُطَّةً فِيها سَواء أَبِيتُ وَلَيْلُ واتِرِها نَؤُومُ[٢]
ثَأَرتُ بِه وما اقْتَرَفَتْ يَداهُ فَظَلَّ لها بنا يَوْمٌ غَشُومُ
نَحُزُّ رِقابَهُم حَتّى نَزَعْنا وأَنفُ المَوْتِ مَنْخِرُه رَمِيمُ
وإن تَقَعِ النُّسورُ عَلَيَّ يوماً فَلَحْمُ المُعْتَفِي لَحْمٌ كَرِيمُ[٣]
وَذِي رَحِمٍ أحالَ الدَّهْرُ عَنْه فَلَيْسَ له لِذِي رَحِمٍ حَرِيمُ
أَصابَ الدَّهْرُ آمِنَ مَرْوَتَيْهِ فأَلْقاهُ المُصاحِبُ والحَمِيمُ[٤]
مَدَدْتُ له يَميناً مِنْ جَناحي لها وَفْرٌ وكافِيَةٌ رَحُومُ
أُواسِيهِ على الأيّامِ إنّي إذا قَعَدَتْ به اللُّؤَما أَلُومُ

ذكروا أنه لما انصرف الناس عن المُسْتَغَلّ؛ وهي سوق كانت العرب تجتمع بها، قال عمرو بن جابر بن سفيان أخو تأبط شرّاً لمن حضر من قومه: لا واللاّت والعُزّى لا أرجع حتى أُغير على بني عُتَيْرٍ من هذيل، ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما، فأَطردوا إبلاً لبني عُتَير فأتبعهم أرباب الإبل، فقال عمرو: أنا كَارٌّ على القوم ومُنَهْنِهُهم عنكما، فامْضِيا بالإبل. فَكرّ عليهم فنهنههم طويلاً، فجَرَح في القوم رئيساً، ورماه رجل من بني عُتَيْر بسهم فقتله، فقالت بنو عُتَير: هذا عمرو بن جابر، ما تَصْنَعُون أن تلحقوا بأصحابه؟ أبعدها اللّهُ من إبل، فإنا نخشى أن نَلحقهم فيقتل القومُ منا، فيكونوا قد أخذوا الثّأر، فرجعوا ولم يُجاوِزوه. وكانوا يَظنون أن معه أُناساً كثيراً، فقال تأبّط لمّا بلغه قَتلُ أخيه: [الوافر]

وحَرّمتُ النِّساءَ وإن أُحِلّتْ بِشَوْرٍ أو بِمَزجٍ أو لِصابِ[٥]
حَياتي أو أزورَ بني عُتَيرٍ وكاهِلَها بِجَمْعٍ ذي ضِبابِ[٦]
إذا وَقَعتْ لِكَعْبٍ أو خُثَيمٍ وسَيّارٍ يَسُوغُ لها شَرابي
أَظُنّي مَيِّتاً كَمَداً ولَمّا أُطالِعْ طَلْعةً أَهْلَ الكِرابِ[٧]

---

(١) الزعيم: الكفيل.
(٢) الواتر: طالب الثأر.
(٣) المعتفي: طالب الحاجة.
(٤) المروة: حجر صلب. يقصد أن الدهر أصابه في الصميم.
(٥) الشور والمزج: نوعان من العسل. والصاب: ضرب من الشجر المر.
(٦) الكاهل: مقدم الظهر مما يلي العنق.
(٧) الكِراب: واحدتها كِربة: مجرى الماء في الوادي.

وذُمْتُ مُسَيَّراً أهدي رعيلاً أؤمُ سوادَ طَوْدٍ ذي نِقابِ[1]

فأجابه أنسُ بنُ حذيفةَ الهُذَليُّ: [الوافر]

لعلّك أنْ تجيءَ بك المَنايَا تُساقُ لِفِتْيةِ منا غضابِ
فَتَنْزِلَ في مَكَرِّهِمُ صَريعاً وَتَنْزِلَ طُرْقَةَ الضَّبُعِ السّغابِ[2]
تأبَّطَ سَوْأةً وحَمَلْتَ شَرًّا لَعَلَّكَ أنْ تَكُونَ مِنَ المُصابِ[3]

ثم إن السِمّع بن جابر أخا تأبَّط شَرّاً خَرَج في صَعاليكَ من قومه يريد الغارة على بني عُتير ليثأر بأخيه عَمْرو بن جابر، حتى إذا كان بِبلاد هذيل لَقِي راعياً لهم، فسأله عنهم، فأخبره بأهل بيْت من عُتَير كثيرٍ مالُهم، فبيَّتهم، فلم يُفلِت منهم مُخبِر، واستاقوا أموالَهم، فقال في ذلك السِّمع بنُ جابِر:

بأعْلَى ذي جماجم أهْلُ دارٍ إذا ظَعَنَتْ عَشِيرتُهم أقاموا
طرقْتُهمُ بفتيانٍ كِرامٍ مَساعِيرٍ إذا حَمِي المُقامُ
متى ما أدعُ مِنْ فَهْمٍ تُجِبْني وعدوانُ الحماةِ لهم نِظامُ

ذكروا أن تأبّط شَرّاً خرج ومعه مُرّة بن خُلَيف يريدان الغارة على الأزد، وقد جَعَلا الهِدايةَ بينهما، فلما كانت هداية مُرّة نعس، فجارا عن الطريق، ومضيا حتى وَقَعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب، وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها؛ وإذا البيض والفراخ بظهور الأكَم، فقال تأبّط شرّاً: هلكنا واللاّتِ يا مرّة، ما وَطِئ هذا المكان إنسٌ قبلنا، ولو وَطِئتْه إنسٌ ما باضَتْ الطَّيرُ بالأرض، فاختَر أية هاتين القُنَّتين[4] شِئْت، وهما أطول شيء يُرَيان من الجِبال، فأصعدُ إحداهما وتصعد أنت الأُخرى، فإن رأيت الحياة فألِحْ بالثوب وإن رأيت الموت فألِح بالسيف، فإني فاعلٌ مثل ذلك. فأقاما يومين، ثم إن تأَبط شرّاً ألاح بالثَّوب، وانحدرا حتى التقيا في سَفْح الجبل، فقال مُرَّة: ما رأيتَ يا ثابت؟ قال: دخاناً أو جراداً. قال مُرة: إنك إن جَزِعت منه هلكنا، فقال تأبّط شرّاً: أما أنا فإنّي سأخْرُم بك من حيث تَهْتدي الريح، فمكثا بذلك يومين وليلتين، ثم تَبِعَا الصَّوت، فقال تأبط شرّاً: النَّعَمُ

(١) الرعيل: الجماعة من الفرسان. والطود: الجبل. والنقاب: السحب.
(٢) المكرّ: الميدان، والسغاب: الجياع.
(٣) المصاب: أي من النفر المصاب.
(٤) القنة: قمة الجبل وأعلاه.

والنّاس. أما والله لئن عُرِفنا لنُقتَلنّ، ولئن أغرنا لنُدْرَكَنَّ، فأتِ الحَيّ من طرف وأنا من الآخر، ثم كُنْ ضيفاً ثلاثاً، فإن لم يرجع إليك قلبُك فلا رَجَع، ثم أغِر على ما قِبَلَك إذا تَدلّت الشمس فكانت قدرَ قامة، ومَوْعِدك الطريق. ففعلا، حتى إذا كان اليوم الثالث أغار كل واحد منهما على ما يليه، فاستاقا النَّعم والغنم، وطرداً يوماً وليلة طردا عنيفاً حتى أمسيا الليلة الثانية دَخلا شِعْباً، فنَحرا قَلُوصاً، فبينا هما يَشْويان إذ سمعا حِسّاً على باب الشِعْب، فقال تأبط: الطَّلبُ يا مُرّة، إن ثَبَتَ فلم يدخل فهم مُجيزون، وإن دخل فهو الطلب، فلم يلبث أن سَمِع الحِسَّ يدخل، فقال مُرّة: هلكنا، ووضع تأبط شرّاً يده على عضد مُرَّة، فإذا هي تُرْعد، فقال: ما أُرْعِدت عضدك إلا من قِبَل أُمك الوابشية من هذيل، خذ بظَهْرِي، فإن نجوتُ نجوتَ، وإن قُتِلتُ وقيتُك. فلما دنا القوم أخذ مُرَّة بظهر تأبط، وحمل تأبط فَقَتل رجلاً، ورموه بسهم فأعلقوه فيه؛ وأفلتا جميعاً بأنفسهما، فلمّا أمِنا وكان من آخر الليل، قال مُرّة: ما رأيت كَاليوم غنيمة أُخِذت على حين أشرفنا على أهلنا، وعضّ مُرَّةُ عضده، وكان الحي الذين أغاروا عليهم بجيلة، وأتى تأبّط امرأتَه، فلما رأت جراحَتَه وَلْوَلَت، فقال تأبّط في ذلك: [الطويل]

وبالشِّعْبِ إذ سَدَّتْ بَجِيلَةُ فَجَّهُ ... ومِنْ خَلْفِهِ هَضْبٌ صِغارٌ وجامِلُ[1]
شَدَدْتُ لنفسِ المَرْءِ مُرَّةَ حَزْمَهُ ... وقد نُصِبَتْ دُونَ النَّجاءِ الحبائلُ[2]
وقُلْتُ له: كُنْ خَلْفَ ظَهْرِي فإنَّني ... سَأَفْدِيكَ وانْظُرْ بعدُ ما أنتَ فاعِلُ
فعاذَ بِحَدِّ السَّيْفِ صاحِبُ أَمْرِهِمْ ... وَخلَّوْا عَنِ الشَّيْءِ الذي لَمْ يُحاولوا
وأَخطَأهُم قَتْلي ورفَّعْتُ صاحبي ... على اللَّيْلِ لم تُؤْخَذْ عَلَيْهِ المَخاتلُ[3]
وأخطأ غُنْمَ الحَيِّ مُرَّة بَعْدَما ... حَوَتْهُ إليه كَفُّهُ والأنامِلُ
يَعُضُّ على أطْرافِهِ كيف زَوْلُهُ ... ودُونَ الملا سَهْلٌ مِنَ الأَرْضِ ماثلُ[4]
فَقُلْتُ له: هذي بتلك وقد يَرَى ... لها ثَمَناً مِنْ نَفْسِهِ ما يُزاولُ[5]
تُوَلْوِلُ سُعدى أَنْ أَتَيْتُ مُجرَّحاً ... إليها وقد مَنَّتْ عَلَيَّ المَقاتلُ[6]

---

(١) الفجّ: الطريق الواسع. والجامل: الجمال.
(٢) النجاء: النجاة. والحبائل: جمع حبالة وهي المصيدة.
(٣) المخاتل: المخادعات.
(٤) زوله: زواله، والملا: السير الشديد.
(٥) هذي بتلك: أي نجاتك بخسران الغنيمة. ما يزاول: ما يحاول ويقدر.
(٦) منّت عليّ المقاتل: منّت عليّ بالحياة وأخطأتني.

وكـائِـنْ أتـاهـا هـارِبـاً قَـبْـلَ هـذه وَمِـنْ غَـانِـمٍ فـأيـن مِـنْـكِ الـوَلاوِلُ

فلما انقضت الأشهرُ الحُرمُ خرج تأبط والمُسَيَّب بنُ كلاب في ستة نفر يريدون الغارةَ على بَجِيلَة، والأخذ بِثَأر صاحِبَيْهم عَمْرو بنِ كلاب وسَعْدِ بن الأشرس. فخرج تأبط والمُسيَّب بن كلاب وعامرُ بن الأخنس وعمرو بن برّاق ومُرَّةُ بن خليف والشَّنفَرَى بنُ مالك، والسِّمع وكَعْبُ جِدار ابنا جابر أَخَوا تأَبَّط. فَمضَوْا حتى أغاروا على العَوْص، فقَتَلوا منهم ثَلاثَة نفر: فارِسَيْن ورَاجِلاً، وأطردوا لهم إبلاً، وأخذوا منهم امرأتين، فمضوا بما غَنِموا، حتى إذا كانوا على يوم وليلة من قومهم عرضت لهم خَثْعَم في نحو من أربعين رجلاً، فيهم أبيُّ بنُ جابر الخثعميّ، وهو رئيس القوم، فقال تأَبَّط: يا قَوْم، لا تُسلِموا لهم ما في أيديكم حتى تُبلُوا عُذْراً، وقال عامر بن الأَخْنَس: عليكم بصدق الضِّراب[1] وقد أدركتم بثأركم، وقال المُسَيَّب: اصدُقُوا القَومَ الحملةَ، وإيّاكم والفَشَل، وقال عَمرُو بنُ بَرَّاق: ابْذُلوا مُهَجَكم[2] ساعة، فإن النّصر عند الصّبر. وقال الشَّنْفَرَى: [الرجز]

نَـحْـنُ الـصَّـعـالِـيكُ الـحُـماةُ الـبُـزَّلُ إذا لَـقِـيـنـا لا نُـرَى نُـهَـلّـلُ[3]

وقال مُرَّةُ بن خُلَيف:

يـا ثـابـتَ الـخَـيْـرِ ويـابـنَ الأخْـنَـسِ ويـابـنَ بَـرّاقِ الـكَـريـم الأشْـوَسِ
والـشَّـنـفَـرى عـنـد حُـيـودِ الأنْـفُـسِ أنا ابن حَامِي السِّرْبِ في المغمَّسِ[4]
نـحـنُ مـسـاعِـيـرُ الـحُـروبِ الـضُّـرّس[5]

وقال كعب جِدار أخو تَأَبَّط:

يـا قَـوْم أمَّـا إذ لَـقِـيـتـم فـاصْـبِـرُوا ولا تَـخـيـمُـوا جـزَعـاً فـتُـدْبِـروا[6]

وقال السِّمْع أَخُو تَأَبَّط:

---

(١) الضِّراب: القتال.
(٢) المهج: جمع مهجة أي الروح والنّفس.
(٣) البزل: جمع بازل: وهو البعير طلع نابه.
(٤) المغمَّس: الأمر البالغ الشدة.
(٥) الحروب الضُّرس: الطاحنة.
(٦) لا تخيموا: لا تجبنوا، وتدبروا: تُوَلّوا.

يـا قـوم كـونـوا عـنـدهـا أحْـرارا لا تُـسْـلِـمـوا الـعُـونَ ولا الـبِـكـارا[١]
ولا الـقَـنَـاعـيـسَ ولا الـعِـشَـارا لـخَـثْـعـم وقـد دَعَـوْا غِـرَارَا[٢]
سـاقـوهُـم الـمَـوْتَ مـعـاً أحـرارا وافـتـخِـرُوا ٱلـدَّهْـرَ بـهـا افْـتِـخـارا

فلما سَمِع تأبط مَقالَتهم قال: بأبي أنتم وأمي، نِعْم الحماة إذا جَدّ الجِدّ، أما إذا أجمع رأيُكم على قتال القوم فاحملوا ولا تَتفرَّقوا، فإن القوم أكثر منكم، فحَمَلُوا عليهم فقَتَلوا منهم، ثم كَرُّوا الثانيةَ فقتلوا، ثم كَرّوا الثالثة فقتلوا فانهزمت خَثْعم وتفرقت في رُؤُوس الجِبال، ومضى تأبَّط وأصحابُه بما غَنِموا وأسلابِ مَنْ قتلوا، فقال تَأَبَّط في ذلك: [الطويل]

جَزَى اللَّهُ فِتْياناً على العَوْصِ أَشْرَقَتْ سُـيـوفُـهـم تَـحْـتَ الـعَـجـاجـةِ بـالـدَّمِ

الأبيات. . .

وقال الشَّنْفَرى في ذلك: [الطويل]

دَعِيني وقُولي بَعْدُ ما شِئْتِ إنني سَـيُـغْـدَى بِـنَـفْـسـي مَـرَّةً فـأُغَـيَّـبُ

الأبيات. . .

وقال الشَّنْفَرى أيضاً: [الطويل]

ألا هـل أتَـى عَـنَّـا سُـعـادَ ودُونَـهـا مـهـامِـهُ بِـيدٍ تـعْـتَـلـي بـالـصـعـالِـكِ[٣]
بـأنّـا صَـبَـحْـنـا الـقَـوْمَ فـي حُـرِّ دارِهِـم حِـمـامَ الـمـنـايـا بـالـسُّـيـوفِ الـبَـواتِـكِ
قَـتَـلْـنـا بـعـمـرو مـنـهـمُ خـيْـرَ فـارِسٍ يـزيـدَ وسـعـداً، وابـنَ عـوفٍ بـمـالـكِ
ظَـلَـلْـنـا نُـفَـرِّي بـالـسّـيـوفِ رُؤُوسَـهـم ونَـرشُـقـهـم بـالـنَّـبْـلِ بـيـن الـدَّكَـادِكِ[٤]

[هزيمته أمام النساء]

قال: وخرج تأبط في سَرِيّة من قومه، فيهم عَمرُو بن برّاق، ومُرَّة بن خُليف، والمُسَيّب بن كلاب، وعامر بن الأخنس، وهو رَأْسُ القوم، وكعب حِدار، وريش كعب، والسِّمع وشريس بنُو جابر إخوةُ تأبط شرّاً، وسعد ومالك ابنا الأقرع، حتى

(١) العون: جمع عوان، وهي من البقر والخيل التي نتجت بعد بطنها البكر.
(٢) القناعيس: جمع قنعاس وهو العظيم من الإبل. ودعوا غِراراً: دعوا شفار سيوفهم.
(٣) مهامه: جمع مهمه، وهي البلد القفر.
(٤) الدكادك: الأراضي الغليظة.

مروا ببني نفاثة بنِ الدِّيل وهم يريدون الغارة عليهم، فباتوا في جبل مُطِلٍّ عليهم، فلما كان في وجه السحر أخذ عامر بن الأخنس قوسَه، فوجد وتَرَها مُسْتَرخياً، فجعل يوترها ويقول له تأبط: بعض حطيط وَتَرِك[1] يا عامِر، وسمَعه شَيخٌ من بَنِي نُفاثة، فقال لبنات له: أنصِتْن فهذه والله غارة لبني ليث - وكان الذي بينهم يومئذ متفاقماً في قتل حُمَيْصة بن قيس أخي بلعاء، وكانوا أصابوه خطأ - وكانت بنو نُفاثة في غزوة والحيّ خلوف وليس عندهم غير أشياخ وغلمان لا طُبَاخ[2] بهم، فقالت امرأة منهم: اجهروا الكلام، والبَسُوا السّلاح، فإن لنا عِدّةً، فواللّاتِ ما هُم إلا تأبّط وأصحابه. فبرزن مع نوفل وأصحابه. فلما بصُرَ بهم قال: انصرفوا فإن القوم قد نذروا بكم، فأبوا عليه إلا الغارة فَسلَّ تأبّط سيفه وقال: لئن أغرتم عليهم لأتّكِئنَّ على سيفي حتى أُنفذه من ظهري، فانْصَرَفُوا ولا يحسبون إلا أن النِّساء رجال، حتى مروا بإبل البلعاء بن قيس بقرب المنازل فأطردوها، فلَحِقهم غلام من بني جُنْدع بن ليث؟ فقال: يا عامر بن الأخنس، أتهاب نِساءَ بني نُفاثَة وتُغِير على رجال بَنِي لَيْث؟ هذه والله إبِلٌ لبلعاءَ بن قيس. فقال له عامر: أوكان رجالهم خلوفاً؟ قال: نعم، قال: أقرِىء بَلْعاء مِنّي السّلام، وأخبره برَدّي إبله، وأعْلِمه أني قد حبست منها بَكراً[3] لأصحابي، فإنا قد أرملنا[4]، فقال الغلام: لئن حبست منها هُلبة[5] لأعلمنّه، ولا أطرد منها بعيراً أبداً. فحمل عليه تأبّط فقتله، ومَضَوا بالإبل إلى قومهم؛ فقال في ذلك تأبط: [الطويل]

ألا عَجِبَ الفِتْيانُ مِنْ أُمِّ مالِكٍ ... تَقولُ: أراكَ اليَوْمَ أَشْعَثَ أَغْبَرا
تَبوعاً لآثارِ السَّرِيَّةِ بَعْدَ ما ... رَأَيْتُكَ بَرَّاقَ المَفارِقِ أَيْسرا
فقلتُ لها: يَوْمانِ يَومُ إقامةٍ ... أهزُّ به غُصْناً مِنَ البانِ أَخْضَرا
ويَوْمٌ أهزُّ السَّيفَ في جِيدِ أغيدٍ ... له نِسوةٌ لَمْ تَلْقَ مثلي أنكرا[6]
يخفن عليه وهو ينزِعُ نَفْسَهُ ... لقد كنت أبّاءَ الظُّلامةِ قَسْورا[7]

---

(١) بعض حطيط وترك: خفّف من صوت إيتار القوس خشية أن يسمعوه.
(٢) الطُّباخ: القوة.
(٣) البكر: الفتي من الإبل.
(٤) أرملنا: نفد زادنا.
(٥) الهلبة: شعرة من شعر الذنب.
(٦) الأغيد: المتمايل في نعومة ولين.
(٧) القسور: الأسد.

وقـد صِحْـت فـي آثـار حَـوْم كـأنـهـا عَـذارَى عُـقَـيـلٍ أو بَـكـارةُ حِـمْـيـرا[١]
أبـعـد الـنـفـاثـيّـيـنَ آمـلُ طـرقـةً وآسَـى عـلـى شَـيْءٍ إذا هـو أدْبَـرا[٢]
أُكَفْكِفُ عنهم صُحْبَتي وإخالهم مِنَ الـذُّلِّ يَعْـراً بـالـتّـلاعـةِ أعْـفَـرَا![٣]
فلو نالَتِ الكَفَّانِ أصحابَ نوفلٍ بمهمهةٍ مِنْ بَطْنِ ظَرْءٍ فعَرْعَرَا[٤]
ولـمّـا أَبَـى الـلَّـيْـثـيُّ إلا تَـهَـكُّـمـاً بِعرضي وكان العِرضُ عِرضي أوفرا
فـقـلـت لـه: حـقَّ الـثـنـاءُ فـإنّـنـي سَـأَذْهَـبُ حـتـى لَـمْ أجِـدْ مـتـأخَّـرَا
ولـمـا رَأَيْـتُ الـجَـهْـلَ زادَ لَـجـاجـةً يَـقـولُ فـلا يـأْلـوكَ أن تَـتَـشَـوَّرَا[٥]
دنـوت لـه حـتـى كَـأنَّ قَـمِـيـصَـهُ تَشَرَّبَ مِنْ نَضْحِ الأخادِعِ عُصْفُرا[٦]
فَـمَـنْ مُـبْـلـغٌ لَـيْـثَ بـنَ بَـكْـرٍ بـأنّـنـا تَـرَكْـنـا أخـاهـم يَـوْمَ قِـرْنٍ مُـعَـفَّـرا[٧]

قال: غزا تأبط بني نفاثة بن الدّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهم خُلوفٌ، ليس في دارهم رَجُل، وكان الخَبَر قد أتى تأبّط، فأشرف فوق جبل ينظر إلى الحَيّ وهم أسْفلَ منه، فرأتْه امرأة فطرح نَفسه، فعلمت المرأة أنه تأبَّط، وكانت عاقِلةً، فأمرت النّساء فلبسْنَ لِبْسَة الرجال، ثم خرجن كأنهن يَطْلُبْن الضّالة، وكان أصحابه يتفلتون ويقولون: أُغزُ، وإنما كان في سَرِية من بين السّتّة إلى السبعة، فأبى أن يدعهم، وخرج يُرِيد هذيلاً، وانصرف عن النّفاثيّين، فبينا هو يتردد في تلك الجبال إذ لقي حَلِيفاً له مِنْ هذيل، فقال له: العجبُ لك يا تأبط، قال: وما هو؟ قال: إن رجال بني نفاثة كانوا خُلوفاً فمَكَرت بك امرأة، وإنهم قد رجعوا.

ففي ذلك يقول: [الطويل]

ألا عَـجِـبَ الـفِـتـيـانُ مِـنْ أُمِّ مـالِـكٍ تَـقـول: لَـقَـدْ أَصْـبَـحْـتَ أَشْـعَـثَ أَغْـبَـرا

وذكر بَاقِي الأبيات المُتَقَدّمة.

---

(١) الحوم: القطيع من الإبل.
(٢) آمل طرقة: أرجو طروقاً.
(٣) اليعر: الجدي. والتلاعة: ماء لبني كنانة بالحجاز، (معجم البلدان ٢/ ٤٠)، والأعفر: ما خالط بياضه حمرة.
(٤) ظرء: جبل في بلاد هذيل. (معجم البلدان ٤/ ٥٩). وعرعر: في بلاد هذيل. (انظر معجم البلدان ٤/ ١٠٤).
(٥) تشوّر: أتى بعمل قبيح.
(٦) الأخادع: جمع أخدع وهو عرق متصل بالوريد. والعصفر: ضرب من النبت الأحمر.
(٧) قرن: اسم لعدة مواضع. (انظر معجم البلدان ٤/ ٣٣١).

وقال غيره: لا بل قال هذه القصيدة في عامر بن الأخنس الفهميّ، وكان من حديث عامر بن الأخنَس أنه غزا في نَفَر، بضعةٍ وعِشْرين رجلاً، فيهم عامِرُ بن الأخنس، وكان سَيِّداً فيهم، وكان إذا خرج في غزو رَأَسَهُم، وكان يقال له سَيِّدُ الصعاليك، فخرج بهم حتى باتوا على بَنِي نُفاثة بنِ عَدِي بن الدِّيل مُمْسِين، ينتظرون أن ينام الحَيُّ، حتى إذا كان في سواد الليل مر بهم راعٍ من الحي قد أُغدِر فمعه غديرته[١] يسوقها فبَصَر بهم وبمكانهم، فخلى الغَدِيرة وتَبع الضَّراءَ ضَراء[٢] الوادي، حتى جاء الحي فأخبرَهم بمكان القوم وحَيْث رآهم، فقاموا فاختاروا فتيانَ الحي فسلحوهم، وأقبلوا نحوهم، حتى إذا دَنَوْا منهم قال رجل من النفاثِيِّين: والله ما قوسي بمُوترة. فقالوا: فأوتِرْ قَوسَك، فوضع قَوْسَهُ فأوتَرها، فقال تأبطَ لأصحابه: اسكُتُوا، واستَمَع فقال: أُتِيتم والله، قالوا: وما ذلك؟ قال: أنا والله أَسمع حَطِيط وتَر قَوْس. قالوا: والله ما نسمع شيئاً، قال: بلى والله إني لأسمعه، يا قوم النَّجاءَ، قالوا: لا والله ما سَمِعْت شيئاً، فوثب فانطلق وتركهم، ووثب معه نفر، وبيَّتهم[٣] بنُو نفاثة فلم يُفلِت منهم إنسان، وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه، وقُتِل تلك الليلةَ عامِرُ بنُ الأخنس.

قال ابنُ عُمير: وسألت أهلَ الحجاز عن عامِر بن الأخنس، فزعموا أنه مات على فِراشه.

فلما رجع تأبَّط قالت له امرأته: تركتَ أصحابَك، فقال حينئذ: [الطويل]

ألا عَجِبَ الفِتيانُ مِنْ أُمِّ مالِكٍ تَقولُ: لقد أَصْبَحْتَ أَشْعَثَ أغْبَرا

[مصرعه ورثاء أمه له]

فلما رجع تأبَّط وبلغه ما لَقِي أصحابُه قال: والله ما يَمَسُّ رأسي غُسْل ولا دُهْن حتى أثأر بهم. فخرج في نَفَرٍ من قَومه، حتى عَرَض لهم بَيْتٌ من هذيل بَيْن صُوى[٤] جبل، فقال: اغنَموا هذا البيت أولاً، قالوا: لا والله، ما لنا فيه أرَب، ولئن كانت فيه غَنِيمة ما نستطيع أن نَسُوقَها. فقال: إني أتفاءل أن أنزل، ووقف،

---

(١) الغديرة: الناقة يتركها الراعي.

(٢) الضراء: الأرض المستوية بها نبذ من الشجر تأويها السباع.

(٣) بيتهم: دهمهم ليلاً.

(٤) الصوى: جمع صوة، ما غلظ وارتفع من الأرض.

وأتت به ضبُع من يساره، فكرهها، وعَاف[١] على غَيْر الذي رأى، فقال: أبشري أُشْبِعك من القوم غداً. فقال له أصحابه: ويحك، انطلق، فوالله ما نرى أن نقيم عليها. قال: لا والله لا أريم حتى أُصبح. وأتت به ضَبُع عن يساره فقال: أُشبِعك من القوم غَداً. فقال أحدُ القوم: والله إني أرى هاتين غداً بك، فقال: لا والله لا أريم حتى أُصبح. فبات، حتى إذا كان في وجه الصبح، وقد رأى أهل البيت وَعَدَّهم على النار، وأبصر سواد غلام من القوم دون الْمُحْتَلم، وَغَدوْا على القوم، فقتلُوا شيخاً وعجوزاً، وحازوا جارِيَتَيْن وإبلاً. ثم قال تأبّط: إني قد رأيت معهم غلاماً؛ فأين الغلامُ الذي كان معهم؟ فأبصر أثره فاتّبعه، فقال له أصحابه: ويلك دعه فإنك لا تريد منه شيئاً، فاتَّبعه، واستتر الغلام بقتادة[٢] إلى جنب صخرة، وأقبل تأبّط يَقُصّه[٣] وفوّق الغلامُ سهماً حين رأى أنه لا يُنْجيه شيء، وأمهله حتى إذا دنا منه قَفَز قفزة، فوَثَب على الصَّخرة، وأرسل السهم، فلم يسمَع تأَبَّط إلا الحبْضة[٤] فرفع رأسه، فانتظَمَ السهمُ قَلبَه، وأقبل نحوه وهو يقول: لا بأس، فقال الغلام: لا بأسَ، والله لقد وضعتُه حيث تكره، وغشيه تأبّط بالسيف وجعل الغلام يلوذ بالقَتادة، ويضربها تأبط بحُشاشَته[٥]، فيأخذ ما أصابت الضّربةُ منها، حتى خلص إليه، فقتَله، ثم نزل إلى أصحابه يَجُر رجله، فلما رأوه وَثَبوا، ولم يدروا ما أصابه، فقالوا: ما لك؟ فلم يَنْطق، ومات في أيْدِيهم، فانطلقوا وتركوه، فجعل لا يأكل منه سَبُع ولا طائر إلا مات، فاحتَمَلته هُذَيل، فألقته في غَارٍ يقال له غَارُ رخْمان، فقالت ريطةُ أخته وهي يومئذ متزوجة في بَنِي الدِّيل: [الرجز]

نِعْمَ الفَتَى غادَرتُم برُخمانْ ... ثابتُ بنُ جابرِ بنِ سُفْيانْ

وقال مُرّة بن خُلَيف يَرْثيه: [البسيط]

إن العَزِيمةَ والعَزاءَ قد ثَوَيا ... أكفانَ ميتٍ غدا في غارِ رُخْمانِ
إلاّ يَكُنْ كُرسفٌ كُفِّنتَ جَيّدَه ... ولا يَكُنْ كَفَنٌ مِنْ ثَوْبِ كَتَّانِ[٦]

---

(١) عاف الطير: زجرها للتفاؤل والتشاؤم.
(٢) القتادة: نوع من الشجر الصلب يعرف بالخشّاب.
(٣) يُقصّه: يتعقبه.
(٤) الحبضة: نبضة السهم عند انطلاقه.
(٥) الحشاشة: بقية الروح.
(٦) الكرسف: القطن: يريد إن لم يكن كفنك من قطن فهو من ثياب الكرم والمجد.

فـإنَّ حُـرّاً مِـنَ الأنْـسـابِ ألْـبَـسَـهُ ... رِيشَ النَّدى، والنَّدَى مِنْ خَيْرِ أكْفانِ
ولـيـلـةٍ رأسُ أفْـعـاهـا إلـى حـجـرٍ ... ويـوم أورٍ مِـنَ الـجـوزاءِ رنَّـانِ
أمـضـيـتَ أولَ رهـطٍ عـنـد آخـره ... فـي إثْـرِ عـاديـةٍ أو إثْـرِ فـتـيـانِ

وقالت أم تأبط ترْثِيه:

وابـنـاهُ وابـنَ الـلَّـيْـل

قال أبو عمرو الشَّيباني: لا بل كان من شَأن تأبط وهو ثَابتُ بنُ جابر بنِ سُفْيان، وكان جرِيئاً شاعراً فاتِكاً أنه خَرَج من أهله بغارة من قَوْمه، يُريدون بَنِي صاهلة بن كاهل بن الحَارِث بن سَعِيد بن هُذَيل، وذلك في عقب شَهْر حرام مِمَّا كان يُحرِّم أهلُ الجاهلية، حتى هَبَط صدر أدَم[1]، وخفض عن جماعة بني صاهلة، فاسْتَقْبل التّلاعة، فوجد بها داراً من بني نُفاثة بن عدي، ليس فيها إلا النِّساء، غير رجل واحد، فبصُر الرجل بتَأبط وخَشِيه، وذلك في الضُّحى، فقام الرجل إلى النِّساء، فأمرهنّ فجَعَلْن رؤوسهن جُمَماً[2] وجعلن دروعهن أردِيَة، وأخذن من بيوتهن عُمُداً كهيئة السيوف فَجعلن لها حَمائل، ثم تأبطنها ثُم نَهَض ونَهَضْنَ معه يغريهن كما يُغرِي القوم، وأمرهن أن لا يُبْرزن خدّاً، وجعل هو يَبرُز للقوم ليَروه، وطفق يُغرِي ويَصيح على القوم، حتى أفزع تأبّط شرّاً وأصحابَه وهو على ذلك يُغري في بقية لَيْلة أو لَيْلَتين من الشهر الحرام، فنَهضوا في شِعب يقال له شِعْب وَشَل[3]، وتأبط يَنْهض في الشّعب مع أصحابه، ثم يقف في آخرهم، ثم يقول: يا قوم لكأنما يطردكم النساء، فيصيح عليه أصحابه فيقولون: انجُ أدركك القوم، وتأبى نفسه، فلم يزل به أصحابه حتى مضى معهم فقال تأبّط في ذلك: **[الطويل]**

أبَـعْـدَ الـنـفـاثـيِّـيـنَ أزْجـرُ طـائِـرا ... وآسـىَ عـلـى شَـيْءٍ إذا هـو أدْبَـرا
أُنَـهْـنِـهُ رِجـلـي عـنـهـمُ وإخـالُـهـم ... مِـنَ الـذُّلِّ يَـعْـراً بـالـتّـلاعـةِ أعْـفَـرا
ولـو نـالَـتِ الـكَـفّـانِ أصْـحـابَ نَـوْفَـلٍ ... بـمَـهْـمَـهَـةٍ مِـنْ بَـيْـنِ ظَـرْءٍ وعَـرْعَـرا

قال: ثم طلعوا الصدر حين أصبحوا فوجدوا أهل بيت شاذّ من بني قُرَيْم ذنب

---

(١) صدر أدم: اسم موضع.
(٢) الجمم: مفردها الجمّة: وهي مجتمع شعر الرأس.
(٣) وشل: اسم جبل عظيم بناحية تهامة، فيه مياه عذبة. (معجم البلدان ٥/ ٣٧٧).

نمار[١] فظل يراقبهم حتى أمسوْا، وذلك البيت لساعدة بنِ سفيانَ أحد بني حارثةَ بنِ قُرَيْم، فحصرهم تأبط وأصحابُه حتّى أمسَوْا. قال: وقد كانت قالت وليدةٌ لساعدةَ: إني قد رأيت اليومَ القَوم أو النفر بهذا الجبل، فبات الشيخ حَذِراً قائماً بسيفه بساحة أهله. وانتظر تأبط وأصحابُه أن يغفلَ الشيخ، وذَلِك آخرَ ليلة من الشهر الحرام فلما خشُوا أن يَفْضَحَهم الصبحُ، ولم يقدِرُوا على غِرّة مَشْوا إليه وغَرُّوه ببقية الشهر الحرام، وأعطَوْه منِ مواثيقهم ما أقنعه، وشَكَوْا إليه الجوع، فلما اطمأن إليهم وثبوا عليه فقتلوه وابناً له صغيراً حين مشى. قال: ومضى تأبط شرّاً إلى ابن له ذِي ذؤابةٍ[٢]، كان أبوه قد أمره فارتَبأ[٣] من وراء ماله، يقال له سُفيانُ بنُ ساعدةَ. فأقبل إليه تأبط شرّاً مستتراً بِمَجنّة[٤]، فلما خَشي الغلام أن يناله تأبَّط بسيفه وليس مع الغلام سَيْف، وهو مُفَوِّق سهماً، رمى مجنَّ تأبط بحَجَر، فظن تأبط أنه قد أرسل سهمه، فرمى مِجَنَّه عن يده، ومشى إليه فأرسل الغلامُ سهمَه فلم يُخْطِ لبَّته حتى خرج منه السهم، ووقع في البطحاء حَذْوَ القوم، وأبوه ممسك، فقال أبو الغلام حين وقع السهم: أخاطئهُ سفيانُ؟ فحَرَدَ[٥] القوم، فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير، ومات تأبَّط.

فقالت أمُّه ـ وكانت امرأةً من بني القَيْن بن جَسْرِ بنِ قُضاعةَ ـ ترثيه: [الوافر]

قتيلٌ ما قتيلُ بني قُرَيْم ... إذا ضَنَّتْ جُمادى بالقِطارِ[٦]
فتى فَهْمٍ جَميعاً غادَرُوهُ ... مُقيماً بالحُرَيْضَةِ مِنْ نُمارِ[٧]

وقالت أُمّه ترثيه أيضاً: [الرجز]

ويلُ آمِّ طِرفٍ غادوا برُخْمانْ ... بِثابتِ بنِ جابرِ بنِ سُفْيانْ
يُجَدِّلُ القِرْنَ ويُروِي النَّدمانْ ... ذو مأْقِطٍ يحمي وراءَ الإخوانْ[٨]

(١) نمار: جبل في بلاد هذيل (معجم البلدان ٥/٣٠٣).
(٢) ذؤابة: شعر مقدم الرأس.
(٣) ارتبأ: اختبأ وراء ربيئة.
(٤) المجنة: الترس.
(٥) حرد القوم: اعتزلوا.
(٦) ضنّت: شحت. القِطار: المطر.
(٧) الحريضة: موضع في بلاد هذيل. (معجم البلدان ٢/ ٢٥٠).
(٨) المأقط: موضع القتال، أو المضيق في الحرب.

وقالت ترثيه أيضاً:

وابناه وابنَ اللَّيلْ، ليس بزُمَّيْل[١]، شَرُوبٍ للقَيْل[٢]، رقودٍ باللّيْل، وَواد ذي هَوْل، أجزتَ باللّيلْ، تضرب بالذَّيْل، بِرَجْلٍ كالثَّوْل[٣].

قال: وكان تأبط شرّاً يقول قبل ذلك: [مجزوء الكامل]

ولـقـد عَـلِـمْـتُ لـتـعـدُوَنَّ عَـلَـيَّ شَـتْـمٌ كَـالـحـسـاكـل[٤]
يَـأْكُـلْـنَ أَوْصـالاً ولـحـ ـماً كـالـشَّـكـاعِـي غَـيْـرَ جاذِل[٥]
يـا طَـيْـرُ كُـلْـنَ فـإنَّـنـي سُـمٌّ لَـكُـنّ وذو دَغَـاوِل[٦]

وقال قبل موته: [الوافر]

لَـعَـلِّـي مَـيِّـتٌ كـمـداً ولـمَّـا أُطـالِـعْ أَهْـلَ ضَـيْـمٍ فـالـكـرابِ
وإن لـم آتِ جَـمْـعَ بـنـي خُـثـيـم وكـاهِـلَـهـا بـرَجْـلٍ كـالـضّـبـابِ
إذا وَقَـعَـتْ بِـكَـعْـبٍ أو قُـرَيْـمٍ وسـيَّـارٍ فـيـا سَـوْغَ الـشّـرابِ

فأجابه شاعر من بني قريم: [الوافر]

تـأَبَّـطَ سَـوْأةً وحَـمَـلْـتَ شَـرّاً لَـعَـلَّـكَ أنْ تَـكـونَ مِـنَ الـمُـصـابِ
لَـعَـلَّـكَ أَنْ تَـجِـيءَ بـكَ الـمـنـايـا تُـسـاقُ لِـفِـتْـيَـةٍ مـنـا غِـضـابِ
فـتُـصْـبِـحَ فـي مَـكَـرِّهِـمُ صَـرِيـعـاً وتُـصْـبِـحَ طرفةَ الـضَّـبُـعِ الـسِّـغـابِ
فَـزِلْـتُـم تَـهْـرُبـونَ ولـو كَـرِهْـتُـم تَـسُـوقُـونَ الـحَـرائـمَ بـالـنِّـقـابِ
وزالَ بـأَرْضِـكُـم مـنّـا غـلامٌ طَـلِـيـعـةُ فـتْـيَـةٍ غُـلْـبِ الـرِّقـابِ[٧]

ونَذْكُر ها هنا بعد أخبار تأبط شرّاً أخبار صاحِبيه عَمْرِو بن بَرَّاق والشَّنْفَرَى ونبدأ بما يُغَنَّى فيه من شعريهما، ونُتبِعُه بالأخبار.

---

(١) الزمّيل: الجبان.

(٢) القيل: شرب اللبن في القيلولة.

(٣) الثول: جماعة النحل.

(٤) الشتم: جمع شتيم وهو الأسد القبيح المنظر، والحساكل: جمع حسكل وهو الشرر الذي يتطاير من الحديد المحمي.

(٥) الشّكاعي: جمع شكاعة وهي شوكة تملأ فم البعير. وغير جاذل: غير سمين.

(٦) الدغاول: الدواهي.

(٧) زال: نهض، والغلب: جمع أغلب أي غليظ العنق.

فأما عمرو بنُ برَّاقٍ فممَّا يغنّى فيه من شعره قَوله:

صوت

متى تَجْمَعِ القَلْبَ الذَّكيَّ وصارِماً وأنفاً حَمِيّاً تَجْتَنِبْكَ المَظالِمُ[1]

وكنتُ إذا قومٌ غَزَوْني غَزَوتُهم فهل أنا في ذا يا لَهَمْدانَ ظَالِمُ!

كَذَبْتُم وبَيْتِ الله لا تَأْخُذُونَها مُرَاغَمَةً ما دامَ للسَّيْفِ قائِمُ

ولا صُلْحَ حتى تَعْثُرَ الخَيلُ بالقَنا وتُضْرَبَ بالبِيضِ الرِّقاقِ الجَماجِمُ[2]

عروضه من الطويل، الشعر لابن بَرّاقٍ وقيل ابن بَرّاقة. والغِناء لمحمدِ بنِ إسحاقَ بنِ عمرِو بنِ بَزِيعَ ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهِشامي.

---

(١) الذكي: المتحمس. والأنف الحميّ: كناية عن الأنفة والعزة.

(٢) البيض الرّقاق: السيوف الحادة.

عمرو بن براق

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفش قال: حدَّثَنا السّكريُّ عن ابنِ حبيبَ قال: وأخبرنا الهَمدانِيّ ثعلب، عن ابن الأعرابي، عن المُفَضَّل، قالا:

[قصته مع حريم الهمداني وشعره]

أغار رجل من هَمْدان يقال له حُرَيم على إبل لعمرِو بنِ برّاقٍ وخيل، فذهب بها، فأتى عمرو امرأةً كان يتحدّث إليها ويزورها فأخبرها أن حُرَيْماً أغار على إبله وخَيله فذهب بها، وأنه يريد الغارة عليه، فقالت له المرأة: ويحك لا تَعْرِضْ لتَلَفَات حُرَيم فإني أخافُه عليك، قال: فخالفَها، وأغار عليه، فاستاق كلَّ شيء كان له، فأتاه حُرَيم بعد ذلك يطلب إليه أن يردَّ عليه ما أخذه منه، فقال: لا أفعل، وأبى عليه، فانصرف، فقال عمرو في ذلك: [الطويل]

تَقولُ سُلَيْمى لا تعَرَّضْ لتَلفةٍ ... وليلُكَ عَنْ لَيْلِ الصَّعاليكِ نائِمُ[1]

وكيف يَنامُ اللَّيْلَ مَنْ جُلّ مالِهِ ... حُسامٌ كَلَوْنِ المِلْحِ أَبْيَضُ صارِمُ

صَمُوتٌ إذا عَضَّ الكَريهةَ لم يَدَعْ ... لها طَمَعاً طوعُ اليَمينِ ملازِمُ[2]

نَقدْتُ به ألْفاً وسامَحْتُ دُونَهُ ... على النَّقْدِ إذْ لا تُسْتطاعُ الدَّراهِمُ

أَلَمْ تَعْلَمي أنّ الصَّعالِيكَ نَوْمُهم ... قَليلٌ إذا نامَ الدَّثُورُ المُسالِمُ[3]

إذا اللَّيْلُ أَدْجى واكْفَهَرّتْ نُجُومُهُ ... وصاحَ مِنَ الإفراطِ هامٌ جواثِمُ[4]

ومالَ بِأَصْحابِ الكَرَى غالِباتُهُ ... فإنِّي على أَمْرِ الغَوايةِ حازِمُ

كَذَبْتُمْ وبَيْتِ الله لا تَأْخُذونَها ... مُراغَمةً ما دامَ لِلسَّيْفِ قائِمُ

---

(١) لا تَعَرّض: لا تتعرّض، حذفت تاء المضارعة.

(٢) صموت: كثير الصمت. صيغة مبالغة من اسم الفاعل صامت.

(٣) الدَّثور: المتغطي دائماً بالدثار، ويقصد الخامل.

(٤) أدجى الليل: أظلم. واكفهرت النجوم: عبست وغطاها السحاب، وأظلمت.

تَحالفَ أقْوامٌ عَلَيَّ لِيَسْمَنُوا … وجروا عَلَيَّ الحَرْبَ إذا أنَا سَالِمُ
أفَالآن أُدْعى لِلْهَوادةِ بَعْدَما … أُجيل على الحَيِّ المَذاكِي الصَّلادمُ[1]
كأنّ حُرِيماً إذْ رجا أن يَضُمَّها … ويُذْهِبَ مالي يابنَة القَوْم حالِمُ
مَتَى تَجْمَعِ القَلْبَ الذَّكِيَّ وصارِماً … وأنفاً حَمِيّاً تَجْتَنِبْكَ المَظالِمُ
ومَن يَطلبِ المالَ المُمَنَّع بالقَنَا … يَعِشْ ذا غِنًى أو تَخْتَرِمْهُ المَخارِمُ[2]
وكُنْتُ إذا قَوْمٌ غَزوني غَزَوْتُهم … فَهَلْ أنا في ذا يالَهَمْدان ظالمُ
فلا صُلْحَ حتى تَعْثُرَ الخَيْلُ بالقنا … وتُضْرَبَ بالبِيضِ الرِّقاقِ الجَماجِمُ

وأما الشنفرى فإنه رجل من الأزد ثم من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد. ومما يُغَنَّى فيه من شِعره قَولُه:

صوت

[الطويل]

أَرَى أُمَّ عَمْرو أزْمَعَتْ فاسْتَقَلَّتِ … وما ودَّعَتْ جِيرانها إذْ تَوَلَّتِ[3]
فوا نَدَما بانَتْ أُمامةُ بعدما … طَمِعتُ فهَبْها نِعْمةً قد تَوَلَّتِ
وقد أعجَبتْنِي لا سَقُوطاً خِمارُها … إذا ما مَشَتْ ولا بذاتِ تَلَفُّتِ

غَنَّى في هذه الأبيات إبراهيم ثاني ثقيل بالبِنصر عن عَمْرو بن بَانة.

---

(١) المذاكي: الجياد. والصلادم: جمع صلدم، وهو الجواد الصلب القويّ.
(٢) اخترمته المخارم: أهلكته المهالك.
(٣) أزمع على الرحيل: عزم، صمم.

أخبار الشنفرى ونسبه

[توفي نحو سنة ٧٠ ق هـ/ نحو سنة ٥٢٥ م]

[اسمه ونسبه ولقبه ونشأته]

وأخبرني بخبره الحَرمِيّ بن أبي العلاء قال: حدثنا أبو يحيى المُؤدب وأحمد بن أبي المنهال المُهلبي، عن مُؤَرّج عن أبي هشام محمدِ بنِ هشام النّمَيْريّ، أن الشنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنْو بنُ الأزد بن الغوث، أسرته بنو شبابةَ بن فهم بنِ عمرِو بن قيسٍ بن عَيْلان، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سَلامانَ بنِ مفرِّج بن عوفِ بن ميدعانَ بنِ مالكِ بن الأزدِ رجلاً من فهم، أحدَ بني شبابة فَفَدته بنو شبابة بالشَّنْفَرى قال: فكان الشنفرى في بني سلامانَ بنِ مفرِّج لا تحسبه إلا أحدَهم حتى نازعتْه بنتُ الرجل الذي كان في حِجْره، وكان السُّلامي اتخذه ولداً وأحسن إليه وأعطاه، فقال لها الشنفرى: اغسِلي رأسي يا أُخيَّةُ وهو لا يشك في أنها أخته؛ فأنكرت أن يكون أخاها ولطمته، فذهب مغاضباً حتى أتى الذي اشتراه من فهم، فقال له الشنفرى: اصدقني ممن أنا؟ قال: أنت من الأواس بن الحجر، فقال: أَمَا إنّي لن أدعكم حتى أقتل منكم مائةً بما استعبدتموني، ثم إنه ما زال يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً، وقال الشنفرى للجارية السّلامية التي لطمته وقالت: لست بأخي: [الطويل]

ألا ليتَ شِعْري والتَّلَهّفُ ضَلّةٌ ... بما ضَربتْ كَفُّ الفتاة هَجِينَها[1]

ولو عَلِمَتْ قُعسوسُ أَنْسابَ والدي ... وَوَالِدِها ظَلَّتْ تَقاصَرُ دُونها[2]

أنا ابن خيارِ الحُجْرِ بَيْتاً ومَنْصِباً ... وأمي ابنةُ الأَحْرارِ لوْ تعْرِفينها

(١) الهجين: من كان أبوه عربياً وأمه أعجمية.

(٢) تقاصر: تتقاصر. حذفت تاء المضارعة.

قال: ثم لزم الشَّنْفَرى دار فَهْم فكان يغير على الأزد على رجليه فيمن تَبِعه من فَهْم، وكان يغير وحده أكثر من ذلك، وقال الشنفرى لبني سلامان: [الطويل]

وإنِّي لأهْوَى أن أَلُفَّ عَجَاجتي ... على ذي كِساءٍ مِنْ سَلامانَ أو بُرِدِ[١]
وأُصْبِحَ بالعَضْدَاءِ أبغِي سَراتَهم ... وأسلُكَ خَلاً بَيْنَ أرباعَ والسَّرْدِ[٢]

فكان يقتل بني سلامان بنِ مُفرّج حتى قعد له رَهْط من الغامديين من بني الرّمداء فأعجزهم فأَشْلَوْا عليه كلباً[٣] لهم يقال له حُبَيْش ولم يضعوا له شيئاً، ومرَّ وهُو هارب بقرية يقال لها دَحِيس برجُلين من بني سلامان بن مفرج فأرادهما ثم خشي الطلب فقال: [الطويل]

قتيلَيْ فِجارٍ أنتُما إنْ قُتِلتُما ... بِجَوْفِ دَحِيس أو تبالةَ يا اسمعا[٤]

يريد: يا هذان اسمعا، وقال فيما كان يُطالب به بني سلامان: [الطويل]

فإلا تَزُرْني حَتْفتي أو تُلاقني ... أُمشّ بِدَهْرٍ أو عذافَ فنوَّرا[٥]
أُمَشِّي بِأَطْرافِ الحماطِ وتارةً ... تُنفِّضُ رجلي بَسْبُطاً فعَصَنْصَرا[٦]
وأبغي بني صَعْبِ بنِ مُرٍّ بلادَهم ... وسوف أُلاقيهم إنِ اللّهُ يَسَّرا
ويوماً بذاتِ الرَّأسِ أو بَطْنِ مِنجَلٍ ... هنالك تَلْقى القاصيَ المُتغَوّرا[٧]

[خبر مقتله ورثاء تأبط شرّاً له]

قال: ثم قعد له بعد ذلك أُسَيْدُ بن جابر السلاماني وخازم الفهميّ بالناصف من أَبِيدةَ ومع أُسَيْد ابن أخيه، فمر عليهم الشنفرى، فأبصر السواد بالليل فرماه، وكان لا يرى سواداً إلا رماه كائناً ما كان، فشك ذراع ابن أخي أسيد إلى عضده، فلم يتكلم، فقال الشنفرى: إن كنتَ شيئاً فقد أصبتُك وإن لم تكن شيئاً فقد أمِنْتُك، وكان خازمٌ باطحاً، يعني مُنْبَطحاً بالطريق يرصده، فنادى أُسيد: يا خازم أصلت،

(١) العجاجة: الغبار الذي تثيره الحرب.
(٢) السراة: السادة الأشراف. والعضداء وأرباع والسرد: مواضع.
(٣) أشلى الكلب: أغراه وشجعه.
(٤) دحيس وتبالة: موضعان.
(٥) عذاف ونوّر: موضعان.
(٦) الحماط: شجر تألفه الحيات. وبسبط وعصنصر: موضعان.
(٧) ذات الرأس، وبطن منجل: موضعان. والقاصي: البعيد. والمتغوّر: الموغل في الأرض.

يعني اسْلُلْ سيفَك. فقال الشنفرى: لكلٍّ أصلت، فأصلت الشنفرى. فقطع إصبعين من أصابع خازم الخِنصرَ والبِنصرَ، وضبطه خازمٌ حتى لحقه أسيد وابن أخيه نجدة، فأخذ أسيد سلاح الشنفرى وقد صرع الشنفرى خازماً وابنَ أخِي أسيدٍ، فضبطاه وهما تحته، وأخذ أسيدٌ برجل ابن أخيه، فقال أسيد: رِجْل مَنْ هَذِه؟ فقال الشنفرى: رِجْلي، فقال ابن أخي أسيد: بل هي رجلي يا عم فأسروا الشَّنْفرى، وأدّوْه إلى أهلهم، وقالوا له: أنشدنا، فقال: إنما النشيد على المَسَرَّة، فذهبت مَثلاً، ثم ضربوا يدَه فتعرضت، أي اضطربت فقال الشَّنفرى في ذلك: [الرجز]

لا تَـبْـعَـدِي إمّـا ذَهَـبْـتِ شـامَـهْ ... فَـرُبَّ وادٍ نَـفَـرَتْ حَـمـامَـه[1]
ورُبَّ قِـرْنٍ فَـصَـلَـتْ عِـظـامَـهْ[2]

ثم قال له السُّلامي: أأطرِفُك[3]؟ ثم رماه في عينه فقال الشنفرى له: كأن كُنَّا نفعل أي كذلك كُنَّا نَفْعل، وكان الشنفرى إذا رمى رجلاً منهم قال له: أأطْرِفُك؟ ثم يرمي عينه. ثم قالوا له حين أرادوا قتله: أين نَقبُرك؟ فقال: [الطويل]

لا تَـقـبُـرونـي إنْ قَـبـرِي مُـحـرَّم ... عـلـيكـم ولـكـن أبشِري أُمَّ عـامـر[4]
إذا احْتمَلَتْ رأسي وفي الرأس أكثَرِي ... وغُـودِر عـنـد الـمُـلْـتَقَى ثَـمّ سـائِرِي
هـنـالـك لا أرجـو حـيـاةً تَـسُـرُّنِـي ... سَـمِيرَ الـلـيالي مُـبْسَلاً بـالجَرَائِر[5]

وقال تأبَّط شَرّاً يرثي الشَّنْفَرَى: [الطويل]

على الشَّنْفَرَى ساري الغمام ورائِحٌ ... غزيرُ الكُلى، وَصَيِّبُ الماءِ باكرُ[6]
عـلـيـك جَـزاءٌ مِـثْـلُ يَـوْمِـكَ بـالـجَـبَـا ... وقد أُرْعِفتْ منك السُّيوفُ البواترُ[7]
ويـومِـكَ يَـوْم الـعَـيْـكَـتَـيْـن وعـطـفـةٍ ... عطفتَ وقد مَسَّ القُلُوبَ الحناجِرُ[8]
تَـجُـولُ بـبـزِّ الـمـوْتِ فـيـهـم كـأنّـهـم ... بِشَوْكَتِكَ الحُدّى ضَئِينٌ نوافرُ[9]

---

(١) القِرْن: المشابه، المماثل في الصفات.
(٢) أطرف عينه: أدخل فيها ما يسيل الدمع منها.
(٣) أم عامر: الضبع.
(٤) سمير الليالي: طوال الليالي. ومبسلاً: رهيناً. والجرائر: جمع جريرة وهي الذنب.
(٥) الكلى: جمع كلوة، وهي أسفل السحاب. وصيِّب الماء: غزيره.
(٦) الجبا: موضع. (انظر معجم البلدان ٢/ ٩٧).
(٧) العيكتان: موضع. (انظر معجم البلدان ٤/ ١٧٣).
(٨) البزّ: السلاح. والحُدّى: مؤنث الأحدّ، وهو المرهف الحدّ. والضئين: جمع ضائن وهو الغنم.
(٩) واتر: طالب ثأر.

فإنَّكَ لوْ لاقَيْتَني بعد ما ترى ـ وهل يُلْقَيْن مَنْ غَيَّبَتْهُ المقابِرُ ـ
لألْفَيْتَني في غارة أنْتَمي بها إليك وإمّا راجعاً أنا ثائِرُ
وإنْ تَكُ مأسوراً وظَلْتَ مُخَيِّماً وأبْلَيْتَ حتى ما يَكِيدكَ واتِرُ[1]
وحَتّى رَماكَ الشَّيْبُ في الرَّأسِ عانساً وخَيْرُكَ مَبْسوطٌ وزادُكَ حاضِرُ[2]
وأجْمَلُ مَوْتِ المرْءِ إذ كانَ ميتاً ـ ولا بُدَّ يَوْماً ـ مَوْتُهُ وهو صابِرُ
فلا يَبْعَدنّ الشَّنْفَرى وسِلاحُهُ الْـ حَديدُ وَشدٌّ خَطْوُه متواتِر[3]
إذا راعَ رَوْعُ الموْتِ راعَ وإن حَمَى حَمَى مَعَهُ حُرٌّ كَرِيمٌ مُصابِرُ[4]

قال: وقال غيره: لا بل كان من أمر الشنفرى وسَبب أسره ومقتله أنّ الأزد قتلت الحارثَ بن السّائب الفَهْميّ، فأبوا أن يَبوءوا بقتله[5]، فباء بقتله رَجُلٌ منهم يقال له حزام بن جابر قَبِلَ ذلك، فمات أخو الشنفرى، فأنشأت أمه تبكيه، فقال الشنفرى، وكان أوّل ما قاله من الشعر: [المتقارب]

لَيْسَ لِوالدةٍ هوؤُها ولا قَوْلُها لابنها دَعْدع
تُطيفُ وتُحدِثُ أحْوالَهُ وغيْرُكِ أمْلَكُ بالمَصْرَعِ

قال: فلما ترعرع الشّنفرى جعل يُغِير على الأزد مع فَهْم، فيقتل مَنْ أدرك منهم، ثم قدم مِنى وبها حزام بن جابر، فقيل له: هذا قاتل أبيك، فشَدَّ عليه فقتله، ثم سبق الناسَ على رجليه فقال: [الطويل]

قَتَلْتُ حزاماً مُهْدِياً بمُلَبِّدٍ بِبَطْنِ مِنًى وسْطَ الحَجِيجِ المُصَوّتِ

قال: ثم إن رجلاً من الأزد أتى أُسيدَ بن جابر، وهو أخو حزام المقتول فقال: تركتُ الشنفرى بسوق حُباشة[6]، فقال أسيد بنُ جابر: والله لئن كنت صادقاً لا نرجع حتى نأكلَ من جَنى ألِيفِ أبيدة[7]، فقعد له على الطريق هو وابنا حزام، فأحسُّوه في جوف الليل وقد نزع نعلاً ولبس نعلاً ليخفيَ وطأه، فلما سمع الغلامان

---

(١) العانس: الذي لم يتزوج.
(٢) الشدّ: الإغارة على الأعداء. والمتواتر: المتتابع، المتتالي.
(٣) راع: أفزع. والرّوْع: الخوف.
(٤) باء بقتله: اعترف بقتله، وتحمله.
(٥) الهَوْء: الهمة، الرأي. ودعدع: فعل أمر بمعنى أجِرِ.
(٦) سوق حباشة: من أسواق العرب في الجاهلية. (معجم البلدان ٢/ ٢١٠).
(٧) أبيدة: موضع. (معجم البلدان ١/ ٨٥).

وطأه قالا: هذه الضَّبُع، فقال أسيد: ليست الضَّبُعَ، ولكنه الشنفرى، ليضَعْ كل واحد منكما نعلَه على مَقْتله، حتى إذا رأى سوادهم نكص مليّاً لينظر هل يتبعه أحد، ثم رجع حتى دنا منهم، فقال الغلامان: أبْصَرَنَا، فقال عمهما: لا والله ما أبصركما، ولكنه أطرد لكيما تتبعاه، فليضَعْ كلٌّ واحد منكما نعلَه على مقتله. فرماهم الشنفرى فخسق في النعل[1] ولم يتحرك المَرْميّ. ثم رمى فانتظم ساقَيْ أُسيد، فلما رأى ذلك أقبل حتى كان بينهم، فوثبوا عليه، فأخذوه فشدُّوه وَثاقاً، ثم إنهم انطلقوا به إلى قومهم، فطرحوه وسطهم، فتمارَوْا[2] بينهم في قتله، فبعضهم يقول: أخوكم وابنكم، فلما رأى ذلك أَحدُ بني حزَام ضربه ضربةً فقطع يده من الكوع، وكانت بها شامةٌ سوداء، فقال الشنفرى حين قُطِعتْ يده: [الرجز]

لا تَبْعدي إمَّا هلكت شامَهْ فربَّ خَرقٍ قَطَعتْ قتامَهْ
وربَّ قِرْنٍ فصَلت عظامَه

وقال تَأَبط شَرّاً يرثيه: [الطويل]

لا يَبْعَدنَّ الشَّنفرى وسلاحُه الـ حديدُ وشَدٌّ خَطْوُه مُتواتِرُ
إذا راعَ رَوْعُ المَوْتِ رَاعَ وإن حَمى حَمى مَعَهُ حُرٌّ كَريمٌ مُصابِرُ

قال: وذُرع[3] خَطوُ الشنفرى ليلة قتل فوُجِد أول نزوة نزاها إحدى وعشرين خطوةً، ثم الثانية سبعَ عشرةَ خطوةً.

قال: وقال ظالم العامريّ في الشّنفرى وغاراتِه على الأزد وعَجْزهم عنه، ويَحْمَدُ أُسَيْدَ بن جابرٍ في قتله الشنفرى: [الطويل]

فما لَكُم لَمْ تُدْرِكُوا رِجْلَ شَنْفَرَى وأَنْتُمْ خِفافٌ مِثْلُ أَجْنِحَةِ الغُرْبِ[4]
تَعادَيْتُم حَتَّى إذا ما لَحِقْتُم تَباطَأَ عَنْكُم طالبٌ وأبو سَقْبِ
لَعَمْرُكَ لَلسّاعي أُسَيدُ بنُ جابِرٍ أَحَقُّ بها مِنْكم بَنِي عقبِ الكَلْبِ

قال: ولما قُتل الشّنفرى وطُرح رأسُه مرّ به رجل منهم فضرب جمجمة

(١) خسق في النعل: أصابها.
(٢) تماروا: تجادلوا.
(٣) ذرع: قِيس.
(٤) الغرب: جمع الغراب.

الشنفرى بقدمه، فعُقِرت قدمُه فمات منها، فتَمَّت به المائةُ.

[شعره لما ثأر بأبيه]

وكان مما قاله الشنفرى فيهم من الشعر وفي لطمه المرأة التي أنكرته الذي ذكرتُه وأستغني عن إعادته مما تقدم ذكره من شعر الشنفرى، وقال الشنفرى في قتله حزاماً قاتل أبيه: [الطويل]

أَرَى أُمَّ عَمْرٍو أَجْمَعَتْ فاسْتَقَلَّتِ ... وما ودَّعَتْ جِيرانَها إذْ تَوَلَّتِ
فَقَدْ سَبَقَتْنا أُمُّ عَمْرٍو بأَمْرِها ... وقد كان أَعْناقُ المَطيِّ أَظَلَّتِ[1]
فَوا نَدَمَا على أُمَيْمَةَ بَعْدَما ... طَمِعْتُ فَهبْها نِعْمَةَ العَيْشِ ولَّتِ
أُمَيْمَةُ لا يُخْزِي نَثاها حَليلَها ... إذا ذُكِرَ النِّسوانُ عَفَّتْ وجَلَّتِ[2]
يَحُلُّ بِمَنْجاةٍ مِنَ اللّومِ بَيْتُها ... إذا ما بُيوتٌ بالمَلامةِ حُلَّتِ
فَقَدْ أَعْجَبَتْني، لا سَقُوطاً قِناعُها ... إذا ما مَشَتْ ولا بِذاتِ تَلَفُّتِ
كأنَّ لها في الأرضِ نِسْياً تَقُصُّهُ ... إذا ما مَشَتْ وإنْ تُحَدِّثْكَ تَبْلِتِ[3]

ـ النِّسْيُ: الذي يسقط من الإنسان وهو لا يدري أين هو؛ يصفها بالحياء، وأنها لا تلتفت يميناً ولا شمالاً ولا تبزج. ويروى:

تقصه على أمها وإن تُكلِّمك

فدَقَّتْ وجَلَّتْ واسْبَكَرَّت وأُكْمِلتْ ... فلو جُنَّ إنسانٌ مِنَ الحُسْنِ جُنَّتِ[4]
تَبِيتُ بُعَيْدَ النَّوْمِ تُهدِي غَبُوبَها ... لجاراتِها إذا الهديّة قَلَّتِ

ـ الغبوب: ما غَبَّ عندها من الطعام أي بات، ويروى: غبوقها ـ

فَبِتْنا كأنَّ البَيْتَ حُجِّر حَوْلَنا ... بريحانةٍ راحَتْ عِشاءً وطُلَّتِ[5]
بِرَيْحانةٍ مِنْ بَطْنِ حلْيةَ أُمْرِعَتْ ... لها أرجٌ مِنْ حَولِها غيْرُ مُسْنِتِ[6]

---

(١) أظلت أعناق المطيّ: كناية عن اقتراب الرحيل.
(٢) نثاها: حديثها.
(٣) تبلت: تنقطع عن الكلام استحياء.
(٤) اسبكرت: اعتدلت واستقامت.
(٥) حجّر: رصف بالحجارة. وُطلّتِ: أصابها الطلّ، وهو الندى.
(٦) حلية: مأسدة بأرض اليمن، وقيل غير ذلك. (انظر معجم البلدان ٢/٢٩٧). والأرج: العطر. والمسنت: الممحل.

غَدَوْتُ مِنَ الوادي الذي بيْنَ مَشْعَلٍ وبَيْنَ الجَبَا هيهات أنْسأتُ سُربتي[١]
أُمشِّي على الأرضِ التي لَنْ تضيرَني لأكسِبَ مالاً أو أُلاقِيَ حُمَّتِي
إذا ما أَتَتْني حَتْفَتي لَمْ أُبَالِها ولم تُذْرِ خالاتي الدُّموعَ وعَمَّتِي
وهُنِّىءَ بي قَوْمٌ وما إن هنأتُهم وأَصْبَحْتُ في قَوْمٍ ولَيْسُوا بمنْبِتي
وأُمَّ عيالٍ قد شَهِدْتُ تَقُوتُهم إذا أطْعَمَتْهم أوْتَحَتْ وأقَلَّتِ[٢]
تَخافُ علينا الجُوعَ إنْ هيَ أكْثَرَتْ ونَحْنُ جياعٌ، أيَّ أَلْيٍ تألَّتِ[٣]
عُفَاهِيَةٌ لا يَقْصُرُ السِّترُ دُونَها ولا تُرتَجى للبَيْتِ إنْ لَمْ تُبَيَّتِ[٤]
لها وَفْضَةٌ فيها ثلاثونَ سَلْجَماً إذَا ما رأتْ أُولى العَدِيِّ اقْشَعَرَّتِ[٥]
وتأتي العَدِيَّ بارزاً نِصْفُ ساقِها كعَدْوِ حِمارِ العانةِ المُتَفَلِّتِ[٦]
إذا فُزِّعَتْ طارَتْ بأبيضَ صارِمٍ وراحَتْ بما في جُفرِها ثُمَّ سَلَّتِ[٧]
حُسامٍ كَلَوْنِ المِلْحِ صافٍ حديدُهُ جُرَازٍ مِنْ أقطارِ الحديدِ المنعَّتِ[٨]
تراها كأذنابِ المَطِيِّ صوادراً وقد نهِلتْ مِنَ الدّماءِ وعلَّتِ
سَنَجْزي سَلامانَ بنَ مُفْرجَ قرْضَهُمْ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهمُ وأَزَلَّتِ
شَفَيْنا بعبد الله بَعْضَ غَليلِنا وعَوْفٍ لَدَى المعْدَى أوانَ اسْتَهَلَّتِ[٩]
قَتَلْنا حراماً مُهدِياً بمُلَبَّدٍ محلّهما بَيْنَ الحَجيجِ المُصَوِّتِ
فإن تُقْبِلوا تُقبِلْ بمَنْ نِيلَ منهمُ وإن تُدبِروا فأُمَّ مَنْ نِيلَ فُتَّتِ[١٠]
ألا لا تَزُرْني إن تَشَكَّيْتُ خُلَّتي كفاني بأعلى ذي الحُمَيرةِ عُدْوَتي[١١]
وإني لَحُلْوٌ إنْ أُرِيدَتْ حلاوتي ومُرٌّ إذا النَّفْسُ الصَّدوفُ اسْتَمَرَّتِ[١٢]

---

(١) مشعل: موضع بين مكة والمدينة. (معجم البلدان ٥/ ١٣٤). ومشعل: موضع. وأنسأت سربتي: أبعدت مسيري.
(٢) أوتحت: قلّلت.
(٣) تألّت: حلفت.
(٤) عفاهية: ضخمة. لا يقصر الستر دونها: لا تتكشف لأحد.
(٥) الوفضة: الجعبة. والسلجم: النصل. واقشعرّت: اضطربت. العديّ: جماعة العادين. العانة: القطيع من حمار الوحش.
(٦) الجفر: جمع جفير، أي جعبة السهام.
(٧) الجراز: القاطع، وأقطار: جمع قطر، وهو ذوب الحديد.
(٨) عبد الله وعوف: قبيلتان، والمعدى: موضع، واستهلت: برزت للقتال.
(٩) بمن نيل منهم: بدماء من نيل منهم. وأم من نيل: يعني أم رأسهم.
(١٠) الخلّة: الحاجة والفقر. والعدوة: المكان المرتفع.
(١١) النّفس الصدوف: المائلة المنصرفة.

أبِيٌّ لما آبَى وَشِيكٌ مَفِيئَتي ... إلى كُلِّ نَفْسٍ تَنْتَحِي بِمَوَدَّتِي[(١)]

وقال الشَّنفرى أيضاً: [الطويل]

ومرقبةٍ عَنْقاءَ يَقْصُرُ دُونَها ... أخو الضَّرْوَة الرّجْل الخَفِيُّ المُخَفَّفُ[(٢)]

نَمَيْتُ إلى أعْلَى ذُراها وَقَدْ دَنا ... مِنَ اللَّيْلِ مُلْتَفُّ الحَدِيقَةِ أسْدَفُ[(٣)]

فَبِتُّ على حَدِّ الذِّراعينِ أحْدَباً ... كما يَتَطَوَّى الأَرْقَمُ المُتَعَطِّفُ[(٤)]

قليلٌ جَهازِي غَيْرُ نَعْلَيْنِ أسْحَقَتْ ... صُدورُهما مَخْصُورةً لا تُخَصَّفُ[(٥)]

ومِلْحَفَةٍ دَرْسٍ وَجَرْدِ مُلاَءةٍ ... إذا أنهجت مِنْ جانِبٍ لا تَكَفَّفُ[(٦)]

وأَبْيَضُ مِنْ ماءِ الحَديدِ مُهَنَّدٌ ... مِجذٌّ لأطْرافِ السَّواعِدِ مِقطَفُ

وصَفْراءُ مِنْ نَبْعٍ أبِيٌّ ظَهيرةٌ ... تُرِنُّ كإرنانِ الشَّجِيِّ وَتَهْتِفُ[(٧)]

إذا طالَ فيها النَّزْعُ تَأْتي بعَجْسها ... وَتَرْمي بذَرْوَيْها بهنّ فتَقْذِفُ[(٨)]

كأنّ حفيفَ النَّبْلِ مِنْ فَوْقِ عَجْسها ... عوازبُ نحلٍ أخطأَ الغارَ مُطْنِفُ[(٩)]

نَأَتْ أمُّ قَيْسٍ المرْبَعَين كليهما ... وَتَحْذَرُ أنْ يَنْأَى بها المُتَصَيَّفُ[(١٠)]

وإنَّكِ لَوْ تَدْرينَ أنْ رُبَّ مشربٍ ... مخوفٍ كداءِ البَطْنِ أو هو أخْوَفُ

وَرَدْتُ بِمَأْثورٍ ونَبْلٍ وضالةٍ ... تَخَيَّرْتُها مِمَّا أرِيشُ وأرْصُفُ[(١١)]

أُرَكِّبُها في كُلِّ أَحْمَرَ عاترٍ ... وأَقْذِفُ مِنْهُنَّ الذي هو مُقْرِفُ[(١٢)]

وتابَعْتُ فيه البَرْيَ حَتَّى تَرَكْتُهُ ... يَزِفُّ إذا أنْفَذْتُهُ ويُزَفْزِفُ[(١٣)]

---

(١) مفيئتي: رجعتي.

(٢) الضروة: الاستخفاء.

(٣) أسدف: أظلم.

(٤) يتطوى: يلتف بعضه إلى بعض. والأرقم: الثعبان.

(٥) أسحقت: بليت. ومخصورة: دقيقة الوسط، ولا تخصف: لا تخرز.

(٦) الجرد: البالي، وأنهجت: بليت.

(٧) صفراء: صفة للقوس، والنبع: ضرب من الشجر الصلب تتخذ منه القسي، وظهيرة: معينة، وتُرِنّ: تصدر رنيناً عند إطلاقها.

(٨) العجس: مقبض القوس. وذرواها: طرفاها.

(٩) عوازب: ذواهب.

(١٠) المربعان: الربيع والشتاء.

(١١) المأثور: السيف المؤثر، والضالة: السهام.

(١٢) العاتر: الشديد.

(١٣) يزفُّ: يبسط جناحيه مثل الطائر إذا رمى بنفسه. ويزفزف: يجري بسرعة.

بِكَفِّيَ منها للبَغِيضِ عُراضَةٌ إذا بِعْتُ خلاً ما لَهُ مُتَخَوَّفُ[1]
ووادٍ بَعِيدِ العُمْقِ ضَنْكٍ جِماعُهُ بواطِنُهُ للجِنِّ والأُسْدِ مألَفُ[2]
تَعَسَّفتُ منه بعد ما سَقَطَ النَّدَى غَماليل يَخْشَى غِيلَها المُتعسِّفُ[3]
وإني إذا خَامَ الجبانُ عَنِ الرَّدَى فلِي حَيْثُ يُخْشَى أنْ يُجاوِزَ مخسَفُ[4]
وإنّ امْرَأً أجار سعدَ بنَ مالكٍ عَلَيَّ وأثوابِ الأُقَيْصِرِ يَعْنُفُ[5]

وقال الشنفرى أيضاً: [الطويل]

ومُسْتَبْسِلٍ ضافي القَمِيصِ ضَغَتُّهُ بأزرقَ لا نِكْسٍ ولا مُتَعَوِّجِ[6]
عليه نُساريٌّ على خُوطِ نَبْعَةٍ وفُوقٌ كَعرقوبِ القطاةِ مُحَدْرَجِ[7]
وقارَبْتُ مِنْ كَفَّيَّ ثُمَّ فَرَجْتُها بِنَزْعٍ إذا ما اسْتُكْرِهَ النَّزْعُ مُخْلِجِ
فَصاحَتْ بكفي صَيْحةً ثُمَّ رجَّعَتْ أنينَ الأمِيمِ ذي الجِراحِ المُشَجَّجِ[8]

وقد روى: فناحت بكفي نوحة.

وقال غيره: لا بل كان من أمر الشنفرى أنه سَبَتْ بنو سَلامان بنُ مُفَرِّج بن مالكِ بنِ هَوازن بنِ كعب بنِ عبدِ الله بنِ مالكِ بن نصرِ بنِ الأزد الشنفرى ـ وهو أحدُ بني ربيعةَ بنِ الحِجْرِ بنِ عمرانَ بنِ عمرو بن حارثةَ بنِ ثعلبةَ بنِ امرىء القيسِ بنِ مازنِ بنِ الأزدِ ـ وهو غلام، فجعله الذي سَبَاه في بَهْمة يرعاها مع ابنة له، فلما خلا بها الشنفرى أهوى ليقبّلها، فصكَّت وَجْهَه، ثم سعت إلى أبيها فأخبرته، فخرج إليه ليقتلَه، فوجده وهو يقول: [الطويل]

ألاَ هَلْ أَتى فِتْيانَ قَوْمي جَماعةٌ بما لَطَمَتْ كَفُّ الفَتاةِ هَجينَها؟
ولو عَلِمَتْ تِلْكَ الفَتاةُ مَناسبي ونِسْبَتُها ظَلَّتْ تقَاصَرُ دُونها
ألَيس أبي خَيْرَ الأَواسِ وغيرِها وأُمّي ابنةُ الخَيْرِينَ لو تَعلمينها

---

(١) العراضة: الهبة أو الهدية.
(٢) جِماعُه: أصله.
(٣) تعسفت: مشيت على غير هدى. والغماليل: الأودية ذات الشجر. والغيل: الشجر الملتف.
(٤) خام الجبان: ضعف. وخسف الطريق: ذلّله وقطعه.
(٥) الأقيصر: صنم مقدس.
(٦) ضافي القميص: كناية عن طوله. وضَغَتُّهُ: لكته بالأنياب، والأزرق: السهم.
(٧) الفوق: حيث يثبت الوتر من السهم. والمحدرج: الأملس.
(٨) الأميم: المضروب على أم رأسه.

إذا ما أَرُومُ الودَّ بيني وبينها يؤمُّ بياضُ الوَجْهِ منّي يمينَها

قال: فلما سمع قوله سأله: ممَّن هو، فقال: أنا الشنفرى، أخو بني الحارثِ بنِ ربيعةَ، وكان من أقبح الناس وجهاً، فقال له: لولا أني أخاف أن يقتلني بنو سَلامان لأنكحتُك ابنتي. فقال: علَّي إن قتلوك أن أقتل بك مائة رجل منهم، فأنكحه ابنته، وخَلّى سبيله، فسار بها إلى قومه، فشدت بنو سلامان خلافه[1] على الرجل فقتلوه، فلما بلغه ذلك سكت ولم يُظهر جزعاً عليه، وطفق يصنع النبل، ويجعل أفواقَها من القُرُون والعظام، ثم إن امرأتَه بنتَ السلامانيّ قالت له ذات يوم: لقد خِسْت بميثاق أبي عليك، فقال: **[الطويل]**

كأن قَدْ فلا يغْرُرْكِ مني تمَكُّثِي سَلَكْتُ طَريقاً بَيْنَ يَرْبَغ فالسَّردِ[2]
وإنّي زَعِيمٌ أنْ تَثورَ عَجَاجَتي على ذي كِساءٍ مِنْ سَلامانَ أو بُردِ[3]
همُ عرفوني ناشِئاً ذا مَخِيلةٍ أُمشّي خلال الدَّارِ كالفَرَسِ الوَرْدِ[4]
كأني إذا لم يُمْسِ في الحَيِّ مالكٌ بتيهاءَ لا أُهدَى السَّبِيلَ ولا أَهدِي

قال: ثم غزاهم فجعل يقتُلهم، ويعرفون نَبلَه بأفواقها في قَتْلاهم، حتى قتلَ منهم تسعة وتسعين رجلاً، ثم غزاهم غزوة، فنذَرُوا به، فخرج هارباً، وخرجوا في إثره، فمر بامرأة منهم يلتمس الماء فعرفَتْه، فأطعمته أقِطاً[5] ليزيد عَطَشاً، ثم استسْقَى فسقته رائباً، ثم غيّبت عنه الماء، ثم خرج من عندها، وجاءها القوم فأخبرتهم خبرَه، ووصفت صفته وصِفةَ نبله فعرفوه، فرصدوه على ركيٍّ[6] لهم، وهو ركيّ ليس لهم ماء غيره، فلما جنّ عليه الليل أقبل إلى الماء، فلما دنا منه قال: إني أراكم، وليس يرى أحداً إنما يريد بذلك أن يُخرِج رَصَداً إن كان ثَمّ، فأصاخ القوم وسكتوا. ورأى سواداً، وقد كانوا أجمعوا قبلُ إن قُتِلَ منهم قتيل أن يُمسكَه الذي إلى جنبه لئلا تكون حركةٌ، قال: فرمى لَمّا أبصر السواد، فأصاب

---

(١) خلافه: بعده، أي بعد رحيل الشنفرى.

(٢) يربغ: موضع في ديار بني تميم بين عُمان والبحرين. (معجم البلدان ٥/ ٤٣٣). والسَّرد: موضع في بلاد الأزد. (معجم البلدان ٣/ ٢٠٩).

(٣) العجاجة: الغبار الذي تثيره الحرب.

(٤) مخيلة: كبرياء، والورد: أحمر كلون الورد.

(٥) الأقط: لبن محمض يجمد حتى يستحجر ويطبخ به.

(٦) الركي: البئر لم تطوَ.

رجلاً فقتله، فلم يتحرك أحد، فلما رأى ذلك أمن في نفسه وأقبل إلى الرَّكيِّ، فوضع سلاحه، ثم انحدر فيه، فلم يَرُعْه إلا بهم على رأسه قد أخذوا سلاحه فنزا[١] ليخرج. فضرب بعضهم شِماله فسقطت، فأخذها فرمى بها كبد الرجل، فخر عنده في القليب[٢]، فوطىء على رقبته فدقها. وقال في قطعِ شماله: [الرجز]

لا تبعَدِي إمَّا ذَهَبْتِ شامَهْ فرُبَّ وادٍ نَفَرتْ حَمَامَهْ
ورُبَّ قِرْنٍ فَصَلَتْ عظامَهْ وربَّ حيٍّ فَرَّقَتْ سَوامَهْ

قال: ثم خرج إليهم، فقتلوه وصلبوه، فلبث عاماً أو عامين مصلوباً وعليه من نذره رجل، قال: فجاء رجل منهم كان غائباً، فمر به وقد سقط فركض رأسَه برجله، فدخل فيها عظم من رأسه فعلَّت عليه فمات منها، فكان ذلك الرجلُ هو تمام المائة.

صوت

ألا طَرَقَتْ في الدُّجَى زَيْنَبُ وأحْبِبْ بِزَيْنَبَ إذْ تَطْرُقُ
عَجِبْتُ لِزَيْنَبَ أنَّى سَرَتْ وزَيْنَبُ مِنْ ظِلِّها تَفرَقُ[٣]

عروضه من المتقارب، الشعر لابن رُهَيْمَة، والغناء لخليل المعلم رمل بالبنصر، عن الهشامي وأبي أيوبَ المدنيِّ.

(١) نزا: وثب.
(٢) القليب: البئر.
(٣) تفرق: تفزع.

أخبار الخليل ونسبه

[اسمه وعمله وفنه]

هو الخليلُ بنُ عمرو، مكيٌّ، مولى بني عامِر بنِ لؤيٍّ، مُقِلٌّ لا تُعرف له صنعة غيرُ هذا الصوت.

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بنُ مَهْرُويه قال: حدثنا عبدُ الله بن أبي سعدٍ قال: حدثني القَطرانيّ المغني، عن محمد بنِ حسين، قال: كان خَلِيل المعلم يلقب خُلَيْلاَنَ، وكان يؤدّب الصِّبْيان ويلقنهم القرآن والخط، ويعلّم الجواريَ الغِناء في موضع واحد، فحدثني مَنْ حضره قال: كنت يوماً عنده وهو يردّد على صبي يقرأ بين يديه ﴿**ومن النَّاس مَنْ يَشْتَري لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عن سَبِيل اللَّه بغَيْرِ عِلْمٍ**﴾[1] ثم يلتفت إلى صَبِية بين يديه فيردّد عليها: [السريع]

اعْـتـادَ هـذا الـقَـلْـبَ بـلـبـالُـهُ   أن قُـرِّبـتْ لـلـبَـيْـنِ أجْـمـالُـهُ[2]

فضحِكتُ ضحكاً مفرِطاً لِمَا فعلَه، فالتفت إليّ فقال: ويلك ما لك؟ فقلت: أتنكر ضَحكِي مما تَفعَل؟ والله ما سَبَقك إلى هذا أحد! ثم قلت: انظر أيَّ شيء أخذت على الصبيّ من القرآن، وأيَّ شيء هو ذا تُلقِي على الصبية، والله إني لأظنك مِمّن يشتري لهو الحديث ليُضِلّ عن سبيل الله، فقال: أرجو ألا أكون كذلك إن شاء الله.

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرِّدُ قال: حدثني عبد الصمد بن المعذَّل قال: كان خُلَيلانُ المعلم أحسَن الناس غناءً، وأفتاهم وأفصحهم، فدخل يوماً على عُقبةَ بنِ سَلْمِ الأزديِّ الهنائي فاحتبسه عنده،

(١) سورة لقمان، الآية: ٦.

(٢) البلبال: شدة الهم والوسواس. والبين: الفراق.

فأكل معه ثم شرب، وحانت منه التفاتةٌ، فرأى عوداً معلّقاً، فعلم أنه عَرَّضَ له به، فدعا به وأخذه فغناهم: [المديد]

يـابـنـةَ الأَزْدِيِّ قَـلْـبـي كَـئِـيـبُ مُـسْـتَـهـامٌ عِـنْـدَهـا مـا يُـنِـيـبُ[1]

وحانت منه التفاتة فرأى وجه عقبةَ بنِ سلمٍ متغيراً، وقد ظن أنه عرّض به، ففطن لما أراد فغنّى: [مجزوء الوافر]

ألا هَـــزِئَــتْ بِـنــا قُـــرَشِـــ يَّـــةٌ يَـــهْـــتَـــزُّ مَـــوْكِـــبُـــهـــا

فسُرِّي عن عقبةَ وشرب، فلما فرغ وضع العود من حجره، وحلف بالطلاق ثلاثاً أنه لا يغني بعد يومه ذلك إلا لمن يجوز حكمُه عليه.

نسبة هذين الصوتين

يـابـنـةَ الأَزْديِّ قَـلْـبـي كَـئِـيـبُ مُـسْـتَـهـامٌ عِـنْـدَهـا مـا يُـنِـيـبُ
ولـقـد لامـوا فَـقُـلْـتُ: دَعُـونـي إنّ مَـنْ تَـنْـهَـوْنَ عـنـه حَـبِـيـبُ
إنَّـمـا أَبْـلَـى عِـظـامِـي وجِـسْـمِـي حُـبُّـهـا والـحُـبُّ شَـيْءٌ عَـجِـيـبُ
أيُّـهـا الـعـائِـبُ عـنـدي هَـواهَـا أنـتَ تَـفْـدي مَـنْ أراكَ تَـعِـيـبُ

عروضه من المديد، والشعر لعبد الرحمنِ بنِ أبي بكرٍ الصديق ـ رضي الله عنه ـ والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاقَ، وفيه لمالكٍ خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عنه، وفيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى لم ينسُبْه إسحاقُ إلى أحد، ووجدتُه في روايات لا أَثِق بها منسوباً إلى حُنَين، وقد ذكر يُونُس أن فيه لحنَيْن ولمالكٍ كلاهما، ولعل هذا أحدهما، وذكر حَبَش أن خفيف الرمل لابن سُرَيج، وذكر الهِشاميّ وعليّ بن يحيى أن لحن مالك الآخر ثاني ثقيل، وذكر الهشامي أن فيه لطُويسٍ هزجاً مطلقاً في مجرى البنصر، وذكر عمرو بن بانة أنّ لمالك فيه ثقيلاً أول وخفيفه، ولمعبد خفيف ثقيل آخر.

---

(١) ينيب: يرجع.

صوت

[مجزوء الوافر]

ألا هـزئـت بـنـا قُـرَشِـ يَّـةٌ يَـهْـتَـزُّ مَـوْكِـبُـهـا
رَأَتْ بِـي شَـيْـبَـةً فـي الـرَّأْ سِ مِـنِّـي مـا أُغَـيِّـبُـهـا
فَـقـالَـتْ لـي: ابـنُ قَـيْـسٍ ذا؟ وبَـعْـضُ الـشَّـيْـبِ يُـعْـجِـبُـهـا
لـهـا بَـعْـلٌ خَـبِـيـثُ الـنَّـفْـسِ يَـحْـصُـرُهـا ويَـحْـجُـبُـهـا(١)
يـرانـي هـكـذا أَمْـشـي فـيُـوعِـدُهـا ويَـضْـرِبُـهـا

عروضه من الوافر، الشعرُ لابن قَيْس الرقيات، والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى، وفيه ليونُس ثقيل أول عن إسحاق بن إبراهيم والهشاميّ.

صوت

[البسيط]

هل ما عَلِمْتَ وما اسْتُودِعْتَ مَكْتومُ أَمْ حَبْلُها إذ نَأَتْكَ اليَوْمَ مَصْرومُ
أم هل كَئِيبٌ بَكَى لَمْ يَقْضِ عبرتَهُ إثْرَ الأَحِبَّةِ يَوْمَ البَيْنِ مَشْكومُ(٢)
يَحْمِلْنَ أُتْرُجَةً، نَضْخُ العَبِيرِ بها كأنَّ تَطيابَها في الأَنْفِ مَشْمومُ(٣)
كأنَّ فأْرَةَ مِسْكٍ في مفارِقِها للباسِطِ المُتعاطي وَهْو مَزْكُومُ(٤)
كَأَنَّ إبْرِيقَهم ظَبْيٌ على شَرَفٍ مُفَدَّمٌ بِسَبَا الكتّانِ مَلْثُومُ(٥)
قد أَشْهَدُ الشَّرْبَ فيهم مِزْهَرٌ صَدِحٌ والقَوْمُ تَصْرَعُهم صَهْباءُ خُرطومُ(٦)

الشعر لعلقمة بنِ عَبَدَة، والغناء لابن سُريج، وله فيه لحنان أحدهما في الأول والثاني خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، والآخرُ رمل بالخنصر في مجرى البنصر في الخامس والسادس من الأبيات، وذكر عمرو بن بانةَ أن في الأربعة الأبيات الأُول المتوالية لمالك خفيفَ ثقيل بالوسطى، وفيها ثقيل أول نسبه الهشاميّ إلى الغَرِيض، وذكر حَبَش أن لحن الغَرِيض ثاني ثِقيل بالبنصر، وذكر حبش أن في الخامس والسادس خفيف رمل بالبنصر لابن سريج.

---

(١) يحصرها: يضيق عليها.
(٢) مشكوم: من شكم الفرس، أي وضع الشكيمة في فمه.
(٣) الأُترجة: يكني بها عن محبوبته. والنضخ: الأثر يبقى في الثوب وغيره من طيب ونحوه.
(٤) فأرة المسك: وعاؤه.
(٥) مفدّم: مغطّى بالفدام لوقاية ما بداخله. وسبا الكتان: خرقه.
(٦) الشَّرب: جماعة الشاربين، والمزهر: آلة موسيقية، الصهباء: الخمر. والخرطوم: السريعة الإسكار.

أخبار علقمة ونسبه

[توفي نحو سنة ٢٠ ق هـ/ نحو سنة ٦٠٣ م]

[اسمه ونسبه ولقبه]

هو علقمة بن عَبَدَةَ بنِ النّعمانِ بنِ ناشرةَ بن قيس بن عُبَيد بن ربيعةَ بن مالك بن زيدِ مناة بن تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياسَ بن مضرَ بن نزار.

وكان زيدُ مناةَ بن تميم وَفَد هو وبكر بن وائل - وكانا لِدَةَ[1] عصر واحد - على بعض الملوك، وكان زيدُ مناة حسوداً شرهاً طَعَّاناً، وكان بكر بن وائل خبيثاً منكراً داهياً فخاف زيد مناة أن يحظى من الملك بفائدة، ويقلَّ معها حظُّه، فقال له: يا بكر لا تلقَ الملك بثياب سفرك، ولكن تأهَّبْ للقائه وادخل عليه في أحسن زينة، ففعل بكر ذلك، وسبقه زيد مناة إلى الملك فسأله عن بكر، فقال: ذلك مشغول بمغازلة النِّساء والتصدّي لهن، وقد حدّث نفسه بالتعرض لبنت الملك! فغاظه ذلك، وأمسك عنه، ونَمَى الخبرُ إلى بكر بن وائل، فدخل إلى الملك فأخبره بما دار بينه وبين زيد مناة، وصَدَّقه عنه، واعتذر إليه مما قاله فيه عذراً قبله، فلما كان من غد اجتمعا عند الملك، فقال الملك لزيد مناة: ما تحب أن أفعل بك، فقال: لا تفعل ببكر شيئاً إلا فعلتَ بي مِثْلَيْه، وكان بكر أعورَ العين اليمنى، قد أصابها ماء فذهب بها، فكان لا يعلم من رآه أنه أعور، فأقبل الملك على بكر بن وائل فقال له: ما تحب أن أفعل بك يا بكر، قال: تفقأُ عيني اليمنى، وتُضعفُ لزيد مناة، فأمر بعينه العوراء ففُقِئت، وأمر بعينَيْ زيدِ مناة ففقئتا، فخرج بكر وهو أعور بحاله، وخرج زيد مناة وهو أعمى.

---

(١) اللدة: الترب، وهو الذي ولد يوم ولادك.

وأخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة.

ويقال لعلقمة بن عَبَدة عَلْقَمَةُ الفَحل، سُمِّي بذلك لأنه خلف على امرأة امرىء القيس لما حكمت له على امرِىء القيس بأنه أشعَر منه في صفة فرسه، فطلَّقها، فخالفه عليها، وما زالت العرب تسميه بذلك، وقال الفرزدق: [الكامل]

والفَحْلُ عَلْقَمَةُ الذي كانَتْ له حُلَلُ المُلوكِ كلامُهُ يُتَنَحَّل

[علقمة يحكّم قريشاً في شعره]

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثني النَّضرُ بن عمرو قال: حدثني أبو السَّوّار، عن أبي عبيد الله مولى إسحاق بن عيسى، عن حَمَّادٍ الراويةِ قال: كانت العرب تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولاً، وما ردوه منها كان مردوداً، فَقَدِم عليهم علقمةُ بن عَبَدة، فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها: [البسيط]

هل ما عَلِمْتَ وما اسْتُودِعْتَ مَكْتومُ أَمْ حَبْلُها أَنْ نَأَتْكَ اليَوْمَ مَصْرُومُ

فقالوا: هذه سِمطُ[1] الدهر! ثم عاد إليهم العامَ المقبلَ فأنشدهم: [الطويل]

طحا بِكَ قَلْبٌ في الحِسَانِ طَروبُ بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ

فقالوا: هاتان سِمْطا الدهر.

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك، عن حماد بن إسحاق قال: سمعت أبي يقول: سرق ذو الرُّمة قوله:

يَطْفُو إذا ما تَلَقَّتْهُ الجراثِيمُ[2]

من قول العجَّاج: [الرجز]

إذا تَلَقَّتْهُ العَقاقيلُ طفا[3]

وسَرقه العجَّاج من علقَمَةَ بن عَبَدة في قوله:

يَطْفُو إذا ما تَلَقَّتْهُ العَقاقِيلُ

---

(١) السمط: القلادة.

(٢) الجراثيم: جمع جرثومة وهي التراب المجتمع في أصول الشجر بفعل الرياح.

(٣) العقاقيل: جمع عقال، وهو داء يصيب رجل الدابة.

[بينه وبين امرىء القيس]

أخبرني عمّي قال: حدثنا الكُرانِيُّ قال: حدثنا العُمَريّ عن لَقِيط، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عُمَر بنُ شَبَّة قال: حدثني أبو عُبَيْدَة قال: كانت تحت امرىء القيس امرأةٌ من طيِّىء تزوجها حين جاور فيهم، فنزل به علقمةُ الفَحْل بن عَبَدة التَّمِيميّ، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك، فتحاكما إليها، فأنشد امرؤ القيس قوله: [الطويل]

خَلِيلَيَّ مُرَّا بي على أُمِّ جُنْدُبِ

حتى مرّ بقوله:

فَلِلسَّوطِ أُلْهوبٌ ولِلسَّاقِ دِرَّةٌ ... ولِلزَّجْرِ منه وَقْعُ أَخْرجَ مُهذِبِ[1]

ويروى: أهوجَ مِنْعَبِ[2]

فأنشدها علقمة قوله: [الطويل]

ذَهَبْتَ مِنَ الهِجرانِ في غَيْرِ مَذْهَبِ

حتى انتهى إلى قوله: [الطويل]

فأَدْرَكَهُ حتى ثَنَى مِنْ عِنانِهِ ... يَمُرُّ كَغَيْثٍ رائِحٍ مُتَحَلِّبِ

فقالت له: علقمةُ أشعرُ منك، قال: وكيف؟ قالت: لأنك زجرت فرسَك، وحرّكته بساقك، وضربتَه بسوطك. وأنه جاء هذا الصيد، ثم أدركه ثانياً من عِنانه، فغضب امرؤ القيس وقال: ليس كما قلتِ، ولكنك هَويتِه، فطلّقها، فتزوجها علقمة بعد ذلك، وبهذا لُقِّبَ علقمةَ الفَحْل.

أخبرني عمي قال: حدثنا الكُرانيّ قال: حدثنا العُمَري، عن لقيط قال: تحاكم علقمةُ بن عبدة التميمي، والزبرقانُ بن بَدْر السعدي، والمُخَبَّل، وعمرو بن الأهتم، إلى ربيعة بن حُذار الأسديّ، فقال: أما أنت يا زبرقان فإن شعرك كلحم

(١) الألهوب: اجتهاد الفرس في عدوه حتى يثير الغبار. والدرة: حث الفرس على العدو. الأخرج من الخيل: ما خالط بياضه سواد. والمهذب: المسرع.

(٢) المنعب: السريع في سيره.

لا أُنضِج فيُؤكل، ولا تُرِك نَيِّئاً فيُنتفعَ به، وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبُرْد حبَرة[١] يتلألأ في البصر، فكلما أعدته فيه نقص، وأما أنت يا مُخبّل فإنك قصّرت عن الجاهلية ولم تدرك الإسلام، وأما أنت يا علقمة فإن شعرك كمزادة[٢] قد أُحكِم خَرْزُها فليس يَقْطر منها شيء.

أخبرني محمدُ بن الحسنِ بن دُريد قال: حدثني عمي، عن العباس بن هشام، عن أبيه قال: مرَّ رجل من مُزينَة على باب رجل من الأنصار، وكان يُتَّهم بامرأته، فلما حاذى بابَه تنفَّس ثم تمثّل: [البسيط]

هل ما عَلِمْتَ وما اسْتُوْدِعْتَ مَكْتُومُ ... أَمْ حَبْلُها إذْ نَأَتْكَ اليَوْمَ مَصْرُومُ؟

قال: فتعلَّق به الرجل، فرفعه إلى عمر رضوان الله عليه، فاستعداه عليه، فقال له المُتمَثِّل: وما عليّ في أن أنشدتُ بيتَ شعر، فقال له عمر رضي الله عنه: ما لك لم تُنْشِدْه قبل أن تبلغ بابه؟ ولكنّك عَرَّضت به مع ما تعلم من القالة فيه، ثم أمر به فضُرِب عِشْرين سَوْطاً.

صوت

[الطويل]

فوالله لا أَنْسَى قَتِيلاً رُزِيتُهُ ... بجانب قَوسَى ما حَيِيتُ على الأَرْضِ[٣]

بلى إنَّها تَعْفُو الكُلُومُ وإنما ... نُوكَّلُ بالأدْنى وإن جَلَّ ما يَمضِي[٤]

ولم أدرِ مَنْ أَلْقَى عليه رداءَهُ ... ولكنه قد بُزَّ عَنْ مَاجدٍ مَحْضِ[٥]

الشعر لأبي خراش الهذلي، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى من رواية عمرو بن بانة وذكر يحيى بن المكي أنه لابن مُسجِح وذكر الهشامي أنه ليحيى المكي، نحله ابن مسجح، وفي أخبار معبد أن له فيه لحناً.

---

(١) الحبرة: ثوب من قطن أو كتان.

(٢) المزادة: وعاء من جلد يحمل فيه الماء.

(٣) رُزِيته: أُصبت به. وقوسى: بلدة بالسراة وبه قتل عروة أخو أبي خراش. (معجم البلدان ٤/ ٤١٣).

(٤) تعفو: تندمل. والكلوم: الجراح.

(٥) من ألقى عليه رداءه: يريد من أنقذه من الموت.

ذكر أبي خراش الهذلي وأخباره

[توفي نحو سنة ١٥ هـ/ نحو سنة ٦٣٦ م]

[اسمه ونسبه ووفاته]

أبو خراش اسمه خُوَيْلد بن مُرَّة، أحدُ بني قِرْد، واسمُ قرد عمرو بن معاوية بن سَعْد بن هُذَيل بن مُدرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار.

شاعر فحل من شعراء هذيل المذكورين الفصحاء، مخضرم، أَدرك الجاهلية والإسلامَ فأَسْلَمَ وعاش بعد النبيﷺ مدة، ومات في خلافةِ عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه، نَهَشَتْه أفعى فمات، وكان ممن يَعْدو فيسبِقُ الخيل في غارات قومه وحروبهم.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعمِّي والحسن بن عليٍّ قالوا: حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال: حدثنا أحمدُ بنُ عُمَيْر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال: حدثني أبو بركة الأشجعيُّ من أنفُسهم قال: خرج أبو خِراش الهُذليّ من أرض هُذَيل يريد مَكّةَ، فقال لزوجته أُمّ خِراش: ويحك إني أُريدُ مَكَّةَ لبعض الحاجة، وإنك من أَفَكّ[1] النساء، وإنّ بني الدِّيل يطلبونني بتراتٍ فإيّاكِ وأنْ تذكُريني لأحد من أهل مكة حتى نصدر منها! قالت: معاذ الله أن أذكرك لأهل مكة وأنا أعرف السبب.

قال: فخرج بأم خراش وكَمَنَ لحاجته وخرجت إلى السوق لتشتريَ عِطْراً أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهن، فجلستْ إلى عطّار فمر بها فتيانٌ من بني الدِّيل، فقال أحدُهما لصاحبه: أمّ خراش ورَبّ الكعبة وإنَّها لمن أفكّ النساء وإن

(١) أفكّ النساء: أكذبهنّ.

كان أبو خراش معها فستدلّنا عليه، قال: فوقفا عليها فسلما وأخفيا[١] المسألة والسلام، فقالت: مَنْ أنتما بأبي أنتما؟ فقالا: رجلان من أهلِكِ من هذيل، قالت: بأبي أنتما. فإن أبا خراش معي ولا تذكراه لأحد، ونحن رائحون العشيَّة. فخرج الرجلان فجمعا جماعة من فتيانهم وأخذوا مولًى لهم يقال له مَخْلَدٌ وكان من أجود الرجال عَدْواً، فكمنوا في عَقَبة[٢] على طريقه، فلما رآهم قد لاقوْه في عين الشمس قال لها: قَتَلْتِني وربِّ الكعبة لِمنْ ذكرتني؟ فقالت: والله ما ذكرتك لأحد إلا لِفَتَيَيْنِ من هذيل، فقال لها: والله ما هما من هذيل ولكنهما من بني الدِّيل وقد جلسا لي وجمعَا عليَّ جماعة من قومهم فاذهبي أنت فإذا جُزتِ عليهم فإنهم لن يعرِضوا لكِ لئلا أسْتَوْحِشَ فأفوتَهم، فاركُضِي بعيرَكِ، وضعِي عليه العَصَا، والنجاءَ النجاءَ.

قال: فانطلقت وهي على قَعُودٍ[٣] عُقَيْلي يسابق الريح، فلما دنا منهم وقد تلثموا ووضعوا تَمْراً على طريقه على كساء، فوقف قليلاً كأنه يُصلِحُ شيئاً، وجازت بهم أم خِراش فلم يَعرضُوا لها لئلا ينفِرَ منهم، ووضعت العصا على قعودها، وتواثبوا إليه ووثب يعدُو. قال: فزاحمه على المحجَّةِ[٤] التي يَسْلُكُ فيها على العقبة ظَبْيٌ، فسبقه أبو خراش، وتصايح القوم: يا مخلد أَخْذاً أَخْذاً.

قال: ففات الأخذ. فقالوا: ضرباً ضرباً، فسبق الضرب، فصاحوا: رَمْياً رَمْياً فسبق الرمي، وسَبَقَت أُمُّ خراش إلى الحيِّ فنادت: ألا إنَّ أبا خراش قد قُتِل، فقام أهلُ الحيِّ إليها، وقام أبوه وقال: ويحك ما كانت قصَّتُه؟ فقالت: إن بني الدِّيل عرضوا له الساعة في العقبة، قال: فما رأيتِ، أو ما سمعتِ؟ قالت: سمعتهم يقولون: يا مخلد أخذاً أخذاً، قال: ثم سمعتِ ماذا؟ قالت: ثم سمعتُهم يقولون: ضرباً ضرباً، قال: ثم سمعتِ ماذا؟ قالت: سمعتهم يقولون: رمياً رمياً، قال: فإن كنتِ سمعتِ رمياً رمياً فقد أفلت، وهو منا قريب، ثم صاح: يا أبا خراش، فقال أبو خراش: يا لبَّيْكَ، وإذا هو قد وافاهم على أثرها. وقال أبو خراش في ذلك:

---

(١) أحفيا: أبديا الحفاوة.

(٢) عقبة: المرقى الصعب من الجبال.

(٣) القعود: البكر إلى أن يصير في السادسة.

(٤) المحجة: الطريق.

[الطويل]

رَفَوْنِي وقالوا يا خُوَيْلدُ لم تُرَعْ فَقُلْتُ وأنْكَرْتُ الوُجوهَ هُمُ هُمُ

رَفَوْني بالفاء: سكنوني وقالوا: لا بأس عليك.

فَغارَرْتُ شيْئاً والدَّرِيسُ كأنَّما يُزَعْزِعُهُ وَعْكٌ من المُومِ مُرْدِمُ(١)

غاررت: تلبثت. والدّريس: الخَلَقَ من الثياب ومثلهُ الجرْدُ والسَّحق والحشيف. ومُرْدِم: لازم.

تَذَكَّرْتُ ما أيْنَ المَفَرُّ وإنَّنِي بِحَبْلِ الَّذي يُنْجِي من المَوْتِ مُعْصِمُ
فَوَاللَّهِ ما رِبْداءُ أو عِلْجُ عانَةٍ أَقَبُّ وما إنْ تَيْسُ رَمْلٍ مُصَمِّمُ(٢)
بِأَسْرَعَ مِنّي إذ عَرَفْتُ عَدِيَّهُمْ كأنّي لأولاهُمْ من القُرْبِ تَوْأَمُ
وَأَجْوَدَ مِنّي حينَ وافيْتُ ساعِياً وأخطأني خَلْفَ الثَّنِيَّةِ أَسْهُمُ(٣)
أُوَائِلُ بالشَّدِّ الذَّلِيقِ وحَثَّنِي لَدَى المَتْنِ مَشْبُوحَ الذراعَيْنِ خَلْجَمُ(٤)
تَذَكَّرَ ذَحْلاً عِنْدَنا وهُو فاتِكٌ من القَوْمِ يَعرُوهُ اجْتِراءٌ ومَأْثَمُ
تَقُولُ ابْنَتِي لما رَأَتْنِي عَشِيَّةً: سَلِمْتَ وما إن كِدْتَ بالأمْسِ تَسْلَمُ
فَقُلْتُ وقد جاوزت صَارَى عَشِيَّةً: أجاوزتُ أولَى القَوْمِ أم أنا أَحْلُمُ(٥)
فَلَوْلا دِرَاكُ الشَّدِّ آضَتْ حَلِيلَتي تَخَيَّرُ في خُطّابِها وَهْيَ أَيِّمُ(٦)
فَتَسْخَطُ أو تَرْضَى مكانِي خَلِيفَةً وكادَ خِراشٌ عندَ ذلكَ يَيْتَمُ

[سبقه الخيل في السرعة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ومحمد بن الحسين الكنديّ خطيب المسجد الجامع بالقادسية قالا: حدثنا الرياشيّ قال: حدثنا الأصمَعيّ قال: حدثني رجل من هذيل قال: دخل أبو خراش الهُذَلِيُّ مكةَ وللوليد بن المغيرة المخزوميّ

(١) الموم: الحمى الشديدة.

(٢) الربداء: المغبرة اللون، والعلج: حمار الوحش، والعانة: القطيع منه، والأقب: الضامر الخصر، والمصمم: الجاد في سيره.

(٣) الثنية: الطريق في الجبل.

(٤) واءل: طلب النجاة، والشدّ الذليق: الجري السريع. والمتن: ما ارتفع وصلب من الأرض. وخلجم: الجسم القوي.

(٥) صارى: جبل قبلي المدينة وقيل غير ذلك. (انظر معجم البلدان ٣/ ٣٨٨).

(٦) آضت: عادت.

فرسانٍ يريد أن يُرسِلَهما في الحلْبة، فقال للوليد: ما تجعلُ لي إنْ سبقتُهما؟ قال: إن فعلت، فهمَا لك، فأُرسِلاَ، وعَدَا بينهما فسبقهما فأخذهما.

قال الأصمَعيّ: إذا فاتك الهُذليُّ أن يكون شاعراً أو ساعياً أو رامياً فلا خير فيه. وأخبرني بما أذكرُه من مجموع أخبار أبي خراش عليُّ بنُ سُلَيْمان الأخفش، عن أبي سعيد السكريّ، وأخبرني بما أذكره من مجموع أشعارهم وأخبارهم فذكره أبو سَعيد، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، وعن ابن حبيب عن أبي عمرو.

وأخبرني بِبعْضه محمدُ بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا الرياشيّ، عن الأصمعيّ، وقد ذكرتُ ما رواه في أشعار هذيل وأخبارها كل واحد منهم عن أصحابه في مواضعه، قال السكريّ فيما رواه عن ابن حبيب عن أبي عمرو قال: نزل أبو خِراش الهذلي على دُبَيَّةَ السُّلميّ ـ وكان صاحبَ العُزَّى التي في غطفان وكان يَسْدنها[١]، وهي التي هدمها خالد بن الوليد لما بعثه رسول اللهﷺ إليها فهدمَهَا وكسرها وقتل دُبَيَّةَ السُّلِميّ ـ قال: فلما نزل عليه أبو خراش أَحْسَنَ ضيافَتَهُ، ورأى في رجله نَعلَيْن قد أخلقتا، فأعطاه نعلين من حذاء السِّبْت[٢] فقال أبو خراش يمدحه: [الوافر]

حذَانِيَ بَعْدَ ما خَذِمَتْ نِعالي ... دُبَيَّةُ إِنَّه نِعْمَ الخَليلُ[٣]
مُقابَلَتَيْنِ مِنْ صلَوَيْ مُشِبٍّ ... مِنَ الثِّيرانِ وَصْلُهما جَميلُ[٤]
بِمِثْلِهما يَروحُ المَرْءُ لَهواً ... وَيَقْضِي الهمَّ ذو الأربِ الرَّجيلُ[٥]
فَنِعْمَ مُعَرَّسُ الأضيافِ تُذْجِي ... رحالَهُمُ شآمِيَةٌ بَليلُ[٦]
يُقاتِلُ جوعَهُمْ بمكلَّلاتٍ ... من الفُرْنِيِّ يَرْعَبُها الجَميلُ[٧]

قال أبو عمرو: الجَميلُ: الإهالة، ولا يقال لها جميل حتى تُذَاب إهَالَةً كانت

---

(١) يسدنها: يخدمها.
(٢) السِّبت: الجلد المدبوغ.
(٣) خذمت: تقطعت.
(٤) الصلوان: تثنية صلا وهو الظهر.
(٥) الرّجيل: الكثير المشي.
(٦) معرس الأضياف: منزلهم. وتذحي: تسوق، والشآمية: ريح تهب من ناحية الشام. وبليل: ندية، لينة.
(٧) المكللات: القصعات المملوءات. والفرني: ضرب من الخبز، ويرعبها: يملؤها.

أو شَحْماً، وقال أبو عمرو: ولما بعث رسول اللهﷺ خالد بن الوليد فهدم عُزَّى غطفان، وكانت ببطن نَخْلَة، نَصَبَها ظالم بن أسعد بن عامر بن مرة وقتل دُبَيَّةَ فقال أبو خراش الهذلي يرثيه: [البسيط]

مَـا لِـدُبَـيَّـةَ مُـنْـذُ الـيَـوم لَـمْ أَرَهُ وَسْطَ الشُّرُوبِ ولم يُلْمِمْ وَلَمْ يطفِ[١]

لـو كـان حـيّـاً لـغـاداهـم بـمُـتـرعَـةٍ فيها الرّواوِيق مِنْ شِيزَى بني الهَطِفِ[٢]

بنو الهَطِفِ: قوم من بني أسد يَعْملون الجِفَان.

كَابِي الـرَّمـادِ عَـظِـيـمُ الـقِـدْرِ جَـفْـنَـتُـهُ حِينَ الشّتاءِ كحَوْضِ المُنْهَلِ اللَّقِفِ[٣]

ـ المُنهل: الذي إبله عطاش. واللقِفُ: الذي يضربُ الماء أسفلَه فيتساقط وهو ملآن ـ

أَمْـسَـى سَـقَـامٌ خَـلاءً لا أَنِـيـسَ بـه إلا الـسِّـبـاعُ ومَـرُّ الـرِّيـحِ بـالـغَـرَفِ[٤]

[بعض أخباره وشعره]

وقال الأصمَعِيّ وأبو عمرو في روايتهما جميعاً: أُخِذ أصحابُ رسول اللهﷺ في يوم حُنَين أُسَارى، وكان فيهم زهيرُ بن العَجْوَةِ أخو بني عمرو بنِ الحارث، فمرَّ به جميلُ بنُ مَعْمَرِ بنِ حبيبِ بنِ وهبِ بن حُذافَةَ بن جُمَحَ، وهو مربوطٌ في الأسرى، وكانت بينهما إحنة[٥] في الجاهلية، فضرب عُنقَه، فقال أبو خراش يرثيه: [الطويل]

فَـجَّـعَ أَصْـحـابـي جـمـيـلُ بـنُ مـعْـمَـرٍ بِـذي فَـجَـرٍ تـأْوِي إلـيـه الأرامـلُ[٦]

طـويـلُ نِـجـادِ الـسَّـيْـفِ لَـيْـسَ بـحـيْـدَرٍ إذا قـامَ واسْـتَـنَّـتْ عـلـيـه الـحـمـائِـلُ[٧]

إلـى بَـيْـتِـهِ يَـأْوِي الـغَـرِيـبُ إذا شـتـا ومُـهـتَـلِـكٌ بـالـي الـدّريـسَـيْـنِ عـائِـلُ[٨]

تـروَّحَ مَـقْـروراً وراحـتْ عَـشِـيَّـةً لـهـا حَـدَبٌ تـحـتـثُّـه فـيُـوائِـلُ[٩]

---

(١) الشروب: الشاربون.

(٢) المترعة: المملوءة. والرواويق: جمع راووق وهي الخمر. والشيزى: الجفنة.

(٣) كابي الرماد: كناية عن الكرم.

(٤) سقام: اسم وادٍ بالحجاز. (معجم البلدان ٣/ ٢٢٦).

(٥) الإحنة: العداوة.

(٦) الفجر: الكرم.

(٧) طويل نجاد السيف: كناية عن طول قامته. والحيدر: الغليظ السمين. واستنت: اضطربت.

(٨) المهتلك: من يلقي نفسه في التهلكة. والدريسان: مثنى دريس، وهو الثوب البالي.

(٩) الحدب: شدة البرد، وتحتثه: تسرع به، ويوائل: يطلب الخلاص.

تَكادُ يَداهُ تُسْلِمانِ رِداءَهُ مِنَ القُرِّ لمّا اسْتَقْبَلَتْهُ الشمائلُ
فما بالُ أَهْلِ الدّارِ لم يتصدَّعوا وقد خفَّ منها اللّوذعيُّ الحُلاَحلُ(١)
فأُقسِمُ لو لاقَيْتَهُ غَيْرَ موثَقٍ لآبك بالجِزْعِ الضِّباعُ النّواهلُ(٢)
لظلّ جميلٌ أَسْوأَ القَوْمِ تَلَّةً ولكنَّ ظَهْرَ القِرْنِ للمَرْءِ شاغِلُ(٣)
فليس كَعَهْدِ الدَّارِ يا أمَّ مالِكٍ ولكنْ أحاطَتْ بالرِّقابِ السَّلاسِلُ
وعاد الفتى كالكَهْلِ لَيْسَ بقائِلٍ سِوَى الحَقِّ شَيْئاً فاسْتراحَ العواذلُ
ولم أَنْسَ أياماً لنا ولياليا بِحَلْيَةَ إذْ نَلْقَى بها ما نُحاولُ(٤)

وقال أيضاً يرثيه: [الطويل]

أَفِي كُلِّ مَمْسى لَيْلةٍ أنا قائِلٌ مِنَ الدَّهْرِ لا يَبْعَدْ قَتِيلُ جميلِ
فما كُنْتُ أَخْشى أَنْ تُصِيبَ دماءَنا قُرَيْشٌ ولما يُقْتَلوا بِقَتِيلِ
فَأَبْرَحُ ما أُمِّرْتُمُ وعَمَرْتُمُ مدَى الدَّهْرِ حتى تُقْتَلُوا بِغَلِيلِ(٥)

وقال أبو عمرو في خبره خاصة: أقبل أبو خراش وأخوه عروة وصهيب القِرْدِيّ في بضعةَ عشر رجلاً من بني قِرْد يطلبون الصيد فبينا هم بالمَجْمَعةِ من نخلة لم يرعهم إلا قومٌ قريبٌ من عدتهم فظنهم القِرْديُّون قوماً من بني ذُؤَيبة أحدِ بني سعدِ بن بكرِ بنِ هوازنَ أو من بني حبيب أحدِ بني نصرٍ، فعدا الهذليُّون إليهم يطلبونَهم وطَمِعُوا فيهم حتى خالطوهم وأسروهم جميعاً، وإذا هم قومٌ من بني ليْثِ بنِ بكرٍ، فيهم ابنا شَعوب أسرهما صُهَيْبٌ القِردِي، فهمَّ بقتلهما، وعرفهم أبو خراش فاستنقذهم جميعاً من أصحابه وأطلقَهم، فقال أبو خراش في ذلك يمُنُّ على ابنيْ شَعُوبَ أحد بني شِجْع بنِ عامر بنِ ليثٍ فعلَه بهما: [الوافر]

عَدَوْنَا عَدْوَةً لا شَكَّ فيها وخِلْناهُمْ ذُؤَيبةَ أو حَبِيبا
فنُغري الثَّائرِينَ بهم وقُلْنا شِفاءُ النَّفْسِ أنْ بَعَثوا الحُروبا
مَنَعْنا مِنْ عَدِيٍّ بني حُنَيفٍ صِحابَ مضرّسٍ وابني شَعوبا(٦)

---

(١) اللّوذعيُّ: اللسن الفصيح.
(٢) الجِزع: منعطف الوادي.
(٣) تَلَّ فلاناً: صرعه، والقِرن: النظير في الشجاعة.
(٤) حَلْيَة: اسم لعدة مواضع. (معجم البلدان ٢/٢٩٧).
(٥) الغليل: الغيظ.
(٦) العديّ: العادون. ومضرس: رجل من بني ليث. وشعوب: اسم رجل.

فـأَثْـنُـوا يـا بـنـي شِـجْـعٍ عـلَـيْـنَـا | وحـقُّ ابـنـيْ شَـعُـوبٍ أنْ يُـثِـيـبـا
وسـائـلْ سَـبْـرَةَ الـشِّـجْـعِـيَّ عـنـا | غَـداةَ نَـخـالُـهـم نَـجْـواً جَـنِـيـبـا[1]
بـأنّ الـسّـابـقَ الـقِـرْدِيَّ أَلْـقَـى | عـلـيـه الـثَّـوْبَ إذ ولَّـى دبـيـبـا
ولـولا ذاكَ أَرْهَـقَـهُ صُـهَـيْـبٌ | حـسـامَ الـحَـدِّ مَـطْـروراً خَـشِـيـبـا[2]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال: حدثنا الرياشي قال: حدثنا الأصمعيّ قال: أقفر أبو خراش الهذليّ من الزَّادِ أياماً، ثم مرّ بامرأةٍ من هذيل جزلةٍ شريفةٍ، فأمرت له بشاة فَذُبِحَتْ وشُوِيَتْ، فلما وَجَدَ بطنُهُ ريحَ الطعام قرقر[3]، فضرب بيده على بطنه وقال: إنكَ لتقرقر لرائحة الطعام، والله لا طعِمْتَ منه شيئاً ثم قال: يا ربّةَ البيت، هل عندك شيء من صَبِرٍ أو مُرٍّ؟ قالت: تصنع به ماذا؟ قال: أريدُه، فأتته منه بشيءٍ فاقتمحَه، ثم أهوَى إلى بعيرِه فركبَه، فناشدتْه المرأةُ فأبَى، فقالتْ له: يا هذا، هل رأيتَ بأساً أو أنكرتَ شيئاً؟ قال: لا والله، ثم مضى وأنشأ يقول:

[الطويل]

وإنـي لأُثْـوِي الـجُـوعَ حـتـى يَـمـلَّـنـي | فأَحْيا ولم تَدْنَسْ ثيابي ولا جِرمي[4]
وأَصْـطَـبِـحُ الـمـاءَ الـقَـراحَ فـأَكْـتَـفـي | إذا الزَّادُ أَضْحَى للمزلَّجِ ذَا طَعْمِ[5]
أَرُدُّ شُـجـاعَ الـبَـطْـنِ قـد تَـعْـلَـمِـيـنَـهُ | وأُوثِرُ غيرِي مِنْ عِيالكِ بالطُّعْمِ[6]
مَـخـافَـةَ أنْ أَحْـيـا بـرَغْـمٍ وذلّـةٍ | فلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حياةٍ على رَغْمِ

[بعض أخباره مع إخوته وشعره في ذلك]

وأخبرني عمِّي عن هارون بن محمد الزيات، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني بنحو مما رواه الأصمَعِيُّ. وقال أبو عمرو: أَسَرَتْ فَهْمٌ عروةَ بنَ مرة أخا أبي خراش ـ وقال غيره: بل بنو كنانة أسرتْه ـ فلما دخلتْ الأشهرُ الحرمُ، مضى أبو خِراش إليهم ومعه ابنُهُ خراش، فَنزل بسيّد من ساداتهم ولم يُعَرِّفْهُ نَفْسَه ولكنه

(١) النجو: ما أُهمل من قطع الخشب، أو ما خرج من البطن من البراز. والجنيب: المبعد.
(٢) الحسام: القاطع. ومطروراً: مسنوناً. وخشيباً: مسلولاً.
(٣) قرقر البطن: صوّت من الجوع.
(٤) أثوي الجوع: أُسكنه بطني. والجرم: الجسد.
(٥) المزلج: الذي لا قدرة له على احتمال المكاره.
(٦) الشجاع: الثعبان. والطُّعْم: الطعام.

استضافه فأنزله وأحسن قِرَاه[١]، فلما تحرَّم به انتسب له، وأخبره خبرَ أخيه، وسأله معاونتَه حتى يشتريَهُ منهم، فوعَدَهُ بذلك، وغدا على القوم مع ذلك الرجل، فسألَهُمْ في الأسير أن يهبُوه له فما فعلوا، فقال لهم: فبيعُونِيهِ، فقالوا: أما هذا فنعم، فلم يزل يساومُهُم حتى رضُوا بما بذله لهم، فدفع أبو خراش إليهم ابنَه خِراشاً رهينَةً، وأطلق أخاه عُروةَ ومضيا، حتى أخذ أبو خراش فِكَاكَ أخيه، وعاد به إلى القوم حتى أعطاهم إيَّاه وأخذ ابنه. فبينما أبو خراش ذات يوم في بيتِه إذ جاءه عبدٌ له فقال: إن أخاك عروة جاءني وأخذ شاة من غَنَمِك، فذبحها، ولطمني لمّا منعتُه منها، فقال له: دعْه، فلما كان بعد أيام عاد، فقال له: قد أخذ أُخرى، فذبحها، فقال: دعه؛ فلما أمسى قال له: إن أخاك اجتمع مع شَرْب من قومه، فلما انتشى جاء إلينا وأخذ ناقة من إبِلِك، لينحرها لهم فعاجِلْه، فوثب أبو خِراش إليه، فوجده قد أخذ الناقة لينحرها، فطردها أبو خِراش، فوثب أخوه عروةُ إليه فَلطم وجهه، وأخذ الناقةَ، فعقرها، وانصرف أبو خِراش، فلما كان من غد لامه قومُه، وقالوا له: بئست لعمرُ اللَّه المكافأة كانت منك لأخيك؛ رهَنَ ابنَه فيك، وفداك بماله، ففعلتَ به ما فعلتَ، فجاء عروة يَعْتذر إليه، فقال أبو خِراش: [الوافر]

لَـعـلَّـكَ نـافِـعـي يـا عُـروَ يَـوْمـاً ... إذا جـاورْتُ مَـنْ تَـحْـتَ الـقُـبـورِ
أَخَـذْتَ خُـفَـارَتِـي ولَـطَـمْـتَ عَـيْـنـي ... وكَـيْـفَ تُـثِـيـبُ بـالـمَـنِّ الـكَـبِـيـرِ[٢]
ويَـوْم قَـدْ صَـبَـرْتُ عـلـيـكَ نَـفْـسـي ... لـدى الأشْـهَـادِ مُـرْتَـدِيَ الـحَـرورِ[٣]
إذا مَـا كـان كَـسُّ الـقَـوْم رَوْقـاً ... وجـالَـتْ مُـقْـلَـتـا الـرَّجُـلِ الـبَـصـيـر
بِـمـا يَـمَّـمْـتُـهُ وتَـرَكْـتُ بِـكْـري ... ومـا أُطْـعِـمْـتَ مِـنْ لَـحْـمِ الـجَـزُورِ

قال: معنى قوله بِكري أي بِكْرُ ولدي أي أولُهم.

وقال الأصمعيّ وأبو عبيدة وأبو عمرو وابنُ الأعرابي: كان بنو مرة عَشَرة: أبو خراش، وأبو جُندَب، وعروة، والأبحّ، والأسوَد، وأبو الأسود، وعمرو، وزهير، وجنّاد، وسفيان، وكانوا جميعاً شعراءَ دهاة سراعاً لا يُدْرَكُونَ عَدْواً. فأما الأسود بن مرة فإنه كان على ماء من دَاءَة[٤] وهو غلام شاب، فوردت عليه إبلُ

---

(١) أحسن قراه: أحسن ضيافته. والقرى: ما يقدّم للضيف.

(٢) خفارتي: مالي الذي أقوم بحراسته. والمنّ: العطاء.

(٣) الأشهاد: الشهود. والحرور: الحرّ.

(٤) داءة: الجبل الفاصل بين النخلة الشامية والنخلة اليمانية من نواحي مكة. (معجم البلدان ٢/ ٤١٦).

رِئاب بن ناضِرَةَ بن المؤمَّل من بني لِحيَان، ورئابٌ شيخ كبير، فرمى الأسودُ ضَرْعَ ناقة من الإبل فعقرها، فغَضب رئابٌ، فضربه بالسيف فقتله، وكان أشدَّهم أبُو جندب، فعرف خبر أخيه، فغضب غضباً شديداً وأسف، فاجتمعت رجالُ هذيل إليه يكلمونه وقالوا: خذ عَقْل أخيك[1]، واستبقِ ابنَ عمك، فلم يزالوا به حتى قال: نعم، اجْمَعُوا العقل، فجاءوه به في مرَّة واحدةٍ، فلما أراحوه عليه صمت فطال صمته فقالوا لَهُ: أرِحنا، اقبضْه منا، فقال: إِني أُريد أن أعتمر فاحبسُوه حتى أرجِع، فإن هلكت فَلإمٍّ مَا أنتم[2] ـ هذه لغة هذيل يقولون: إمّ بالكسر، ولا يستعملون الضم ـ وإن عشتُ فسوف ترون أَمْرِي، وولَّى ذاهباً نحو الحَرَم، فدعا عليه رجال من هذيل، وقالوا: اللهم لا تَرُدَّه، فخرج فقدم مكة فواعَدَ كلَّ خَلِيع وفاتِك في الحرم أن يأتوه يوم كذا وكذا، فيصيبَ بهم قومه، فخرج صادراً، حتى أخذتْهُ الذِّبحة في جانب الحرم، فمات قبل أن يرجع، فكان ذلك خبره.

قالوا: وأما زهير بن مرة فخرج معتمراً قد جعل على جسده من لحاء[3] الحَرَم حتى ورد ذاتَ الأُقَيْر[4] من نعمان، فبينا هو يسقِي إبلاً له إذ ورد عليه قوم من ثُمَالة فقتلوه، فله يقول أبو خراش، وقد انبعث يغزو ثُمَالَة ويُغِير عليهم، حتى قتل منهم بأخيه أهل دارَيْنِ، أي حِلَّتين من ثُمالة: [الطويل]

خُذوا ذلكم بالصُّلْحِ إني رأيتكُمُ ... قَتَلْتُم زُهيراً وهو مُهْدٍ ومُهْمِلُ

مهدٍ أي أهدَى هدياً للكعبة. ومهمل: قد أَهمَل إبلَه في مراعيها.

قَتَلْتُم فَتَى لا يَفْجُرُ الله عامداً ... ولا يَجْتَويهِ جارُهُ عامَ يُمْحِلُ[5]

ولهم يقول أبو خِراش: [الرجز]

إنِّي امْرُؤٌ أَسْأَلُ كيما أَعْلَما ... مَنْ شَرُّ رهْطٍ يَشْهَدُونَ المَوْسِمَا؟

وجدتُهم ثُمالةَ بنَ أسلَمَا

وكان أبو خراش إذا لقيهم في حروبه أوقع بهم ويقول:

---

(١) العقل: الدية.

(٢) الأمّ: الأصل. وقوله: فلأمٍّ ما أنتم: أي أنتم منتمون إلى أصل عالٍ رفيع.

(٣) اللحاء: قشر الشجر.

(٤) ذات الأقير: جبل بنعمان. (معجم البلدان ١/ ٢٣٨).

(٥) يجتويه: يكرهه. ويمحل: يصاب بالمحل والجدب.

[منهوك المنسرح]

إلـــيـــكِ أمَّ ذِبَّـــانْ ... مـــا ذاكِ مِـــنْ حَـــلْـــبِ الـــضَّـــانْ
لـــكـــن مِـــصـــاع الـــفِـــتـــيـــانْ ... بِـــكُـــلِّ لِـــيْـــنٍ حَـــرّانْ[1]

قال: وأما عروةُ بنُ مرةَ وخراشُ بنُ أبي خراشٍ فأخذهما بطنان من ثمالة يقال لهما بنو رِزام وبنو بلال، وكانوا متجاورين، فخرج عروةُ بنُ مرة وابنُ أبي خراش أخيه مغيرَيْنِ عليهم طمعاً في أن يظفروا من أموالهم بشيءٍ، فظفِرَ بهما الثماليون، فأما بنو رِزام فنهوْا عن قتلهما وأبت بنو بلال إلا قتلَهما، حتى كاد يكون بينهم شر، فألقى رجل من القوم ثوبَه على خِراش حين شُغِل القوم بقتل عروة، ثم قال له: انجُ، وانحرَفَ القومُ بعد قتلهم عروة إلى الرجل، وكانوا أسلموه إليه، فقالوا: أيْنَ خِراش؟ فقال: أَفْلَتَ مِني، فذهب، فسعى القوم في أثره، فأعجزهم، فقال أبو خراش في ذلك يرثي أخاه عُروةَ، ويذكر خَلاص ابنه: [الطويل]

حَـمَـدْتُ إلَـهـي بَـعْـدَ عُـرْوَةَ إذ نـجـا ... خراشٌ وبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْض
فـوالـلَّـهِ لا أَنْـسَـىٰ قَـتِـيـلاً رُزِيـتُـهُ ... بجانب قَوْسَى ما حَيِيتُ على الأرضِ[2]
بـلـى إنـهـا تَـعْـفُـو الـكُـلـومُ وإنَّـمـا ... نُوكَّـلُ بـالأدنى وإن جَلَّ مـا يَـمـضِـي
وَلَـمْ أَدْرِ مَـنْ أَلْـقَـى عـلـيـه رِداءَهُ ... سِوى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ ماجِدٍ مَحْض
وَلَـمْ يَـكُ مَـثْـلُـوجَ الـفُـؤادِ مُـهَـبَّـلاً ... أضاعَ الشَّبابَ في الرَّبِيلَةِ والخَفْضِ[3]
ولـكـنـهُ قـد نـازَعَـتْـهُ مَـجَـاوِعٌ ... عـلـى أنه ذو مِرَّةٍ صادِقُ النَّـهْـضِ[4]

قال: ثم إن أبا خراش وأخاه عروة استنفرا حيّاً من هذيل يقال لهم بنو زُلَيْفَة بن صَبِيح ليغزوا ثُمَالَةَ بهم طالبَين بثأر أخيهما، فلما دنَوَا من ثمالة أصاب عروةَ وِرْدُ حُمَّى، وكانت به حُمّى الرِّبْع[5] فجعل عروة يقول: [الرجز]

أَصْـبَـحْـتُ مَـوْروداً فـقـرِّبُـونـي ... إلـى سَـوادِ الـحَـيِّ يَـدْفِـنـونـي
إنّ زهـيـراً وَسْـطَـهـم يَـدْعُـونـي ... رَبَّ الـمـخـاضِ والـلِّـقـاحِ الـجُـونِ[6]

(١) صاع القوم: أتاهم من نواصيهم. والحرّان: العطشان.
(٢) رزيته: رزئته، فقدته. وقوسى: بلدة بالسراة. (معجم البلدان ٤/٤١٣).
(٣) مثلوج الفؤاد: كناية عن الدعة والخور. والمهبّل: الذي ثكلته أمه. الربيلة: الدعة والنعمة. والخفض: الدعة والنعمة أيضاً.
(٤) المرّة: القوة. والنهض: اليقظة والنشاط.
(٥) حمى الربع: الحمى التي تعرض للمريض يوماً وتدعه يومين ثم تعود إليه.
(٦) الجون: السود.

فلبِثوا إلى أن سكنت الحمّى، ثم بَيَّتُوا ثُمالةَ، فوجدوهم خُلُوفاً ليس فيهم رجال، فقتلوا من وجدوا من الرجال، وساقوا النساء والذراريَّ والأموال، وجاء الصائح إلى ثُمالةَ عشاءً فلحقوهم، وانهزم أبو خراش وأصحابُه، وانقطعت بنو زُليفة، فنظر الأكنَعُ الثُّمَاليّ ـ وكان مقطوعَ الأصبع ـ إلى عروة فقال: يا قوم، ذلك والله عروة، وأنا والله رامٍ بنفسي عليه، حتى يموت أحدنا، وخرج يمعج[1] نحو عروةَ، فصاح عروة بأبي خراش أخِيه: أي أبا خراش، هذا والله الأكنعُ وهو قاتِلِي، فقال أبو خراش: أمْضِهْ، وقعد له على طريقه، ومر به الأكنع مصمِّماً على عروة، وهو لا يَعْلَم بموضع أبي خراش، فوثب عليه أبو خراش، فضربه على حبْلِ عاتِقِه حتى بَلَغَت الضَّرْبة سَحَرَه[2]، وانهزمت ثُمالةُ، ونجا أبو خراش وعروة. وقال أبو خراش يرثي أخاه ومَن قتلته ثمالةُ وكنانةُ من أهله، وكان الأصمعيّ يفضّلها:

[الطويل]

فَقَدْتُ بني لُبْنَى فلما فقدتُهم ... صبَرتُ فلم أقطعْ عليهم أبَاجِلي

الأَبْجَلُ: عرق في الرّجل.

رماحٌ مِنَ الخطِّيِّ زُرْقٌ نِصالُها ... جِدادٌ أعاليها شِدادُ الأسافلِ

فلَهفِي على عَمْرِو بن مُرَّةَ لهفةً ... ولهْفِي على ميْتٍ بقوسَى المعاقلِ

حِسانُ الوُجُوهِ طيِّبٌ حُجُزاتُهُم ... كريمٌ نَثاهم غَيْرُ لُفٍّ مَعازِلِ[3]

قَتَلْتَ قتيلاً لا يُحالِفُ غَدْرَةً ... ولا سُبَّةً لا زِلْتَ أسْفَلَ سافلِ

وقد أمِنُونِي واطْمَأَنَّتْ نُفُوسُهم ... ولم يَعْلَمُوا كُلَّ الذي هو داخلي

فَمَنْ كانَ يَرْجُو الصُّلْحَ مِنِّي فإنه ... كأحْمَرِ عادٍ أو كُلَيْبِ بن وائلِ

أُصِيبَتْ هُذيلٌ بابن لُبْنَى وجُدِّعَتْ ... أُنوفُهُمُ باللَّوْذعيِّ الحُلاَحِلِ[4]

رَأَيْتُ بني العَلاَّتِ لما تَضافَرُوا ... يَحُوزونَ سَهْمي دونَهمْ بالشَّمائلِ[5]

---

(١) معج: أسرع.

(٢) السحر: ما اتصل بالحلقوم من رئة وغيرها.

(٣) طيب حجزاتهم: كناية عن الطهارة والعفة. والنثا: الحديث. واللُّف: جمع ألفّ، وهو الثقيل البطيء. والمعازل: العزل من السلاح.

(٤) اللوذعيّ: الخفيف، الذكيّ. والحلاحل: السيد الشجاع. وجُدِّعت أنوفهم: كناية عن ذلهم.

(٥) بنو العلات: من كان أبوهم واحداً وأمهاتهم شتَّى.

قالوا: وأما أبو الأسود فقتلته فَهْمٌ بَياتاً تحت الليل، وأما الأَبَحُّ فكان شاعراً، فأمسى بدار بعَرْعَرَ[١] من ضيم، فذكر لسارية بن زُنَيْم العبديّ أحدِ بني عبد بن عَدِيٍّ ابن الدِّيل، فخرج بقوم من عشيرته يريده ومن معه، فوجدوهم قد ظعنوا. وكان بينَ بني عبدِ بن عدي بن الدِّيل وبينهم حرب، فقال الأبَحُّ في ذلك: [الوافر]

لَعَمْرُكَ سارِيَ بْنَ أبي زُنَيْمٍ ... لأَنْتَ بعَرْعَرَ الثَّأرُ المنيمُ[٢]

تَرَكْتَ بني مُعاويةَ بنِ صَخْرٍ ... وأنت بمربَعٍ وهُمُ بضِيمِ[٣]

تُساقِيهِمْ على رُصَفٍ وظُرٍّ ... كدابغةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ[٤]

رَصَفٌ وظُرٌّ: ماءان، ومربع وضِيم: موضعان.

فلَمْ تَتْرُكْهُمُ قَصْداً ولكنْ ... فرِقْتَ مِنَ المُصالِتِ كالنُّجومِ[٥]

رَأَيْتَهُمُ فَوارِسَ غَيْرَ عُزْلٍ ... إذا شَرِقَ المُقاتِلُ بالكُلومِ[٦]

فأجابه سارية، قال: [الوافر]

لَعَلَّكَ يا أَبَحُّ حسِبْتَ أنّي ... قَتَلْتُ الأَسْوَدَ الحَسَنَ الكريمَا

أَخَذْتُمْ عَقْلَهُ وتَرَكْتُمُوهُ ... يَسُوقُ الظُّمْيَ وسْطَ بني تميمَا[٧]

عيَّرهم بأخذ دية الأسود بن مرة أخيهم، وأنهم لم يدركوا بثأره، وبنو تميم من هذيل. قالوا: وأما جُنادة وسفيان فماتا، وقتل عمرو، ولم يُسَمَّ قاتِلُه. قالوا: وأمهم جميعاً لُبْنَى إلا سُفْيَان بن مرة، فإن أمه أم عمرو القردية، وكان أَيْسَر القوم وأكثَرهم مالاً. وقال أبو عمرو: وغزا أبو خراش فهماً، فأصاب منهم عجوزاً، وأتى بها منزل قومه، فدفعها إلى شيخ منهم، وقال: احتفظ بها حتى آتيَك، وانطلق لحاجته، فأدخلتْهُ بيتاً صغيراً، وأغلقت عليه وانطلقت، فجاء أبو خراش وقد ذهبت فقال:

---

(١) عرعر: (انظر معجم البلدان ٤/ ١٠٤).

(٢) الثأر المنيم: الذي إذا أدركه صاحبه استراح ونام.

(٣) مربع وضيم: موضعان متقاربان.

(٤) تساقيهم: أراد تسالمهم. وحلم الأديم: أصابته الحلمة، وهي دودة تأكل الجلد.

(٥) فرقت: خفت. والمصالت: الشجعان

(٦) الكلوم: الجراح.

(٧) الظمي: جمع ظمياء، وهي الناقة القليلة لحم الفخذين.

[الطويل]

سَدَّتْ عليه دَوْلَجاً ثُمَّ يَمَّمَتَ ... بني فالجٍ باللَّيْثِ أَهْلَ الخَزائِمِ

الدولج: بيت صغير يكون للبُهْم، والليث: ماء لهم، والخزائم البقر واحدتها خَزُومَة.

وقالت له: دَنِّخْ مكانَكَ إنَّني ... سَأَلْقاكَ إن وافَيْتَ أَهْلَ المَواسِمِ

يقال: دَنّخَ الرجلُ ودمّخَ إذا أكبّ على وجهه ويديه.

وقال أبو عَمْرو: دخلت أميمةُ امرأةُ عروَة بن مرة على أبي خِراش وهو يلاعب ابنه فقالت له: يا أبا خراش تناسَيْتَ عُروةَ، وتركت الطلبَ بثأره، ولهوتَ مع ابنك، أما والله لو كنت المقتول ما غَفل عنك، ولطلب قاتلكَ حتى يقتلَه، فبكى أبو خِراش، وأنشأ يقول: [الطويل]

لَعَمْري لَقَدْ راعَتْ أُميمةَ طَلْعَتِي ... وإنّ ثَوائي عندها لَقَليلُ[1]

وقالت: أُراهُ بعد عُرْوة لاهِياً ... وذلك رُزْءٌ لو عَلِمْتَ جليلُ

فلا تَحْسَبي أني تناسيْتُ فقْدَهُ ... ولكنَّ صَبْري يا أُمَيْمَ جميلُ

أَلَمْ تَعْلَمِي أنْ قدْ تَفرَّقَ قَبْلَنَا ... نَدِيما صفاءٍ مالكٌ وعَقيلُ[2]

أبى الصَّبْرَ أنّي لا يزال يَهيجُني ... مبيتٌ لنا فيما خلا ومَقِيلُ[3]

وأني إذا ما الصّبحُ آنَسْتُ ضوءَهُ ... يعاودني قُطْعٌ عَلَيَّ ثَقيلُ[4]

قال أبو عمرو: فأما أبو جُندبٍ أخو أبي خراشٍ فإنه كان جاور بني نُفَاثَةَ بن عديّ بن الدِّيل حيناً من الدهر، ثم إنهم همُّوا بأن يغدِروا به، وكانت له إبل كثيرة فيها أخوه جنادة، فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة، وإذا به كُلُومٌ، فقال له أبو جندب: ما لك؟ فقال: ضربني رجل من جيرانك، فأقبل أبو جندب، حتى أتى جيرانَه من بني نفاثة، فقال لهم: يا قوم، ما هذا الجِوار؟ لقد كنت أرجو من جوارِكم خيراً من هذا، أيتجاور أهلُ الأعراض بمثل هذا؟. فقالوا: أولم يكن بنو

---

(١) ثوائي: مقامي.

(٢) مالك وعقيل: نديما جذيمة الأبرش، وبهما يضرب المثل في التلازم وطول الألفة.

(٣) المبيت: موضع النوم ليلاً. والمقيل: موضع القيلولة.

(٤) القُطْع: انقطاع النفس.

لحيان يقتلوننا، فواللَّهِ ما قَرَّتْ دماؤنا[١]، وما زالت تَغلِي، والله إنك للثأرُ المُنيم، فقال: أما إنه لم يُصِبْ أخي إلاَّ خَيْر، ولكنما هذه معاتبة لكم، وفَطِن للذي يريد القومُ من الغدر به، وكان بأسفلِ دُفاق[٢]، فأصبحوا ظاعنين، وتواعَدُوا ماء ظَرٍّ، فَنَفَذ الرجالُ إلى الماء، وَأَخّروا النساء لأن يتبعنهم إذا نزلوا، واتخذوا الحِياضَ للإبل، فأمر أبو جندب أخاه جُنادةَ وقال له: اسْرَح مع نَعَم القوم. ثم توقَّفْ وتأَخّرْ، حتى تمرّ عليك النَّعَم كلُّها، وأنت في آخرها سارحٌ بإبلك، واتركها متفرقة في المرعى، فإذا غابوا عنك فاجمع إبلك، واطردها نحو أرضنا، ومَوعدُك نجد أَلُوذَنِيَّة، في طريق بلاده، وقال لامرأته أُمّ زِنباع وهي من بني كلب بن عوف: اظعَني وتمكَّثِي، حتى تخرج آخر ظعينة من النساء. ثم توَجَّهِي، فموعدُك ثَنِيَّة يَدعانَ من جانب النخلة. وأخذ أبو جندب دَلوه، وَورد مع الرجال، فاتّخذ القومُ الحياض، واتخذ أبو جندب حوضاً، فملأه ماءً، ثم قعد عنده، فمرّت به إبل ثمّ إبل، فكلّما وردت إبل سأل عن إبله فيقولون: قد بلغتْ، تركناها بالضَّجْن[٣].

ثم قدمت النساء كلما قدمت ظعينةُ سألها عن أهله، فيقولون: بَلغَتْكَ، تركناها تظعن، حتى إذا وَرد آخرُ النَّعم وآخرُ الظّعن قال: وَالله لقد حَبَس أهلي حابسٌ، أَبْصِرْ يا فلان، حتى أستأنِس أهلي وإبلي، وطرح دلوه على الحوض ثم ولّى، حتى أدرك القوم بحيث وعدهم، فقال أبو جندب في ذلك: [الوافر]

أَقــول لأُمِّ زِنْــبَــاعٍ أَقِـيـمـي	صُدورَ العِيسِ شَطْرَ بني تميم
وغَــرَّبْــتُ الــدّعَــاءَ وأَيْــنَ مـنِّـي	أُنــاسٌ بـيـن مــرٍّ وذي يَـدومِ[٤]

غربت الدُّعَاء: دعوت من بعيد.

وَحَـيٌّ بـالـمـنـاقـب قـد حـمَـوْهـا	لـدى قُـرَّانَ حـتـى بَـطْـنِ ضِـيـمِ[٥]
وأحـيـاءٍ لـدى سَـعْـدِ بـنِ بَـكْـرٍ	بـأمـلاحِ فـظـاهـرةِ الأديـمِ[٦]

---

(١) قرّت دماؤنا: هدأت.

(٢) دفاق: موضع قرب مكة. (معجم البلدان ٢/٤٥٧).

(٣) الضجن: وادٍ بتهامة. (معجم البلدان ٣/٤٥٣).

(٤) مرّ وذو يدوم: موضعان. (انظر معجم البلدان).

(٥) المناقب: جبل. (انظر معجم البلدان ٥/٢٠٣) وقران: وادٍ قرب الطائف. وبطن ضيم: موضع. (انظر معجم البلدان ٣/٤٦٥).

(٦) أملاح وظاهرة الأديم: موضعان.

أُولـئِـكَ مَـعْـشَـري وهُـمُ أرومـي ... وبَـعْـضُ الـقـوم لـيـس بـذي أَروم[١]
هـنـالِـكَ لـو دَعَـوْتَ أَتَـاك مـنـهـم ... رجـالٌ مـثـل أرمِـيـةِ الـحَـمـيـمِ

الأرْمِيَةُ: السحاب الشديد الوقع، واحدها رَمِيّ، والحميم: مطر القيظ.

أَقَـلَّ الله خَـيْـرَهُـم أَلَـمَّـا ... يَـدَعْـهُـم بعضُ شرّهـم الـقـديـمِ
أَلَـمَّـا يَـسـلـم الـجـيـرانُ مـنـهـم ... وقـد سـال الـفِـجاج مِـنَ الـغَـمـيـمِ
غـداةَ كـأنَّ جـنَّـادَ بـن لُـبـنـى ... بـه نـضـخُ الـعـبـيـرِ مِـنَ الـكُـلـومِ
دعـا حَـوْلـي نـفـاثـةُ ثـم قـالـوا: ... لَـعَـلَّـكَ لَـسْـتَ بـالـثّـأر الـمـنـيـمِ

المنيم: الذي إذا أُدْرِكَ استراح أهله وناموا.

نَـعـوْا مَـنْ قَـتَّـلَـتْ لِـحْـيـانُ مـنـهـم ... ومَـنْ يَـغْـتَـرُّ بـالْـحَـرْبِ الـقـرومِ[٢]

قالوا جميعاً: وكَان أبو جندب ذا شرٍّ وبأس، وكان قومه يسمونه المشؤوم، فاشتكى شكوى شديدة، وكان له جار من خزاعة يقالُ له حاطِم، فوقعت به بنو لحيان، فقتلُوه قبلَ أنْ يَسْتَبِلّ[٣] أبو جندب من مرضه، واستاقوا أموالَه، وقتلوا امرأته، وقد كَان أبو جُنْدب كلّم قومَه، فجمعوا لجاره غنماً، فلما أفاق أبو جندب من مرضه خرج من أهله، حتى قدم مكة، ثم جاء يمشي حتى استلم الركن، وقد شق ثوبَه عن اسْته، فعرف الناس أنه يريد شرّاً، فجعلَ يصيح ويقول: [الرجز]

إِنّـي امْـرُؤٌ أَبْـكـي عـلـى جـارِيَّـهْ ... أبـكِـي عـلـى الـكَـعْـبـيِّ وَالـكـعـبـيَّـهْ
ولـو هَـلِـكْـتُ بَـكَـيـا عـلـيَّـهْ ... كَـانـا مـكَـانَ الـثَّـوْبِ مِـنْ حَـقْـويَّـهْ[٤]

فلما فرغ من طوافه، وقضى حاجتَه من مكة خرج في الخُلَعَاء من بكر وخزاعة، فاستجاشهم على بني لحيانَ، فقتل منهم قتلى، وسبى من نسائهم وذراريهم سَبَايا، وَقال في ذلك: [الوافر]

لَـقَـدْ أَمْـسَـى بـنـو لِـحْـيـان مـنّـي ... بِـحَـمْـدِ الله فـي خِـزْيٍ مُـبـيـنِ
تَـرَكْـتُـهـمُ عـلـى الـرّكَـبـاتِ صُـعْـراً ... يُـشِـيـبُـونَ الـذَّوائـبَ بـالأنِـيـنِ[٥]

(١) الأروم: الأصل.
(٢) القروم: الشديدة الشهوة إلى أكل اللحم.
(٣) استبلّ من مرضه: شفي من مرضه.
(٤) الحقو: الخصر.
(٥) الركبات: موضع. والذوائب: جمع ذؤابة، وهي مقدمة شعر الرأس.

[شوقه إلى ابنه وشكواه]

أخبرني هاشِم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثني عبد الرحمن ابنُ أخي الأصمعيّ قال: حدثني عمي قال: هاجر خِراشُ بن أبي خراش الهذليّ في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وغزا مع المسلمين، فأوغل في أرض العدو، فقدم أبو خراش المدينة، فجلس بين يدي عمر، وشكا إليه شوقَه إلى ابنه، وأنه رجل قد انقرضَ أهلُه، وقُتِل إخوته ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خِراش، وقد غزا وتركه، وأنشأ يقُول: [الوافر]

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عني خِراشاً ... وقد يَأْتِيكَ بالنَّبَأ البعيدُ
وقد يَأْتيكَ بالأخبارِ مَنْ لا ... تُجَهِّزُ بالحِذاءِ ولا تُزِيدُ

ـ تُزيد وتُزوِّد واحد، من الزاد ـ

يُناديهِ ليَغْبِقَهُ كَلِيبٌ ... ولا يَأْتِي، لقد سَفُه الوليدُ[1]
فردَّ إناءَه لا شيءَ فيه ... كأنَّ دُموعَ عَيْنَيْهِ الفريدُ[2]
وأَصْبَحَ دون غَابِقِهِ وأَمْسَى ... جبالٌ من حِرارِ الشَّام سُودُ[3]
ألا فاعْلَمْ خِراشُ بأنّ خَيْرَ الـ ... ـمُهاجِرِ بَعْدَ هجرتَه زَهِيدُ
رَأَيْتُكَ وابْتِغاءَ البِرِّ دوني ... كَمَخْصُورِ اللِّبانِ ولا يَصِيدُ

قال: فكتب عمر رضي الله عنه بأنْ يُقْبِل خراش إلى أبيه، وألا يغزوَ من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذَنَ له.

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا عمر بن شبةَ، قال: حدثنا الأصمعيّ. وأخبرني حبيبُ بن نصر، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا عليّ بن الصبّاح، عن ابن الكلبي، عن أبيه. وأخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال: حدثنا أبو غسّانَ دمَاذُ: قال أبو عبيدة: وأخبرني أيضاً هاشم، قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ، عن عمه، وذكره أبو سعيد السكري في رواية الأخفش عنه عن أصحابه، قالوا جميعاً:

أسلم أبو خراش فحسُن إسلامه، ثم أتاه نفر من أهل اليمن قدِمُوا حُجَّاجاً، فنزلوا بأبي خراش والماء منهم غير بعيد، فقال: يا بني عمّي، ما أَمْسَى عندنا ماء،

---

(١) الكليب: العطشان.
(٢) الفريد: اللؤلؤ.
(٣) الحرار: جمع حرّة، وهي أرض ذات حجارة سوداء كأنها حرقت.

ولكن هذه شاة وبُرمة[١] وقِربة، فرِدُوا الماء، وكلوا شاتكم، ثم دَعُوا بُرْمَتَنا وقِربتنا على الماء، حتى نأخذها، قالوا: والله ما نحن بسائرين في ليلتنا هذه، وما نحن ببارحين حيث أمسينا، فلما رأى ذلك أبو خراش أخذ قِربته، وسعى نحو الماء تحت الليل حتى اسْتَقَى، ثم أقبل صادراً، فنهشتْه حية قبل أن يصل إليهم، فأقبل مُسْرِعاً حتى أعطاهم الماء، وقال: اطْبخوا شاتكم وكلوا، ولم يُعلِمهم بما أصابه، فباتوا على شاتهم يأكلون حتى أصبحوا، وأصبح أبو خراش في الموت، فلم يبرحوا حتى دفنوه، وقال وهو يعالج الموت: [الوافر]

لَعَمْرُكَ والمَنايا غالِباتٌ ... على الإنسانِ تَطْلُعُ كُلَّ نَجْدِ
لقد أهلكْتِ حيّةَ بَطْنِ أَنْفٍ ... على الأَصْحابِ ساقاً ذاتَ فقدِ[٢]

وقال أيضاً: [الوافر]

لقد أهلكتِ حَيَّةَ بَطْنِ أنفٍ ... على الأصحابِ ساقاً ذاتَ فَضْلِ
فما تَرَكَتْ عَدُوّاً بَيْنَ بُصْرَى ... إلى صَنْعاءَ يَطْلُبُهُ بذَحْلِ

قال: فبلغ عُمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه خَبرُه، فغضب غضباً شديداً، وقال: لولا أن تكون سُبَّة لأَمَرْتُ ألاّ يُضافَ يمانٍ أبداً، ولكتبت بذلك إلى الآفاق. إن الرجل لَيُضيف أحدَهم، فيبذل مجهودَه فيسخَطُه ولا يقبله منه، ويطالبُه بما لا يقدر عليه، كأنه يطالبه بدين، أو يَتَعَنَّته ليفضَحَه، فهو يكلفه التكاليف، حتى أهلك ذلك من فعلهم رجلاً مسلماً وقتله. ثم كتب إلى عامله باليمن بأن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش فيُغَرِّمَهم دِيَتَه، ويؤدبهم بعد ذلك بعقوبة تمسهم جزاءً لأعمالهم

صوت

[الطويل]

تَهِيمُ بها لا الدَّهرُ فانٍ ولا المنى ... سِواها ولا يُنسيكَ نَأْيٌ ولا شُغْلُ
كَبَيْضَةِ أُدحيٍّ بِميثٍ خَميلةٍ ... يحفُّفُها جَوْنٌ بِجُؤْجُئِهِ صَعْلُ[٣]

الشعر لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالوسطى، عن ابن المكي.

---

(١) البرمة: القدر من الحجارة.

(٢) بطن أنف: من منازل هذيل. (معجم البلدان ١/ ٤٤٩).

(٣) الأدحيّ: بيض النعام. والمِيث: مفردها الميثاء: الأرض السهلة. والجون: الأسود. والجؤجؤ: الصدر. والصعل: الطول وذهاب الوبر.

أخبار ابن دارة ونسبه

[اسمه ونسبه]

هو عبد الرحمن بن مُسافِع بن دارة، وقيل: بل هو عبد الرحمن بن رِبْعِيّ بن مسافع بن دارة، وأخوه مسافع عبن دارة، وكلاهما شاعر، وفي شعريهما جميعاً غناء يُذكر ها هنا وأخوهما سالم بن مسافع بن دارة شاعر أيضاً وفي بعض شعره غناء يذكر بعد أخبار هذين. فأما سالم فمخضرم قد أدرك الجاهلية والإسلام. وأما هذان فمن شعراء الإسلام، ودارة لقب غلب على جدّهم، ومسافع أبوهم، وهو ابن شُرَيْح بن يربوع الملقب بدارةَ بنِ كعب بن عديّ بن جُشَمَ بن عوف بن بُهْثَةَ بن عبد الله بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر. وهذا الشعر يقوله عبد الرحمن في حبس السّمهريّ[١] العكليّ اللص وقتلِه وكان نديماً له وأخاً.

[هجاؤه بني أسد]

أخبرني بخبره هاشمُ بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثنا أبو غسان دماذٌ، عن أبي عبيدة قال: لما أُخِذ السمهريّ العكليّ وحُبِس وقُتِل ـ وكانت بنو أسد أخذته وبعثت به إلى السلطان وكان نديماً لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة، فقتِل بعد طول حبس ـ فقال عبد الرحمن بن مسافع يهجو بني أسد ويُحرّض عليهم عُكْلاً:

صوت

[الطويل]

إن يُمْسِ بالعَيْنَيْنِ سُقْمٌ فَقَدْ أَتَى ... لِعَيْنَيْكَ مِنْ طُولِ البكاءِ على جُمْلِ[٢]

تَهيمُ بها لا الدَّهْرُ فانٍ ولا المنى ... سِواها ولا تُسْلَى بنأيٍ ولا شُغْلِ

---

(١)

(٢) في البيت خرم.

كَبَيْضَةِ أُدحيٍّ بمَيثٍ خميلةٍ يُحَفِّفُها جَوْنٌ بجؤجؤِه الصَّعْلِ
وما الشَّمْسُ تَبْدو يَوْمَ غيم فأشرقَتْ على الشّامةِ العنقاءِ فالنِّيرِ فالذّبلِ[(١)]
بدا حَاجِبٌ منهَا وضنَّتْ بحَاجب بأحسن منها يَوْمَ زالَتْ على الحمْلِ[(٢)]
يَقُولونَ: إزْلٌ حُبُّ جُمْلٍ وقُرْبُها وقد كذبوا ما في المَوَدّةِ مِنْ إزلِ[(٣)]
إذا شحَطتْ عنّي وجدتُ حرارةً على كبِدي كادَتْ بها كمَداً تغلي
ولم أرَ مَحْزونَيْنِ أجْمَلَ لَوْعةً على نَائباتِ الدَّهْرِ مِنّي ومن جُملِ
كلانا يَذودُ النفسَ وهْي حزينةٌ ويُضمِرُ وجداً كالنوافذِ بالنَّبْلِ[(٤)]
وإني لمُبلِي اليأسِ مِنْ حُبِّ غَيْرِها فأمَّا على جُمْلٍ فإنيَ لا أُبلي
وإنّ شِفاءَ النَّفْسِ لو تُسْعِفُ المنى ذواتُ الثنايا الغُرّ والحدَقِ النُّجلِ[(٥)]
أُولئك إن يَمْنَعْنَ فالمَنْعُ شِيمةٌ لهنَّ وإنْ يُعْطِينَ يُحْمدن بالبذلِ
سأُمسِكُ بالوَصْلِ الذي كان بيننا وهل تَرَكَ الواشونَ والنأيُ مِنْ وَصْلِ
ألا سَقِّيَانِي قهوةً فارسيّةً مِنَ الأوّلِ المَخْتوم لَيْسَتْ مِنَ الفَضْلِ[(٦)]
تُنسّي ذوي الأحلامِ واللُّبِّ حلمَهم إذا أزبدَتْ في دَنِّهَا زَبدَ الفَحْلِ[(٧)]
ويا راكباً إمّا عرضت فبلِّغَنْ عَلَى نأيهم مني القَبائِلَ مِنْ عُكلِ
بأنّ الذي أمْسَتْ تجمجم فقعَسٌ إسارٌ بلا أسْرٍ وَقتلٌ بلا قَتْلِ[(٨)]
وكيف تَنامُ اللَّيْلَ عُكلٌ ولم تنَلْ رِضَى قوَدٍ بالسَّمْهريّ ولا عقلِ؟[(٩)]
فلا صُلْحَ حتى تَنْحِط الخَيْلُ في القنا وتوقدَ نارُ الحَرْبِ بالحَطَبِ الجَزْلِ
وَجُرْدٍ تَعادَى بالكماة كأنها تُلاحِظُ مِنْ غيظٍ بأعينها القُبْلِ[(١٠)]
عليها رجالٌ جالَدوا يَوْمَ مَنْعِجٍ ذوي التاج ضرّابو المُلوكِ على الوَهلِ[(١١)]

(١) النير والذبل: من جبال ضرية.
(٢) زالت: رحلت.
(٣) الإزل: الضيق، الشدّة.
(٤) النوافذ: السهام النوافذ.
(٥) الثنايا: أسنان مقدم الفم. والغرّ: البيضاء. والحدق: العيون. والنجل: الواسعة الحسنة.
(٦) من الأول المختوم: من الدن الأول المعتق.
(٧) زبد الفحل: اللغام الذي يخرج من فم فحل الإبل.
(٨) الجمجمة: إخفاء ما في النفس.
(٩) عكل: قبيلته التي يستصرخها. والقود: القصاص. والعقل: الدية.
(١٠) الجرد: الخيل القصيرة الشعر. والكماة: مفردها الكميّ: البطل الشجاع. والقبل: الحول.
(١١) منعج: اسم وادٍ، ويوم منعج: من أيام العرب. (انظر معجم البلدان ٥/ ٢١٣). والوهل: الخوف.

بِضربٍ يُزيلُ الهامَ عَنْ مستقرِّهِ وطعنٍ كأفواهِ المفرَّجةِ الْهُدْلِ[1]
علامَ تَمَشَّى فَقْعَسٌ بدمائكم وما هي بالفَرعِ المُنيفِ ولا الأَصْلِ
وكنّا حسِبنا فَقْعَساً قَبْلَ هذه أذلَّ على وَقْعِ الهوانِ مِنَ النَّعْلِ
فقد نَظَرَتْ نَحْوَ السَّماءِ وسلَّمَتْ على النَّاسِ واعْتاضَتْ بخِصْبٍ مِنَ المَحْلِ
رَمَى الله في أكبادِكم أن نَجَتْ بها شِعابُ القِنان مِنْ ضعيفٍ ومِنْ وَغْلِ[2]
وإن أنتُم لم تَثْأروا بأخيكم فَكُونوا نِساءً للخَلوقِ وللكُحْلِ[3]
وبيعوا الرّدينياتِ بالحَلْيِ واقْعدُوا على الذُّلِّ وابْتَاعوا المَغازِلَ بالنَّبْلِ[4]
ألا حبّذا مَنْ عندَهُ القلبُ في كَبْلِ ومَنْ حُبُّهُ داءٌ وخبْلٌ مِنَ الخبْلِ
ومَنْ هو لا يُنسَى ومَنْ كُلُّ قولِه لدينا كَطَعْمِ الرَّاحِ أو كجَنَى النَّحْلِ
ومَنْ إن نأى لم يُحْدِثِ النَّأْيُ بُغضَهُ ومَنْ إنْ دنا في الدَّارِ أُرْصِدَ بالبَذْلِ

[مصرع السمهري وبعض شعره]

وأمّا خبر السمهريّ ومقتلُه فإن عليَّ بنَ سليمانَ الأخفشَ أخبرني به قال: حدثنا أبو سعيد السكَّريُّ قال: حدثنا محمدُ بن حبيبٍ، عن أبي عمْرٍو الشيبانيِّ قال: لقِي السّمهريُّ بن بشر بن أُقَيْشَ بن مالك بن الحارث بن أُقيشَ العكلي ويكنى أبا الديل هو وبهدلٌ ومَروَانُ بن قرفة الطائيان عونَ بن جعدةَ بن هبيرة بن أبي وَهْبِ بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ومعه خالُه، أحدُ بني حارثةَ بن لأم من طيّىء بالثعلبية، وهو يريد الحج من الكوفة، أو يريد المدينة، وزعم آخرون أنهم لقُوه بين نخل والمدينة، فقالوا له: العُراضة، أي مر لنا بشيء فقال: يا غلامُ، جَفِّنْ[5] لهم، فقالوا: لا والله، ما الطعام نريد، فقال: عرِّضْهم، فقالوا: ولا ذلك نريد، فارتاب بهم، فأخذ السيف فشدّ عليهم، وهو صائم، وكان بَهْدَل لا يسقط له سهم، فرمى عوناً فأقصده، فلما قتلوه ندموا فهربوا ولم يأخذوا إبلَه، فتفرقت إبلُهُ، ونجا خالُه

(١) المفرجة الهدل: القرب المخرقة التي تهدلت شفاهها.
(٢) القنان: جمع قنة، وهي قمة الجبل.
(٣) الخلوق: ضرب من الطيب.
(٤) الرّدينيات: الرماح، نسبة إلى ردينة، وهي امرأة كانت تقوّم الرماح.
(٥) جَفِّن: املأ الجفنة لهم طعاماً.

الطائي، إما عرفوه فكفوا عن قتله، وإما هرب ولم يعرف القَتَلة، فوجد بعضَ إبله في يدي شافع بن واتر الأسديّ.

وبلغ عبدَ الملك بن مروَان الخبرُ فكتب إلى الحجاج بن يوسف، وهو عاملُه على العراق، وإلى هشام بن إسماعيل، وهو عامله على المدينة، وإلى عامل اليمامة أن يطلبوا قتلة عَوْن، ويبالغوا في ذلك، وأن يأخذوا السُّعاة به أشد أخذ، ويجعلوا لمن دَلّ عليهم جُعلَه[1]، وانْشَام[2] السمهريّ في بلاد غطفان ما شاء الله. ثم مرّ بنخلٍ، فقالت عجوز من بني فزارة: أظن والله هذا العكليَّ الذي قتل عوناً، فوثبوا عليه فأخذوه، ومر أيوب بن سلمة المخزوميّ بهم، فقالت له بنو فزارة: هذا العُكليّ قاتل عون ابن عمك، فأخذه منهم، فأتى به هشام بن إسماعيل المخزومي عاملَ عبد الملك على المدينة، فجحد وَأبى أن يقرّ، فرفعه إلى السجن فحبسه. وزعم آخرون أن بني عُذرة أخذوه فلما عُرفت إبلُ عون في يدي شافع بن وَاتِر اتهموه بقتله، فأخذوه، وقالوا: أنت قرفتُنا[3] قتلتَ عوناً، وحبسوه بصلّ - ماء لبني أسد - وجَحَد، وقد كان عرف مَنْ قتله، إما أن يكون كان معهم، فورّى عنهم، وبرأ نفسه، وإما أن يكون أودعوها إياه أو باعوها منه، فقال شافِعٌ: [الطويل]

فإن سَرَّكُم أَنْ تَعْلَمُوا أَيْنَ ثأرُكم ... فسلمَى معانٌ وابن قرفة ظالمُ
وفي السّجْنِ عُكْلِيٌّ شَريك لبهدل ... فولّوا ذُبابَ السَّيْفِ مَنْ هو حازمُ[4]
فوالله ما كنا جُناةً ولا بنا ... تأوّبَ عوناً حتفُهُ وَهْوَ صائِمُ

فعرفوا مَن قتلَه، فألحوا على بهدل في الطلب، وضيقوا على السمهريِّ في القيود والسجن، وجَحَد فلما كان ذلك من إلحاحهم على السمهريِّ أيقنت نفسُه أنه غير ناجٍ، فجعل يلتمس الخروج من السجن، فلما كان يوم الجمعة والإمام يخطبُ، وقد شُغِل الناس بالصلاة فكّ إحدى حلقَتي قيده، ورمى بنفسه من فوق السجن، والناس في صلاتهم، فقصد نحو الحرة[5]، فولج غاراً من الحرة، وانصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة عامتهم اتّباعه، وغلقوا أبوابهم،

(١) الجعل: المكافأة ونحوها.
(٢) انشام: دخل.
(٣) القرفة: من تتهمه بشيء.
(٤) ذباب السيف: حدّه.
(٥) الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار. (انظر معجم البلدان ٢/ ٢٤٥).

وقال لهم الأمير: اتّبعوه فقالوا: وكيف نتبعه وَحْدَنا، فقال لهم: أنتم ألفا رجل، فكيف تكونون وحدكم؟ فقالوا: أرسل معنا الأُبُلّيّين؛ وهم حرس وأعوان من أهل الأُبُلّة[١]، فأعجزهم الطلبُ، فلما أمسى كسر الحلقة الأُخرى، ثم هَمَسَ[٢] ليلته طَلقاً، فأصبح وقد قطع أرضاً بعيدة، فبينا هو يمضي إذ نَعب غراب عن شماله، فتطيَّر، فإذا الغراب على شجرة بانٍ يُنَشْنِش ريشه[٣] ويلقيه، فاعتاف[٤] شيئاً في نفسه، فمضى وفيها ما فيها، فإذا هو قد لقِي راعياً في وجهه ذلك، فسأله من أنت؟ قال: رجل من لِهْب من أزْد شنوءة أنتجع أهلي، فقال له: هلْ عندَك شيءٌ من زَجْر قومِك؟ فقال: إني لآنس من ذلك شيئاً - أي لأُبصر - فقص عليه حاله غير أنه ورَّى[٥] الذَّنْبَ على غيره والعيافة، وخَبَّرَهُ عن الغراب والشجرة، فقال اللّهبيّ: هذا الذي فعل ما فعل، ورأى الغراب على البانة يَطرحُ ريشه سَيُصْلَب، فقال السمهريّ: بفيك[٦] الحجر، فقال اللهبي: بل بفيك الحجر، استخبرتني فأخبرتك ثم تغضَب. ثم مضى حتى اغترز في بلاد قضاعة، وترك بلاد غطفان وذكر بعض الرواة أنه توقف يومه وليلته فيما يعمله؛ وهل يعود من حيث جاء. ثم سار حتى أتى أرض عُذرةَ بنِ سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكراً، ويستحلِب الرعيان اللبنَ، فيحلبون له، ولَقِيَه عبدُ الله الأحدب السعديّ، أحدُ بني مخزوم من بني عبد شمس، وكان أَشدَّ منه وألصَّ، فجنى جناية، فَطُلِبَ فترك بلادَ تميم، ولحق ببلاد قضاعة، وهو على نجيبة لا تُسايَرُ، فبينا السمهريُّ يماشي راعياً لبني عذرة، ويحدثه عن خيار إبلهم، ويسأله السمهريُّ عن ذلك - وإنما يسأله عن أَنْجَاهُنَّ ليركبها، فيهربَ بها، لئلا يفارق الأحدب - أشار له إلى ناقة، فقال السمهريّ: هذه خير من التي تفضلها، هذه لا تجارى، فتحَيّن الغفلة، فلما غفل وثب عليها، ثم صاح بها فخرجت تَطير به، وذلك في آخر الليل، فلما أصبحوا فقدُوها، وفقدوه فطلبوه في الأثر. وخرجا حتى إذا كان حَجْرٌ عن يسارهما، وهو وادٍ في جبل، أو شِبه الثقب

(١) الأُبلّة: بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج، الذي يدخل إلى مدينة البصرة. (معجم البلدان ١/ ٧٧).
(٢) هَمَس: سار حثيثاً.
(٣) نشنش ريشه: نتفه.
(٤) اعتاف: تطيّر.
(٥) ورّى الذّنب: أراده وأظهر غيره.
(٦) بفيك الحجر: دعاء عليه.

فيه استقبلتهما سَعَةٌ هي أَوسع من الطريق، فظنا أَن الطريق فيها، فسارا ملياً فيها، ولا نجم يأْتمان به، فلما عرفا أَنهما حائدان، والتفّت عليهما الجبال أمامهما، وجدّ الطلبُ إثر بعيريْهما، ورأوه وقد سلك الثقب في غير طريق عرفوا أَنه سيرجع، فقعدوا له بفم الثقب ثم كرا راجعين، وجاءت الناقة، وعلى رأْسها مثل الكوكب من لُغامِها، فلما أبصر القومَ همَّ أَن يعقر ناقتهم، فقال له الأحدب: ما هذا جزاؤها. فنزل ونزل الأحدب، فقاتلهما القومُ، حتى كادوا يغشَوْن[١] السّمهريَّ فهتف بالأحدب، فطرد عنه القوم، حتى توقلا في الجبل، وفي ذلك يقول السّمهريّ يعتذر من ضلاله: [الطويل]

وما كُنْتُ ـ مِحْيَاراً ولا فزِعَ السُّرَى ... ولكن حِذَا حجْرٍ بِغَيْرِ دَليلِ[٢]

وقال الأحدب في ذلك: [الطويل]

لمّا دعاني السَّمْهَريُّ أَجَبْتُهُ ... بأبيضَ مِنْ ماءِ الحَديدِ صَقِيلِ
وما كُنْتُ ما اشْتَدَّتْ على السَّيْفِ قَبْضَتي ... لأُسْلِمَ مِنْ حُبِّ الحياةِ زَمِيلي

وقال السّمهريّ أيضاً: [الطويل]

نَجَوْتُ وَنَفْسِي عند ليلى رَهينة ... وقد غَمّني داجٍ مِنَ اللَّيْلِ دامسُ
وغامسْتُ عَنْ نَفْسي بأخلَقَ مِقْصلٍ ... ولا خَيْرَ في نَفْسِ امْرِئٍ لا تُغَامِسُ[٣]
ولو أنّ ليلَى أَبْصَرَتْنِيَ غَدْوَةً ... ومَطْوايَ والصَّفَّ الذين أُمارِسُ[٤]
إذاً لَبَكَتْ لَيْلَى عَلَيَّ وأَعْوَلَتْ ... وما نالَتِ الثَّوْبَ الذي أنا لابسُ

فرجع إلى صحراء مَنعج، وهي إلى جنب أُضاخَ[٥]، والحلّة[٦] قريب منها، وفيها منازل عُكل، فكان يتردد ولا يقرب الحلة، وقد كان أُكْثِر الجُعْلُ فيه، فمرّ بابني فائد بن حبيب من بني أسد، ثم من بني فقعس فقال: أجيرًا متنكراً، فَحلبَا له، فشرب ومضى لا يعرفانه، وذهبا، ثم لبث السمهريّ ساعة، وكرَّ راجعاً فتحدث

(١) يغشون: أراد يغشونه بسيوفهم أي يضربونه بها.
(٢) السرى: السير ليلاً.
(٣) غامست: خضت الحرب. بأخلق مقصل: بسيف قاطع.
(٤) مطواي: المكان الذي أقطعه. والصّف: الجمع. أمارس: أحارب.
(٥) أضاخ: اسم لعدة مواضع. (معجم البلدان ١/ ٢١٣).
(٦) الحلّة: بناحية أضاخ بين اليمامة وضرية. (معجم البلدان ٢/ ٢٩٥).

إلى أُخت ابني فائد، فوجداه منبطحاً على بطنه يحدثها، فنظر أَحدهما إلى ساقه مكدَّحة، وإذا كدوحٌ طريَّةٌ، فأَخبر أخاه بذلك، فنظر فرأى ما أخبره أخوه، فارتابا به، فقال أحدهما: هذا والله السمهريّ الذي جُعِل فيه ما جعل، فاتفقا على مضابرته[١]، فوثبا عليه، فقعد أحدهما على ظهره، وأخذ الآخر برجليه فوثب السمهريّ، فألقى الذي على ظهره، وقال: أتلعبان؟ وقد ضبطَ رأسَ الذي كان على ظهره تحت إبطه، وعالجه الآخر، فجعل رأْسَه تحت إبطه أيضاً، وجعلا يعالجانه، فناديا أُختَهُما أن تعينهما، فقالت: أَلِيَ الشِّرْك في جُعْلكما؟ قالا: نعم، فجاءت بجرير[٢] فجعلته في عنقه بأُنشوطة ثم جذبته، وهو مشغول بالرَّجُلين يمنعهما، فلما استحكمت العقدة، وراحت من عَلاَبِيِّهِ[٣] خلى عنهما، وشد أَحدُهما، فجاء بِصِرارٍ[٤] فألقاه في رجله، وهو يداور الآخر، والأُخرى تخنقه؛ فخرَّ لوجهه فربطاه، ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المُرِّيّ، وهو في إمارته على المدينة فأخذا ما جعل لأخذِه، فكتب فيه إلى الخليفة، فكتب أن ادفعه إلى ابن أخي عون عدي، فدُفِعَ إليه، فقال السمهريّ: أتقتلني وأنت لا تدري أقاتل عمك أنا أم لا؟ ادنُ أُخبرْك، فأراد الدّنوَّ منه، فنودي: إياكَ والكلبَ، وإنما أراد أن يقطع أنفه، فقتله بعمه. ولما حبسه ابن حيّان في السجن تذكر زَجْر اللِّهْبِيّ وصدقه، فقال:

[الطويل]

ألا أيّـهـا الـبَـيْـتُ الـذي أنـا هـاجِـرُهْ فـلا الـبَـيْـتُ مَـنْـسِـيٌّ ولا أنـا زائـرُهْ
ألا طـرقـت لـيـلَـى وسـاقـي رهـيـنـةٌ بـأَشْـهَـبَ مَـشْـدُودٍ عـلـيّ مَـسـامـرُهْ[٥]
فـإن أَنْـجُ يـا لـيـلـى فَـرُبَّ فـتًـى نـجـا وإن تَـكُـنِ الأُخـرى فَـشَـيْءٌ أُحـاذِرُهْ
ومـا أصْـدَقَ الـطـيْـرَ الـتـي بَـرِحَـتْ لـنـا ومـا أعـيـفَ الـلّـهْـبِيّ لا عـزَّ نـاصِـرُهْ[٦]
رَأَيْـتُ غُـرابـاً سـاقِـطـاً فَـوْقَ بـانـة يُـنَـشْـنِـشُ أعـلـى رِيـشِـهِ ويُـطـايـرهْ
فـقـال غـرابٌ بـاغْـتِـرابٍ مِـنَ الـنَّـوَى وبـانٌ بِـبَـيْـنٍ مِـنْ حَـبِـيـبٍ تُـحـاذرهْ

(١) مضابرته: شدّ وثاقه.
(٢) الجرير: الحبل.
(٣) العلابي: أعصاب العنق.
(٤) الصرار: خيط يشدُّ فوق الضرع لئلا يرضعه الولد.
(٥) بأشهب: يريد القيد.
(٦) برحت: مرت شمالاً. وما أعيف اللهبي: ما أمهره في زجر الطير.

فكانَ اغْتِرابٌ بالغرابِ ونيةٌ وبالبان بَيْنٌ بَيِّنٌ لك طائِرُهْ[1]

وقال السّمهري في الحبس يُحرض أخاه مالكاً على ابني فائد: [الطويل]

فَمَنْ مُبْلِغٌ عنّي خليليَ مالِكاً رِسالةَ مَشْدُودِ الوَثَاقِ غريبِ
ومَنْ مُبْلِغٌ حَزْماً وتَيْماً ومالكاً وأربابَ حامِي الحفر رَهْطِ شَبِيب
لِيُبْكوا التي قالَتْ بِصَحْراءِ مَنْعِج لِيَ الشِّركُ يَاْبْنَيْ فائدِ بنِ حَبيبِ[2]
أتَضْرِبُ في لَحْمي بِسَهْمٍ ولم يَكُنْ لها في سِهامِ المُسْلِمينَ نَصِيبُ

وقال السمهريّ يرقّق بني أسد: [الطويل]

تمنّتْ سُليمَى أن أقِيلَ بأرضها وأنّى لسَلْمَى ويْبَهَا ما تَمَنَّتِ[3]
ألا ليتَ شِعْري هل أزورَنَّ ساجِراً وقد رَوِيَتْ ماءَ الغوادي وعلّتِ[4]
بني أسد هل فيكمُ مِنْ هَوادةٍ فَتَغْفرَ إن كانتْ بي النَّعْلُ زَلَّتِ

وبنو تميم تزعم أن البيت لمرة بن مَحْكان السعديّ.

وقال السمهريّ في الحبس يذم قومه: [الطويل]

لقد جَمَعَ الحدّادُ بين عِصابة تُسائِلُ في الأقيادِ ماذا ذُنوبُها؟
بمنزلةٍ أمّا اللَّئِيمُ فشَامِتٌ بها وكِرامُ القَوْمِ بادٍ شُحوبُها
إذا حَرَسِيٌّ قَعقعَ البابَ أُرْعِدَتْ فرائصُ أقوامٍ وطارَتْ قُلوبُها[5]
ألا ليتني مِنْ غَيْرِ عُكْلٍ قبيلتي ولم أَدْرِ ما شُبَّانُ عُكْلٍ وشِيبُها؟
قبيلة «مَنْ» لا يقرع البابَ وفدُها لِخَيْرٍ ولا يَهْدي الصَّوابَ خطيبُها
نَرَى البابَ لا نَسْطِيعُ شَيْئاً وَراءَهُ كأنّا قُنِيٌّ أسلَمتْها كُعوبُها[6]
وإن تَكُ عُكْلٌ سَرَّها ما أصابني فقد كُنْتُ مَضْبوباً على ما يَريبها[7]

(١) النية: البعد.
(٢) ليكوا التي: يريد المرأة التي شدت وثاقه.
(٣) ويبها: ويحها.
(٤) ساجر: ماء باليمامة. (معجم البلدان ٣/١٦٩).
(٥) الحرسي: الحارس. والفرائص: جمع فريصة. وهي عضلة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع.
(٦) القُنِيّ: جمع قناة وهي أعلى الرمح. والكعوب: أسفل الرمح.
(٧) يريبها: يؤذيها.

وقال السمهريُّ أيضاً في الحبس: [الطويل]

ألا حَـيِّ لـيـلَـى إذ ألَـمَّ لِـمـامُـهـا ... وكـانَ مَـعَ الـقَـوْمِ الأعـادِي كـلامُـهـا
تـعـلَّـلْ بـلـيـلَـى إنَّـمـا أنـتَ هـامَـةٌ ... مِنَ الـغَـدِ يَدْنو كُلَّ يَوْمِ حِمامُها[1]
وبـادِرْ بـلـيـلَـى أوجـهَ الـرَّكْـبِ إنـهـم ... متى يرجِعوا يَحْرُمْ علَيك كلامُها
وكـيـف تـرجِّـيـهـا وقـد حِـيلَ دونـهـا ... وأقْـسَـمَ أقْـوامٌ مَـخـوفٌ قِـسَـامُـهـا
لأجْـتَـنِـبْـنَـهَـا أو لَـيَـبْـتَـدِرُنَّـنـي ... ببيضٍ عليها الأثْرُ فَعْمٌ كِلامُها[2]
لـقـد طَـرَقَـتْ لـيلَـى ورِجْلِي رهـيـنـةٌ ... فما راعني في السِّجْنِ إلا لِمامُها
فـلـمّـا انـتـبـهـتُ لـلـخـيالِ الـذي سَرَى ... إذا الأرضُ قَفْرٌ قد علاها قَتامُها
فـإلاّ تَـكُـنْ لـيـلَـى طَـوتْـك فـإنـه ... شَبيهٌ بليلى حُسْنُها وقوامُها[3]
ألا لـيـتـنَـا نَـحْـيـا جـمـيـعـاً بـغِـبْـطَـةٍ ... وتَبْلى عظامِي حين تَبْلَى عِظامُها

وقال أيضاً: [الطويل]

ألا طَـرَقَـتْ لـيـلَـى وسـاقِـي رَهـيـنـةٌ ... بـأسـمَـر مَـشْـدودٍ عَـلَـيَّ ثَـقِـيـلُ[4]
فما البَيْنُ يا سلْمى بأن تَشْحَطَ النّوى ... ولـكـنّ بَـيْـنـاً مـا يُـريـدُ عـقـيـلُ[5]
فـإن أنـجُ مـنـهـا أنْجُ مِنْ ذي عظيـمةٍ ... وإنْ تَكُنِ الأُخرى فَتِلْكَ سَبيلُ[6]

وقال أيضاً وهو طريد:

فـلا تَـيْـأَسَـا مِـنْ رحـمـةِ الله وانـظُـرا ... بـوادي جَـبُـونَـا أن تَـهُـبَّ شَـمـالُ
ولا تَـيْـأَسـا أن تُـرْزَقـا أريـحـيّـةً ... كـعِـيـنِ الـمَـهـا أعـنـاقُـهـنَّ طِـوالُ[7]
مِـنَ الـحـارِثِـيِّـيـنَ الـذيـن دِمـاؤهـم ... حَـرامٌ وأمـا مـالُـهُـم فـحـلالُ

وقال أيضاً: [الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ أنِّـي وابـنَ أبـيـضَ قَـدْ جَـفَـتْ ... بـنـا الأرْضُ إلا أنْ نَـؤمَّ الـفَـيـافـيـا[8]

---

(١) هامة الغد: أي ميّتٌ غداً. والحمام: الموت.
(٢) البيض: السيوف. والأثر: رونق السيف وبريقه. والكِلام: جمع كلم، وهو الجرح.
(٣) طوتك: زارتك.
(٤) الأسمر: القيد.
(٥) تشحط: تبعد.
(٦) ذي عظيمة: أمر عظيم. وإن تكن الأُخرى: أي الموت.
(٧) أريحيّة: كريمة الخلق.
(٨) جفت بنا الأرض: طردتنا. والفيافي: الصحارى البعيدة.

طَريدَيْنِ مِنْ حيَّيْنِ شَتَّى أَشَدَّنا مخافَتُنا حتى نخلْنا التّصافيا[1]
وما لُمْتُه في أمرِ حَزم ونجدةٍ ولا لامني في مِرَّتي واحتياليا
وقلتُ له إذْ حَلَّ يَسْقي ويَسْتَقي وقد كَانَ ضَوْءُ الصُّبْحِ لِلّيلِ حاديا:
لَعَمْري لقد لاقت ركابُك مشْرَباً لئنْ هِيَ لم تَضْبَحْ عليهنَّ عاليا[2]

وأُخِذت طَيِّىء ببهدلٍ ومروانَ أخيه أشدَّ الأخْذ، وحُبِسوا فقالوا: إن حُبِسْنا لم نقدر عليهما ونحن محبوسون، ولكن خلُّوا عنا، حتى نتجسَّسَ عنهما، فنأتِيَكمْ بهما، وكانا تأبدا[3] مع الوحش يَرْمِيَان الصَّيْدَ فهو رزقهما. ولما طال ذلك على مروانَ هبط إلى راعٍ، فتحدث إليه فسقاه وبسطه حتى اطمأن إليه، ولم يُشْعرهُ أنه يعرفه، فجعل يأتيه بين الأيام فلا ينكره، فانطلق الراعي فأخبره باختلافه إليه، فجاءَ معه الطلب وأكْمَنَهُم، حتى إذا جاء مروان إلى الراعي كما كان يفعل سقاه، وحدثه فلم يشعُر حتى أطافوا به، فأخذوه وأتوْا به عثمانَ بنَ حيانَ أَيضاً عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة، فأَعْطَى الذي دلَّ عليه جُعْلَه، وقتله.

[نهاية بهدل]

وأما بهدل فكان يأوي إلى هضبة سلمى، فبلغَ ذلك سَيِّداً من سلْمَى، من طيِّىء، فقال: قد أُخِيفت طيِّءُ، وشُرِّدَتْ من السهل من أجل هذا الفاسق الهارب، فجاء حتى حَلَّ بأهله أسفل تلك الهضبة ومعه أهْلاَتٌ من قَومه، فقال لهم: إنكم بعَيني الخبيث، فإذا كان النهار فليخرج الرجال من البيوت، وليخلوا النِّساء، فإنه إذا رأى ذلك انحدرَ إلى القِبَاب، وطلب الحاجة والعَلّ[4] فكانوا يخلون الرجال نهاراً فإذا أظلموا ثابوا إلى رحالهم أياماً، فظَنَّ بهدل أنهم يفعلون ذلك لشغل يأتيهم، فانحدر إلى قُبة السَّيِّد، وقد أمر النساء: إن انحدَرَ إليكن رجل فإنه ابنُ عمِّكن، فأطعمنه وادهِنَّ رَأسَه. وفي قبة السيد ابنتان له فسألهما: من أنتما؟ فأخبرتاه وأطعمتاه، ثم انصرف فلما راح أبوهما أخبرتاه، فقال: أحسنتما إلى ابن عمكما، فجعل ينحدرُ إليهما، حتى اطمأَنَّ وغسلتا رأسه وفَلَّتَاهُ ودهنتاه، فقال

---

(١) شتّى: جمع شتيت: متفرق. ونَخلنا: خلصناه من الشوائب. والتصافي: الودّ.
(٢) تضبح: تصهل.
(٣) تأبد: توحّش.
(٤) العلّ: الشرب المتابع.

الشيخ لابنتيه: أفلياه ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرة، واعقدا خُصَلَ لِمَّتِه إذا نَعِس رويداً بخمْل القطيفة[١]. ثم إذا شدَدْنا عليه فاقلبا القطيفة على وجهه، وخذا أنتما بشعَره من ورائه فَمُدَّا به إليكما، ففعلتا، واجتمع له أصحابه، فكروا إلى رحالهم قبل الوقت الذي كانوا يأتونها، وَشدّوا عليه فربطوه، فدفعوه إلى عثمان بن حيّان فقتله، فقالت بنت بَهْدَل ترثيه: [الطويل]

فيَا ضَيْعةَ الفِتيانِ إذ يَعْتِلونَهُ ... بِبَطْنِ الشّرى مثل الفنيق المُسَدَّمِ[٢]
دعَا دَعْوَةً لما أتى أرضَ مالكٍ ... ومَنْ لا يُجَبْ عند الحَفيظةِ يُسلِمِ[٣]
أما كان في قَيْسٍ مِن ابنِ حفيظةٍ ... مِنَ القَوْمِ طَلاَّبِ التِّرَاتِ غَشَمْشَمِ[٤]
فيقتُل جَبراً بامْرِىءٍ لم يَكُنْ به ... بَواءً ولكِنْ لا تكَايُلَ بالدَّمِ

وكان دعَا: يا لَمالك لِيَنْتزِعُوه، فلم يجبه أحد.

[المساجلة بينه وبين الكميت]

قال: ولما قال عبدُ الرحمن بنُ دارة ابن عم سالم بن دارة هذه القصيدة يَحُضُّ عُكْلاً على بنِي فَقْعَس اعترض الكميت بن معروف الفقعسيّ، فعيره بقتل سالم حين قتله زُميل الفزاريّ، فقال قوله: [الطويل]

فلا تُكثِروا فيه الضَّجاج فإنه ... محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعا

فقال عبد الرحمن بن دارة: [الطويل]

فيا راكباً إمّا عرضْتَ فبلّغَنْ ... مُغَلْغَلةً عنّي القبَائلَ مِنْ عُكْلِ
جلت حمماً عنها القِصَافُ وما جلتْ ... قُشَيْرٌ وفي الشّدّاتِ والحَرْبِ ما يُجلي[٥]
فإنْ يَكُ باعَ الفَقعسِيُّ دماءَهم ... بوَكسٍ فقد كانَتْ دِماؤكم تَغلِي[٦]
وكيف تَنامُ اللّيْلَ عُكْلٌ ولم يَكُنْ ... لها قَوَدُ بالسّمْهريّ ولا عَقْلُ
رمى اللّهُ في أكْبَادِهم إنْ نَجَتْ بها ... حُروفُ القِنَانِ مِنْ ذَليلٍ ومن وغلِ

---

(١) القطيفة: كساء ذو أهداب.
(٢) يعتلونه: يسوقونه بعنف، والفنيق: الفحل من الإبل. والمسدّم: الهائج.
(٣) الحفيظة: الحرب.
(٤) التّرات: مفردها التّرة: الثأر. والغشمشم: المقدام الذي يقتحم الحروب بلا خوف.
(٥) القِصاف: فرس لبني قشير.
(٦) الوكس: الغبن.

وكنا حسبْنَا فَقْعساً قبل هذه أذلّ على طُولِ الهوانِ مِنَ النَّعْلِ
فإن أنتمُ لم تَثْأروا بأخيكمُ فكونوا بَغايا للخَلُوقِ وللكُحْلِ
وبيعوا الرُّدينيّاتِ بالحلْي واقْعُدوا على الوِتْرِ وابْتَاعوا المغازِلَ بالنَّبْلِ
فإنّ الذي كانَتْ تُجمجمُ فقْعَسٌ قَتِيلٌ بلا قَتْلَى وَتَبْلٌ بلا تَبْلِ
فلا سِلْمَ حتى تنحَطَ الخيلُ بالقنا وتُوقَدَ نارُ الحَرْبِ بالحَطَبِ الجَزْلِ

فلما بلغ قَوله مالكاً أخا السمْهري بخراسان، انحطَّ من خراسان، حتى قدم بلاد عُكل فاستجاش نفراً من قومه، فعلِقوا[١] في أرض بني أسد يطلبون الغِرَّة فوجدوا بثادقٍ[٢] رجلاً معه امرأة من فقْعَس، فقتلوه وحزُّوا رأسه، وذهبوا بالرأس وتركوا جسده، كما قتلوها أيضاً. وذُكِرَ لي أن الرجلَ ابنُ سعْدَة والمرأة التي كانت معه هي سعدة أمُّه، فقال عبد الرحمن في ذلك: [الرجز]

مَا لقتيلِ فَقْعَسٍ لا رَأسَ له هلاَّ سألْتَ فقْعَساً مَنْ جَدّلَهْ[٣]
لا يتْبعَنَّ فَقْعَسِيٌّ جملَه فرداً إذا ما الفَقْعَسِيُّ أعْمَلَهْ[٤]
لا يلقَيَنَّ قاتلاً فيقتلَه بِسَيْفِهِ قد سَمَّهُ وصَقَلَهْ

وقال عبد الرحمن أيضاً:

لمَّا تمالَى القَوْمُ في رَأْدِ الضُّحَى نَظراً وقد لَمَعَ السّرابُ فجالا[٥]
نَظَرَ ابنُ سَعْدَةَ نظرةً ويلاً لها كانَتْ لِصَحْبِكَ والمَطِيِّ خَبالا
لَمْحاً رَأى مِنْ فَوْقِ طودٍ يافعٍ بَعْضَ العُداةِ وجُنّة وظِلالا[٦]
عيَّرتَنِي طَلبَ الحُمُول وقد أرَى لم آتهنَّ مكفِّفاً بطَّالا[٧]
فانْظُرْ لنفسِكَ يابن سَعْدَةَ هل ترى ضبُعاً تجرُّ بثادِقٍ أوْصالا
أوصالَ سَعْدَةَ والكميتِ وإنما كان الكُميتُ على الكُميت عِيالا[٨]

(١) علقوا: طفقوا.
(٢) ثادق: اسم وادٍ في ديار عقيل. (معجم البلدان ٢/ ٧٠).
(٣) جدّله: صرعه.
(٤) أعمله: سرح به للعمل.
(٥) تمالى القوم: ساروا سيراً حثيثاً.
(٦) الطود: الجبل، والجُنّة: السلاح.
(٧) الحمول: الديات. مكففاً: تاركاً. وبطالاً: مبطِلاً للثأر.
(٨) عيالاً: يقصد أنه لا خير فيه.

وقال عبد الرحمن في ذلك: [الطويل]

أصبحتُم ثَكْلَى لِئاماً وأصْبَحَتْ شياطينُ عُكْلٍ قد عَراهُنَّ فقْعَسُ[(١)]
قَضَى مالكٌ ما قد قَضَى ثُمَّ قَلَّصَتْ به في سَوادِ اللَّيْلِ وجناءُ عِرْمُسُ[(٢)]
فأضْحَتْ بأعلى ثادقٍ وكأنها مَحَالَةُ غَرْبٍ تستمِرُّ وتمْرُسُ[(٣)]

[مقتله]

وحدثني علي بن سليمان الأخفش أنّ بني أسد ظَفِرت بعبد الرحمن بن دارة بالجزيرة بعدما أكثر من سبِّهم وهجائهم وتآمروا في قتله، فقال بعضهم: لا تقتلوه، ولتأخذوا عليه أن يمدَحنا ونُحْسِنَ إليه فيمحو بمدحه ما سلَف من هجائه، فعزموا على ذلك، ثم إن رجلاً منهم كان قد عضَّه بهِجَائه، اغتفله فَضَرَبَهُ بسيفه، فقتله وقال في ذلك: [الكامل]

قُتِلَ ابنُ دارةَ بالجزيرةِ سَبَّنَا وزَعَمْتَ أن سِبَابَنَا لا يَقْتُلُ

قال علي بن سليمان: وقد رُوي أن البيت المتقدم: [الطويل]

فلا تُكْثِروا فيه الضَّجَاجَ فإنَّهُ محا السَّيْفُ ما قال ابنُ دارةَ أجمعا[(٤)]

لهذا الشاعر الذي قَتَلَ ابنَ دارة، وهو من بني أسد، وهكذا ذكر السكّريّ.

صوت

[الطويل]

كلانا يرى الجوزاءَ يا جُملُ إذ بَدَتْ ونَجْمَ الثُّرَيَّا والمزارُ بعيدُ[(٥)]
فَكَيْفَ بِكُم يا جملُ أهلاً ودونكم بُحورٌ يُقمِّصْنَ السّفينَ وبيدُ
إذا قُلْتُ: قد حانَ القُفولُ يَصُدُّنا سليمانُ عَنْ أَهْوائِنا وسَعيدُ[(٦)]

الشعر لمسعود بن خَرَشَة المازنيّ، والغناء لبحر، خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي.

---

(١) عراهُنّ: بدت لهنّ.
(٢) الوجناء: الناقة البارزة الوجنتين. والعرمس: الصلب.
(٣) المحالة: البكرة تعلق على البئر ويتصل بها الدلو. والغَرْب: الدلو.
(٤) الضجاج: الصياح.
(٥) الجوزاء: برج من بروج السماء.
(٦) القفول: الرجوع.

أخبار مسعود بن خرشة

[حنينه إلى جارية عشقها]

مسعودُ بنُ خَرَشَة أحدُ بني حُرْقُوصِ بنِ مازن بنِ مالك بن عمرِو بنِ تميم، شاعرٌ إسلامي بدويٌّ من لصوص بني تَمِيم، قال أبو عمرو: وكان مسعودُ بن خرشة يهوَى امرأة من قَوْمه من بني مازن يقال لها جُمْلٌ بنتُ شَراحيل، أُختُ تَمّامِ بنِ شراحيلَ المازنيّ الشاعر، فانتجع قَومُها ونأوْا عن بِلادِهم، فقال مسعود: [الطويل]

كلانا يَرَى الجَوْزاءَ يا جُمْلُ إذ بَدَتْ ونَجْمَ الثُّريَّا والمَزَارُ بعيدُ
فكيف بكم يا جُمْلُ أهلاً ودونَكم بُحورٌ يُقَمِّصْنَ السّفينَ وبِيدُ[1]
إذا قُلت: قد حان القُفولُ يصدُّنا سليمانُ عَنْ أَهْوائِنا وسَعيدُ

قال أبو عمرو: ثم خطبها رجل من قومها، وبلغ ذلك مسعوداً فقال: [الطويل]

أيا جملُ لا تشقَيْ بأَقْعَسَ حَنْكلٍ قليلِ النَّدى يَسْعى بكِير ومِحْلَب[2]
له أعنزٌ حُوٌّ ثمانٍ كأنما يَراهُنَّ غُرّ الخَيْلِ أَو هُنّ أنجب[3]

وقال أبو عمرو: وسرق مسعودُ بن خرشَة إبلاً من مالك بن سفيان بن عمرو الفقعسيّ، هو ورفقاءُ له، وكان معه رجلان من قومه، فأتوْا بها اليمامة ليبيعوها، فاعترض عليهم أميرٌ كان بها من بني أسد، ثم عُزِلَ ووُلِّي مكانَه رجلٌ من بني عُقَيْل فقال مسعود في ذلك: [الوافر]

يَقولُ المرجفونَ: أجاءَ عَهْدٌ كفى عَهْداً بِتَنْفيذِ القِلاصِ[4]

---

(١) قمص البحر السفينة: جعلها تضطرب في أمواجه.
(٢) الأقعس: من برز صدره، ودخل ظهره في جسمه. والحنكل: القصير القامة.
(٣) الحوُّ: جمع حواء: وهي ما اختلطت حمرة لونها بسواد.
(٤) المرجفون: أصحاب الفتن والأخبار السيئة.

أتـى عَـهْـدُ الإمـارةِ مِـنْ عُـقـيـلٍ ... أغـرَّ الـوَجْـهِ رُكِّـبَ فـي الـنَّـواصـي[١]
حُـصـونُ بـنـي عُـقـيـلٍ كُـلُّ عَـضْـبٍ ... إذا فَـزِعـوا وسـابـغـةٍ دِلاصِ[٢]
ومـا الـجـارات عـنـد الـمَـحْـلِ فـيـهـم ... ولـو كـثـرَ الـرَّوازحُ بـالـخِـمـاصِ[٣]

قال: وقال مسعود [وقد][٤] طلبه والي اليمامة، فلجأ إلى موضع فيه ماء وقصب: **[الطويل]**

ألا لَـيْـتَ شِـعْـري هـل أبيـتـنَّ لَـيْـلـةً ... بـوعـثـاءَ فـيـهـا لـلـظـبـاءِ مـكـانـسُ[٥]
وهـل أنـجُـوَنْ مـن ذي لَـبيـدٍ بـنِ جـابـرٍ ... كـأنَّ بـنـاتِ الـمـاءِ فـيـه الـمُـجـالسُ[٦]
وهل أسمعَنْ صَوْتَ القَطَا تندب القطا ... إلـى الـمـاءِ مـنـه رابـعٌ وخـوامـسُ

---

(١) رُكِّب في النواصي: أي من علية القوم.
(٢) العضب: السيف القاطع. الدلاص: الدرع اللينة. والسابغة: الطويلة.
(٣) المحل: الجدب. والرَّوازح: جمع رازحة: الناقة الهزيلة، والخماص: الجياع.
(٤) الوعثاء: الأرض الوعرة. والمكانس: مآوي الظباء.
(٥) بنات الماء: الضفادع.
(٦) زيادة ليست في الأصل.

أخبار بحر ونسبه

[اسمه وولاؤه]

هو بحرُ بن العلاء، مولى بني أُمَيَّةَ، حجازيٌّ، أدركَ دولةَ بني هاشم، وعُمِّرَ إلى أيام الرشيد وقد هرِمَ، وكان له أخٌ يقال له عباس، وأخوه بحر أصغر منه، مات في أيام المعتصم، وكان يلقَّب حامضَ الرأس، وله صنعة، وأقدمَهُ الرشيدُ عليه، ثم كرهه فصرفه.

[أصواته]

حدثني جحظةُ قال: حدثني ميمونُ بن هارونَ قال: حدثني أحمد بن أبي خالد الأحول، عن علي بن صالح صاحب المصلَّى، أن الرشيد سمِع من عَلُّويه ومخارقٍ وهما يومئذ مِنْ صِغار المغنِّينَ في الطبقة الثالثة أصواتاً استحسنها، ولم يكن سمعها، فقال لهما: ممّن أخذتما هذه الأصواتَ، فقالا: من بَحْرٍ، فاستعادها وشرب عليها، ثم غناه مخارق بعد أيام صوتاً لبَحْر، فأمر بإحضاره، وأمره أن يغني ذلك الصوت، فغناه، فسمع الرشيدُ صوتاً حائلاً مرتعشاً فلم يُعْجِبه، واستثقله لولائِهِ لبني أمية، فوصله وصرفه ولم يصل إليه بعد ذلك.

صوت

ألا يا لَقومي لِلنَّوائِبِ والدّهرِ ... ولِلمرءِ يُردي نَفْسَهُ وَهْو لا يَدْري[١]

ولِلأرضِ كم مِنْ صالِحٍ قد تودّأتْ ... عليه فوارتْهُ بلمّاعةٍ قَفْرِ[٢]

---

(١) يردي: يهلك.

(٢) تودأت عليه: استوت الأرض عليه.

عروضه من الطويل، قال الأصمعي: يقال للرجل أو للقوم إذا دعوتهم: يالَ كذا بفتح اللام، وإذا دعوت للشيء قلت بالكسرة، تقول: يا للرجال ويا للقوم. وتقول: يا لِلغنيمة ويا لِلحادثة، أي اعجلوا للغنيمة وللحادثة، فكأنه قال: يا قوم اعجلوا للغنيمة. وروى الأصمعي وغيره مكان قد تودّأت: قد تلمّأت عليه، وتلاءمت، أي وارته، ويروى: تأكمت أي صارت أكمة.

الشعر لهدبة بن خشرم، والغناء لمعبد ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبار هدبة بن خشرم ونسبه وقصته في قوله هذا الشعر وخبر مقتله

[توفي نحو سنة ٥٠ هـ/ نحو سنة ٦٧٠ م]

[اسمه ونسبه]

هو هُدْبَةُ بنُ خَشْرَم بن كُرْزِ بن أَبي حيَّة بن الكاهن ـ وهو سلمة ـ بن أَسحمَ بن عامرِ بن ثعلبةَ بن عبد الله بن ذبيان بنِ الحارثِ بن سعد بن هُذَيم؛ وسعد بن هذيم شاعر من أَسلم بن الحاف بن قضاعة؛ ويقال: بل هو سعد بن أَسلم، وهذيم عبدٌ لأبيه رباه، فقيل: سعد بن هذيم، يعني سعداً هذا.

[طبقته في الشعر]

وهدبة شاعر فَصِيح متقدم من بادية الحجاز، وكان شاعراً راوية، كان يروي للحُطيئة والحطيئة يروي لكعب بن زهير، وكعب بن زهير يروي لأبيه زهير، وكان جميل راوية هدبة، وكثيّر راوية جميل، فلذلك قيل: إن آخر فحل اجتمعت له الرواية إلى الشعر كثيِّر.

وكان لهدبة ثلاثة إخوة كلهم شاعر: حَوطٌ وَسَيْحَانُ والواسع، أُمهم حيَّةُ بنتُ أبي بكر بن أَبي حيّة من رهطهم الأَدْنَيْن، وكانت شاعرة أيضاً.

وهذا الشعر يقوله هُدْبة في قتله زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرّةَ بن حنش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هُذيم.

أَخبرني بالخبر في ذلك جماعةٌ من شيوخنا، فجمعتُ بعضَ روايتهم إلى بعض، واقتصرتُ على ما لا بدّ منه من الأشعار، وأَتيتُ بخبرهما على شرح،

وألحقتُ ما نقص من رواية بعضهم عن رواية صاحبه في موضع النقصان.

فممّن حدثني به محمد بن العباس اليَزيديّ قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكيّ تِينةُ قال: حدثنا خلف بن المثنى الحُدانيّ، عن أبي عمرو المدينيّ.

[أخباره مع زيادة بن زياد والحرب بين قوميهما]

وأخبرني الحسن بن يحيى، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر البُوشَنْجِيّ، عن حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه. وَأخبرني إبراهيم بن أيوبَ الصائغ، عن ابن قتيبة. وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن علي بن محمد بن سليمان النوفليّ، عن أبيه عن عمه. وقد نسبتُ إلى كل واحد منهم ما انفرد به من الرواية، وجمعت ما اتفقوا عليه، قال عيسى بن إسماعيل في خبره خاصة:

كان أول ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبد الله بن ذبيان وبين بني رَقاش، وهم بنو قُرَّة بن حفش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان، وهم رهط زيادة بن زيد، وبنو عامر رهط هدبة، أن حَوْطَ بن خشرم أخا هدبةَ راهن زيادة بن زيد على جملين من إبلهما، وَكان مُطْلَقَهُما من الغاية عَلَى يوم وليلة، وذلك في القيظ، فتزودوا الماء في الروايا والقِرَب، وكانت أختُ حوطٍ سلمى بنتُ خشرم تحت زيادة بن زيد، فمالت مع أخيها على زوجها، فوهَّنت[1] أوعية زيادة، ففني ماؤه قبل ماء صاحبه، فقال زيادة: [الرجز]

قَـد جَـعَـلَـت نَـفْـسِـيَ فـي أَدِيـمِ ... مُـحَـرّمِ الـدّبـاغ ذِي هُـزُومِ[2]

ثـمّ رَمَـت بِـي عُـرُضَ الـدّيْـمـومِ ... فـي بـارحٍ مِـنْ وَهَـجِ الـسَّـمـومِ[3]

عـنـد اطّـلاع وعـرة الـنـجـوم[4]

ـ قال اليزيديّ في خبره: المُحَرَّم: الذي لم يُدبغ، والهُزوم: الشقوق.

---

(١) وهَّنت: أضعفت.

(٢) الهزوم: الشقوق.

(٣) الديموم: الصحراء المترامية الأطراف. والبارح: الريح الحارة صيفاً. والسموم: الحرّ الشديد.

(٤) النجوم: ضرب من النبات لا ساق له.

ـ قال: ـ وقال زِيادَةُ أيضاً: [الرجز]

قد علِمَتْ سلمةُ بالعَميسِ ليلَةَ مَرْمَارٍ وَمَرْمَرِيسِ
أنّ أبَا المِسْور ذو شَرِيسِ يَشفي صُداعَ الأبلَجِ الدِّلْعِيسِ[١]

الْعَمِيسُ: موضع، والمرمار وَالمرمِريس: الشدّة والاختلاط، وأَبا المسور يعني زيادة نفسه، وكانت كنيته أبا المسور.

قال: فكان ذلك أولَ ما أثبت الضغائن بينهما. ثم إِن هدبة بن خَشْرَم وزيادة بن زيد اصطحبَا، وهمَا مقبلان من الشام، في رَكْبٍ من قومهما، فكانا يتعاقبان السَّوْق بالإِبل، وكان مع هدبة أُخته فاطمة، فنزل زيادة فارتجز فقال: [الرجز]

عُوجي علينا واربَعِي يا فاطمَا ما دون أن يُرَى البَعيرُ قائما

ـ أي ما بين مُناخ البعير إلى قيامه ـ

أَلا تَرَيْنَ الدَّمْعَ منّي ساجِمَا حِذارَ دارٍ منك لَنْ تُلائِمَا
فَعرَّجَتْ مطَّرداً عُراهِمَا فَعْماً يبذّ القُطُفَ الرَّوَاسِما

ـ مُطَّرد: متتابع السير، وعُراهم: شديد، وفَعْم: ضخم، والرسيم: سير فوق العَنَق، والرّواسم: الإِبل التي تسير هذا السيرَ الذي ذكرناه ـ

كأنَّ في المثْناةِ منه عائِمَا إنّكَ والله لأنْ تُبَاغِمَا

ـ المثناة: الزمام، وعائم: سائح، تباغم: تكلّم ـ

خَوْداً كأنّ البُوْصَ والمآكما منها نقاً مُخالِطٌ صَرائِما[٢]

ـ البُوْص: العجز، والمأكمتان: ما عن يمين العجز وشماله، والنقَا: ما عظم من الرمل. والصرائم: دونه ـ

خَيْرٌ مِنِ اسْتِقْبالِكَ السَّمائمَا ومِنْ مُنادٍ يَبْتَغي مُعَاكِما[٣]

ويروى: ومن نداء، أي رجل تناديه تبتغي أن يعينك على عَكمك حتى تشده.

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته، فنزل فرجز بأُخت زيادة، وكانت

---

(١) الشريس: سيّىء الخلق. والدلعيس: الناقة المترهلة. والأبلج: الأبيض.
(٢) الخود: الشابة الناعمة.
(٣) السمائم: جمع سموم، وهو الحر الشديد.

تُدعَى ـ فيما روى اليزيديّ ـ أُمَّ حازم، وقال الآخرون أُمَّ القاسم، فقال هُدْبَة:

[الرجز]

لـقـد أرانـي والـغُـلامَ الـحـازِمَـا نُزجِي المَطِيَّ ضُمّراً سَواهِمـا[1]

مَتَـى تَـظُـنّ الـقُـلُـصَ الـرّوَاسِـمـا والـجِـلّـةَ الـنّـاجـيـةَ الـعَـيَـاهِـمـا[2]

العَياهم: الشِّداد.

يُـبْـلِـغْـن أمّ حـازِمٍ وحـازِمـا إذا هَـبَـطْنَ مُـسْـتَـحـيراً قـاتِـمَـا[3]

ورجَّـع الـحـادي لـهـا الـهَـمَـاهِـمَـا ألا تَـرَيْـنَ الـحُـزنَ مـنـي دائـمَـا

حِـذارَ دارٍ مـنـك لـن تُـلائـمـا والله لا يَـشْـفـي الـفـؤادَ الـهـائـمَـا

تَـمـسـاحُـكَ الـلَّـبّـاتِ والـمـآكـمَـا ولا الـلِّـمـامُ دُونَ أن تـلازِمَـا

ولا الـلِّـثـامُ دُونَ أن تُـفـاقـمـا ولا الـفِـقـامُ دُونَ أن تـفـاغـمَـا

وتَـعْـلُـوَ الـقـوائـمُ الـقـوائـمـا

قال: فشتمه زيادة، وشتمه هُدبة، وتسابّا طويلاً، فصاح بهما القوم: اركبا، لا حملكما الله. فإنا قوم حُجّاج، وخَشُوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما، حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه، وهدبة أشدهما حنقاً، لأنه رأى أن زيادة قد ضامَه، إذ رجز بأُخته وهي تسمع قولَه، ورجز هو بأُخته، وهي غائبة لا تسمع قوله، فمضيا ولم يتحاورا بكلمة، حتى قضيا حجّهما، ورجعا إلى عشيرتيهما.

قال اليزيديّ خاصة في خبره: ثم التقى نفر من بني عامر، من رهط هدبة، فيهم أبو جَبْر، وهو رئيسهم الذي لا يعصونه، وخَشْرَمٌ أبو هدبة، وزُفَر عم هدبة، وهو الذي بعث الشرّ، وحجّاج بن سلامة، وهو أبو ناشِب، ونفر من بني رَقاش رهط زيادة، وفيهم زيادة بن زيد، وإخوته: عبد الرحمن ونفّاع وأدرَعُ بوادٍ من أودية حرَّتهم، فكان بينهم كلام، فغضب ابن الغَسَّانية، وهو أدرع، وكان زفر عم هدبة

(١) الضمر السواهم: النياق الصلبة الضامرة لا ترهل في أجسامها.

(٢) القلص: الإبل الفتية. والرواسم: التي تمشي الرسيم، والجلّة: السريعة. والعياهم: جمع عيهم: الناقة السريعة.

(٣) المستحير: الطريق في المفازة لا يعرف أين ينتهي.

يُعزَى إلى رجل من بني رقاش، فقام له أدرع فرجز به فقال: [الرجز]

أَدُوا إلَــيْــنَــا زُفَــرَا نَــعْــرِفُ مــنــه الــنَّــظَــرَا
وعَــيْــنَــهُ والأَثَــرَا

قال: فغضب رَهْط هُدبة، وادَّعوا حَدّاً على بني رقاش، فتداعَوْا إلى السلطان، ثم اصطلحوا على أن يُدْفَع إليهم أدرعُ، فيخلو به نفرٌ منهم، فما رأوه عليه أمضَوْه، فلما خَلَوا به ضربوه الحَدَّ ضرباً مبَرِّحاً، فراح بنو رقاش وقد أضمروا الحرب وغَضِبوا، فقال عبد الرحمن بن زيد: [الوافر]

أَلا أَبْــلِــغْ أَبــا جَــبْــرٍ رَسـولاً فَــمــا بَــيْــنــي وَبَــيْــنَــكُــم عِــتــابُ
أَلَــمْ تَــعْــلَــمْ بِــأَنَّ الــقَــوْمَ راحُــوا عَــشِــيّــةَ فــارقُــوكَ وهــم غِــضــابُ

فأجابه الحجاج بن سلامة فقال: [الطويل]

إن كـان مـا لاقـى ابنُ كَنْعاءَ مُرغِماً رقـاشَ فـزاد الـلّـهُ رَغْـمـاً سِبـالَـهـا[1]
مَـنَـعْـنـا أخـانـا إذ ضَـرَبْـنـا أخـاكُـم وتِلْكَ مِنَ الأَعْداءِ لا مِثْلَ ما لـهـا[2]

قال اليزيدي في خبره: وجعل هُدبة وزيادة يتهاديان الأشعار، ويتفاخران، ويطلب كُلٌّ واحد منهما العُلُوَّ على صاحبه في شعره، وذكر أشعاراً كثيرة، فذكرتُ بعضها، وأتيتُ بمختار ما فيه، فمن ذلك قولُ زيادة في قصيدة أولها: [الطويل]

أراكَ خَـلـيـلاً قـد عَـزَمْـتَ الـتّـجـنـبـا وقَطَّعْتَ حاجاتِ الفؤادِ فَأَصْحَبا[3]

اخترت منها قوله:

وأنـك لـلـنَّـاسِ الـخـلـيـلُ إذا دَنَـتْ بـه الـدَّارُ، والـبـاكـي إذا مـا تـغـيَّـبـا
وقـد أعـذَرَتْ صَرْفُ الـلَّـيـالـي بـأَهْـلِـهـا وشَحْطُ الـنَّـوَى بيني وبينك مَـطـلـبـا
فـلا هـي تـألـو مـا نـأَتْ وتـبـاعـدَتْ ولا هـو يـألـو مـا دنـا وتـقـرَّبـا
أَطَعْتُ بـهـا قَـوْلَ الـوُشـاةِ فـلا أرى الـ ـوشاةَ انتهوا عنه ولا الـدَّهْـرَ أعـتـبـا
فـهـلاّ صَـرمْـتِ والـحـبـالُ مَـتِـيـنـةٌ أُمـيـمـةُ إن واشٍ وشـى وتـكـذَّبـا
إذا خِـفْـتَ شَـكَّ الأمـرِ فـارمِ بـعـزمـةٍ غَـيَـابَـتَـهُ يَـرْكَـبْ بِـكَ الـدَّهْـرُ مَـرْكَـبـا

---

(١) السبال: طرف الشارب.
(٢) لا مثل ما لها: أي لا مثل الذل الذي تنطوي عليه.
(٣) أصحب الفؤاد: أصابه خبل.

وإن وِجهةٌ سُدَّتْ عليك فُرُوجُها ... فإنَّك لاقٍ لا محالةَ مذهبا
يُلامُ رجالٌ قبل تجريبِ غَيْبِهم ... وكيف يُلامُ المرءُ حتى يُجرَّبا
وإنّي لمِعراضٌ قليلٌ تعرُّضي ... لِوَجْهِ امْرِئٍ يَوْماً إذا ما تجنَّبا
قليلٌ عِشَاري حين أُذعَرُ، ساكنٌ ... جَناني إذا ما الحَرْبُ هرَّتْ لتكْلَبا[1]
بِحَسْبِكَ ما يأْتيكَ فاجْمَعْ لنازلٍ ... قِراهُ ونَوِّبْهُ إذا ما تَنَوَّبا
ولاَ تَنتَجِعْ شَرّاً إذا حِيلَ دُونَهُ ... بِسِتْرٍ وهَبْ أسْبابَهُ ما تهيَّبا
أنا ابن رَقاشٍ وابنُ ثعلبةَ الذي ... بنى هادياً يَعْلُو الهواديَ أغلبا[2]
بَنَى العِزُّ بُنْياناً لقومي فماصَعُوا ... بأسْيافِهم عنه فأَصْبَحَ مُصْعَبا[3]
فما إنْ تَرَى في النَّاسِ أُماً كأُمِّنا ... ولا كأبينا حِينَ ننسبُهُ أبا
أتمَّ وأنمى بالبنِينِ إلى العُلا ... وأكْرَمَ منا في المناصِبِ مَنصبا
مَلَكنا ولم نُملَكْ وقُدْنا ولم نُقَدْ ... كأنَّ لنا حقاً على النَّاسِ تُرتَبا

ـ قال اليزيديّ: تُرتَب: ثابت لازم ـ

بآيةِ أنّا لا نَرَى مُتَتَوِّجاً ... مِنَ النَّاسِ يَعْلونا إذا ما تَعَصَّبا
ولا مِلكاً إلا اتّقانا بمُلْكِهِ ... ولا سُوقةً إلا على الخَرْجِ أتعِبا[4]
مَلَكْنا مُلُوكاً واسْتبحْنا حِماهُم ... وكنّا لهم في الجاهِليةِ مَوْكِبا
ندامى وأردافاً فلَمْ تَرَ سُوقةً ... توازننا فاسْألْ إياداً وتَغلِبا[5]

فأجابه هدبة، وهذا مختار ما فيها فقال: [الطويل]

تَذَكّرَ شَجْواً مِنْ أُمَيْمَةَ مُنصِبا ... تليداً ومُنتاباً مِنَ الشَّوْقِ مُجْلِبا[6]
تَذَكّرَ حبّاً كانَ في مَيْعَةِ الصِّبا ... وَوَجْداً بها بعد المَشِيبِ مُعتِّبا[7]
إذا كادَ ينساها الفؤادُ ذَكرتُها ... فيا لكِ ما عَنّى الفؤادَ وعذَّبا

---

(١) هرَّت: كشرت عن أنيابها، لتكلب: لتشتد.
(٢) الهادي: العنق، والأغلب: الغليظ العنق.
(٣) ماصعوا: جالدوا بالسيف ونحوه.
(٤) السوقة: الرعيّة. والخرج: الضريبة ونحوها.
(٥) أرداف: جمع ردف، وهو خليفة الملك في الجاهلية، يجلس عن يمينه، ويشرب بعده، وينوب عنه في الحكم إذا غزا.
(٦) مُنصِب: مُتعِب.
(٧) المعتّب: المستوجب للعتاب واللّوم.

غَدَا في هواها مُسْتَكِيناً كأنَّهُ خَلِيعُ قِداحٍ لم يَجِدْ مُتنشَّبا[1]
وقد طالَ ما عُلِّقْتَ ليلى مُغَمَّراً ولِيداً إلى أن صارَ رأسُكَ أشْيَبا

ـ المغمّر: الغمر أي غير حدث ـ

رَأَيْتُكَ في لَيلَى كذي الدَّاءِ لم يَجِدْ طبيباً يداوِي ما به فَتَطَبَّبا
فَلَمَّا اشْتَفَى مِمَّا بِهِ كرَّ طِبُّهُ على نَفْسِهِ مِنْ طولِ ما كانَ جرَّبا

[قتله زيادة واستسلامه]

فلم يزل هدبة يطلبُ غِرَّةَ زيادة حتى أصابها فبيَّته فقتله، وتنحى مخافة السلطان، وعلى المدينة يومئذ سعيدُ بن العاص، فأرسل إلى عم هدبة وأهلِه فحبسهم بالمدينة، فلما بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نَفْسه وتخلّص عَمَّه وأهلَه، فلم يزل محبوساً حتى شخص عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة إلى معاوية، فأورد كتابه إلى سعيد بأن يُقيد منه[2] إذا قامت البينة، فأقامها، فمشت عذرة إلى عبد الرحمن، فسألوه قبول الدية فامتنع، وقال:

صوت

[الطويل]

أَنَخْتُم علينا كَلْكَلَ الحَرْبِ مُرَّة فنحن مُنيخُوها عليكم بِكَلْكَلِ[3]
فلا يدْعُني قَوْمي لزيدِ بنِ مالكٍ لَئِنْ لم أُعجِّلْ ضَرْبَةً أو أُعجَّلِ[4]
أَبَعْدَ الذي بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ رهينةِ رِمْسٍ ذي ترابٍ وجندلِ[5]
كريمٌ أصابته دياتٌ كثيرةٌ فلم يَدْرِ حتى جِينَ من كُلِّ مدخلِ
أُذكَّر بالبُقْيا على مَنْ أصابني وبُقيايَ أني جاهِدٌ غَيْرُ مُؤْتلِي

غناه ابن سُرَيْج رملاً بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وقيل: إنه لمالك بن أبي السمح وله فيه لحن آخر.

---

(١) خليع القداح: المغلوب في القمار، والمتنشب: من النَّشب وهو المال والعُقار.
(٢) يقيد: يمكّن من الاقتصاص منه.
(٣) الكلكل: الصدر.
(٤) لا يَدْعُني: لا ينسبني.
(٥) النَّعف: المكان المرتفع فيه صعود وهبوط. وكويكب: موضع في ديار سعد بن هذيم. والرمس: القبر، والجندل: الصخر العظيم.

رجع الخبر إلى سياقته

[سجنه وزيارة جميل بن معمر له في سجنه]

وأما علي بن محمد النوفليّ، فذكر عن أبيه، أنّ سعيدَ بن العاص كره الحكم بينهما، فحملهما إلى معاويةَ، فنظر في القصة، ثم ردها إلى سعيد. وأما غيره فذكر أن سعيداً هو الذي حكم بينهما من غير أن يحملهما إلى معاوية.

قال علي بن محمد عن أبيه: فلما صاروا بين يدَيْ معاوية قال عبد الرحمن أخو زيادة له: يا أمير المؤمنين أشكو إليك مظلمتي وما دُفِعْتُ إليه، وجرى عليَّ وعلى أهلي وقُربايَ وقتلَ أخي زيادة، وترويعَ نسوتي. فقال له معاوية: يا هُدبة قل. فقال: إن هذا رجل سَجّاعة فإن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاماً أو شعراً فعلتُ، قال: لا بل شعراً؛ فقال هدبة هذه القصيدة ارتجالاً: [الطويل]

أَلا يـا لـقَـوْمـي لِـلـنّـوائـبِ والـدّهـرِ ... ولِـلـمـرءِ يُـردِي نَـفْـسَـهُ وهْـو لا يـدرِي

ولِلأرضِ كـم مِنْ صـالحٍ قـد تـأكَّمَتْ ... عـلـيـه فـوارتْـهُ بـلـمّـاعـةٍ قَـفْـرِ

فـلا تـتّـقـي ذا هَـيْـبَـة لـجـلالِـهِ ... ولا ذا ضِـيـاعٍ هُـنَّ يُـتْـرِكْـنَ لـلـفـقـرِ

حتى قال:

رُمِـيـنـا فَـرامَـيـنـا فـصـادَفَ رَمْـيُـنـا ... مَـنـايـا رِجـال فـي كـتـابٍ وفـي قَـدْرِ

وأنْـتَ أمـيـرُ الـمُـؤمـنـيـنَ فـمـا لَـنـا ... وراءكَ مِنْ مَعدًى ولا عنكَ مِنْ قَصْرِ

فـإنْ تَـكُ فـي أمْـوالـنـا لـم نَـضِـق بـهـا ... ذِراعـاً، وإنْ صَـبْـرٌ فـنـصـبِـرُ لـلـصّـبـرِ

فقال له معاوية: أراك قد أقررت بقتل صاحبهم، ثم قال لعبد الرحمن: هل لزيادة ولَدٌ؟ قال: نعم، المسور، وهو غلام صغير لم يبلغ، وأنا عمه ووليُّ دم أبيه، فقال: إنك لا تؤمَن على أخذ الدية أو قتلِ الرجل بغير حق، والمِسور أحق بدم أبيه فَرَدَّه إلى المدينة فحُبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: نسخت من كتاب عامر بن صالح قال: دخل جميلُ بن مَعْمَرٍ العُذْريُّ على هدبة بن خَشْرمٍ السّجنَ وهو محبوس بدم زيادةَ بن زيد، وأهدى له بردين من ثياب كساه إياهاً سعيدُ بن العاص، وجاءه بنفقة، فلما دخل إليه عرض ذلك عليه، وسأله أن يقبله منه، فقال له هدبة: أأنت يابْن مَعْمرٍ الذي تقول:

[الطويل]

بني عامرٍ أنَّى انْتَجَعْتُم وكُنْتُم ... إذا عُدِّدَ الأقوامُ كالخُصْيةِ الفردِ؟

أما والله لئن خلّص الله لي ساقي لأمدنّ لك مضمارك[١]، خذ بُرديك ونفقَتَك، فخرج جميلٌ، فلما بلغ باب السجن خارجاً قال: اللهم أَغْنِ عنِّي أجدعَ بني عامر[٢]، قال: وكانت بنو عامر قد قلّت، فَحالَفت لإياد.

قال أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني: فقالت أم هُدبة فيه لما شَخَص إلى المدينة فَحُبِس بها: [الطويل]

أيا إخوتي أهلَ المَدينةِ أكْرِمُوا ... أَسِيرَكُمُ إنَّ الأسِيرَ كريمُ
فَرُبَّ كريمٍ قد قَرَاهُ وضافَهُ ... ورُبَّ أمورٍ كُلُّهُنَّ عظيمُ
عَصَى جلُّهَا يَوْماً عليه فراضَهُ ... مِنَ القَوْمِ عَيّافٌ أشمُّ حَليمُ[٣]

فأرسل هدبةُ العشيرةَ إلى عبد الرحمن في أول سنة فكلموه، فاستمع منهم ثم قال: [الطويل]

أَبعْدَ الذي بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ ... رهينةِ رِمْسٍ ذي تُرابٍ وجندَلِ
أُذكَّر بالبُقْيا على مَنْ أصابني ... وبُقْيايَ أني جاهِدٌ غَيْرُ مُؤْتلي

فرجعوا إلى هدبةَ بالأبيات فقال: لم يُوئِسْنِي بعدُ. فلما كانت السنة الثالثة بلغ المِسور، فأرسل هدبةُ إلى عبد الرحمن مَنْ كلَّمه فأنصت حتى فرغوا، ثم قام عنه مغضباً وأنشأ يقول: [الطويل]

سأُكْذِب أَقْواماً يَقُولونَ: إنّني ... سآخذُ مالاً مِنْ دَمٍ أنا ثائرُهْ[٤]
فبِاسْتِ امْرِئٍ واسْتِ التي زَحَرت به ... يَسُوقُ سَواماً مِنْ أَخٍ هو واترُهْ[٥]

ونهض، فرجعوا إلى هدبة فأخبروه الخبر فقال: الآن أيِستُ منه. وذهب عبد الرحمن بالمِسور، وقد بلغ إلى والي المدينة، وهو سعيد بن العاص، وقيل

(١) المضمار: الميدان.
(٢) أغن عني أجدع بني عامر: اكفني شره، وهنا يقصد بأجدع بني عامر هدبة نفسه.
(٣) عياف أشمُّ حليم: صفات لهدبة.
(٤) أنا ثائره: أنا طالب ثأره.
(٥) زحرت به: ولدته.

مروان بن الحكم، فأخرج هدبة.

[لقاؤه الأخير بزوجته وأخبار ذلك اللقاء]

قالوا: فلما كان في الليلة التي قُتل في صباحها أرسلَ إلى امرأته، وكان يحبها: إيتِيني الليلة أستَمتع بك وأُودِّعك، فأتته في اللِّبَاس والطيب، فصارت إلى رجل قد طال حبسُه، وأنتنت في الحديد رائحتُه، فحادَثها وبكى وبكت، ثم راودها عن نفسها وطاوَعته، فلما عَلاهَا سمعَتْ قَعقعةَ الحديد فاضطربت تحته، فتنحّى عنها وأنشأ يقول: [الطويل]

وأدْنَيْتِني حتى إذا ما جَعَلْتِني ... لَدَى الخصْر أو أدنَى استقَلَّك راجفُ

فإن شِئْتُ والله انْتَهَيْتُ وَإنّني ... لئلا تريْني آخرَ الدَّهْرِ خائفُ

رَأتْ ساعِدَيْ غُولٍ وتَحْتَ ثيابِهِ ... جآجِيء يدْمَى حدُّها وَالحراقفُ[1]

ثم قال الشعر حتى أتى عليه وهو طويلٌ جداً وفيه يقول:

صوت

فلم تَرَ عَيْني مِثْلَ سربٍ رَأَيْتُهُ ... خَرَجْنَ علينا مِنْ زُقاقِ ابنِ وَاقِفِ

تضمَّخْن في الجاديِّ حتى كأنَّما الأُ ... نوفُ إذا استَعْرَضْتَهُنّ رَوَاعِفُ[2]

خَرَجْنَ بأعناقِ الظباءِ وأعيُنِ الـ ... ـجآذِرِ وَارتجَّتْ لَهُنَّ السَّوالفُ[3]

فلو أنّ شيْئاً صادَ شَيْئاً بطَرفِهِ ... لَصِدْنَ ظباءً فَوْقَهُنَّ المَطارِفُ[4]

غنى فيه الغريض رملاً بالبنصر من رواية حَبَش، وفيه لحن خفيف ثقيل، وذكر إسحاق أن فيه لحناً ليونس، ولم يذكر طريقته في مجرده.

أخبرنا الحرميّ قال: حدثنا الزبير عن عمه قال: مَرّ أبُو الحارث جُمَّيْن يوماً بسوق المدينة، فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف بيده ثلاثُ سمكات قد شقّ أجوافَها وقد خرج شحمُها، فبكى أبو الحارث، ثم قال: تَعِس الذي يقول:

---

(١) جآجيء: جمع جؤجؤ وهو عظم الصدر. والحراقف: جمع حرقفة: وهي أعلى الورك.

(٢) الجاديّ: ضرب من النبات يعرف بالزعفران.

(٣) الجآذر: أولاد البقرة الوحشية. والسوالف: جمع سالفة: وهي جانب العنق.

(٤) المطارِفُ: جمع مطرف، وهو رداء حرير ذو أعلام.

فلم تَرَ عَيْني مِثْلَ سِربٍ رَأَيْتُهُ ... خَرَجْنَ علينا مِنْ زُقاقِ ابنِ وَاقفِ

وانتكس وَلا انجبر، والله لهذه السمكات الثلاث أحسَنُ من السرب الذي وصف.

وَأحسب أن هذا الخبر مصنوع لأنه ليس بالمدينة زُقاقٌ يعرف بزقاق ابن واقف، ولا بها سَمَك، ولكن رويت ما رُوِي.

وقال حماد بن إسحاق عن أبيه أنّ ابن كُناسةَ قال: مُرَّ بهُدْبَةَ على حُبّى؛ فقالت: في سبيل الله شبابُك وجلَدُك وَشِعْرُك وكرمُك؛ فقال هدبة: [الطويل]

تَعَجّبُ حُبَّى مِنْ أسيرٍ مُكبّلٍ ... صَلِيبِ العَصَا باقٍ على الرّسَفَانِ[1]

فلا تَعْجَبي مِنِّي حَليلَةَ مالِكٍ ... كذلك يَأْتي الدَّهْرُ بالحدَثانِ

وقال النّوفليُّ عن أبيه: فلما مُضِيَ بهِ من السجن للقتل، التفَت فرأى امرأته؛ وكانت من أجمل النِّساء فقال: [الطويل]

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّومَ يا أُمَّ بَوزَعا ... ولا تَجْزَعي ممّا أصَابَ فأوجعا

ولا تنْكَحي إن فَرَّقَ الدَّهرُ بَيْنَنا ... أغَمّ القفا والوَجْهِ لَيْسَ بأنْزَعا[2]

كَليلاً سِوَى ما كان مِنْ حَدِّ ضِرْسِهِ ... أُكَيْبِدَ مِبْطانَ العَشِيّاتِ أرْوَعا[3]

ضَروباً بلَحْيَيْهِ على عَظْمِ زَوْرِهِ ... إذا النَّاسُ هَشُّوا للفَعالِ تَقَنَّعا[4]

وحُلِّي بذي أكرومة وحَمِيّةٍ ... وَصبْرٍ إذا ما الدَّهْرُ عَضَّ فأسْرَعا

وقال حَمَّاد عن أبيه عن مُصْعب بن عبد الله قال: لما أُخرِجَ هُدبةُ من السجن ليُقتل، جعل الناسُ يتعرَّضون له ويَخْبُرون صَبْره ويَسْتَنْشِدونه، فأدرَكَه عبدُ الرحمن ابنُ حسّانَ، فقال له: يا هدبةُ، أتأمُرني أن أتزوج هذه بَعْدَك، يَعْني زوجتَه، وهي تمشي خلفَه فقال: نعم، إن كنتَ من شَرْطها، قال: وما شَرْطُها؟ قال: قد قُلتُ في ذلك: [الطويل]

فَلاَ تنكَحِي إنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بيننا ... أغمَّ القفا والوَجْهِ ليس بأنْزَعا

---

(١) الرّسفان: المشي الوئيد يعوقه القيد في الرجل.

(٢) الأنزع: من انحسر شعره عن جبينه وقفاه.

(٣) أكيبد: تصغير الأكبد وهو المصاب في كبده. والمبطان العشيات: كثير الأكل ليلاً.

(٤) اللحيان: العظمان اللذان فيهما الأسنان، وهشوا: انشرحت صدورهم. والفَعال: الفعل الحميد.

وكُوني حَبِيساً أو لأروعَ ماجدٍ إذا ضَنَّ أَعْشاشُ الرّجال تَبرَّعا[١]

فمالت زوجتُه إلى جَزَّار وأخذت شَفْرته، فَجَدَعت بها أنفَها، وجاءته تَدْمَى مجدوعة فقالت: أَتخاف أن يكون بَعد هذا نِكاح؟ قال: فرسَفَ في قُيوده وقال: الآن طَابَ الموت.

وقال النوفليُّ عن أبيه: إنها فعلت ذلك بحَضْرة مَرْوان وقالت له: إن لهُدْبة عندي وَدِيعة، فأمهِلْه حتى آتِيَه بها، قال: أَسرِعي، فإن الناس قد كَثُروا، وكان جلس لهم بارِزاً عن دَارِه، فمضت إلى السُّوق، فانتَهت إلى قصّاب وقالت: أعطني شَفْرتَك، وخُذ هذين الدرهمين وأنا أردُّها عليك، فَفَعل، فَقَربت من حَائط، وأرسلت مِلْحَفَتَها على وَجهها، ثم جدعت أنفها من أَصْله، وقطعت شَفَتَيْها، ثم رَدَّت الشفرَة، وأقبلت حتى دَخَلت بين الناس وقالت: يا هُدْبة، أَتُراني متزوجةً بعد ما تَرَى؟ قال: لا، الآن طابت نَفْسي بَعْد بالمَوت، ثم خَرَج يرسُف في قيودِه، فإذا هو بأبوَيْه يتوقعان الثّكل، فهما بسُوء حال، فأقبل عليهما وقال: [الرمل]

أَبلِياني اليَوْمَ صَبْراً منكما إنّ حُزناً إن بدا بادىءُ شَرّ

لا أُراني اليَوْمَ إلا ميِّتاً إنّ بَعْدَ المَوْتِ دارَ المُسْتَقَرّ

اصبِرَا اليَوْمَ فإنِّي صابِرٌ كُلُّ حيٍّ لقَضاءٍ وقَدَرْ

قال النوفليّ: فحدثني أبي قال: حدثني رجلٌ من عُذرةَ عن أبيه قال: إني لببلادنا يوماً في بعض المِياه، فإذا أنا بامرأة تَمشِي أمامي وهي مدبرة، ولها خَلْق عجيب من عَجُز وهَيْئة، وتمام جسم، وكمال قامة، فإذا صَبِيَّان قد اكتنفاها يَمْشِيان قد تَرَعْرعا، فتقدّمتُها والتفتُّ إليها، فإذا هي أقبحُ مَنْظر، وإذا هي مجدوعةُ الأَنف، مقطوعةُ الشفتين، فسألتُ عنها فقيل لي: هذه امرأة هُدْبة، تزوَّجت بعده رَجُلاً، فأولدَها هذين الصَّبِيَّيْن.

قال ابنُ قُتيبة في حديثه: فسأل سعيدُ بن العاص أخَا زيادَة أن يَقْبَل الدّية عنه، قال: أُعطيك ما لم يُعطَه أحد من العرب أُعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جَدّاءُ[٢] ولا ذاتُ داء، فقال له: والله لو نَقَبْت لي قُبّتك هذه، ثم ملأْتَها لي ذهباً، ما رضيت بها من دم هذا الأجدع، فلم يزل سعيد يسألهُ، ويعرض عليه فَيأبى، ثم

(١) أعشاش الرجال: قليلو المعروف.

(٢) الجدّاء: القليلة اللبن من داء أصابها.

قال له: والله لو أرَدتُ قبول الدية لمنعني قوله: [البسيط]

لَنَجدَعَنّ بأيدينا أُنوفَكُم ... ويَذْهَبُ القَتْلُ فيما بيننا هَدَرا

فدفعه حينئذ ليقتله بأخيه.

قال حَمّاد: وقرأْتُ على أبي عن مصعب بن عبد الله الزبيريّ قال: ومَرّ هُدبةُ بحُبّى، فقالت له: كنتُ أعدّك في الفتيان، وقد زَهِدْتُ فيك اليوم، لأني لا أُنكر أن يَصْبر الرّجال على الموت، لكن كيف تَصْبر عن هذه[1]؟ فقال: أما والله إنّ حُبّي لها لشديد، وإن شئت لأصفَنّ لك ذلك، ووقف الناس معه، فقال: [الطويل]

وَجِدْتُ بها ما لم تَجِدْ أُمّ واحِدٍ ... ولا وجدُ حُبّى بابن أمّ كِلابِ

رَأَتْهُ طَويلَ السّاعِدَيْنِ شمَرْدَلاً ... كما تَشْتَهي مِنْ قُوّةٍ وشَبابِ[2]

فانقمعت[3] داخلة إلى بيتها فأغلقت الباب دونه. قالوا: فدُفِع إلى أخي زيادة ليقْتُلَه، قال: فاستأذن في أن يُصَلّي ركعتين، فأذِن له، فصلاهما وخَفّف، ثم التفَتَ إلى مَنْ حضر فقال: لولا أن يُظَنّ بي الجزعُ لأطَلْتُهما، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما، ثم قال لأهْله: إنه بلغني أنّ القَتِيل يَعقِل ساعة بعد سُقوط رأسه، فإن عَقَلتُ فإني قابضٌ رجلي وباسطُها ثلاثاً، ففعل ذلك حين قُتِلَ، وقال قبل أن يُقتَل:

[الطويل]

إنْ تَقْتُلوني في الحَديدِ فإنّني ... قَتَلْتُ أخاكُم مُطْلَقاً لم يُقَيّدِ

فقال عبد الرحمن أخو زيادة: والله لا قَتَلْتُه إلا مُطلقاً من وَثاقه، فأُطلق له، فقام إليه وهز السيف ثم قال: [الرجز]

قد عَلِمَتْ نَفْسِي وأنت تَعْلَمُهْ ... لأَقْتُلَنَّ اليَوْمَ مَنْ لا أرْحَمُهْ

ثم قتله.

فقال حمّاد في روايته: ويقال: إن الذي تولّى قتلَه ابنُه المِسْور، دفع إليه عَمُّه السيفَ وقال له: قم فاقتل قاتل أبيك، فقام فَضَرَبه ضربتين قتله فيهما.

---

(١) هذه: يعني زوجته.

(٢) الشمردل: الجميل المنظر.

(٣) انقمعت: هربت.

[كان أول من أُقيد منه في الإسلام]

أخبرني الحُسَين بن يحيى قال: قال حَمّاد: قرأتُ على أبي قال: بلغني أنّ هدبة أول من أُقِيد منه[1] في الإسلام.

قال أحمد بن الحارث الخرّاز: قال المدائني: مرّت كاهنة بأمّ هُدْبة وهو وأخوتهُ نِيامٌ بين يديها، فقالت: يا هذه، إن الذي معي[2] يُخبرني عن بنيك هؤلاء بأمر. قالت: وما هو؟ قالت: أمّا هُدبة وحَوْطٌ فيُقتلان صَبْراً[3]، وأمّا الواسع وسَيْحان فيموتان كَمَداً، فكان كذلك.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حَمّاد: قرأتُ على أبي: أخبرك مروان بن أبي حفصة قال: كان هدبةُ أشْعَرَ الناس منذ يوم دخل السجن إلى أن أُقيد منه، قال الخرّاز عن المدائنيّ: قال واسعُ بنُ خَشْرم يرثي هُدْبَةَ لمّا قُتِل: [البسيط]

يا هُدْبَ يا خَيْرَ فِتْيانِ العَشِيرةِ مَنْ ... يُفْجَعْ بِمِثْلِكَ في الدُّنْيا فَقَدْ فُجِعَا
الله يَعْلَمُ أنّي لَوْ خَشِيتُهُمُ ... أو أَوْجَسَ القَلْبُ مِنْ خَوْفٍ لهم فزعا
لَمْ يَقْتُلُوهُ ولم أُسْلِمْ أخي لَهُمُ ... حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعاً أو نَمُوتَ معا

وهذه الأبيات تمثّل بها إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنهم، لما بلغه قَتلُ أَخِيه محمد.

أخبرني محمد بنُ العباس اليزيديُّ قال: حَدَّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَة قال: حدثني مصعبٌ الزبيريُّ قال: كُنّا بالمدينة أهلَ البيوتات إذا لم يكن عند أَحدنا خبرُ هدبة وزيادة وأشعارهما ازدَريناه، وكنّا نرفع من قدر أَخبارهما وأَشعارهما ونعجب بها.

[كان جميل راويته]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: أخبرني محمد بن الحسن الأحول، عن رواية من الكوفيين قالوا: كان جميلُ بن معمر العُذْريّ راويةَ هُدْبة، وكان هُدْبة راويةَ الحطيئة، وكان الحطيئةُ راوية كعب بن زهير وأبيه.

---

(١) أقيد منه: اقتص.
(٢) الذي معي: تقصد الجن.
(٣) يقتل صبراً: يحبس حتى الموت.

حدثني حبيبُ بنُ نصرٍ المُهلَّبيّ قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال:

حدثني أبو المغيرة محمد بن إسحاق قال: حدثني أبو مُصْعَب الزّبيريّ قال: حَدّثَني المُنْكَدِرُ بنُ محمد بنِ المُنْكَدِر، عن أبيه قال: بعث هُدبةُ بنُ خَشْرم إلى عائشةَ زوجِ النبيﷺ يقول لها: استغفري لي، فقالت: إن قُتِلْتَ استغْفَرْتُ لك.

صوت [الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ أنّـي يَـوْمَ جَـوِّ سُـوَيْـقَـةٍ بَكَيْتُ فنادتني هُنَيْدَةُ ما لِيَا[1]

فَـقُـلْـتُ لـهـا: إنّ الـبُـكـاءَ لَـراحـةٌ بـه يَـشْـتَـفـي مَـنْ ظَـنَّ أنْ لا تَـلاقِـيـا

قِـفـي ودِّعِـيـنـا يـا هُـنَـيْـدَ فـإنَّـنـي أرى القَوْمَ قد شاموا العَقِيقَ اليمانِيا[2]

ـ ويروى: أرى الركبَ قد شاموا ـ

إذا اغْـرَوْرَقَـتْ عَـيـنـايَ أَسْبَلَ مـنـهـمـا إلى أَنْ تَـغِـيـبَ الـشِّـعْـريـانِ بـكـائـيـا[3]

الشعر للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريراً، وهي فيما قيل أولُ قصيدة هجاه بها، والغناء لابن سريج خفيف ثقيل عن الهشامي، قال الهشامي: وفيه لمالك ثقيل أول، وابتداء اللحنين جميعاً:

أَلَـمْ تَـرَ أَنِّـي يَـوْمَ جَـوِّ سُـوَيْـقَـة

ولعلوية فيه لحن من الرمل المطلق ابتداؤه:

قِـفـي ودِّعِـيـنـا يـا هُـنَـيْـدَ فـإنـنـي

---

(١) جوّ سويقة: موضع من أجوية الصمان وبه ركيّة واحدة. (معجم البلدان ٣/٢٧٨).

(٢) شاموا العقيق: يقصد توجّهوا إلى العقيق.

(٣) الشعريان: نجمان.

نسب الفرزدق وأخباره وذكر مناقضاته

[توفي نحو سنة ١١٠ هـ/ نحو سنة ٧٢٨ م]

[اسمه ولقبه وكنيته ونسبه]

الفرزدق لقب غَلَب عليه، وتفسيره الرغيف الضخم الذي يجفِّفه النساءُ للفتوت، وقيل: بل هو القطعة من العجين التي تبسط، فيُخبَز منها الرغيف، شُبِّه وجهه بذلك لأنه كان غليظاً جهماً. واسمه همّام بن غالبِ بنِ صَعصعةَ بنِ ناجيةَ بن عقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشِع بن دارِم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناةَ بن تميم.

قال أبو عبيدة: اسم دارم بحر، واسم أبيه مالكٍ عُوف ويقال عرف. وسُمّي دارمٌ دارماً لأن قوماً أتوا أباه مالكاً في حَمالة[1] فقال له: قم يا بحر فأْتني بالخريطة ـ يعني خريطة كان له فيها مال ـ فحملها يدرِم عنها ثِقلاً، والدّرمان: تقارب الخطو، فقال لهم: جاءكم يَدْرِم بها، فسمي دارماً، وسُمي أبوه مالِكٌ عُرفاً لجوده.

وأم غالب ليلى بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيانَ بن مجاشع. وكان للفرزدق أخ يقال له هُمَيم، ويلقب الأخطل، ليست له نباهة، فأعقب ابناً يقال له محمد، فمات والفرزدق حيّ فرثاه، وخبرهُ يأتي بعد. وكان للفرزدق من الولد خَبطةٌ ولَبطةٌ وسَبطة، هؤلاء المعروفون، وكان له غيرهم فماتوا، ولم يُعرفوا. وكان له بنات خمس أو ست. وأُم الفرزدق ـ فيما ذكر أبو عبيدة ـ لينة بنت قرظة الضبية.

(١) الحمالة: الغرامة يحملها قوم عن قوم.

[بعض أخبار جدّه وأبيه وسماتهما]

وكان يقال لصعصعة محيي الموؤودات؛ وذلك أنه كان مر برجل من قومه، وهو يحفِر بئراً، وامرأته تبكي، فقال لها صعصعة: ما يبكيك؟ قالت: يريد أن يئد[١] ابنتي هذه، فقال له: ما حملك على هذا؟ قال: الفقر. قال: فإني أشتريها منك بناقتين يتبعهما أولادهما، تعيشون بألبانهما، ولا تئد الصبية، قال: قد فعلت، فأعطاه الناقتين وجملاً كان تحته فحلاً! وقال في نفسه: إن هذه لمكرُمةٌ ما سبقني إليها أحد من العرب، فجعل على نفسه ألاّ يسمع بموؤودة إلا فداها، فجاء الإسلام وقد فدى ثلاثمائة موؤودة، وقيل: أربعمائة.

أخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعي، عن دَماذ، عن أبي عبيدة. وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيديّ وعليّ بن سليمان الأخفش قالا: حدثنا أبو سعيد السكريّ، عن محمد بن حبيب، عن أبي عبيدة عن عقال بن شبة قال: قال صعصعة: خرجت باغياً ناقتين لي فارقتين ـ والفارق: التي تفرق إذا ضربها المخاض فتندّ على وجهها، حتى تُنْتِج ـ فرُفعت لي نار فسرت نحوها، وهممت بالنزول، فجعلت النار تضيء مرة، وتخبو أُخرى، فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت: اللهمّ لك عليّ إن بلّغتني هذه النار ألاّ أجد أهلها يوقدون لكربة يقدر أحد من الناس أن يفرِّجها إلا فرّجتها عنهم، قال: فلم أسر إلا قليلاً حتى أتيتها، فإذا حيٌّ من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم، وإذا أنا بشيخ حادر[٢] أشعر يوقدها في مقدم بيته، والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخض، قد حبستهنّ ثلاث ليال. فسلّمت فقال الشيخ: من أنت؟ فقلت: أنا صعصعة بن ناجية بن عقال، قال: مرحباً بسيدنا، ففيم أنت يابن أخي؟ فقلت: في بغاء ناقتين لي فارقتين عُمِّيَ عليّ أثرهُما، فقال: قد وجدتَهما بعد أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك، وقد نتجناهما، وعطفت إحداهما على الأُخرى، وهما تانك في أدنى الإبل. قال: قلت: ففيم توقد نارك منذ الليلة؟ قال: أُوقدها لامرأة ماخض قد حبستنا منذ ثلاث ليال، وتكلّمت النساء فقلن: قد جاء الولد، فقال الشيخ: إن كان غلاماً فوالله ما أدري ما أصنع به، وإن كانت جارية فلا أسمعنّ صوتها ـ أي اقتُلْنها ـ فقلت: يا

(١) يئد البنت: يدفنها حية.

(٢) حادر: غليظ الجسم.

هذا ذرها فإنها ابنتك، ورزقها على الله، فقال: اقتُلْنها، فقلت: أَنْشُدك الله، فقال: إني أراك بها حفياً، فاشترها مني، فقلت: إني أشتريها منك، فقال: ما تعطيني؟ قلت: أُعطيك إحدى ناقتيّ قال: لا، قلت: فأزيدك الأخرى، فنظر إلى جملي الذي تحتي، فقال: لا، إلا أن تزيدني جملَك هذا، فإني أراه حسن اللون شابّ السّن، فقلت: هو لك والناقتان على أن تبلغني أهلي عليه، قال: قد فعلت، فابتعتها منه بلقوحين[1] وجمل، وأخذت عليه عهدَ الله وميثاقَهُ ليُحسنَنَّ بِرّها وصلتَها ما عاشت، حتى تبين منه[2]، أو يدركها الموت، فلما برزتُ من عنده حدثتني نفسي وقلت: إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، فآليت ألاّ يئد أحد بنتاً له إلا اشتريتها منه بلَقوحين وجمل، فبعث الله عَزَّ وجل محمداً ﷺ، وقد أحييتُ مائة موؤودة إلا أربعاً، ولم يشاركني في ذلك أحد، حتى أنزل الله تحريمَه في القرآن، وقد فخر بذلك الفرزدق في عدّة قصائد من شعره، ومنها قصيدتُه التي أوّلُها: [الطويل]

أبِي أَحَدُ الغَيْثَيْنِ صَعْصَعَةُ الذي ... متى تُخْلفِ الجَوْزاءُ والدَّلْوُ يُمْطِرِ[3]
أجارَ بناتِ الوائدِينَ وَمَنْ يُجِرْ ... على الفَقْرِ يُعْلَمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْفِرِ[4]
على حينَ لا تَحْيا البَناتُ وإذ هُمُ ... عكوفٌ على الأصنامِ حَوْلَ المدَوَّرِ

ـ المُدَوّر: يعني الدّوّار الذي حول الصنم، وهو طوافهم ـ

أنا ابن الذي رَدَّ المنيةَ فَضْلُهُ ... فما حسبٌ دافَعْتُ عَنْهُ بمُعْورِ[5]
وفارقِ لَيْلٍ مِنْ نِساءٍ أَتَتْ أبي ... تُمارِسُ رِيحاً لَيْلُها غَيْرُ مُقْمِرِ[6]
فَقالَتْ: أَجِرْ لي ما وَلَدْتُ فإنني ... أَتَيْتُكَ مِنْ هزلَى الحَمولةِ مُقْتِرِ[7]
هِجفٌ مِنَ العُثْوِ الرُّؤُوسِ إذا بَدَت ... له ابنةُ عامٍ يحطم العظم منكرِ[8]
رَأَى الأَرْضَ منها راحةً فرمى بها ... إلى خُدَدٍ منها إلى شَرٍّ مخفرِ[9]

---

(١) لقوحين: حاملتين.
(٢) تبين عنه: تبعد عنه.
(٣) الجوزاء والدلو: برجان في السماء.
(٤) غير مخفر: غير ناقض للعهد.
(٥) المعور: المعيب.
(٦) الفارق: الناقة أخذها المخاض فندت في الأرض وهنا يقصد المرأة.
(٧) هزلى الحمولة: من هزل الرجل إذا ماتت ماشيته. والمقتر: الفقير.
(٨) الهجفّ: الثقيل من الناس. والعثو: جمع أعثى وهو الأشعر.
(٩) الخدد: الشقوق.

فقال لها: فِيئي فإنّي بِذِمَّتي لِبِنْتِكِ جارٌ مِنْ أبيها القَنَوَّرِ[١]

ووفد غالب بن صعصعة إلى النبيﷺ فأسلم وقد كان وَفَدهُ أبوه صعصعةُ إلى النبيﷺ فأخبره بفعله في الموؤودات، فاستحسنه وسأله: هل له في ذلك من أجر؟ قال: نعم فأسلم وعمَّر غالبٌ، حتى لحق أمير المؤمنين عليّاً صلوات الله عليه بالبصرة، وأدخل إليه الفرزدق، وأظنه مات في إمارة زياد ومُلك معاوية.

أخبرني محمد بن الحسين الكنديّ وهاشم بن محمد الخزاعيّ، وعبد العزيز بن أحمد عم أبي قالوا: حدثنا الرّياشيّ قال: حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية، قال: حدثني عقال بن كسيب أبو الخنساء العنبريّ، قال: حدثني الطفيل بن عمرو الربعيّ، عن ربيعة بن مالك بن حنظلة، عن صعصعة بن ناجيةَ المجاشعيِّ جدِّ الفرزدق قال:

قدمت على النبيﷺ، فعرض عليّ الإسلام، فأسلمت، وعلّمني آياتٍ من القرآن، فقلت: يا رسول الله إني عملت أعمالاً في الجاهلية هل لي فيها من أجر؟ فقال: «**وما عملت**»؟ فقلت: إني أَضللتُ ناقتين لي عُشرَاوين، فخرجت أبغيهما على جمل، فرفع لي بيتان في فضاء من الأرض، فقصدت قصدهما، فوجدت في أَحدهما شيخاً كبيراً، فقلت له: هل أحسست من ناقتين عُشراوين؟ قال: وما نارهما؟ ـ يعني السّمة ـ فقلت: ميسم[٢] بني دارم، فقال: قد أَصبت ناقتيك ونتجناهما، وظأرتا[٣] على أولادهما ونَعش الله بهما أهلَ بيت من قومك من العرب من مضر، فبينا هو يخاطبني إذ نادته امرأة من البيت الآخر: قد ولدت، فقال: وما ولدتِ؟ إن كان غلاماً فقد شرِكَنا في قُوتنا، وإن كانت جارية فادفنوها، فقالت: هي جارية أفأئدها؟ فقلت: وما هذا المولود؟ قالت: بنت لي، فقلت: إني أشتريها منك، فقال: يا أخا بني تميم، أتقول لي: أتبيعني ابنتك وقد أخبرتك أني من العرب من مضر؟ فقلت: إني لا أشتري منك رقبتها، إنما أشتري دَمَها لئلا تقتلها. فقال: وبم تشتريها؟ فقلت: بناقَتيَّ هاتين وولديهما. قال: لا حتى تزيدني هذا البعير الذي تركبه، قلت: نعم، على أن ترسل معي رسولاً فإذا بلغتُ أهلي ردَدْتُ

(١) فيئي: اطمئني. والقنوَّر: ذو الأخلاق الشرسة.
(٢) الميسم: العلامة.
(٣) ظأرتا: عطفتا.

إليك البعير ففعل، فلما بلغت أهلي رددتُ إليه البعير، فلما كان في بعض الليل فكرت في نفسي فقلت: إن هذه مكرمة ما سبقني إليها أحدٌ من العرب، فظهر الإسلام وقد أحييت ثلاثمائة وستين موؤودة، أشتري كُلَّ واحدة منهن بناقتين عُشراوين وجمل، فهل لي في ذلك من أجر يا رسول الله؟ فقال ﷺ: **«هذا باب من البر، ولك أجره إذ مَنَّ الله عليك بالإسلام»**،[1] قال عباد: ومِصداقُ ذلك قولُ الفرزدق:

وجـدِّي الـذي مَـنَـعَ الـوائِـداتِ وأَحْـيـا الـوَئِـيـدَ فَـلَـمْ يُـوأَدِ

أخبرني محمد بن يحيى، عن الغِلاّبيّ، عن العباس بن بكار، عن أبي بكر الهذليّ قال: وفد صعصعة بن ناجية جَدّ الفرزدق على رسول الله ﷺ في وفد من تميم، وكان صعصعةُ قد منع الوَئيد في الجاهلية، فلم يدع تميماً تَئِد، وهو يقدر على ذلك، فجاء الإسلام وقد فدى أربعمائة جارية، فقال للنبي ﷺ: أوصِني، فقال: **«أُوصيك بأمك وأبيك وأخيك وأختك وإمائك»**[2]، قال: زدني، قال: **«احفظ ما بين لحييك، وما بين رجليك»**[3]. ثم قال له ﷺ: **«ما شيءٌ بلغني عنك فعلتَه»**؟ قال: يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه، ولم أدرِ أين الوجه، غير أني علمت أنهم ليسوا عليه، ورأيتهم يئدون بناتهم، فعلمتُ أنّ ربّهم لم يأمزهم بذلك، فلم أتركهم يئدون، وفديت من قدرت عليه.

وروى أبو عبيدة أنه قال للنَّبِيِّ ﷺ: إني حملتُ حَمَالات في الجاهلية والإسلام، وعليّ منها ألفُ بعير، فأدّيتُ من ذلك سبعمائة، فقال له: **«إن الإسلام أمر بالوفاء، ونهى عن الغدر»**، فقال: حسبي حسبي، ووفّى بها.

ورُوِي أنه إنما قال هذا القول لعمر بن الخطاب، وقد وفد إليه في خلافته.

وكان صعصعةُ شاعراً وهو الذي يقول ـ أنشدنيه محمد بن يحيى له ـ: **[الطويل]**

إذا الـمَـرْءُ عـادَى مَـنْ يَـوَدُّكَ صَـدْرُهُ وكـان لِـمَـنْ عـاداك خِـدْناً مُـصَـافِـيَـا[4]
فـلا تَـسْـأَلَـنْ عـمـا لَـدَيْـهِ فـإنَّـهُ هُـوَ الـدَّاءُ لا يَـخْـفَـى بـذلك خـافِـيـا

---

(١) خرجه العقيلي في الضعفاء ٢/٢٢٩.
(٢) الإماء: جمع أمة وهي الجارية.
(٣) خرجه في كشف الخفا: ١/٦٠.
(٤) خِدناً مصافياً: صديقاً وفيّاً.

أخبرني محمد بن يحيى، عن محمد بن زكريا، عن عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عديّ، عن عوانة قال: تَراهَن نَفرٌ من كلب ثلاثةٌ على أن يختاروا من تميم وبكر نَفَراً ليسائلوهم، فأيّهم أعطى، ولم يسألهم عن نسبهم من هم؟ فهو أفضلهم، فاختار كل رجل منهم رجلاً؛ والذين اختيروا: عميرُ بنُ السليك، بن قيس بن مسعود الشيبانيّ، وطلبة بن قيس بن عاصم المنقريّ، وغالب بن صعصعة المجاشعيّ أبو الفرزدق. فأتوا ابن السُّليك فسألوه مائة ناقة، فقال: من أنتم؟ فانصرفوا عنه. ثم أتوا طلبة بن قيس، فقال لهم مثل قول الشيبانيّ، فأتوا غالباً فسألوه، فأعطاهم مائةَ ناقة وراعيها، ولم يسألهم من هم فساروا بها ليلة ثم ردّوها، وأخذ صاحبُ غالب الرّهنَ، وفي ذلك يقول الفرزدق: [الطويل]

وإذْ ناحَبَتْ كلْبٌ على النَّاسِ أيُّهم ... أَحَقُّ بِتاجِ الماجِدِ المُتَكَرِّمِ[1]

على نَفَرٍ هُم مِنْ نِزارٍ ذوي العُلا ... وأهْلِ الجَراثيم التي لَمْ تُهَدَّمِ[2]

فَلَمْ يُجْزِ عَنْ أحْسابِهم غَيْرُ غالِبٍ ... جَرَى بعنانِ كُلِّ أبيضَ خِضرمِ[3]

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن جهم السليطيّ، عن إياس بن شبة، عن عقال بن صَعصعة، قال: أجدبت بلاد تميم، وأصابت بني حنظلة سنةٌ في خلافة عثمان، فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة، فانتجعتها بنو حنظلة، فنزلوا أقصى الوادي، وتسرّع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بني مالك بن حنظلة، ولم يكن مع بني يربوع من بني مالك غير غالب، فنَحر ناقته فأطعمهم إيّاها، فلما وردت إبل سحيم بن وثيل الرِّياحيّ حبس منها ناقة، فنحرها من غد، فقيل لغالب: إنما نحر سُحيم مواءمةً لك ـ أي مساواة لك ـ فضحك غالب، وقال: كلا، ولكنه امرؤ كريم، وسوف أنظر في ذلك. فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتين فنحرهما، فأطعمهما بني يربوع، فعقر سُحَيم ناقتين، فقال غالب: الآن علمت أنه يوائمني، فعقر غالب عشراً، فأطعمها بني يربوع، فعقر سحيم عشراً، فلما بلغ غالباً فعلُه ضحك، وكانت إبله ترد لخمس، فلما وردت عقرها كلها عن آخرها، فالمكثر يقول: كانت أربعمائة، والمُقِلّ يقول:

---

(١) ناحبت: راهنت.

(٢) الجراثيم: جمع جرثومة، وهي الأصل.

(٣) الخضرم: الكريم.

كانت مائة، فأمسك[1] سحيم حينئذ؛ ثم إنه عقر في خلافة عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه بكُناسة الكوفة[2] مائتي ناقة وبعير، فخرج الناس بالزنابيل والأطباق والحبال لأخذ اللحم، ورآهم عليٌّ عليه السلام، فقال: أيّها الناس لا يحل لكم، إنّما أُهِلّ[3] بها لغير الله عز وجل. قال: فحدثني من حضر ذلك قال: كان الفرزدق يومئذ مع أبيه وهو غلام، فجعل غالب يقول: يا بنيّ، اردُدْ عليّ، والفرزدق يردُّها عليه، ويقول له: يا أبت اعقِر، قال جهم: فلم يُغن عن سحيم فعله، ولم يجعل كغالب إذ لم يُطِق فعلَه.

[حفظه القرآن]

حدثني محمد بن يحيى عن محمد بن القاسم ـ يعني أبا العيناء ـ عن أبي زيد النحويّ، عن أبي عمرو قال: جاء غالب أبو الفرزدق إلى عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة، فقال: إن ابني هذا من شعراء مضر فاسمع منه، قال: علمه القرآن، فكان ذلك في نفس الفرزدق، فقيّد نفسَه في وقت، وآلى: لا يحُلُّ قيدَه حتى يحفظ القرآن.

قال محمد بن يحيى: فقد صح لنا أن الفرزدق كان شاعراً موصوفاً أربعاً وسبعين سنة، وندع ما قبل ذلك، لأن مجيئَه به بعد الجمل ـ على الاستظهار ـ كان في سنة ست وثلاثين، وتوفي الفرزدق في سنة عشر ومائة في أول خلافة هشام هو وجرير والحسن البصريّ وابن سيرين في ستة أشهر، وحُكي ذلك عن جماعة، منهم الغِلابيّ عن ابن عائشة عن أبيه.

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ عن الغِلابي، عن ابن عائشة أيضاً، عن أبيه قال: قال الفرزدق أيضاً: كنت أُجيد الهجاء في أيام عثمان، قال: ومات غالب أبو الفرزدق في أول أيام معاوية ودفن بكاظمة[4] فقال الفرزدق يرثيه:

---

(١) أمسك: توقف، كفّ.

(٢) كناسة الكوفة: محلة بالكوفة (معجم البلدان ٤/ ٤٨١).

(٣) أهَلّ الذابح: رفع صوته عند ذبح الضحية باسم من قدّمها قرباناً له.

(٤) كاظمة: بلدة على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان. (معجم البلدان ٤/ ٤٣١).

لَـقَـدْ ضَـمَّـتِ الأكْـفـانُ مِـنْ آلِ دارِمٍ   فَتًى فائِضَ الكَفَّيْنِ مَحْضَ الضَّرائبِ[١]

[أيهما أشعر: هو أم جرير؟]

أخبرني حبيب المهلبيّ قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عمران الضبيّ، قال: حدثني جعفر بن محمد العنبريّ، عن خالد ابن أم كلثوم، قال: قيل للمفضل الضبيّ: الفرزدق أشعر أم جرير؟ قال: الفرزدق، قال: قلت: ولمْ؟ قال: لأنه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح فيه قبيلتين وأحسن في ذلك فقال: [الطويل]

عَجِبْتُ لِعِجْلٍ إذْ تُهاجِي عَبِيدَها   كَـمـا آلُ يـربـوع هَـجَـوْا آلَ دَارِمِ

فقيل له: قد قال جرير: [الكامل]

إنَّ الـفَـرَزْدَقَ والـبَـعِـيـثَ وأُمَّـهُ   وأَبَـا الـبَـعِـيـثِ لـشـرّ مـا إِسـتـارِ[٢]

فقال: وأيّ شيء أهون من أن يقول إنسان: فلان وفلان وفلان والناس كلهم بنو الفاعلة!

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني موسى بن طلحة، قال: قال أبو عبيدة مَعمرُ بنُ المثنّى: كان الشعراء في الجاهلية من قيس، وليس في الإسلام مثلُ حظِّ تميم في الشعر، وأشعر تميم جرير والفرزدق، ومن بني تغلب الأخطلُ.

قال يونس بن حبيب: ما ذُكِر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قطّ فاتّفق المجلسُ على أحدهما، قال: وكان يونس فرزدقِيّاً.

أخبرني عمي، عن محمد بن رستم الطبريّ، عن أبي عثمان المازنيّ قال: مر الفرزدق بابن مَيّادة الرمّاح والناسُ حوله وهو ينشد: [الطويل]

لَـوَ اَنَّ جَـمِـيـعَ الـنَّـاسِ كـانـوا بِـرَبْـوَةٍ   وجِـئْـتُ بـجَـدّي ظَـالـم وابـنِ ظَـالـمِ
لَـظَـلَّـتْ رِقـابُ الـنَّـاسِ خـاضِـعَـةً لـنـا   سُـجُـوداً عـلـى أَقْـدَامـنـاً بـالـجَـمـاجِـمِ

فسمعه الفرزدق، فقال: أما والله يابنَ الفارسية لتَدعنَّه لي أو لأنْبِشَنّ أُمَّك من

(١) محض: خالص. والضرائب جمع ضريبة وهي بمعنى الطبيعة والسجية.

(٢) إستار: لفظ معرب بمعنى أربعة.

قبرها، فقال له ابن ميادة: خذه لا بارك الله لك فيه، فقال الفرزدق:

لَوَ أنَّ جَميعَ النَّاسِ كانُوا بِرَبْوَةٍ وجِئْتُ بِجَدّي دارمٍ وابنِ دارمِ
لَظلَّتْ رِقابُ النَّاسِ خاضِعَةً لنا سُجُوداً على أقْدامِنا بالجَماجِمِ

[هو وجرير يتشاكيان عند يزيد بن عبد الملك]

أخبرني عمي، عن الكرانيّ، عن أبي فراس الهيثم بن فراس، قال: حدثني ورقة بن معروف، عن حماد الراوية قال: دخل جرير والفرزدق على يزيد بن عبد الملك وعنده بنَيَّةٌ لها يَشمّها فقال جرير: ما هذه يا أمير المؤمنين عندك؟ قال: بُنَيَّة لي، قال: بارك الله لأمير المؤمنين فيها. فقال الفرزدق: إن يكن دارم يضرب فيها[1] فهي أكرم العرب، ثم أقبل يزيد على جرير فقال: ما لك والفرزدق؟ قال: إنه يظلمني ويبغي عليّ، فقال الفرزدق: وجدت آبائي يظلمون آباءه فسرتُ فيه بسيرتهم، قال جرير: وأما والله لتُردَّنَّ الكبائرُ على أسافلها سائر اليوم، فقال الفرزدق: أمّا بك يا حمار بني كليب فلا، ولكن إن شاء صاحب السرير، فلا والله ما لي كفء غيرهُ، فجعل يزيد يضحك.

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابيّ، عن حماد الراوية قال: أنشدني الفرزدق يوماً شعراً له ثم قال لي: أتيتَ الكلبَ؟ - يعني جريراً - قلت: نعم، قال: أفأنا أشعر أم هو؟ قلت: أنتَ في بعض وهو في بعض، قال: لم تناصحني، قال: قلت: هو أشعر منك إذا أُرخِيَ من خناقه[2]، وأنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت، قال: قضيت لي والله عليه وهل الشعر إلا في الخير والشرّ.

قال: وروي عن أبي الزناد عن أبيه قال: قال لي جرير: يا أبا عبد الرحمن: أنا أشعر أم هذا الخبيث؟ - يعني الفرزدق - وناشدني لأخبرنّه، فقلت: لا والله ما يشاركك ولا يتعلق بك في النسيب قال: أَوْه قضيت والله له عليّ، أنا والله أُخبرك: ما دهاني إلاّ أنّي هاجيتُ كذا وكذا شاعراً، فسمّى عدداً كثيراً، وأنه تفرّد لي وحدي.

---

(١) يضرب فيها: أي لها نسب يصلها به.
(٢) أُرخي من خناقه: أمن، وأُعطي الكلام.

[أخباره مع زوجته النوار]

أخبرني عبد الله قال: قال المازنيّ: قال أبو علي الحرمازي: كان من خبر الفرزدق والنَّوار ابنةِ أعينَ بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعيّ - وكانت ابنة عمه - أنه خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضِيَتْه، وكان الفرزدق وليّها، فأرسلت إليه أن زَوّجْنِي من هذا الرجل، فقال: لا أفعل أو تُشهدِيني أنك قد رضيت بمن زوّجتك، ففعلت، فلما توثّق منها، قال: أرسلي إلى القوم فليأتوا، فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا[1] مسجد بني مجاشع وجاء الفرزدق، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: قد علمتم أن النوار قد وَلّتني أمرها، وأُشهدكم أني قد زَوجتُها نفسي على مائة ناقة حمراء سوداء الحدقة. فنفرت من ذلك وأرادت الشخوص إلى ابن الزبير حين أعياها أهلُ البصرة ألاّ يطلقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود، وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتّقاء الفرزدق، وابنُ الزبير يومئذ أمير الحجاز والعراق يدعى له بالخلافة - فلم تجد من يحملها، وأتت فتيةً من بني عديّ بن عبد مناة بن أُدّ، يقال لهم بنو أُمّ النُّسَيْر، فسألتهم برحم[2] تجمعهم وإياها - وكانت بينها وبينهم قرابة - فأقسمت عليهم أمها: ليحملنّها، فحملوها، فبلغ ذلك الفرزدق، فاستنهض عدّة من أهل البصرة فأنهضوه، وأوقروا[3] له عدة من الإبل، وأُعِين بنفقة، فتبع النّوار، وقال: [الطويل]

أطاعَتْ بني أُمِّ النُّسَيْرِ فَأَصْبَحَتْ ... على شارِفٍ ورقاءَ صَعْبٍ ذلولُها[4]
وإنَّ الذي أَمْسى يُخَبِّبُ زَوْجَتي ... كماشٍ إلى أُسْدِ الشّرى يَسْتَبِيلها[5]

فأدركها وقد قدمت مكة، فاستجارت بَخَولَةَ بنتِ منظورِ بنِ زَبَّان بن سيار الفزاري، وكانت عند عبد الله بن الزبير، فلما قدم الفرزدق مَكة اشرأبّ الناس إليه، ونزل على بني عبد الله بن الزبير، فاستنشدوه واستحدثوه ثم شفعوا له إلى أبيهم، فجعل يشفعهم في الظاهر، حتى إذا صار إلى خولة قلبته عن رأيه، فمال إلى النّوار، فقال الفرزدق في ذلك:

---

(١) شحنوا: ملأوا.
(٢) الرحم: القرابة.
(٣) أوقروا: حمّلوا.
(٤) الشارف: الناقة المسنة، والورقاء: التي خالط سوادها بياض.
(٥) يخبب المرأة: يفسدها ويستميلها.

صوت

[البسيط]

أمّا بنوه فلَمْ تُقْبَلْ شَفاعَتُهم ... وشُفِّعَتْ بِنْتُ مَنْظورِ بن زِبّانَا[١]

لَيْسَ الشَّفيعُ الذي يَأْتيكَ مُؤْتَزِراً ... مِثْلَ الشَّفِيعِ الذي يَأْتيكَ عُرْيانَا

لِعَريب في هذا البيت خفيف رمل.

قال: وسَفَر بينهما رجالٌ من بني تميم كانوا بمكة، فاصطلحا على أن يرجعا إلى البصرة، ولا يجمعهما ظل ولا كِنٌّ[٢] حتى يَجْمَعَا في أمرهما ذلك بني تميم، ويصيرا على حكمهم. ففعلا، فلما صارا إلى البصرة رجعت إليه النوار بحكم عشيرتها. قال: وقال غير الحرمازيّ: إن ابن الزبير قال للفرزدق: جئني بصداقها وإلا فرّقت بينكما، فقال الفرزدق: أنا في بلاد غربة فكيف أصنع؟ قالوا له: عليك بسلم بن زياد، فإنه محبوس في السجن يطالبه ابن الزبير بمال، فأتاه فقصّ عليه قصته قال: كم صداقها؟ قال: أربعة آلاف درهم، فأمر له بها وبألفين للنفقة، فقال الفرزدق:

[الطويل]

دعِي مُغلِقي الأبْوابَ دُونَ فَعالِهم ... ولكن تَمَشَّيْ بي - هُبِلْت - إلى سَلمِ[٣]

إلى مَنْ يَرَى المَعْروفَ سَهْلاً سَبِيلُهُ ... ويَفْعَلُ أفعالَ الرِّجالِ التي تَنمِي[٤]

قال: فدفعها إليه ابن الزبير، فقال الفرزدق:

هَلُمِّي لابنِ عَمِّكِ لا تَكُوني ... كَمُخْتارٍ على الفَرَسِ الحمارا

قال: فجاء بها إلى البصرة - وقد أحبلها - فقال جرير في ذلك:

ألا تِلْكُمُ عِرسُ الفَرَزْدَقِ جامِحاً ... وَلَوْ رضِيَتْ رُمْحِ اسْتِهِ لاستقرَّت

فأجابه الفرزدق، وقال:

[الطويل]

وأمُّكَ لو لاقَيْتَها بِطِمرَّةٍ ... وجاءت بها جَوْف اسْتِها لاستقرّت[٥]

---

(١) بنوه: يعني بني عبد الله بن الزبير.

(٢) الكِنُّ: الستار.

(٣) الفَعال: الأعمال الجيدة. وهُبِلْتَ: ثكلتك أمك.

(٤) تنمي: ترفع من شأنها.

(٥) الطمرّة: الفرس السريعة.

وقال الفرزدق وهو يخاصم النوار: [الوافر]

تُخاصِمُني وقد أوْلَجْتُ فيها كَرأسِ الضَّبِّ يَلْتَمِسُ الجرادا[١]

قال الجِرمازيّ: ومكثت النّوار عنده زماناً، ترضى عنه أحياناً، وتخاصمه أحياناً، وكانت النَّوار امرأة صالحة، فلم تزل تشمئزُّ منه، وتقول له: ويحَك! أنت تعلم أنك إنما تزوجت بي ضُغطة[٢] وعلى خُدعة، ثم لا تزال في كلِّ ذلك، حتى حلفت بيمين مُوثَّقة، ثم حنِثت. وتجنَّبَتْ فراشَه، فتزوج عليها امرأة يقال لها جُهيمة من بني النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد بن ضبيعة وأمُّها الخميصة من بني الحارث بن عباد، فنافرته الخميصة، واستعدت عليه فأنكرها الفرزدق، وقال: إنها مني بريء طالق وطلق ابنتَها، وقال: [البسيط]

إنَّ الخَميصَةَ كانَتْ لي ولابْنَتِها مثل الهَراسةِ بَيْنَ النّعلِ والقَدَمِ[٣]
إذا أتَتْ أهْلَها مني مُطَلَّقة فَلَنْ أرُدَّ عَلَيْها زَفرَةَ النَّدَمِ

جعل يأتي النوارَ وبه رَدْع الخَلوق[٤] وعليه الأثر فقالت له النّوار: هل تزوجتها إلا هُداديّة ـ تعني حيّاً من أزد عُمان ـ فقال الفرزدق في ذلك: [الطويل]

تُريكَ نُجومَ اللَّيْلِ والشَّمْسُ حَيَّةٌ كِرامُ بَناتِ الحَارِثِ بنِ عُبَّادِ
أبوها الذي قادَ النَّعامَةَ بَعْدَ ما أَبَتْ وائِلٌ في الحَرْبِ غيرَ تمادِ
نِساءٌ أَبُوهُنَّ الأعَزُّ ولم تَكُنْ مِنَ الأزْدِ في جاراتِها وهَدادِ
ولم يَكُ في الحَيِّ الغموضِ محلُّها ولا في العُمانيِّينَ رَهْطِ زِيادِ
عَدلتُ بها مَيلَ النّوارِ فأصْبَحَتْ وقد رَضِيَتْ بالنّصفِ بَعْدَ بُعادِ

قال: فلم تزل النوار ترقه وتستعطفه، حتى أجابها إلى طلاقها، وأخذ عليها ألاّ تفارقَه ولا تبرح من منزله، ولا تتزوجَ رجلاً بعده، ولا تمنعَه من مالها ما كانت تبذله له، وأخذت عليه أن يُشهد الحسنَ البصريَّ على طلاقها، ففعل ذلك.

قال المازنيّ: وحدثني محمد بن روح العدوي عن أبي شَفْقَلٍ راوية الفرزدق قال: ما استصحبَ الفرزدقُ أحداً غيري وغير راوية آخر، وقد صحِب النّوارَ رجالٌ

(١) الضَّبّ: ضرب من الحيوانات الزاحفة.
(٢) ضغطةً: كرهاً.
(٣) الهراسة: ضرب من النبات الشائك.
(٤) ردع الخلوق: أثر الطيب.

كثيرة، إلا أنهم كانوا يلوذون بالسّواري[١] خوفاً من أن يراهم الفرزدق، فأتيا الحسن فقال له الفرزدق: يا أبا سعيد، قال له الحسن: ما تشاء؟ قال: اشهد أن النّوار طالق ثلاثاً، فقال الحسن: قد شهِدنا، فلما انصرفنا قال: يا أبا شفقل، قد ندمتُ، فقلت له: والله إني لأظن أن دمك يترقرق، أتدري مَنْ أشهدت؟ والله لئن رجعت لترجمن بأحجارك، فمضى وهو يقول: [الوافر]

نَـدِمْـتُ نَـدامـةَ الـكُـسَـعِـيِّ لـمّـا ... غَـدَتْ مِـنِّـي مُـطَـلَّـقـةً نـوارُ[٢]
ولـو أنِّـي مَـلَـكْـتُ يَـدِي وقَـلْـبِـي ... لـكـانَ عَـلَـيَّ لـلـقَـدَرِ الـخـيـارُ
وكـانَـتْ جَـنّـتـي فَـخَـرَجْـتُ مـنـهـا ... كـآدَمَ حِـيـنَ أَخْـرَجَـهُ الـضّـرارُ
وكُـنْـتُ كـفـاقِـىءِ عَـيْـنَـيْـهِ عَـمْـداً ... فَـأَصْـبَـحَ مـا يُـضِـيءُ لـه الـنَّـهـارُ

وأخبرني بخبره مع النّوار أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن يحيى، عن أبيه يحيى بن علي بن حميد أنَّ النّوار لمّا كرهت الفرزدق حين زَوَّجها نفسَه لجأت إلى بني قيس بن عاصم المنقري ليمنعوها فقال الفرزدق فيهم: [الطويل]

بـنـي عـاصِـمٍ لا تـجـنـبـوهـا فـإنَّـكُـم ... مـلاجِـىءُ لـلـسَّـوْءاتِ دُسْـمُ الـعَـمـائِـمِ
بَـنـي عـاصِـمٍ لـو كـانَ حَـيّـاً أبـوكـم ... لـلامَ بَـنـيـهِ الـيَـوْمَ قَـيْـسُ بـنُ عـاصِـمِ

فبلغهم ذلك الشعر، فقالوا له: والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنَّك غيلة، وخَلَّوه والنوار. وأرادت منافرتَه[٣] إلى ابن الزبير، فلم يقدر أحدٌ على أن يُكرِيَها[٤] خوفاً منه. ثم إن قوماً من بني عديّ يقال لهم بنو أم النُّسَير أكروها، فقال الفرزدق: [الوافر]

ولـولا أن يَـقُـولَ بـنـو عَـدِيٍّ ... أَلَـمْ تَـكُ أُمَّ حَـنْـظَـلَـةَ الـنَّـوارُ
أَتَـتْـكُـم يـا بـنـي مِـلْـكـان عـنّـي ... قـوافٍ لا تُـقَـسّـمُـهـا الـتِّـجـارُ

وقال فيهم أيضاً:

---

(١) السواري: عواميد من الخشب.
(٢) الكسعي: رجل يضرب به المثل في الندامة على كسره قوسه.
(٣) المنافرة: المخاصمة.
(٤) يُكرِيها: يعطيها دابة بالكراء.

[الطويل]

لَعَمْرِي لقد أَرْدَى النّوارَ وساقَها إلى البورِ أَحْلامٌ خِفافٌ عُقولُها[1]
أطاعَتْ بني أُمِّ النُّسَيرِ فَأَصْبَحَتْ على قَتَبٍ يَعْلُو الفلاةَ دَلِيلُها[2]
وقد سَخِطَتْ مِنّي النّوارُ الذي ارْتَضَى به قَبْلَها الأزْواجُ خابَ رَحيلُها
وإنّ امْرَأً أَمْسَى يُخَبِّبُ زَوْجَتي كَساعٍ إلى أُسْدِ الشَّرى يَسْتَبِيلُها
ومن دُونِ أَبوابِ الأُسودِ بَسالَةٌ وبَسْطَةُ أَيدٍ يَمْنَعُ الضَّيْمَ طُولُها
وإنّ أميرَ المُؤمنينَ لعالِمٌ بِتأْويلِ ما وَصَّى العِبَادَ رسُولُها
فَدُونَكَها يابنَ الزُّبَيْرِ فإنَّها مُوَلَّعَةٌ يُوهِي الحِجارةَ قِيلُها[3]
وما جادلَ الأقْوامَ مِنْ ذي خصومةٍ كورهاء مَشْنوءٍ إليها حَلِيلُها[4]

فلما قدمت مكة نزلت على تماضر بنتِ منظور بن زَبّان زوجة عبد الله بن الزبير، ونزل الفرزدق بحمزة بن عبد الله بن الزبير، ومدحه بقوله: [الكامل]

أَمْسَيْتُ قد نَزَلَتْ بِحَمْزَةَ حاجَتِي إنَّ المُنَوَّهَ باسْمِهِ المَوْثوقُ
بأبي عمارةَ خَيْرِ مَنْ وَطِىءَ الحَصا وجَرَتْ له في الصَّالِحينَ عُروقُ
بَيْنَ الحَوارِيِّ الأَعَزِّ وهاشِمٍ ثُمَّ الخَلِيفةُ بَعْدُ والصِّدِّيقُ

غنّى في هذه الأبيات ابنُ سريج رملاً بالبنصر.

قال: فجعل أمرُ النَّوار يقوَى، وأمرُ الفرزدق يضعفُ، فقال: [البسيط]

أَمّا بَنُوهُ فَلَمْ تُقْبَلْ شَفَاعَتُهم وَشُفِّعَتْ بِنْتُ مَنْظُورِ بنِ زِبَّانَا

وقال ابن الزبير للنّوار: إن شئت فرقت بينكما، وقتلته فلا يهْجُونا أبداً، وإن شئت سيَّرته إلى بلاد العدو، فقالت: ما أريد واحدة منهما، فقال لها: فإنه ابن عمك وهو فيك راغب، فأُزوِّجُك إياه، قالت: نعم، فزوجها منه، فكان الفرزدق يقول: خرجنا ونحن متباغضان، فعدنا متحابَّين.

قال: وكان الفرزدق قال لعبد الله بن الزبير ـ وقد توجه الحكم عليه ـ إنما

---

(١) البور: الهلاك.
(٢) القتب: الرحل الصغير على قدر سنام البعير.
(٣) يوهي: يضعف، وقيلُها: قولها.
(٤) الورهاء: الحمقاء، والمشنوء: المبغض.

تريد أن أُفارقها فتَثِب عليها، وكان ابن الزبير حديداً[١]، فقال له: هل أنت وقومك إلا جالية[٢] العرب؟ ثم أمر به فأُقيم، وأقبل على مَن حضر، فقال: إن بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة، فاستلبوه، فاجتمعت العرب عليها لما انتهكت منه ما لم ينتهكه أحد قطّ، فأجلتها من أرض تِهامة، قال: فلقي الفرزدق بعضَ الناس، فقال: إيه يعيِّرنا ابن الزبير بالجلاء! اسمع، ثم قال:

[الوافر]

فَإِنْ تَغْضَبْ قُرَيْشٌ أو تَغَضَّب ... فَإِنَّ الأَرْضَ تُوعِبُها تَمِيمُ[٣]

هُم عَدَدُ النُّجُومِ وكُلُّ حَيٍّ ... سِواهُمْ لا تُعَدُّ لَهُ نُجُومُ

ولولا بَيْتُ مَكَّةَ ما ثَوَيْتُم ... بِها صَحَّ المَنابِتُ والأُرومُ

بِها كَثُرَ العَدِيدُ وطابَ مِنْكُم ... وغَيْرُكُم أخِيذُ الرِّيشِ هِيمُ[٤]

فَمَهْلاً عَنْ تَعَلُّلِ مَنْ غَدَرْتُم ... بِخَوْنَتِهِ وعَذَّبَهُ الحَمِيمُ

أَعَبْدَ اللَّهِ مَهْلاً عَنْ أذاتي ... فإنّي لا الضَّعِيفُ ولا السَّؤومُ

ولكِنِّي صَفاةٌ لَمْ تُدَنَّسْ ... تَزِلُّ الطَّيْرُ عنها والعُصومُ[٥]

أنا ابن العاقِرِ الخُورَ الصَّفايا ... بِضَوّى حِينَ فُتِّحَتِ العُكومُ[٦]

قال: فبلغ هذا الشّعرُ ابنَ الزبير، وخرج للصلاة فرأى الفرزدق في طريقه، فغمز عنقَه، فكاد يدقها، ثم قال: [الطويل]

لَقَدْ أَصْبَحَتْ عِرْسُ الفَرَزْدَقِ ناشِزاً ... ولو رَضِيت رُمحَ اسْتِه لاستَقرّت

وقال: هذا الشعر لجعفر بن الزبير. وقيل: إن الذي كان تقرَّر عليه عشرةُ آلاف درهم، وإنّ سَلْمَ بنَ زيادٍ أمر له بعشرين ألف درهم مهْراً ونفقة، فقبضها، فقالت له زوجته أمّ عثمان بنتُ عبد الله بن عمرو بن أبي العاص الثقفيّة: أتعطي عشرين ألف درهم وأنت محبوس؟ فقال:

---

(١) حديداً: سريع الغضب.

(٢) الجالية: المبعدون عن أرضهم ووطنهم.

(٣) توعبها: تأخذها كلها.

(٤) أخيذُ الريش: مهيض الجناح، والهيم: النوق العطاش.

(٥) الصفاة: الصخرة. والعصوم: الأوساخ.

(٦) الخُور: جمع خوّارة وهي الناقة الغزيرة اللّبن. والصّفايا: جمع صفية، وهي المنتقاة. وضوّى: موضع. والعكوم: جمع عكم، وهو ما يحمل من طعام على الظهر.

أَلا بَكَرَتْ عِرْسِي تَلُومُ سَفاهَةً على ما مَضَى مِنِّي وتَأْمُرُ بالبُخْلِ
فَقُلْتُ لها ـ والجُودُ مِنِّي سَجِيَّةٌ ـ: وهل يَمْنَعُ المَعْروفَ سُؤالَهُ مِثلي
ذَرِيني فإِنِّي غَيْرُ تارِكٍ شِيمَتي ولا مُقصرٍ طُولَ الحياةِ عَنِ البَذْلِ[1]
ولا طاردٍ ضيفي إذا جاءَ طارِقاً وقد طَرَقَ الأَضيافُ شَيْخِيَ مِنْ قَبْلي[2]
أأبخَلُ؟ إن البُخْلَ ليس بمُخْلِدي ولا الجُودُ يدنيني إلى المَوْتِ والقتلِ
أبيعُ بني حَرْبٍ بآلِ خُوَيْلدٍ! وما ذاكَ عند الله في البيعِ بالعَدْلِ[3]
وليس ابنُ مروانَ الخليفةُ مشبهاً لفحلِ بَني العوَّام، قُبِّحَ مِنْ فَحْلِ
فإن تُظهرُوا ليَ البخلَ آلَ خُوَيْلدٍ فما دأبكم دأبِي ولاَ شَكْلُكم شَكْلِي
وإن تَقْهَروني حِينَ غابَتْ عَشِيرتي فَمِنْ عَجَبِ الأيامِ أنْ تَقْهَروا مِثلي

فلما اصطلحا ورضيت به، ساق إليها مهرها، ودخل بها، وأحبلها قبل أن يخرج من مكة. ثم خرجا وهما عديلان في محمل.

وأخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلاَّم، عن إبراهيم بن حبيب بن الشّهيد بنحو من هذه القصة.

قال عُمر بنُ شبَّة: قال الفرزدق في خبره: [البسيط]

يا حَمْزَ هل لكَ في ذي حاجةٍ عَرَضَتْ أنضاؤهُ بمكانٍ غَيْرِ مَمْطورِ[4]
فَأَنْتَ أَحْرى قُرَيْشٍ أَنْ تَكونَ لها وأَنت بين أبي بَكْرٍ ومَنْظُورِ
بين الحَوارِيِّ والصِّدِّيقِ في شُعَبٍ ثَبَتْنَ في طُنُبِ الإسْلامِ والخِيرِ[5]

أخبرنا أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلاّم قال: حدثنا عبد القاهر بن السّريّ السلمي، قال: كان فتى من بني حرام شويعر هجا الفرزدق، قال: فأخذناه، فأتينا به الفرزدق وقلنا: هذا بين يديك فإن شئت فاضرب، وإن شئت فاحلق، فلا عَدْوى عليك ولا قصاص، قد برئنا إليك منه، قال: فخلّى سبيله وقال:

---

(١) البذل: العطاء.
(٢) شيخي: أبي، أو جدّي. وطرق: أتى ليلاً يطلب المعروف.
(٣) خويلد: أبو العوام جدّ عبد الله بن الزبير.
(٤) الأنضاء: جمع نضو، وهو المهزول من الإبل.
(٥) الحواري: هو الزبير بن العوام. والصدّيق: أبو بكر بن أبي قحافة. والخِير: بكسر الخاء: الكرم والشرف.

[الوافر]

فَـمَـنْ يَـكُ خـائِـفـاً لأذاةِ شِـعْـري ... فَـقَـدْ أمِـنَ الـهِـجـاءَ بَـنُـو حـرام

هـم قـادوا سَـفِـيـهَـهُـم وخـافـوا ... قـلائِـدَ مِـثْـلَ أطـواقِ الـحَـمـامِ

قال ابن سلام: وحدثني عبد القاهر قال: مرّ الفرزدق بمجلسنا مجلس بني حرام ومعنا عنبسة مولى عثمان بن عفان، فقال: يا أبا فِراس، متى تذهب إلى الآخرة؟ قال: وما حاجتك إلى ذاك يا أخي؟ قال: أكتب معك إلى أبي، قال: أنا لا أذهب إلى حيث أبوك، أبوك في النار، اكتب إليه مع ريالويه واصطقانوس.

أخبرني الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه قال: أخبرني مخبر، عن خالد بن كلثوم الكلبيّ، قال: مررتُ بالفرزدق، وقد كنت دوّنت شيئاً من شعره وشعر جرير، وبلغه ذلك، فاستجلسني، فجلست إليه، وعذت بالله من شره، وجعلت أُحدثه حديث أبيه وأذكر له ما يعجبه، ثم قلت له: إني لأذكر يوم لَقّبَك بالفرزدق، قال: وأي يوم؟ قلت: مررت به وأنت صبيّ، فقال له بعضُ من كان يجالسه: كأنّ ابنَك هذا الفرزدقُ دهقان[1] الحيرة في تيهه وأُبَّهته، فسمَّاك بذلك، فأعجبه هذا القول، وجعل يستعيد، ثم قال: أنشدني بعضَ أشعار ابن المراغة[2] فيّ، فجعلت أُنشده، حتى انتهيت، ثم قال: فأنشد نقائضها التي أجبته بها، فقلت: ما أحفظها، فقال: يا خالد، أتحفظ ما قاله فيّ ولا تحفظ نقائضَه؟ والله لأهجوَنّ كلباً هجاءً يتصل عارُه بأعقابها إلى يوم القيامة، إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أو تحفظها وتنشدنيها، فقلت: أفعلْ فلزمته شهراً، حتى حفظت نقائضها، وأنشدته إياها خوفاً من شره.

[بعض أخباره، والمهاجاة بينه وبين جرير]

أخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني الأصمعي قال: تزوج الفرزدق حَذْراء بنت زِيقِ بنِ بِسْطام بن قيس الشيباني، وخاصمته النّوار وأخذت بلحيته، فجاذبها وخرج عنها مُغضَباً وهو يقول:

قـامَـتْ نَـوَّارُ إلـيَّ تَـنـتِـفُ لِـحْـيَـتـي ... تَـنْـتـافَ جـعـدةَ لِـحْـيَـةَ الـخـشـخـاشِ

(١) الدهقان: رئيس الإقليم أو رئيس القرية (معرّب).

(٢) ابن المراغة: يقصد جريراً، والمراغة: الأتان.

كِلْتاهُما أسدٌ إذا ما أُغْضِبَتْ ... وإذا رَضِينَ فَهُنَّ خَيْرُ مَعاشِ

قال: والخشخاش رجل من عَنَزة، وجعدةُ امرأته، فجاءت جعدةُ إلى النّوار، فقالت: ما يريد مني الفرزدق؟ أما وجد لامرأته أسوة غيري.

وقال الفرزدق للنوار يفضّل عليها حدراءَ:

[الطويل]

لَعَمْرِي لأعرابيَّةٌ في مَظلّةٍ ... تَظلُّ برَوقَيْ بَيْتِها الرِّيحُ تخْفُقُ[1]
أَحَبُّ إلينا مِنْ ضِنَاكٍ ضِفَنَّةٍ ... إذا وُضِعَتْ عنها المراويحُ تَعْرَقُ[2]
كريمِ غزالٍ أو كُدرَّةِ غائصٍ ... يكاد - إذا مَرَّتْ - لها الأرضُ تُشْرِقُ

فلما سمعت النوار ذلك أرسلت إلى جرير، وقالت للفرزدق: والله لأُخزينَّك يا فاسق! فجاء جرير، فقالت له: أما ترى ما قال الفاسق، وشكته إليه، وأنشدته شعرَه، فقال جرير: أنا أكفيك، وأنشأ يقول: [الطويل]

ولَسْت بمعطي الحُكْم عَنْ شَفٍّ منصبٍ ... ولا عن بَناتِ الحَنْظَلِيِّينَ راغِبُ[3]
وهنّ كماءِ المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدى ... وكانت مِلاحاً غيرَهُنَّ المشارِبُ[4]
لقد كُنْتَ أَهْلاً أَنْ يَسُوقَ دِياتِكُم ... إلى آلِ زِيقٍ أَنْ يَعِيبَك عائِبُ
وما عَدَلَتْ ذاتُ الصَّلِيبِ ظَعِينةٌ ... عُتَيْبةُ والرِّدفانِ منها وحاجِبُ[5]
أأهْديتَ يا زِيقُ بنَ بسْطامَ ظَبيةً ... إلى شَرِّ مَنْ تُهْدى إليه القرائبُ
ألا رُبَّما لَمْ نُعْطِ زِيقاً بحُكمِهِ ... وأدّى إلينا الحُكْمَ والغُلُّ لازبُ[6]
حَوَيْنَا أبا زِيقٍ وزِيقاً وعمَّهُ ... وجَدَّةُ زِيقٍ قد حَوَتْها المقانِبُ[7]

فأجابه الفرزدق فقال:

---

(١) الروقان: تثنية روق، وهو الرواق، مقدَّم البيت.
(٢) الضناك: الموثقة الخلق، الشديدة. (للمذكر والمؤنث) والضِّفِنَّة: الحمقاء السمينة القصيرة.
(٣) الشفّ: الفضل.
(٤) المزن: السحاب. والصدى: العطش. والملاح: هنا من الملوحة لا من الملاحة.
(٥) ذات الصليب: النصرانية. والظعينة: الزوجة. وعتيبة: هو ابن الحارث بن شهاب. والردفان: هما عتاب بن هرمي، وعوف بن عتاب بن هرمي. وحاجب: هو ابن زرارة. والردف: هو خليفة الملك النائب عنه.
(٦) زيق: هو أبو حدراء. والغل: القيد. ولازب: لازم.
(٧) المقانب: جمع مقنب: وهو جماعة الخيل.

[الطويل]

تَقُولُ كُلَيْبٌ حِينَ مَثَّت سِبالُها ... وأعشَبَ مِنْ مرُوتِها كُلُّ جانبِ[(١)]

لِسوّاقِ أغنامٍ رَعَتْهُنَّ أُمُّهُ ... إلى أن علاها الشَّيْبُ فَوْقَ الذَّوائبِ[(٢)]

ألستَ إذا القَعْساءُ مَرّتْ براكبٍ ... إلى آلِ بِسطام بنِ قَيْسٍ بخاطبِ[(٣)]

وقالوا: سَمِعْنا أنّ حَدْراءَ زُوِّجَتْ ... على مائَةٍ شُمّ الذُّرى والغواربِ[(٤)]

فلو كُنْتَ مِنْ أكفاءِ حَدْراءَ لم تلُمْ ... على دارِميٍّ بَيْنَ لَيْلى وغالبِ

فَنَلْ مِثْلَها مِنْ مِثْلِهِمْ ثُمَّ أُمَّهم ... بِمِلكِكَ مِنْ مالٍ مُراحٍ وعازبِ

وإنّي لأخْشى إنْ خَطَبْتَ إليهمُ ... عليك الذي لاقى يسارُ الكَوَاعبِ[(٥)]

ولو تنكِحُ الشّمْسُ النُّجومَ بناتِها ... نَكَحْنا بناتِ الشَّمْسِ قَبْلَ الكَواكبِ

وفي المناقضات التي دارت بين الفرزدق وجرير حول زواج بنت زيق، قال جرير أبياته التي أولها:

يا زِيقُ أنَكَحْتَ قَيْناً في اسْتِهِ حَمَمٌ ... يا زِيقُ ويْحَكَ مَنْ أنْكَحْتَ يا زِيقُ[(٦)]

أينَ الألى أنْزَلُوا النُّعْمانَ ضاحِيَةً ... أمْ أيْنَ أبناءُ شَيْبانَ الغرانيقُ؟[(٧)]

يا رُبَّ قائِلَةٍ بَعْدَ البِناءِ بِها: ... لا الصِّهرُ راضٍ ولا ابنُ القينِ مَعْشوقُ

غابَ المُثَنّى فَلَمْ يَشْهَدْ نَجِيَّكُما ... والحَوْفزانُ ولَم يَشْهَدْكَ مَفروقُ[(٨)]

والفرزدق يقول لجرير: [البسيط]

إنْ كانَ أنفُكَ قد أعْياكَ تَحْمِلُهُ ... فارْكَبْ أتانَكَ ثُمَّ اخْطُبْ إلى زِيقِ

أخبرني الحسن بن يحيى، عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي، عن

---

(١) مث: أخصبت. والسبال: السنابل. والمروت: مفردها مرت، وهو القفر لا نبات به.

(٢) سواق أغنام: أراد جريراً.

(٣) القعساء: الفرس إذا اطمأنت صهوتها وارتفعت قطاتها.

(٤) الذرى: جمع ذروة وهي السنام. والغوارب: جمع غارب وهو الظهر.

(٥) يسار الكواعب: عبد كان لسيدة من بني غدانة فطمع فيها وطلب يدها وألحّ عليها، فتظاهرت بالقبول بعد أن تجمره. واحتالت عليه فاستأصلت قضيبه بمدية كانت معها، فجعل يصيح: مرحباً بمجامر الكريم، فذهبت مثلاً.

(٦) القين: الحداد. والحمم: آثار الاحتراق.

(٧) الألى: الذين. والغرانيق: جمع غرنوق، وهو الشاب الممتلى، الناعم.

(٨) المثنى: هو ابن حارثة الشيباني. والحوفزان: هو الحارث بن شريك. ومفروق: هو النعمان بن عمرو الأصم.

زكريا بن ثباة الثقفي قال: أنشدني الفرزدق قصيدته التي رثى فيها ابنه، فلما انتهى إلى قوله: [الطويل]

بِفي الشَّامِتِينَ الصَّخْرُ إنْ كانَ مَسَّني رَزِيَّةُ شِبْلٍ مُخْدِرٍ في الضَّراغِمِ

قال: يا أبا يحيى، أرأيت ابني؟ قلت: لا، قال: والله ما كان يساوي عباءَته.

قال إسحاق: حدثني أبو محمد العبديّ، عن اليربوعيّ، عن أبي نصر قال: قدم لبطةُ بن الفرزدق الحيرة، فمَرَّ بقوم من بني تغلب فاستَقْراهم[1] فقروه، ثم قالوا له: من أنت؟ قال: ابن شاعركم ومَادِحكم، وأنا والله ابن الذي يقول فيكم [الكامل]

أَضْحَى لِتَغْلِبَ مِنْ تَمِيمٍ شاعِرٌ يَرْمي الأعاديَ بالقَريضِ الأَثْقَلِ
إن غابَ كَعْبُ بني جُعَيلٍ عنهم وتَنَمَّر الشُّعراءُ بعد الأَخْطَلِ[2]
يَتَباشَرونَ بِمَوْتِهِ وَوَراءَهُم مِنّي لهم قِطَعُ العذابِ الْمُرْسَلِ

فقالوا له: فأنت ابن الفرزدق إذاً، قال: أنا هو، فتنادَوا: يا آل تغلب، اقضوا حق شاعركم والذائد عنكم في ابنه، فجعلوا له مائة ناقة، وساقوها إليه، فانصرف بها.

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلاّم قال: أتى الفرزدق عبدَ الله بن مُسلِم الباهِليّ فسأله فثَقُل عليه الكثير، وخَشِيه في القليل، وعنده عمرو بن عفْراء الضّبيُّ راوية الفرزدق وقد كان هجاه جرير لروايته للفرزدق في قوله: [الطويل]

ونُبِّئْتُ جوَّاباً وسَلْماً يَسُبُّني وعمرو بن عِفْرى، لا سلامٌ على عمرو

فقال ابنُ عفراءَ للباهِليّ: لا يهولنّك أمره، أنا أُرضيه عنك فأرضاه بدون ما كان هَمّ له به، فأعطاه ثلاثمائة درهمٍ، فقبلها الفرزدق ورضي عنه، فبلغه بعد ذلك صنيعُ عمرو فقال: [الطويل]

سَتَعْلَمُ يا عَمْرو بن عفْرى مَنِ الذي يُلامُ إذا ما الأَمْرُ غَبَّتْ عواقِبُهْ[3]

---

(١) استقرى: طلب القرى.

(٢) كعب بن جعيل: شاعر مخضرم بين الجاهلية والإسلام، وكان شاعر كليب.

(٣) غبت عواقبه: اقتربت أواخره، بلغ مداه.

نَهَيْتُ ابنَ عِفرى أنْ يُعَفِّرَ أُمَّهُ ... كَعَفْرِ السَّلا جرَّرَتْهُ ثَعالبُه[(١)]
فلو كنت ضَبِّيّاً صفحتُ ولو سَرَتْ ... على قَدَمِي حيَّاتُهُ وعقاربه
ولكنْ دِيافِيٌّ أبوهُ وأُمُّهُ ... بحوْرانَ يعصِرْنَ السَّليطَ أقاربه[(٢)]
ولما رأى الدّهنا رَمَتْهُ جبالُها ... وقالت دِيافيٌّ مَعَ الشَّام جانبه[(٣)]
فإنْ تَغْضَبِ الدَّهنا عليك فما بها ... طريقٌ لمرتادٍ تُقادُ رَكائبُه
تضِنُّ بمالِ الباهليّ كأنّما ... تَضِنُّ على المالِ الذي أنت كاسِبُه
وإنّ امْرَأً يَغْتابُني لَمْ أطأْ لَه ... حَريماً ولا يَنْهاهُ عنِّي أقارِبُه
كمحتَطِبٍ يَوْماً أساوِدَ هَضْبةٍ ... أتاه بها في ظُلْمةِ اللَّيْلِ حاطبُه[(٤)]
أَحِينَ الْتَقى ناباي وابْيَضَّ مِسْحَلي ... وأَطْرَقَ إطْراقَ الكَرَى مَنْ يُجانِبه[(٥)]

فقال ابن عفراء، وأتاه في نادي قومه: اجهَد جهدك، هل هو إلا أن تسبني، والله لا أدع لك مساءة إلا أتيتُها، ولا تأمرني بشيء إلا اجتنبتُه ولا تنهاني عن شيء إلا ركبتُه، قال: فاشهدوا أني أنهاه أن ينيك أُمه، فضحك القوم وخجل ابن عِفْرى.

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثنا شعيب بن صخر قال: تزوج ذبيان بن أبي ذبيان العَدَوي من بَلْعُدَوية، فدعا الناس في وليمته، فدعا ابن أبي شيخ الفُقيميّ، فألفى الفرزدق عنده، فقال له: يا أبا فراس، انهض، قال: إنه لم يدعني، قال: إن ابن ذبيان يُؤتَى وإن لم يَدْعُ، ثم لا تخرج من عنده إلا بجائزة فأتياه، فقال الفرزدق حين دخل: [البسيط]

كم قالَ لي ابنُ أبي شَيْخ وقُلْتُ له: ... كَيْفَ السَّبيلُ إلى مَعْروفِ ذُبيانِ
إنَّ القَلوصَ إذا أَلْقَتْ جآجئها ... قُدَّامَ بابِكَ لم نرحلْ بحِرمانِ[(٦)]

قال: أجل يا أبا فراس فدخل فتغدى عنده، وأعطاه ثلاثمائة دِرْهم.

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: حدثني أبو بكر المدنيّ قال:

---

(١) السلا: غشاء يحيط بالجنين عند الولادة.

(٢) ديافيّ: نسبة إلى دياف، قرية من قرى الشام، وأهلها نبط الشام. والسليط: الزيت المستخرج من الحبوب.

(٣) الدهنا: الدهناء، يقصر ويمدّ. (انظر معجم البلدان ٢/ ٤٩٣).

(٤) الأساود: جمع أسود، وهو من أعظم الحيات.

(٥) المسحل: جانب اللحية.

(٦) القلوص: الناقة الفتية. والجآجيء: جمع جؤجؤ، وهو الصدر. وألقى الجمل جؤجؤه: برك.

دخل الفرزدق المدينة فوافق فيها موتَ طلحةَ بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهريّ ـ وكان سيداً سَخِيّاً شريفاً ـ فقال: يا أهل المدينة، أنتم أذل قوم الله، قالوا: وما ذاك يا أبا فراس؟ قال: غلبكم الموت على طلحة حتى أخذه منكم.

وأتى مكة، فأتى عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحيّ ـ وهو سيد أهل مكة يومئذ ـ وليس عنده نقد حاضر، وهو يتوقع أعطيته وأعطية ولده وأهله، فقال: والله يا أبا فراس، ما وافقت عندنا نقداً، ولكن عُروضاً[(١)] إن شئت، فعندنا رقيق فُرْهَةٌ[(٢)]، فإن شئت أخذتهم، قال: نعم، فأرسل له بوُصَفاء من بنيه وبني أخيه، فقال: هم لك عندنا حتى تشخص، وجاءَه العطاء، فأخبره الخبر وفداهم، فقال الفرزدق ونظر إلى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان يطوف بالبيت الحرام يتبختر: [البسيط]

لو كُنْتَ عمرَو بنَ عبد الله لم تزدِ ... تَمْشي تَبَخْتَرُ حَوْلَ البَيْتِ منتخَباً

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثنا عامر بن أبي عامر ـ وهو صَالح بن رستم الخراز ـ قال: أخبرني أبو بكر الهذلي قال: إنا لجلوس عند الحسن إذ جاء الفرزدق يتخطى حتى جلس إلى جنبه، فجاء رجل، فقال: يا أبا سعيد، الرجل يقول: لا والله، وبلى والله في كلامه، قال: لا يريد اليمين، فقال الفرزدق: أو ما سمعتَ ما قلت في ذلك؟ قال الحسن: ما كُلَّ ما قلت سمعوا فما قلت؟ قال: قلت: [الطويل]

ولستَ بِمَأخوذٍ بِلَغْوٍ تَقُولُهُ ... إذا لم تعمَّدْ عاقداتِ العزائمِ

قال: فلم ينشب أن جاء رجل آخر، فقال: يا أبا سعيد. نكون في هذه المغازي فنصيبُ المرأة لها زوج، أفيحِلّ غِشيانُها وإن لَمْ يُطَلقها زوجها؟ فقال الفرزدق: أو ما سمعت ما قلتُ في ذلك؟ قال الحسن: ما كُلَّ ما قلت سمعوا فما قلت؟ قال: قلت: [الطويل]

وذات حَليلٍ أنْكَحَتْنا رِماحُنا ... حلالاً لِمَنْ يَبْني بها لم تُطَلّق[(٣)]

(١) العروض: جمع عرض، وهو ما سوى النقود من مال.
(٢) رقيق فرهة: أراد عبيداً حساناً.
(٣) ذات الحليل: المتزوجة.

[متفرقات من شعره]

قال أبو خليفة: أخبرني محمد بن سلام، وأخبرني محمد بن جعفر قالا: أتى الفرزدقُ الحسنَ، فقال: إني هجوتُ إبليس فاسمع؟ قال: لا حاجة لنا بما تقول، قال: لتَسمعنّ أو لأخرجنّ، فأقول للناس: إن الحسن يَنْهَى عن هجاء إبليس، قال: اسكت فإنك بلسانه تنطق.

قال محمد بن سلام: أخبرني سلام أبو المنذر، عن علي بن زيد قال: ما سمعت الحسن متمثلاً شِعراً قط إلا بَيْتاً واحداً وهو قوله: [البسيط]

المـوتُ بـابٌ وكُـلُّ النـاسِ داخـلُـه ... فليتَ شعريَ بعد الباب ما الدَّار؟

قال: وقال لي يوماً: ما تقول في قول الشاعر:

لَـوْلا جَـرِيـرٌ هَـلَـكَـتْ بَـجِـيـلَـهْ ... نِـعْـمَ الـفَـتَـى وبِـئْـسَـتِ الـقَـبِـيـلَـهْ

أهجاه أم مدحه؟ قلت: مدحه وهجا قومه، قال: ما مُدِحَ مَنْ هُجِيَ قومُه.

وقال جرير بن حازم: ولم أسمعه ذكر شِعراً قط إلا: [الخفيف]

لَـيْـسَ مَـنْ مـاتَ فـاسْـتـراحَ بِـمَـيْـتٍ ... إنَّـمـا الـمَـيْـتُ مَـيِّـتُ الأحـيـاءِ

وقال رجل لابن سيرين وهو قائم يستقبل القبلة يريد أن يكَبِّر: أَيُتَوَضَّأُ من الشعر؟ فانصرف بوجهه إليه فقال: [الطويل]

ألا أَصْبَحَتْ عِـرْسُ الـفَـرَزْدقِ نـاشِـزاً ... ولـو رضِـيـتْ رُمـحَ اسْـتِـهِ لاسـتَـقَـرَّتِ

ثم كبَّر.

قال ابنُ سلاّم: وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مُقَلَّداً ـ والمُقَلَّدُ: المُغْني المشهورُ الذي يضرب به المثل ـ من ذلك قوله: [الطويل]

فـيـا عَـجَـبـاً حـتـى كُـلَـيْـبٌ تَـسُـبُّـني ... كـأنّ أبـاهـا نَـهْـشَـلٌ أو مُـجَـاشِـعُ[1]

وقوله: [الكامل]

لـيـس الـكِـرامُ بـنـاحِـلـيـكَ أبـاهُـمُ ... حـتـى يُـرَدَّ إلـى عـطـيـة نَـهْـشَـلُ[2]

---

(١) كليب: قبيلة جرير. ونهشل ومجاشع: من أجداد الفرزدق.

(٢) عطية: والد جرير.

وقوله: [الطويل]

وكـنّـا إذا الـجـبّـارُ صَـعَّـرَ خَـدَّهُ ضَـرَبْـنـاهُ حتى تَـسْـتَـقيـمَ الأَخـادِعُ[1]

وقوله: [الطويل]

وكُنْتَ كَـذِئْـبِ الـسُّـوءِ لـمـا رَأَى دَماً بـصـاحِـبِـهِ يَـوْماً أحـالَ عـلـى الـدَّمِ[2]

وقوله: [الطويل]

تُـرجِّـي رُبَـيـعٌ أن تـجـيءَ صـغـارُهـا بِـخَـيْـرٍ وقـد أَعْـيـا رُبَـيـعـاً كـبـارُهـا

وقوله: [الكامل]

أَكَـلَـتْ دوابِـرَهـا الإِكَـامُ فـمـشـيـهـا مـمـا وَجِـئْـنَ كـمِـشْـيـةِ الإِعـيـاءِ[3]

وقوله: [الطويل]

قـوارص تَـأْتـيـنـي وتَـحْـتَـقِـرُونَـهـا وقـد يَـمْـلأُ الـقَـطْـرُ الإِنـاءَ فَـيَـفْـعَـمُ[4]

وقوله: [الكامل]

أَحْـلاَمُـنـا تَـزِنُ الـجِـبـالَ رَزانـةً وتَـخـالُـنـا جِـنّـاً إذا مـا نَـجْـهَـل

وقوله: [الطويل]

وإنَّـكَ إِذْ تَـسْـعَـى لِـتُـدْرِكَ دارمـاً لأنـت الـمُـعَـنَّـى يـا جَـرِيـرُ الـمُـكَـلّـفُ

وقوله: [الطويل]

فـإِنْ تَـنْـجُ مِـنِّـي تَـنْـجُ مِـنْ ذي عَـظـيـمـةٍ وإلا فـإنّـي لا إخـالُـكَ نـاجِـيـا

وقوله: [الطويل]

تَـرَى كُـلَّ مَـظْـلـومٍ إِلـيـنـا فِـرارُهُ ويَـهْـرُبُ مـنـا جـهْـدَه كُـلُّ ظـالـمِ

وقوله: [الطويل]

---

(١) صعّر خده: أماله كبراً. والأخادع: جمع أخدع وهو أحد عرقين في جانب العنق.

(٢) أحال على الدم: أقبل عليه.

(٣) الدوابر: جمع دابرة، وهي العرقوب. والإكام: جمع أكمة، وهي الهضبة. ووجىء: أصابه الوجى، وهو رقة الحافر أو الخف من كثرة المشي. والإعياء: التعب.

(٤) يفعم: يمتلىء.

تَرَى النَّاسَ ما سِرْنا يَسيرونَ حَوْلَنا … وإنْ نَحْنُ أوْمَأْنا إلى النَّاسِ وقَّفوا

وقوله: [الطويل]

فسَيْفُ بني عَبْسٍ وقد ضربوا به … نَبا بيَدَيْ وَرْقاءَ عَنْ رأسِ خالدِ[١]

كذاكَ سُيوفُ الهِنْدِ تَنْبو ظباتها … ويَقْطَعْنَ أحياناً مَناطَ القَلائِدِ[٢]

وكان يُداخل الكلام، وكان ذلك يُعجب أصحابَ النحو، من ذلك قَوله يمدح هِشَامَ بنَ إسماعيل المخزوميّ خالَ هشام بن عبد الملك: [الكامل]

وأَصْبَحَ ما في الناسِ إلا مُمَلَّكاً … أبو أمه حَيٌّ أبوهُ يُقارِبُه

وقوله: [الكامل]

تالله قد سَفِهَتْ أميّةُ رَأْيها … فاسْتَجْهَلَتْ سُفهاؤها حلماءَها

وقوله: [الوافر]

أَلَسْتُم عائِجينَ بنا لعنَّا … نَرَى العَرصاتِ أو أثَرَ الخيام[٣]

فقالوا: إن فَعَلْتَ فأغنِ عنا … دُموعاً غَيْرَ راقِئةِ السّجام[٤]

وقوله: [الطويل]

فَهَلْ أنتَ إنْ ماتَتْ أتانُكَ راحِلٌ … إلى آلِ بِسطامِ بنِ قَيْسٍ فخاطِب

وقوله: [الطويل]

فَنَلْ مِثْلَها مِنْ مِثْلِهم ثُمَّ دُلَّهم … على دارِمِيٍّ بين ليلى وغالِب

وقوله: [الطويل]

تَعالَ فإنْ عاهَدْتَني لا تَخونُني … نَكُنْ مِثْلَ مَنْ - يا ذِئْبُ - يَصْطَحِبان

وقوله: [البسيط]

إنَّا وإيَّاكَ إنْ بَلَّغْنَ أرْحُلَنا … كمَنْ بِواديهِ بَعْدَ المَحْلِ مَمْطورُ

---

(١) يشير إلى مقتل زهير بن جذيمة حين أمسك به غريمه فأراد ورقاء إنقاذ أبيه فضرب خالداً فنبا السيف في يده، فقتله أحد أعوان خالد.

(٢) الظبات: جمع ظبة وهي حدّ السيف. ومناط القلائد: موضع تعليق القلائد.

(٣) لعنّا: لعلنا. والعرصات: جمع عرصة، وهي البقعة الواسعة بين الدور.

(٤) غير راقئة السجام: أي دائمة السيلان.

وقوله: [الوافر]

بَـنـى الـفـاروقُ أُمَّـكَ وابـنُ أَرْوَى ... بـه عـثـمـان مـروان الـمـصـابـا[1]

وقوله: [الطويل]

إلـى مَـلِـك مـا أمُّـه مِـنْ مُـحـارب ... أبـوهُ ولا كـانـت كُـلَـيْـبٌ تُـصـاهِـرُه

وقوله: [الطويل]

إلـيـك أمـيـرَ الـمُـؤمِـنـيـنَ رَمَـتْ بـنـا ... هُمومُ المنا والهَوْجَلِ المتعسّف[2]

وعـضّ زمـانٌ يـابـن مـروانَ لـم يَـدَعْ ... مِنَ المالِ إلا مُسحتاً أو مُجلَّف[3]

وقوله: [الكامل]

ولـقـد دنـت لَـكَ بـالـتَّـخَـلُّـفِ إذْ دنَـت ... مـنـهـا بـلا بَـخَـلٍ ولا مَـبْـذولِ

وكَـأنَّ لَـوْنَ رُضـابِ فـيـهـا إذ بـدا ... بَـرَدٌ بـفـرع بَـشـامـةٍ مَـصْـقـولُ[4]

وقوله فيها لمالك بن المنذر:

إنّ ابـن ضـبّـارى ربـيـعـةَ مـالِـكـاً ... لله سَـيْـف صـنـيـعـةٍ مَـسْـلـولُ

مـا نـالَ مِـنْ آلِ الـمُـعَـلَّـى قَـبْـلَـهُ ... سَـيْـفٌ لِـكُـلِّ خَـلـيـفـةٍ ورسُـولُ

مـا مِـنْ يَـدَيْ رَجُـلٍ أَحَـقُّ بـمـا أتـى ... مِـنْ مَـكْـرُمـات عـطـايـة الأخـطـارِ

مِـنْ راحَـتَـيْـنِ يَـزيـدُ يَـقْـدحُ زِنْـدَهُ ... كـفّـاهُـمـا وَيَـشُـدُّ عـقـد جـوارِ

وقوله: [الطويل]

إذا جِـئْـتَـهُ أَعْـطـاكَ عَـفْـواً ولـم يَـكُـنْ ... على مالِهِ حالَ النَّدى مِنْكَ سائِلُه

لَـدَى مـلـك لا تـنـصـف الـنَّـعْـلُ سـاقَـهُ ... أجل لا، وإن كانَتْ طُوالاً حمائِلُه

وقوله: [الكامل]

---

(١) الفاروق: عمر بن الخطاب. وابن أروى: عثمان بن عفان. والبيت خطأ، إذ ورد في نهاية أخبار الفرزدق على الوجه الآتي:

نـمـا الـفـاروق أُمَّـك وابـنُ أروى ... أبـوك فـأنـت مـنـصـدَع الـنـهـار

قاله ضمن أبيات مدح بها عبد الله بن عمرو بن عثمان.

(٢) الهوجل المتعسف: الدليل السائر على غير هدى.

(٣) المسحت: الخبيث. والمجلف: الموقع صاحبه في الجدب. وفي البيتين إقواء.

(٤) رضاب فيها: ريق فمها. وأراد بالبرد هنا: أسنانها.

والشَّيْبُ يَنْهَضُ في الشَّبابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَسيرُ بِجانِبَيْهِ نَهار

[صدقه في المديح]

قال أبو خليفة: أخبرنا محمد بن سلام قال: حدثني شعيب بن صخر، عن محمد بن زياد، وأخبرني به الجوهري وجَحْظة عن ابن شَبّة، عن محمد بن سلام، وكان محمد في زمام الحجاج زماناً قال: انتهيت إلى الفرزدق بعد موت الحجاج بالرّدَم[1] وهو قائم والناس حوله ينشد مديح سليمان بن عبد الملك: **[الطويل]**

وكم أَطْلَقَتْ كَفَّاكَ مِنْ غلّ بائسٍ ومِنْ عُقدةٍ ما كان يُرجَى انْحِلالُها
كثيراً مِنَ الأَيْدي التي قد تَكتَّفَتْ فَكَكْتَ وأَعْناقاً عليها غِلالُها[2]

قال: قلت: أنا والله أحدُهم، فأخذ بيدي وقال: أيها الناس سلوه عما أقول والله ما كذبت قطّ.

أخبرني جحظة قال: حدثني ابن شبة، عن محمد بن سلاّم فذكر مثلَه وقال فيه: والله ما كذبت قط ولا أكذب أبداً.

[بعض أخباره وشعره]

قال أبو خليفة: قال ابن سلام: وسمعت الحارث بن محمد بن زياد يقول: كتب يزيدُ بن المهلب لما فتح جُرْجَان إلى أخيه مدركَة أو مروان: احمل إليّ الفرزدق، فإذا شخص فأعط أهلَه كَذَا وكذا؛ ذكر عشرة آلاف درهم، فقال له الفرزدق: ادفعها إليّ، قال: اشخص وأَدْفَعُها إلى أهلِك، فأَبَى وخرج وهو يقول:

[الطويل]

دعاني إلى جُرجانَ والرّيُّ دُونَهُ لآتِيَهُ إنِّي إذاً لَزَؤُورُ[3]
لآتيَ مِنْ آلِ المُهَلَّبِ ثائِراً بأعراضِهم والدَّائراتُ تَدُورُ
سَآبَى وتأبى لي تَميمٌ وربما أبَيْتُ فلم يَقْدِرْ عَلَيَّ أميرُ

---

(١) الردم: هو ردم بني جمح، وهو موضع بمكة.

(٢) الغلال: جمع غلّ، وهو القيد، وفي لسان العرب: جمع غل أغلال ولا يجمع جمع تكسير غير ذلك.

(٣) الرّيُّ: مدينة مشهورة بإيران. (معجم البلدان ٣/ ١١٦). وزؤور: كثير الزيارة.

قال أبو خليفة: قال ابن سلاَّم: وسمعت سلمة بنَ عَيَّاش قال: حُبِسْت في السجن، فإذا فيه الفرزدق قد حبسه مالِكُ بن المنذر بن الجارود، فكان يريد أن يقول البيت فيقول صدره وأسبقه إلى القافية، ويجيء إلى القافية فأسبقه إلى الصدر، فقال لي: مِمّن أنت؟ قلت: من قريش قال: كُلُّ أيْرِ حِمارٍ من قريش؛ من أيِّهم أنت؟ قلت: من بني عامر بن لؤي، قال: لئام والله أذلة، جاورتُهم فكانوا شَرّ جيران، قلت: ألا أُخبرك بأذَلّ منهم وألأم؟ قال: من؟ قلت: بنو مُجاشع، قال: ولم ويلك! قلت: أنت سيدهم وشاعرهم وابنُ سيدهم، جاءك شرطي مالك، حتى أدخلك السجن، لم يمنعوك. قال: قاتلك الله.

قال أبو خليفة: قال ابن سلاّم: وكان مسلمة بن عبد الملك على العراق بعد قتل يزيد بن المهلب فلبث بها غيرَ كثير، ثم عزله يزيد بن عبد الملك، واستعمل عمر بن هبيرة على العراق فأساءَ عَزْل مسلمة، فقال الفرزدق وأنشدنيه يونس: [الكامل]

وَلَّتْ بِمَسْلَمَةَ الرِّكابُ مُودَّعاً ... فارعَيْ فزارةُ لا هَناكِ المَرْتَعُ
فسد الزَّمانُ وبُدِّلَتْ أعْلامُهُ ... حتى أميّةُ عَنْ فَزارةَ تنْزِعُ[1]
ولقد عَلِمْتُ إذا فَزارةُ أُمِّرَتْ ... أنْ سَوْفَ تَطْمَعُ في الإمارةِ أشْجَعُ[2]
وبِحَقِّ رَبِّكَ ما لهم ولِمِثْلِهم ... في مِثْلِ ما نالَتْ فَزارةُ مَطْمَعُ
عُزِل ابنُ بِشْرٍ وابنُ عَمْرٍو قَبْلَهُ ... وأخو هَراةَ لِمِثْلِها يَتَوَقَّعُ

ابن بشر: عبد الملك بن بشر بن مروان، كان على البصرة، أمَّرَه عليها مسلمة. وابن عمرو: سعيد بن حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط، وأخو هراة: عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاصي.

ويروى للفرزدق في ابن هبيرة: [الوافر]

أمِيرَ المؤمنينَ وأنت عَفٌّ ... كريمٌ لَسْتَ بالطَّبِعِ الحَريصِ[3]
أولَّيْتَ العِراقَ ورافِدَيْهِ ... فزاريّاً أحَذَّ يَدِ القَميصِ[4]
ولم يَكُ قَبْلَها راعي مَخاضٍ ... لِتَأمَنَهُ على وَرِكَيْ قَلُوصِ

(١) تنزع: تكفّ أذاها.

(٢) أشجع: قبيلة عربية خاملة.

(٣) الطَّبِع: الدنيء، اللئيم. والحريص: البخيل.

(٤) أحذّ: مقطوع.

تَـفَـنَّـنَ بـالـعِـراقِ أبـو الـمُـثَـنَّـى ... وعَـلّـم أهْـلَـهُ أكْـلَ الـخَـبِـيـصِ

وأنشدني له يُونُس: [البسيط]

جَـهّـز فـإنَّـكَ مُـمْـتـارٌ ومُـبْـتَـعِـثٌ ... إلى فَزارةَ عِيراً تَحْمِلُ الكَمَرَا[1]

إنَّ الـفـزاريَّ لـو يَـعْـمَـى فَـأَطْـعَـمَـهُ ... أَيْرَ الحِمارِ طَبيبٌ أبْرأَ البَصَرَا

إنَّ الـفَـزارِيَّ لا يَـشْـفِـيـهِ مِـنْ قَـرَم ... أطايبُ العَيْرِ حتى يَنْهَشَ الذّكرا

يَـقُـولُ لـمّـا رأى مـا فـي إنـائِـهِـم: ... لله ضَـيْـفُ الـفَـزارِيِّـيـنَ مـا انْـتَـظَـرَا

فلما قدم خالد بن عبد الله القسريّ والياً على ابن هبيرة حبسه في السجن، فنُقِب له سَرَبٌ، فخرج منه، فهرب إلى الشام، فقال فيه الفرزدق يذكر خروجه:

ولـمـا رَأَيْـتَ الأرضَ قـد سُـدَّ ظـهـرُهـا ... ولـم تَـرَ إلا بَـطْـنَـهـا لـكَ مَـخْـرَجـا

دَعَـوْتَ الـذي نـاداهُ يُـونُـسُ بـعـد مـا ... ثَـوَى فـي ثـلاثٍ مُـظْـلـمـاتٍ فَـفَـرَّجـا

فَأَصْبَحْتَ تَحْتَ الأرضِ قد سِرْت ليلةً ... ومـا سـارَ سَـارٍ مِـثْـلَـهـا حِـيـنَ أَدْلَـجـا

خَرَجْتَ ولـم تَـمْـنُـنْ عـليك شَـفـاعـةٌ ... سِوَى رَبذِ التقريبِ مِنْ آلِ أعوجا[2]

أغـرّ مِـنَ الـحُـوِّ الـلَّـهـامـيـم إذ جَـرَى ... جَرَى بِكَ مَحْبوكُ القِرى غير أفحجا[3]

جـرى بـك عُـريـان الـحـمـاتَـيـن لـيـلَـهُ ... به عنك أرخى الله ما كانَ أشرجا[4]

ومـا احْـتـالَ مُـحْـتـالٌ كَـحِـيـلَـتِـهِ الـتـي ... بها نَفْسَهُ تَحْتَ الصّريمةِ أَوْلَجا[5]

وظَلماء تَحْتَ الأَرْضِ قد خُضْتَ هولَها ... ولَـيْـلٍ كَـلَـوْنِ الـطَّـيْـلَـسـانيّ أدْعـجـا[6]

هـمـا ظُـلْـمـتـا لَـيْـلٍ وأرضٍ تـلاقـتـا ... عـلـى جـامـعٍ مِـنْ هَـمّـه مـا تـعـوَّجـا

فحدثني جابر بن جندل قال: فقيل لابن هبيرة: من سيد العراق؟ قال: الفرزدق هجاني أميراً ومدحني سوقة. وقال الفرزدق لخالد القسري حين قدم العراق أميراً لهشام: [الطويل]

ألا قَـطَـعَ الـرَّحْـمـٰـنُ ظَـهْـرَ مَـطِـيَّـةٍ ... أَتَـتْـنـا تَـمَـطَّـى مِـنْ دِمَـشْـقٍ بِـخـالِـدِ

---

(١) الممتار: طالب الميرة.

(٢) ربذ التقريب: خفيف العدو. والأعوج: حصان عتيق تنسب إليه الخيول العربية.

(٣) الحوّ: جمع أحوى، وهو الذي خالط حمرته سواد. واللهاميم: جمع لهموم وهو السريع العدو. والقرى: الظهر. والأفحج: المتداني صدور القدمين المتباعد العقبين.

(٤) الحماتان: لحمتان في ساقي الفرس. وأشرج: أحكم الشدّ.

(٥) الصريمة: القطعة من الليل.

(٦) الطيلساني: الذي فيه طلسة، وهي السواد.

وكـيـف يَـؤُمُّ الـمُـسـلـمـيـنَ وأمُّـهُ تَـديـنُ بـأنّ الله لَـيْـسَ بـواحِـدِ
بَنَى بَيْعَةً فيها الصَّليبُ لأمِّهِ وهَـدَّمَ مِـنْ كُـفْـرٍ مَـنـارَ الـمـساجِـدِ

وقال أيضاً: [الكامل]

نَزَلَتْ بَجِيلَةُ واسِطاً فَتَمَكَّنَتْ وَنَـفَـتْ فَـزارةَ عَـنْ قـرارِ الـمـنـزل

وقال أيضاً: [الطويل]

لَعَمْري لَئِنْ كانَتْ بَجِيلةُ زانَها جَريرٌ لقد أَخْزَى بَجِيلَةَ خالِدُ

فلما قدم العِراقَ خالدٌ أميراً أمّر على شرطة البصرة مالِكَ بن المنذر بن الجارود، وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر يَدّعي على مالك قَرْيةَ[١]، فأبطلها خالد، وحفر النهر الذي سماه المباركَ، فاعترض عليه الفرزدق، فقال:

أَهْلَكْتَ مالَ الله في غَيْرِ حَقِّهِ على النَّهَرِ المَشْؤوم غَيْرِ المباركِ
وتَضربُ أَقْواماً صِحاحاً ظُهورُهُمْ وتَتْرُكُ حَقَّ الله في ظَهْرِ مالِكِ
أإنفاقَ مالِ الله في غَيْرِ كُنهِهِ ومَنْعاً لِحقِّ المرمِلاتِ الضَّرائِكِ[٢]

أخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعيّ قال: قال أعْيَن بن لبطة: دخل الفرزدق على الحجاج لما تزوج حدراء يستميحه مهرها، فقال له: تزوّجتُ أعرابيةً على مائة بعير، فقال له عنبسة بن سعيد: إنما هي فرائض قيمتُها ألفا درهم ـ الفريضة عشرون درهماً ـ فقال له الحجاج: ليس غيرَها، يا كعب، أعط الفرزدق ألفي درهم.

قال: وقدم الفُضيل العَنَزي بصدقات بكر بن وائل، فاشترى الفرزدق مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن يثبتها له في الديوان، قال الفرزدق: فصليت مع الحجاج الظهر حتى إذا سلّم، خرجت فوقفت في الدار فرآني، فقال مَهْيَمْ[٣]، فقلت: إن الفضيل العنزي قدم بصدقات بكر بن وائل، وقد اشتريت منه مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن تحتسب له في الديوان، فإن رأى الأمير أن يأمر لي بإثباتها له فعل، فأمر أبا كعب أن يثبت للفضيل ألفين وخمسمائة درهم، ونسي ما

---

(١) قرية: اسم يطلق على عدة مواضع. (انظر معجم البلدان ٤/ ٣٤٠).
(٢) المرملات: اللواتي فنيَ زادهنّ وافتقرن. والضرائك: جمع ضريكة، وهي الفقيرة.
(٣) مَهْيَمْ؟: ما شأنك؟.

كان أمر له به، قال: فلما جاءَ الفرزدق بالإبل قالت له النوار: خسرت صفقتك، أتتزوج أعرابية نصرانية سوداء مهزولة خمشاء الساقين[١] على مائة من الإبل؟ فقال يُعرِّض بالنّوار وكانت أمها وليدة[٢]: [الطويل]

لـجَـاريـةٌ بـيـن الـسّـلـيـلِ عـروقُـهـا ... وبـيـن أبـي الـصّـهـبـاءِ مِـنْ آلِ خـالـدِ
أحـقُّ بـإغـلاءِ الـمُـهـورِ مِـنَ الـتـي ... رَبَـتْ تَـتَـرَدَّى فـي حُـجـورِ الـوَلائـدِ

فأبت النوار عليه أن يسوقها كلها، فحبس بعضَها، وامتار عليه ما يحتاج إليه أهلُ البادية، ومضى ومعه دليل يقال له أوفى بن خنزير، قال أعين: فلما كان في أدنى الحي رأوا كبشاً مذبوحاً، فقال الفرزدق: يا أوفى، هلكت والله حدراء، قال: وما عِلمُك بذلك؟ قال: ويقال: إن أوفى قال للفرزدق: يا أبا فراس لن ترى حدراء، فمضوا حتى وقفوا على نادي زيق، وهو جالس، فرحب به، وقال له: انزل فإن حدراءَ قد ماتت، وكان زيق نصرانياً فقال: قد عرفنا أن نصيبك من ميراثها في دينكم النصف، وهو لك عندنا، فقال له الفرزدق: والله لا أرزؤك منه قطميراً، فقال زيق: يا بني دارم، ما صاهرنا أكرمَ منكم في الحياة ولا أكرم منكم شركة في الممات، فقال الفرزدق: [الطويل]

عَـجِـبْـتُ لـحـادِيـنـا الـمُـقَـحِّـم سيـرَه ... بـنـا مُـوجـعـاتٍ مِـنْ كَـلالٍ وظُـلَّـعَـا[٣]
لـيُـدنِـيـنَـا مِـمَّـنْ إلـيـنَـا لِـقـاؤُهُ ... حـبـيـبٌ ومِـنْ دارٍ أرَدْنـا لـتـجـمـعـا
ولـو نَـعْـلَـمُ الـغَـيْـبَ الـذي مِـنْ أمامِـنـا ... لـكـرّ بـنـا الـحـادي الـمَـطِـيّ فـأسْـرَعـا
يَـقُـولـونَ: زُرْ حَـدْراءَ والـتُّـربُ دُونـهـا ... وكـيـف بِـشَـيْءٍ وَصْـلُـهُ قـد تَـقَـطَّـعـا
يَـقُـولُ ابن خِـنـزيـر: بَـكَـيْـتُ ولـم تَـكُـنْ ... عـلـى امْـرأةٍ عَـيْـنـي إخـالُ لِـتَـدْمَـعـا
وأهـونُ رزءٍ لامْـرِيءٍ غـيـر جـازعٍ ... رزيـئـةُ مُـرْتَـجِّ الـروادفِ أفْـرَعـا
ولـسـتُ ـ وإن عَـزَّتْ ـ عَـلَـيَّ بـزائـرٍ ... تُراباً على مَرْموسةٍ قد تَضَعْضَعا[٤]

وقيل إن النَّوار كانت استعانت بأم هاشم لا بتُماضر، وأم هاشم أخت تُماضرَ؛ لأن تُماضرَ ماتت عند عبد الله بعد أن ولدت له خُبَيْباً وثابتاً ابني عبد

(١) خمشاء الساقين: مجرحة الساقين.
(٢) الوليدة: الجارية.
(٣) الظلّع: جمع ظالع، وهو الذي يغمز في مشيه. والمقحم: الذي يقتحم المفازات.
(٤) مرموسة: مدفونة.

الله بن الزبير، وتزوّج بعدها أختها أم هاشم، فولدت له هاشماً وحمزة وعبّاداً، وفي أم هاشم يقول الفرزدق: [الطويل]

تَـرَوَّحَـتِ الـرّكـبـانُ يـا أُمَّ هـاشِـم ... وهـنَّ مُـنَـاخـاتٌ لَـهُـنَّ حَـنـيـن
وحُـبِّـسْـنَ حـتَّـى لـيـس فِـيـهـنَّ نـافِـقٌ ... لِـبَـيْـعٍ ولا مَـرْكـوبُـهـن سَـمِـيـن

أخبرنا عبد الله قال: حدثنا محمد بن حبيب قال: حدثني الأصمعيّ قال: نشزت رُهَيمة بنت غنيّ بن درهم النَّمريّة بالفرزدق فطلّقها، وقال يهجوها بقوله:

[الطويل]

لا يـنـكـحـنْ بـعـدي فـتًـى نَـمـريّـةً ... مُـرَمَّـلـةً مِـنْ بَـعْـلِـهـا لـبـعـادِ
وبـيـضـاءَ زَعـراءَ الـمـفـارقِ شَـخْـتَـةً ... مـولّـعـةً فـي خُـضْـرةٍ وسـوادِ[1]
لـهـا بَـشَـرٌ شَـثْـنٌ كـأَنَّ مَـضَـمَّـهُ ... إذا عـانَـقَـتْ بَـعْـلاً مَـضَـمُّ قـتـادِ[2]
قرنتُ بِنَفْسي الشُّؤمَ في وِرْدِ حَوْضِها ... فَـجُـرِّعـتُـهُ مِـلْـحـاً بـمـاءِ رمـادِ
ومـا زِلْـتُ ـ حـتـى فَـرَّقَ الله بـيـنـنـا ... له الـحَـمْـدُ ـ مـنـهـا في أذًى وجـهـادِ
تُـجـدِّدُ لـي ذِكـرى عـذَاب جـهـنَّـمٍ ... ثـلاثـاً تُـمَـسِّـيـنـي بـهـا وتـغـادي

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني الحسين بن موسى قال: قال المدائني: لقي الفرزدق جارية لبني نهشل، فجعل ينظر إليها نظراً شديداً، فقالت له: ما لك تنظر؟ فوالله لو كان لي ألف حِرٍ ما طمعتَ في واحد منها، قال: ولم يا لخناء؟ قالت: لأنك قبيح المنظر سيِّىء المخبر فيما أرى، فقال: أما والله لو جربتني لعَفَّى خُبري على منظري، قال: ثم كشف لها عن مثل ذراع البكر، فتضبّعت له عن مثل سنام البكر فعالجها، فقالت: أنكاح بنسيئة؟ هذا شر القضية، قال: ويحك، ما معي إلا جبتي، أفتسلبينني إياها ثم تسنّمها، فقال: [الرجز]

أَوْلَـجـتُ فـيـهـا كـذِراع الـبَـكْـرِ ... مُـدملَـكَ الـرَّأْسِ شـديـدَ الأسْـرِ[3]
زاد عـلـى شِـبْـرٍ ونِـصْـفِ شِـبْـرِ ... كـأنـنـي أَوْلَـجْـتُـهُ فـي جَـمْـرِ
يُـطـيـر عـنـه نَـفَـيـانَ الـشّـعْـرِ ... نـفـي شُـعـورِ الـنَّـاسِ يَـوْمَ الـنَّـحْـرِ

(١) بيضاء هنا: مصابة بالبرص. وزعراء المفارق: قليلة شعر المفارق. والشختة: النحيلة. ومولّعة في خضرة وسواد: أي تحاول إخفاء برصها بمختلف الأصباغ والألوان.

(٢) الشثن: الخشن. والقتاد: شجر شائك.

(٣) المدملك: المستدير الأملس. وشديد الأسر: القويّ المحكم.

قال: فحملتْ منه، ثم ماتت، فبكاها وبكى ولده منها: [الطويل]

وغِمْدِ سلاحٍ قد رُزِئْتُ فلم أَنحْ ... عليه ولم أَبْعَثْ عليه البواكيا
وفي جوفِهِ مِنْ دارمٍ ذو حفيظةٍ ... لو أنّ المنايا أنسأَتْهُ لياليا
ولكنَّ رَيْبَ الدَّهْرِ يَعْثُر بالفتى ... فلم يَسْتَطِعْ رَدّاً لما كان جائيَا
وكم مثلِه في مثلِها قد وَضَعْتُهُ ... وما زلت وثَّاباً أجرُّ المخازيا

فقال جرير يعيره: [الطويل]

وكم لكَ يابنَ القَيْنِ إنْ جاءَ سائلٌ ... مِنْ ابنٍ قصيرِ الباعِ مِثْلُكَ حاملُه
وآخر لم تَشْعُرْ به قد أضَعْتَهُ ... وأَوْرَدْتَهُ رِحماً كثيراً غوائِلُه

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثني محمد بن سليمان الكوفي عن أبيه قال: تزوج الفرزدقُ ظبية ابنة حالم من بني مُجاشِع بعد أن أسنّ، فضعف، وتركها عند أمها بالبادية سنة، ولم يكن صداقها عنده، فكتب إلى أبان بن الوليد البَجليّ - وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القسْريّ - فأعطاه ما سأل وأرضاه، فقال يمدحه: [الوافر]

فلو جمعوا مِنَ الخِلاّنِ ألفاً ... فقالوا: أَعْطِنا بهمُ أبانا
لَقُلْتُ لهم: إذاً لَغَبَنْتُموني ... وكيف أبيعُ مَنْ شَرَطَ الزَّمانا
خليلٌ لا يَرَى المائةَ الصّفايا ... ولا الخَيْلَ الجيادَ ولا القِيانَا
عَطاءً دُونَ أضعافٍ عليها ... ويُطْعِمُ ضَيفَهُ العُبُطَ السِّمانا

العُبط: الإبل التي لا وجع بها.

فما أرجو لِظَبْيَةَ غَيْرَ ربِّي ... وغَيْرَ أبي الوليدِ بما أعانا
أعانَ بِهَجْمَةٍ أرْضَتْ أباها ... وكانَتْ عِنْدَهُ غَلَقاً رِهانا[1]

وقال أيضاً في ذلك: [الطويل]

لقد طالَ ما اسْتَوْدَعْتُ ظَبْيَةَ أمَّها ... وهذا زمانٌ رُدَّ فيه الودائعُ

وقال حين أراد أن يبني بها: [الطويل]

أُبادِرُ سُؤّالاً بِظَبْيَةَ أنّني ... أتتني بها الأهوالُ مِنْ كُلِّ جانب

---

(١) الهجمة: العدد العظيم من الإبل لا يبلغ المئة.

بِـمـالِـئـةِ الـحِـجْـلـيْـنِ لـو أنَّ مَـيِّـتـاً ولو كان في الأمْواتِ تَحْتَ النَّصائب[١]
دعـتـه لألـقـى الـتُّـرْبَ عـنـد انـتـفـاضِـه ولـو كـان تـحـت الـراسـيـات الـرواسـب

فلما ابتنى منها عجز عنها فقال: [البسيط]

يا لَهْفَ نَفْسي على نَعْظٍ فُجِعْتُ به حِينَ الْتَقَى الرَّكَبُ المَحْلوقُ والرَّكَبُ[٢]

وقال جرير: [الكامل]

وَتـقُـولُ ظَـبْـيَـةُ إذْ رَأَتْـكَ مُـحَـوْقِـلاً حَوْقَ الحِمارِ مِنَ الخبالِ الخابلِ[٣]
إنَّ الـبَـلـيَّـةَ وهْـي كُـلُّ بَـلِـيَّـةٍ شَـيْـخٌ يُـعَـلِّـلُ عِـرْسَـهُ بـالـبـاطـلِ
لـو قـد عَـلِـقْـتِ مِنَ الـمـهـاجـرِ سُـلَّـمـاً لـنـجـوتِ مـنـه بـالـقـضـاءِ الـفـاصِـلِ

قال: فنشزت منه، ونافرته إلى المهاجر، وبلغه قولُ جرير فقال المهاجر: لو أتتني بالملائكة معها لقضيتُ للفرزدق عليها.

قال: وكان للفرزدق ابنة يقال لها مكية، وكانت زنجية، وكان إذا حَمِي الوطيسُ، وبلغ منه الهجاء يكتني بها، ويقول: [مشطور الرجز]

ذا كَـمْ إذاً مـا كُـنْـتُ ذا مـحـمـيَّـهْ بـدارِمـيٍّ أُمُّـهُ ضَـبِّـيَّـهْ
صـمـحـمـح يُـكـنَـى أبـا مـكِّـيَّـهْ

وقال في أمها:

يـا رُبَّ خَـوْدٍ مِـنْ بـنـاتِ الـزّنـجِ تَـحْـمِـلُ تـنُّـوراً شـديـدَ الـوهْـجِ
أقـعـبَ مـثْـلَ الـقَـدَحِ الـخَـلَـنـجِ يَـزْدادُ طِـيـبـاً عـنـد طُـولِ الـهـرجِ
مَـخَـجْـتُـهـا بـالأيـر أيَّ مـخـجِ

فقالت له النوار: ريحُها مثل ريحك.

وقال في أم مكية يخاطب النّوارَ: [الوافر]

فـإن يَـكُ خـالُـهـا مِـنْ آلِ كِـسْـرى فـكِـسْـرى كـان خَـيْـراً مِـنْ عِـقـالِ

---

(١) مالئة الحجلين: الحجل: الخلخال، ومالئة الحجلين: كناية عن امتلاء الساقين. والنصائب: ما ينصب من أحجار حول الحوض. ويريد هنا أحجار القبر.

(٢) النعظ: انتشار الذكَر. والرَّكَب: منبت العانة، أو العانة نفسها، أو أصل الفرج.

(٣) المحوقل: الضعيف، العاجز.

وأكـثـرَ جـزيـةً تُـهـدَى إلـيـه ... وأصْبَرَ عند مُخْتَلِفِ العوالي

قال: وكانت أم النّوار خُراسانية، فقال لها في أم مكية: [الطويل]

أغـرك مـنـهـا أُدْمَـةٌ عـربـيّـةٌ ... عَلَتْ لونَها إن البِجَادِيَّ أحْمَرُ

[مدحه سعيد بن العاص]

حدثني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي قال: دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وهو والي المدينة لمعاوية فأنشده: [الوافر]

تَرَى الغُرَّ الجحاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ ... إذا ما الخَطْبُ في الحدثانِ غالا
وقُوفاً يَنْظُرونَ إلى سعيدٍ ... كأنَّهمُ يَرَوْنَ به هِلالا

وعنده كعب بن جُعيل، فلما فرغ من إنشاده قال كعب: هذه والله رؤياي البارحة، رأيت كأنّ ابن مُرَّة في نواحي المدينة وأنا أضم ذلاذلي[1] خوفاً منه، فلما خرج الفرزدق خرج مروان في أثره فقال: لم ترض أن نكون قعوداً حتى جعلتنا قياماً في قولك: [الوافر]

قِياماً يَنْظُرونَ إلى سعيدٍ ... كأنَّهمُ يَرَوْنَ به هِلالا

فقال له: يا أبا عبد الملك إنك من بينهم صافن[2]، فحقد عليه مروان ذلك، ولم تطل الأيام حتى عُزِل سعيد، ووَلِّي مروان فلم يجد على الفرزدق متقدّماً[3] حتى قال قصيدته التي قال فيها: [الطويل]

هما دَلّتاني مِنْ ثمانين قامةً ... كما انْقَضَّ بازٌ أقْتَمُ الرِّيشِ كاسِرُهْ
فلما اسْتَوَتْ رِجلايَ في الأرضِ قالتا ... أحَيٌّ يُرجَّى أم قتيلٌ نُحاذِرُهْ
فَقُلْتُ: ارْفعا الأمْراسَ لا يَشْعُروا بنا ... وأقْبَلْتُ في أعقابِ ليلٍ أُبادِرُهْ
أُبادِرُ بوَّابينَ لم يَشْعُروا بنا ... وأحْمَرَ مِنْ ساجٍ تلُوحُ مسامِرُهْ[4]

فقال له مروان: أتقول هذا بين أزواج رسول اللهﷺ، اخرج عن المدينة فذلك

---

(١) الذلاذل: أسافل القميص الطويل.
(٢) صفن الرجل: صف قدميه. والصافن: الحسن الوقوف، المنتصب القامة.
(٣) متقدماً: سبباً يستدعي استقدامه ومحاكمته.
(٤) الساج: ضرب من الشجر خشبه صلب أحمر.

قول جرير: [الطويل]

تَدَلَّيْتَ تَزْنِي مِنْ ثمانينَ قامةً وقَصَّرْتَ عَنْ باعِ النَّدى والمكارم

أخبرنا ابن دُرَيد، قال: أخبرنا الرياشي، عن محمد بن سلاَّم، قال: دخل الفرزدق المدينة هارباً من زياد، وعليها سعيدُ بن العاص بن أمية بن عبد شمس أميراً من قبل معاوية، فدخل على سعيد، ومَثَلَ بين يديه، وهو معتمٌّ، وفي مجلس سعيد الحُطيئةُ وكعب بن جُعَيل التغلبي، وصاح الفرزدق: أصلح الله الأمير، أنا عائذ بالله وبك، أنا رجل من تميم، ثم أحَد بني دارم، أنا الفرزدق بن غالب، قال: فأطرق سعيدٌ مليًّا، فلم يجبه، فقال الفرزدق: رجل لم يصب دماً حراماً، ولا مالاً حراماً، فقال سعيد: إن كنت كذلك فقد أمنت، فأنشده: [الوافر]

إليكَ فَرَرْتُ مِنكَ ومِنْ زيادٍ ولم أحْسِبْ دمي لَكُما حَلالا
ولكنِّي هَجَوْتُ وقد هجاني مَعاشِرُ قد رضخْتُ لهم سِجالا[1]
فإنْ يَكُنِ الهجاءُ أَحَلَّ قَتْلي فقد قُلْنا لشاعِرِهم وقالا
أرِقتُ فلم أنَمْ لَيْلاً طويلاً أراقِبُ هل أرى النَّسْرَيْنِ زالا[2]
عليكَ بني أُميةَ فاسْتَجِرْهم وخُذْ منهم لما تَخْشَى حِبالا
فإنّ بني أُمَيَّةَ في قُرَيْشٍ بَنَوْا لِبُيُوتِهم عَمَداً طِوالا
تَرَى الغُرَّ الجحاجحَ مِنْ قُرَيْشٍ إذا ما الأمْرُ في الحدثانِ غالا
قِياماً يَنْظُرونَ إلى سعيدٍ كأنَّهمُ يَرَوْنَ به هِلالا

قال: فلما قال هذا البيت، قال الحطيئة لسعيد: هذا والله الشعر، لا ما كنت تُعَلَّلُ به منذ اليوم، فقال كعب بن جعيل: فضلته على نفسك، فلا تفضله على غيرك، قال: بلى والله إنه ليفضلني وغيري، يا غلام، أدركت مَنْ قبلك، وسبقت مَنْ بعدك، ولئن طال عمرك لتبرُزَنَّ.

ثم عبث الحطيئة بالفرزدق، فقال: يا غلام، أنْجَدَتْ[3] أُمُّك؟ قال: لا بل أبي، أراد الحطيئة: إن كانت أمك أنجدت فقد أصبتُها فولدتك إذ شابهتني في الشعر، فقال الفرزدق: لا بل أبي، فوجده لَقِناً.

---

(١) رضخت لهم: ناطحتهم.
(٢) النسران: كوكبان.
(٣) أنجدت: نزلت نجداً.

أخبرني ابن دريد قال: قال لنا أبو حاتم: قال الأصمعي: ومن عبثات الفرزدق أنه لقي مُخَنَّثاً فقال له: من أين راحت عمتنا؟ فقال له المخنث: نفاها الأغر بن عبد العزيز، يريد قول جرير: [المتقارب]

نَفاكَ الأَغَرُّ بنُ عَبْدِ العزيزِ ... وحَقُّكَ تُنْفَى مِنَ المَسْجِدِ

[بينه وبين جرير والشعراء]

أخبرنا ابن دريد عن الرياشيّ، عن النضر بن شميل قال: قال جرير: ما قال لي ابن القين بيتاً إلا وقد اكتفأته، أي قلبته إلا قوله: [الكامل]

ليس الكِرامُ بناحليكَ أباهم ... حتى يُرَدَّ إلى عطيةَ تعتلُ

فإني لا أدري كيف أقول فيها.

وأخبرني ابن دريد قال: حدثنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبيّ، عن عَوانة بن الحكم، قال: بينما جرير واقف في المِرْبد وقد ركبه الناس وعمر بن لجأ مواقفه فأنشده عمر جواب قوله: [البسيط]

يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيٍّ لا أبا لكم ... لا يَقْذِفَنَّكُم في سَوْأَةٍ عُمَرُ
أحين صِرْتُ سِماماً يا بني لجأٍ ... وخاطَرَتْ بيَ عن أحْسابِها مُضَرُ

فقال عمر جواب هذا: [البسيط]

لقد كَذَبْتَ وشَرُّ القَوْلِ أكذبُهُ ... ما خاطَرَتْ بك عَنْ أَحْسابِها مُضَرُ
أَلَسْتَ نَزوَةَ خوّارٍ على أمةٍ؟ ... لا يسبق الحلباتِ اللُّؤمُ والخورُ[1]

وقد كان الفرزدق رفده بهذين البيتين في هذه القصيدة، فقال جرير لما سمعها: قبحاً لك يابن لجأ، أهذا شعرك، كذبت والله ولو مِتَّ، هذا شعر حنظلي، هذا شعر العزيز، يعني الفرزدق، فأبلس[2] عمر فما ردّ جواباً.

وخرج غنيم بن أبي الرَّقراق حتى أتى الفرزدقَ، فضحك وقال: إيه يابن أبي الرقراق، وإن عندك لخبراً، قلت: أخوك ابن قتب، فحدثته فضحك حتى فحص برجليه، ثم قال في ساعته:

---

(١) الخور: الضعف.
(٢) أبلس: سكت لانقطاع حجة وحيرة.

[الطويل]

وما أنت إن قَرْمَا تَميم تَساميا أخا التَّيْم إلا كالوشِيظةِ في العَظم[1]
فلو كُنْتَ مَوْلى الظُّلْمِ أوْ في ثِيابِهِ ظَلَمْتَ ولكن لا يَدَيْ لكَ بالظُّلْم

فما بلغ هذان البيتان جريراً قال: ما أنصفني في شعر قط قبل هذا! يعني قوله:

إنْ قرْمَا تَميمٍ تساميا

أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا الرياشيّ قال: كان الفرزدق مَهِيباً تخافه الشعراء، فمرَّ يوماً بالشمردل، وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله: [الطويل]

وما بَيْنَ مَنْ لم يُعْطِ سَمْعاً وطاعةً وبين تَميمٍ غَيْرُ حَزِّ الغَلاصم

قال: والله لتَتركنّ هذا البيت أو لتتركَنّ عرضَك، قال: خذه على كرهٍ مني، فهو في قصيدة الفرزدق التي أولُها قوله:

تَحِنُّ بزوراءِ المدينةِ ناقَتِي

قال: وكان الفرزدق يقول: خير السرقة ما لا يجب فيه القطع يعني سرقة الشعر.

أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، عن الضحاك بن بهلول الفُقَيْمِيّ قال: بينما أنا بكاظمة[2] وذو الرُّمَّة ينشد قصيدته التي يقول فيها: [الطويل]

أحينَ أعاذَتْ بي تَميمٌ نِساءَها وجُرِّدْت تَجْريدَ اليمَانِي مِنَ الغِمد

إذا راكبان قد تدلّيا من نَعفِ كاظمة متقنعان، فوقفا فلما فرغ ذو الرمّة حسر الفرزدق عن وجهه، وقال: يا عُبَيد، اضممها إليك ـ يعني راويته ـ وهو عبيد أخو بني ربيعة بن حنظلة، فقال ذو الرمة: نشدتك الله يا أبا فراس إن فعلت، قال: دع ذا عنك، فانتحلها في قصيدته وهي أربعة أبيات: [الطويل]

أحين أعاذَتْ بي تَميمٌ نساءَها وجُرِّدْتُ تَجْريدَ اليماني مِنَ الغِمدِ
ومَدَّتْ بضَبْعيَّ الرِّبابُ ومالكٌ وعَمْرٌو، وشالَتْ مِنْ ورائي بنو سَعْدِ

---

(١) القرم: السيد، المعظم. والوشيظة: شظية زائدة في أصل العظم.
(٢) كاظمة: في طريق البحرين من البصرة. (معجم البلدان ٤/ ٤٣١).

ومِـنْ آلِ يـربـوع زُهَـاءٌ كـأنَّـهُ دُجَى اللَّيْلِ محمودُ النِّكايةِ والورِدِ[١]
وكـنّـا إذا الـجـبّـارُ صَـعَّـرَ خـدَّهُ ضربناهُ فَوْقَ الأُنثَيَيْنِ على الكَرْدِ[٢]

أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال: اجتمع الفرزدق وجرير وكثير وابن الرّقاع عند سليمان بن عبد الملك، فقال: أنشدونا من فخركم شيئاً حسناً، فبدرهم الفرزدق، فقال: [الوافر]

ومـا قَـوْمٌ إذا الـعُـلَـمـاءُ عَـدَّتْ عُـروقَ الأكْـرَمـيـنَ إلـى الـتُّـرابِ
بِـمُـخْـتَـلِـفـيـنَ إنْ فَـضَّـلْـتُـمـونـا عـلـيـهـم فـي الـقَـديـم ولا غِـضـابِ
ولـو رَفـعَ الـسَّـحـابُ إلـيـه قَـوْمـاً عَـلَـوْنـا فـي الـسَّـمـاءِ إلَـى الـسَّـحـابِ

فقال سليمان: لا تنطقوا، فوالله ما ترك لكم مقالاً.

أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن عمرانَ الضبي، عن سليمانَ بنِ أبي سليمانَ الجوزجاني قال: غاب الفرزدق فكتبت النوار تشكو إليه مكية[٣] وكتب إليه أهله يشكون سوء خُلُقها وتبذّيها[٤] عليهم فكتب إليهم: [الطويل]

كَـذَبْـتُـم عـلـيـهـا أنَّـهـا ظَـلَـمَـتْـكُـم كَـذَبْـتُـم وبَـيْـتِ الله بَـلْ تَـظْـلِـمُـونَـهـا
فـإلاّ تـعـدُّوا أنـهـا مِـنْ نِـسـائِـكـم فـإنّ ابنَ لـيـلـى والـدٌ لا يَـشِـيـنـهـا[٥]
وإنَّ لـهـا أعْـمـامَ صِـدْقٍ وإخـوةً وشَـيْـخـاً إذا شـاءَتْ تَـنَـمَّـرَ دُونَـهـا

قال: وكان للفرزدق ثلاثة أولاد يقال لواحد منهم لبَطة، والآخر حَبَطَة، والثالث، سبطة، وكان لبطة من العققة فقال له الفرزدق: [الطويل]

أإن أُرعِـشـتْ كَـفَّـا أبـيـكَ وأصْـبَـحَـتْ يـداكَ يَـدَيْ لَـيْـثٍ فـإنـكَ جـاذِبُـه
إذا غـالَـبَ ابـنٌ بـالـشَّـبـابِ أبـاً لـه كـبـيـراً فـإن الله لا بُـدَّ غـالِـبُـه
رَأَيْـتُ تَـبـاشِـيـرَ الـعُـقـوقِ هـي الـتي مِـنْ ابـنِ امْـرِئٍ مـا إن يَـزالُ يُـعـاتِـبُـه
ولـمـا رآنـي قـد كـبِـرتُ وأنـنـي أخو الحَيِّ واسْتَغْنى عَنِ المَسْحِ شاربُه
أصـاخ لـغـربـانِ الـنّـجـيِّ وإنـه لأزورُ عَـنْ بَـعْـضِ الـمـقـالـةِ جانـبُـه

(١) الزهاء: العدد الكثير.
(٢) الأنثيان: الأذنان. والكرد: أصل العنق.
(٣) مكيّة: ابنة الفرزدق.
(٤) تبذيها: سوء خلقها وذرابة لسانها.
(٥) في البيت إقواء.

قال أبو عبيدة في كتاب النقائض: قال رؤبة بن العجاج: حج سليمان بن عبد الملك، وحجت معه الشعراء، فمر بالمدينة منصرفاً، فأُتِيَ بأسرى من الروم نحو أربعمائة، فقعد سليمان، وعنده عبد الله بن حسن بن حسن - عليه السلام - وعليه ثوبان مُمَصّران[١]، وهو أقربهم منه مجلساً، فأدنَوا إليه بِطرِيقَهم، وهو في جامعة[٢]، فقال لعبد الله بن حسن: قم، فاضرب عنقه فقام، فما أعطاه أحد سيفاً، حتى دفع إليه حَرَسيٌّ سيفاً كليلاً، فضربه فأبان عنقه وذراعه، وأطنَّ[٣] ساعده وبعض الغلّ، فقال له سليمان: والله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك، وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه، فيقتلونهم، حتى دفع إلى جرير رجلاً منهم، فدست إليه بنو عبس سيفاً قاطعاً في قراب أبيض، فضربه فأبان رأسه، ودُفع إلى الفرزدق أسير، فدست إليه القيسيّة سيفاً كليلاً، فضرب به الأسير ضربات، فلم يصنع شيئاً، فضحك سليمان وضحك الناس معه. وقيل: إن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفاً، وقال: اقتله به، فقال: لا، بل أقتله بسيف مجاشع، واخترط سيفه[٤]، فضربه فلم يُغن شيئاً، فقال سليمان: أما والله لقد بقي عليك عارُها وشَنارها[٥]، فقال جرير قصيدته التي يهجوه فيها، وأولها: [الطويل]

ألا حَـيِّ رَبْـعَ الـمَـنْـزِلِ الـمُـتـقـادِمِ ... ومـا حُـلَّ مُـذ حَـلَّـت بـه أمُّ سـالـمِ

منها: [الطويل]

أَلَمْ تَشْهَدِ الجَوْنَيْنِ والشِّعبَ ذا الغَضَى ... وكَـرَّاتِ قَـيْـسٍ يَـوْمَ دَيْـر الـجـمـاجـم[٦]

تُـحرِّضُ يـابنَ الـقَـيْـنِ قَـيْـساً لـيجعلوا ... لِـقَـوْمِـكَ يَـوْمـاً مِـثْـلَ يَـوْمِ الأراقِـمِ[٧]

بِـسَـيْـفِ أبـي رَغْـوَانَ سَـيْـفِ مُـجـاشـعٍ ... ضَرَبْتَ ولم تَضْرِبْ بسيفِ ابن ظالـمِ[٨]

---

(١) ثوبان ممصران: مصبوغان بالمصر، وهو مادة حمراء تستعمل في الصبغ.

(٢) الجامعة: القيد.

(٣) أطنّ: قطع.

(٤) اخترط سيفه: استله.

(٥) الشنار: العيب.

(٦) الجونان: عمرو ومعاوية ابنا الجون. ودير الجماجم: موضع بظاهر الكوفة على طرف البر للسالك نحو البصرة، وعنده وقعت معركة دير الجماجم بين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث والحجاج بن يوسف. (معجم البلدان ٢/٥٠٣).

(٧) يوم الأراقم: يوم من أيام العرب كان بين قيس وتغلب.

(٨) أبو رغوان: مجاشع. وابن ظالم: هو الحارث بن ظالم من فتاك العرب المشهورين.

ضَربتَ به عند الإمامِ فأُرْعِشتْ ... يداكَ وقالوا: مُحدَثٌ غَيْرُ صارِمِ

فقال الفرزدق يجيب جريراً عن قوله:

وهل ضَرْبةُ الرُّوميّ جاعِلةٌ لكم ... أباً عَنْ كُلَيْب أو أباً مِثْلَ دارمِ
كذاك سُيوفُ الهِنْدِ تَنْبُو ظُباتُها ... وتَقْطَعُ أحياناً مَناطَ التَّمائِمِ
ولا نَقْتُلُ الأَسْرَى ولكن نفكُّهُم ... إذا أثْقَلَ الأعْناقَ حَمْلُ المغارمِ

وقال يعرِّض بسليمانَ، ويعيّره نُبُوَّ سيف ورقاء بنِ زهير العبسي عن خالد بن جعفر، وبنو عبس هم أخوال سليمان: [الطويل]

فإن يَكُ سَيْفٌ خانَ أو قَدَرٌ أبَى ... بِتَعْجيلِ نَفْسٍ حَتْفُها غير شاهِدِ
فسيفُ بني عَبْسٍ وقد ضَرَبُوا به ... نبا بيدَيْ ورَقاءَ عَنْ رَأسِ خالدِ
كذاك سُيوفُ الهِنْدِ تَنْبُو ظُباتُها ... وتَقْطَعُ أحياناً مَناطَ القلائدِ

وأولها:

تَباشَرُ يربوعٌ بِنَبْوةِ ضَرْبةٍ ... ضَرَبْتُ بها بين الطُّلا والمحارِدِ[1]
ولو شِئْتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنقه ... إلى عَلَق بين الحِجَابَيْنِ جامدِ[2]

وقيل: إن الفرزدق قال لسليمان: يا أمير المؤمنين، هب لي هذا الأسير، فوهبه له فأعتقه، وقال الأبيات التي منها:

ولا نَقْتُلُ الأَسْرى ولكن نَفُكُّهم ... إذا أثْقَلَ الأعْناقَ حَمْلُ المغارمِ

ثم أقبل على راويته، فقال: كأني بابن المراغة، وقد بلغه خبري، فقال:

بسيفِ أبي رَغوانَ سَيْفِ مُجاشعٍ ... ضَرَبْتَ ولم تضربْ بسيفِ ابنِ ظالمِ
ضَرَبْتَ به عند الإمامِ فأُرعِشتْ ... يداكَ وقالوا مُحدَثٌ غيرُ صارمِ

فما لبثنا إلا أياماً يسيرة، حتى جاءتنا القصيدة، وفيها البيتان، فعجبنا من فطنة الفرزدق: وقال أيضاً في ذلك: [البسيط]

أيَعْجَبُ النَّاسُ أن أضحكتُ خيرَهُم ... خليفةَ الله يُسْتَسْقَى به المَطَرُ
فما نبا السَّيْفُ عَنْ جُبْنٍ وعن دَهَشٍ ... عند الإمامِ ولكن أُخِّر القدرُ

---

(١) تباشر: تتباشر حذفت تاء المضارعة. والطّلا: الأعناق، جمع طلاة. والمحارد: مفاصل الأعناق.

(٢) العلق: الدم الجامد.

ولـو ضَـرَبْـتُ بـه عـمـداً مُـقـلَّـدَهُ ... لـخـرَّ جـثـمـانُـه مـا فَـوْقَـهُ شَـعَـرُ
ومـا يُـقـدِّمُ نَـفْـسـاً قـبـل مِـيـتَـتِـهـا ... جمعُ اليدينِ ولا الصَّمْصَامةُ الذكرُ

[متفرقات من شعره]

وأخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن أبي عبيدة، قال: هجا الفرزدق خالداً القَسريّ وذكرَ المباركَ: النهرَ الذي حفره بواسط، فبَلَغَه ذلك، وكتب خالد إلى مالك بن المنذرِ أن احبس الفرزدقَ فإنه هجا نهرَ أمير المؤمنين بقوله: [الطويل]

وأهْـلَـكْـتَ مـالَ الـلَّـهِ في غَـيْـرِ حقِّهِ ... على نـهركَ الـمَشْـؤومِ غَـيْـرِ الـمُـبَارِكِ

الأبيات، فأرسل مالك إلى أيوبَ بنِ عيسى الضّبيّ، فقال: ائتني بالفرزدق، فلم يزل يعمل فيه حتى أخذه، فطلب إليهم أن يمروا به على بني حنيفة، فقال الفرزدق: ما زلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بني حنيفة، فلما قيل لمالك: هذا الفرزدق انتفخ وريدُ مالك غضباً، فلما أُدخِل عليه قال: [الطويل]

أَقُولُ لـنفـسـي حِـيـنَ غـصَّـتْ بِـريـقِـهـا ... ألا لـيـتَ شِـعْـري مـا لـهـا عـنـد مـالـكِ؟
لـهـا عـنـده أن يَـرجِـعَ الـلَّـهُ رُوحَـهـا ... إلـيـهـا وتَـنْـجُـو مِـنْ جَـمـيـعِ الـمـهـالـكِ
وأنـت ابـنُ حَـبَّـارَيْ رَبـيـعَـةَ أدركـت ... بك الشَّمْسَ والخَضْراءَ ذاتَ الحبائكِ[1]

فسكن مالك، وأمر به إلى السجن، فقال يهجو أيوبَ بنَ عيسى الضّبيّ:

[الطويل]

فـلـو كـنـتَ قَـيْـسـيّـاً إذاً مـا حـبـسـتـنِـي ... ولـكـنَّ زنـجـيّـاً غـلـيـظـاً مـشـافِـرُهْ
مَـتَـتُّ لـه بـالـرَّحْـم بَـيْـنـي وبـيـنـه ... فـألـفـيـتُـه مـنـي بَـعـيـداً أواصِـرُهْ[2]
وقُـلْـتُ: امْـرُؤٌ مِـنْ آلِ ضَـبَّـةَ فـاعـتـزى ... لـغـيـرهـم لَـوْنُ اسْـتِـهِ ومَـحـاجِـرُهْ
فَـسَـوْفَ يَـرَى الـنوبيّ مـا اجْـتَـرَحَـتْ لـه ... يَـدَاه إذا مـا الـشِّـعْـرُ عَـيَّـتْ نَـوَافِـرُهْ
سـتُـلـقِـي عـلـيك الـخنـفـسـاءُ إذا فَـسَـتْ ... عـلـيـك مِـنَ الـشِّـعْـرِ الـذي أنـت حـاذِرُهْ
وتَـأتـي ابـنَ زُبِّ الـخـنـفـسـاءِ قـصـيـدةٌ ... تَـكـونُ لـه مـنـي عَـذابـاً يُـبـاشِـرُهْ
تعـذرتَ يَـأبْـنَـيْ الـخـنـفـسـاءِ ولـم تَـكُـنْ ... لـتُـقْـبَـلَ لابْـنِ الـخـنـفـسـاءِ مـعـاذِرُهْ

(١) الخضراء: السماء. والحبائك: جمع حبيكة وهي مسير النجم.

(٢) متَّ إليه: انتسب.

فإنّكما يا ابْنَيْ يَسارٍ نَزَوْتما ... على ثفرها ما حَنَّ للزيتِ عاصِرُهْ
لزِنجيَّةٍ بظراءَ شقق بَظْرَها ... زَحيرٌ بأيوبٍ شديدٌ زوافرُهْ

ثم مدح خالدَ بنَ عبد الله ومالك بن المنذر وهو محبوس مديحاً كثيراً، فأنشدني يُونُس في كلمة له طويلة: [الكامل]

يا مالِ هل هو مُهلكي ما لم أقل ... وليُعلَمَنَّ مِنَ القصائد قيلي[1]
يا مالِ هل لكَ في كبيرٍ قد أتَتْ ... تسعونَ فوقَ يَدَيْهِ غير قليلِ
فتجيرَ ناصِيَتي وتُفرجَ كُربتي ... عني وتُطْلِقَ لي يداكَ كُبُولِي[2]
ولقد بنى لكمُ المُعَلَّى ذِروةً ... رَفعتْ بناءَكَ في أشَمَّ طويلِ
والخَيْلُ تَعْلَمُ في جَذِيمةَ أنها ... تَرْدَى بِكُلِّ سَميدَعٍ بهلُولِ[3]
فاسْقُوا فقد ملأَ المُعَلَّى حَوْضَكم ... بذَنوبِ مُلتَهِم الرَّبابِ سجيلِ[4]

وقال يمدح مالكاً وكانت أم مالك هذا بنت مالك بن مسمع: [الوافر]

وقِرْمٍ بينَ أولادِ المُعَلَّى ... وأولادِ المَسامعةِ الكرام
تَخَمَّطُ في رَبيعةَ بينَ بَكْرٍ ... وعَبْدِ القيسِ في الحَسَبِ اللُّهامِ[5]

فلما لم تنفعه مديحة مالك، قال يمدح هشام بن عبد الملك، ويعتذر إليه:

[الطويل]

أَلِكْني إلى رَاعِي البريَّةِ والذي ... له العَدْلُ في الأرضِ العريضةِ نوّرا
فإن تُنكروا شِعْرِي إذاً خَرَجَتْ له ... بوادرُ لو يُرْمَى بها لتَفَقَّرا[6]
ثبيرُ ولو مَسَّتْ حِرَاءَ لَحَرَّكَتْ ... به الراسياتِ الصُّمَّ حتى تَكَوَّرا[7]
إذا قال غاوٍ مِنْ مَعَدٍّ قصيدةً ... بها حَرَبٌ كانت وَبالاً مُدَمِّرا[8]

---

(١) مالِ: ترخيم مالك. وقيلي: قولي.
(٢) الكبول: جمع كبل، وهو القيد.
(٣) تردى: تعدو. والسميدع: السيد الكريم، والبهلول: السيد الجامع لكل خير.
(٤) الذنوب: الدلو العظيمة. والرباب: السحاب. والسجيل: المليء.
(٥) اللهام: العظيم.
(٦) تفقّر: تكسر.
(٧) الراسيات: الجبال. وتكوّر: تتهدم. وأصلها تتكور حذف حرف المضارعة. وثبير وحراء: جبلان.
(٨) الحَرَب: الويل والهلاك.

أَيَنْطِقُها غَيْري وأُرمَى بجُرمِها فكيفَ ألومُ الدّهرَ أن يتغيّرا
لئن صَبَرَتْ نَفْسِي لقد أُمِرَتْ بهِ وخَيْرُ عبادِ الله مَنْ كانَ أصْبَرا
وكُنْتُ ابنَ أحْذارٍ ولو كُنْتُ خائفاً لكنت مِنَ العصماءِ في الطَّوْدِ أحْذَرا[١]
ولكنْ أتَوْني آمناً لا أخافهم نهاراً وكان اللّهُ ما شاءَ قدَّرا

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: حدثني أبو يحيي قال: قال الفرزدق لابنه لبطة وهو محبوس: اشخص إلى هشام، وامدحْه بقصيدة، وقال: استعن بالقيسية، ولا يمنعك قولي فيهم فإنهم سيغضبون لك وقال: [الطويل]

بَكَتْ عَيْنُ مَحْزونٍ ففاضَ سِجامُها وطالَتْ ليالي ساهِرٍ لا ينامُها
فإن تَبْكِ لا تَبْكِ المُصيباتِ إذ أتَى بها الدَّهْرُ والأيامُ جَمٌّ خِصامُها[٢]
ولكنما تَبْكي تَهَتُّكَ خالِدٍ مَحارِمَ مِنَّا لا يَحِلُّ حَرامُها
فقُل لبني مروانَ: ما بالُ ذمَّةٍ وحرمَةِ حَقٍّ ليس يُرْعى ذِمامُها
أنُقْتَلُ فيكم أن قَتَلنا عدوَّكُم على دِينكم والحَرْبُ باقٍ قَتامُها[٣]
أتاكَ بِقَتْلِ ابنِ المُهَلَّبِ خالِدٌ وفينا بَقِيّاتُ الهُدَى وإمامُها
فغيِّر - أميرَ المؤمنينَ - فإنَّها يمانيةٌ حَمْقاءُ وأنْتَ هِشامُها
أرى مُضَرَ المِصْرَيْنِ قد ذَلَّ نَصْرُها ولكنْ عَسى أن لا يَذِلَّ شآمُها[٤]
فَمنْ مُبلغٌ بالشَّامِ قَيْساً وخِندِفاً أحاديثَ ما يُشْفَى ببرءٍ سَقامُها
أحاديثَ منا نَشْتَكيها إليهِمُ ومَظْلَمةً يَغْشى الوُجُوهَ قتامُها
فإن مَنْ بها لم يُنكرِ الضّيمَ منهمُ فيغضبَ منها كَهْلُها وغلامُها
نمَتْ مثلُها من مثلِهم وَتُنُكِّلوا فيعلمَ أهلُ الجَوْرِ كيف انْتِقامُها
بغلباءَ مِنْ جُمهورنا مضريَّةٍ يُزايلُ فيها أذرعَ القوم هامُها[٥]
وَبَيْضٍ على هامِ الرِّجالِ كأنَّها كواكبُ يجلوها لسارٍ ظلامُها[٦]
غضِبنا لكم يا آلَ مروانَ فاغْضَبُوا عسى أنَّ أرواحاً يَسوغُ طَعامُها

(١) العصماء: الطيور العصماء، وهي التي في ريشها بياض. والطود: الجبل.
(٢) الجمّ: الكثير.
(٣) قتام الحرب: غبارها.
(٤) أراد بالمصرين: الحجاز والعراق.
(٥) الغلباء: الكثرة. والهام: الرؤوس.
(٦) البَيْض: جمع بيضة، وهي الخوذة.

ولا تَقْطَعُوا الأرْحامَ منا فإنها ... ذُنوبٌ مِنَ الأعْمالِ يُخْشى أثامُها
أَلَمْ تَكُ في الأرحام منّا ومنكمُ ... حواجزُ أيام عزيزٍ مَرامُها
فَتَرْعَى قُرَيْشٌ مِنْ تَميم قرابةً ... ونَجْزي بأيامٍ كريمٍ مَقامُها
لقد علِمَتْ أبناءُ خِندفَ أنّنا ... ذُراها وأنّا عِزُّها وسَنامُها
وقد عَلِمَ الأحياءُ مِنْ كُلِّ موطنٍ ... إذا عُدَّتِ الأحياءُ أنّا كرامُها
وأنّا إذا الحَرْبُ العَوانُ تَضَرَّمَتْ ... نَلِيها إذا ما الحَرْبُ شُبَّ ضِرامُها
قِوامُ قُوَى الإِسْلامِ والأمرِ كلِّه ... وهل طاعةٌ إلا تميمٌ قوامُها
تميمُ التي تَخْشى مَعَدٌّ وغَيْرُها ... إذا ما أبى أنْ يَسْتَقيمَ همامُها
إلى الله تَشْكو عِزَّنا الأرضُ فَوْقَها ... وتَعْلَمُ أنّا ثِقْلُها وغرامُها
شَكَتْنا إلى الله العزيزِ فأَسْمَعَتْ ... قريباً، وأعْيا مَنْ سِواهُ كلامُها
نَصُولُ بِحَوْلِ الله في الأمْرِ كُلِّهِ ... إذا خِيفَ مِنْ مَصْدوعةٍ ما التئامُها

فأعانته القيسية وقالوا: كلما كان نابٌ من مُضَر أو شاعر أو سيد وثب عليه خالد، وقال الفرزدق أبياتاً كتب بها إلى سعيد بن الوليد الأبرش وكلم له هشاماً:

[الطويل]

إلى الأَبْرَشِ الكَلْبِيِّ أَسْنَدْتُ حاجةً ... تَواكَلَها حَيَّا تَميمٍ ووائلِ
على حين أن زَلَّتْ بِيَ النَّعْلُ زَلَّةً ... فَأَخْلَفَ ظَنّي كُلُّ حافٍ وناعلِ
فَدُونَكَها يابْنَ الوَليدِ فإنَّها ... مُفَضَّلةٌ أصْحابَها في المَحافِلِ[1]
ودُونَكَها يابنَ الوليدِ فَقُمْ بها ... قِيامَ امْرِئٍ في قَوْمِهِ غَيْرِ خاملِ

فكلم هشاماً وأمر بتخليته فقال يمدح الأبرش: [الطويل]

لَقَدْ وَثَبَ الكَلْبِيُّ وَثْبَةَ حازمٍ ... إلى خَيْرِ خَلْقِ الله نَفْساً وعُنْصُرا
إلى خَيْرِ أبناءِ الخليفةِ لم يَجِدْ ... لحاجَتِهِ مِنْ دُونِها مُتَأَخَّرا
أبَى حِلْفُ كَلْبٍ في تَميمٍ وعقدُها ... كما سَنَّتِ الآباءُ أن يَتَغَيَّرا

وكان هذا الحلفُ حلفاً قديماً بين تميم وكلب في الجاهلية، وذلك قولُ جرير بن الخَطَفى في الحِلف: [الطويل]

تَميمٌ إلى كَلْبٍ وكَلْبٌ إليهمُ ... أحَقُّ وأدْنى مِنْ صُداءَ وحِمْيَرا

---

(١) دونكها: خذها.

وقال الفرزدق: [الطويل]

أَشَدُّ حِبالٍ بَيْنَ حيَّيْنِ مِرَّةً ... حبالٌ أُمِرَّتْ مِنْ تَميم ومِنْ كَلْبِ[1]
وليس قُضاعيٌّ لدينا بخائفٍ ... ولو أصبَحتْ تغلي القُدُورُ مِنَ الحربِ

وقال أيضاً: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ قَيْساً قَيسَ عَيلانَ شمَّرتْ ... لنَصرِي وحاطتني هناك قُرومُها
فقد حالَفَتْ قَيْسٌ على النَّأي كلُّهم ... تَميماً فهم منها ومنها تَميمُها
وعادتْ عَدُوّي إنَّ قَيْساً لأسرتي ... وقَوْمي إذا ما الناسُ عُدَّ صَميمُها

[من أخباره]

أخبرني ابن دريد، قال: حدثني أبو حاتم، عن أبي عبيدة، قال: بينما الفرزدق جالس بالبصرة أيام زياد في سِكّةٍ[2] ليس لها منفذ إذ مرَّ به رجلان من قومه كانا في الشرطة وهما راكبان، فقال أحدهما لصاحبه: هل لك أن أفزّعه ـ وكان جباناً ـ فَحَرَّكا دابَّتَيْهما نحوه فأدبر مُولِّياً فعثر في طرف برده فشقه، وانقطع شِسعُ نعلِه، وانصرفا عنه، وعرف أنهما هَزِئا منه فقال: [الطويل]

لقد خارَ إذ يُجْري عَلَيَّ حمَارَهُ ... ضِرارُ الخَنا والعَنْبَرِيُّ بن أخوقَا[3]
وما كُنْتُ لو خَوَّفتماني كلاكما ... بأُمَّيكُما عُرْيانَتَيْنِ لأفْرَقَا
ولكنَّما خَوَّفْتُماني بخادِرٍ ... شَتيمٍ إذا ما صادَفَ القِرنَ مزَّقا[4]

أخبرني عبد الله بنُ مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا القحذمي عن بعض ولد قتيبة بنِ مسلم عن ابن زالانَ المازنيّ، قال: حدثني الفرزدق، قال: لما طردني زيادُ أتيت المدينةَ وعليها مرْوانُ بن الحكم، فبلغه أني خرجت من دار ابن صياد، وهو رجل يزعم أهل المدينة أنه الدّجال، فليس يكلمه أحد، ولا يجالسه أحد، ولم أكن عرفتُ خبرَه، فأرسل إلَيّ مروانُ فقال: أتدري ما مَثَلُك؟ حديث تحدث به العرب: أن ضَبُعاً مرت بحي قوم، وقد رحلوا، فوجدتْ

---

(١) المرة: الإحكام، والقوة، والشدة.
(٢) السكّة: الطريق المستوية.
(٣) ضرار والعنبري: الشرطيان اللذان سخرا به.
(٤) الخادر: الأسد في عرينه. والشتيم: الكريه الوجه. والقرن: النظير في القوة والشجاعة.

مرآة، فنظرت وجهَهَا فيها، فلما نظرت قُبْح وجهها ألقتها، وقالت: من شرّ ما اطّرحك أهلك، ولكن من شر ما اطَّرحك أميرُك، فلا تقيمنّ بالمدينة بعد ثلاثة أيام، قال: فخرجت أريد اليمن، حتى إذا صرتُ بأعلى ذي قَسِيّ ـ وهو طريق اليمن من البصرة ـ فإذا رجل مقبل، فقلت: من أين أوضع الراكب؟ قال: من البصرة، قلت: فما الخبر وراءك؟ قال: أتانا أن زياداً مات بالكوفة، قال: فنزلتُ عن راحلتي، فسجدت وقلت: لو رجعت، فمدحت عُبيدَ الله بن زياد، وهجوت مروان بن الحكم، فقلت: [الطويل]

وَقَـفْـتُ بـأَعْـلَـى ذي قَسِيٍّ مَطيّتي ... أُمَثِّلُ في مروانَ وابنِ زيادِ

فَـقُـلْـتُ: عُـبَـيْـدُ الله خَـيْـرُهُـما لـنا ... وأدْناهُما مِنْ رَأفةٍ وَسَدادِ

ومضيت لوجهي، حتى وطئتُ بلاد بني عُقَيْل فوردت ما بين مياههم فإذا بيتٌ عظيم وإذا فيه امرأة سافرة لم أر كحسنها وهيئتها قط، فدنوت فقلت: أتأذنين في الظل؟ قالت: انزل فلك الظِّل والقِرَى، فأنختُ، وجلست إليها، قال: فدعت جاريةً لها سوداءَ كالراعية، فقالت: ألطِفيه شيئاً واسعَي إلى الرّاعي، فرُدِّي عليّ شاة، فاذبحيها له، وأخرجت إليّ تمراً وزبداً، قال: وحادثتُها فوالله ما رأيت مثلَها قطّ، ما أنشدتها شعراً إلا أنشدتني أحسنَ منه، قال: فأعجبني المجلس والحديث إذ أقبل رجل بين بُردين، فلما رأته رمت ببرقعها[1] على وجهها، وجلس وأقبلت عليه بوجهها وحديثها، فدخلني من ذلك غيظ، فقلت للحِين: هل لكَ في الصراع؟ فقال: سوأة لك، إنّ الرجل لا يصارع ضيفَه، قال: فألححت عليه، فقالت له: ما عليك لو لاعَبْتَ ابنَ عمك؟ فقام وقمت، فلما رمى ببرده، إذا خلْقٌ عجيب، فقلت: هلكتُ وربِّ الكعبة، فقبض على يدي، ثم اختلجني[2] إليه، فصرت في صدره، ثم حملني، قال: فوالله ما اتَّقيت الأرض إلا بظهر كبدي وجلس على صدري، فما ملكت نفسي أن ضرطتُ ضَرْطة منكرة، قال: وثُرت إلى جملي فقال: أنشدك الله، فقالت المرأة: عافاك الله الظلّ والقِرى، فقلت: أخزى الله ظلَّكم وقِراكم، ومضيت، فبينا أسير إذ لحقني الفتى على نَجيب يجنب بُخْتِيّاً برحله وزمامه، وكان رحله من أحسن الرحال، فقال: يا هذا، والله ما سرني ما كان،

---

(١) البرقع: الخمار.

(٢) اختلجني: جذبني.

وقد أراكَ أبدعت أي كلّت ركابُك، فخذ هذا النجيب، وإيّاك أن تُخدَع عنه، فقد والله أُعطِيْتُ به مائتي دينار قلت: نعم آخذه، ولكن أخبرني مَن أنتَ؟ ومَن هذه المرأة؟ قال: أنا توبةُ بنُ الْحُمَيِّر، وتلك ليلى الأخيليّة.

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي، قال: حدثني القاسم بن محمد الأنباريّ، قال: حدثني أحمد بن عبيد، عن الأصمعيّ، قال: كانت امرأةٌ من عُقَيل يقال لها ليلى، يتحدث إليها الشباب، فدخل الفرزدق إليها، فجعل يحادثها، وأقبل فتى من قومها، كانت تألفه، ودخل إليها فأقبلت عليه بحديثها، وتركت الفرزدق، فغاظه ذلك، فقال للرَّجل: أتصارعني؟ قال: ذلك إليك، فقام إليه الرجل فلم يلبث أن أخذ الفرزدق مثل الكرة فصرعه، وجلس على صدره، فضرَط الفرزدقُ، فوثب عنه الرجل خجلاً، وقال له الرجل: يا أبا فِراس، هذا مقام العائذ بك، والله ما أردت بك ما جرى، فقال: ويحك، ما بي أن صرعتني، ولكن كأني بابن الأتان جرير، وقد بلغه خبري هذا، فقال يهجوني: [الطويل]

جَلَسْتَ إلى ليلى لِتَحْظَى بقُربِها ... فخانَكَ دُبْرٌ لا يَزالُ يَخونُ

فلو كُنْتَ ذا حزمٍ شَدَدْتَ وِكاءَها ... كما شدَّ خَرْتاً للدِّلاصِ قُيونُ[1]

قالوا: فوالله ما مضت أيام حتى بلغ جريراً الخبر، فقال فيه هذين البيتين.

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثني القحذميّ، قال: حدثني بعض أصحابنا، عن عبد الله بن زالان التميميّ راوية الفرزدق، أن الفرزدق قال: أصابنا بالبصرة مطر جَوْدٌ[2] ليلاً، فإذا أنا بأثر دوابَّ قد خرجت ناحية البرية، فظننت قوماً قد خرجوا لنزهة، فقلت: خليقٌ أن تكون معهم سُفرةٌ وشراب، فقصصت أثرهم، حتى وقفت إلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير، فأغْذذت[3] السير نحو الغدير، فإذا نسوة مستنقعَات في الماء، فقلت: لم أر كاليوم قط، ولا يوم دارة جُلْجُل[4]، وانصرفتُ مستحيياً منهنّ، فنادَيْنَني: بالله يا صاحب البغلة، ارجع نسألك عن شيء، فانصرَفتُ إليهن، وهن في الماء إلى

(١) الوكاء: الخيط الذي يشدّ به الكيس أو الصرة. والخرت: الثقب. والدلاص: الدرع اللينة. والقيون: جمع قين، وهو الحدّاد.
(٢) مطر جود: غزير.
(٣) أغذ السير: أسرع السير.
(٤) دارة جلجل: موضع. (انظر معجم البلدان ٢/٤٢٦).

حلوقهن، فقلن: بالله إلا ما خبرتنا بحديث دارة جلجل، فقلت: إن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عم له يقال لها عُنيزة، فطلبها زماناً، فلم يصل إليها، وكان في طلب غِرَّة من أهلها ليزورها، فلم يُقض له، حتى كان يوم الغدير، وهو يوم دارة جلجل، وذلك أن الحي احتملوا[1]، فتقدم الرجال، وتخلف النساء والخدم والثَّقَل[2]، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعد ما سار مع قومه غَلوة[3]، فكمن في غَيابَةٍ من الأرض، حتى مر به النساء فإذا فتيات، وفيهن عُنيزة، فلما وردن الغدير قلن: لو نزلنا فذهب عنا بعضُ الكَلال، فنزلن إليه، ونحَّينَ العبيدَ عنهن، ثم تجردن فاغتمسن في الغدير، كهيئتكن الساعة، فأتاهن امرؤ القيس محتالاً كنحو ما أتيتكن، وهن غوافل، فأخذ ثيابَهن، فجمعها ـ ورمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأخذ بعضَ أثوابِهن، فجمعها، ووضعها على صدره ـ وقال لهن كما أقول لكن: والله لا أعطي جارية منكن ثوبها، ولو أقامت في الغدير يومَها، حتى تخرج مجردةً، قال الفرزدق: فقالت إحداهن، وكانت أمجنَهن: ذلك كان عاشقاً لابنة عمه، أفعاشق أنت لبعضنا؟ قال: لا والله، ما أعشق منكن واحدة، ولكن أشتهيكن، قال: فنعرن[4]، وصفّقن بأيديهن، وقلن: خذ في حديثك، فلست منصرفاً إلا بما تحب، قال الفرزدق في حديث امرىء القيس: فتأبين ذلك عليه حتى تعالى النهار، ثم خشين أن يُقصِّرنَ دون المنزل الذي أردنه، فخرجت إحداهن، فوضع لها ثوبها ناحية، فأخذته فلبسته، ثم تتابعن على ذلك حتى بقيَتْ عُنيزةُ، فناشدته الله أن يَطرح إليها ثَوبَها، فقال: دعينا منك؛ فأنا حرام إن أخذتِ ثوبَك إلا بيدك، فخرجت فنظر إليها مقبلةً ومدبرة، فوضع لها ثوبها فأخذته، وأقبلن عليه يلُمنه ويعذُلنه ويقلن: عرَّيْتَنَا وحبستنا وجَوَّعتنا، قال: فإن نحرتُ لكنّ مطيتي أتأكلن منها؟ قلن: نعم، فاخترط سيفه، فعقرها ونحرها وكشطها[5]، وصاح بالخدم فجمعوا له حطباً، فأجّج ناراً عظيمة، ثم جعل يقطّع لهنّ من سَنامها وأطايبها وكبدها، فيُلقيها على الجمر، فيأكلن، ويأكل معهن، ويشرب من رَكوة[6] كانت معه ويغنيهن، ويتبذ إلى العبيد

---

(١) احتملوا: ارتحلوا.

(٢) الثقل: المتاع.

(٣) الغلوة: مقدار رمية السهم. وهي حوالي ٣٠٠ ذراع إلى ٤٠٠ ذراع.

(٤) نعر: صاح وصوّت بخيشومه.

(٥) كشطها: سلخها، أزال جلدها.

(٦) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

والخدم من الكباب، حتى شبعن وطربن، فلما أراد الرّحيل قالت إحداهن: أنا أحمل طنفسته، وقالت الأُخرى: أنا أحمل رحله، وقالت الأُخرى: أنا أحمل حَشِيَّتَه وأنساعه[١]، فتقسّمن متاع راحلته بينهن، وبقيت عُنيزة لم يُحَمِّلْها شيئاً، فقال لها امرؤ القيس: يابنة الكرام، لا بد لك أن تحمليني معك؛ فإني لا أُطيق المشي وليس من عادتي، فحملته على غارب بعيرِها، فكان يُدخلُ رأسَه في خِدرها فيقبّلها، فإذا امتنعت مال حِدْجُهَا[٢]، فتقول: يا امرأ القيس، عقرت بعيري فانزل، فذلك قوله: [الطويل]

تَقولُ وقد مالَ الغَبيطُ بنا معاً ... عَقَرْتَ بَعيري يا امْرَأَ القَيْسِ فانزلِ[٣]

فلما فرغ الفرزدق من الحديث قالت تلك الماجنة: قاتلك الله، ما أحسنَ حديثَك يا فتى وأظرفك، فَمنْ أنت؟ قال: قلتُ: من مُضَر، قالت: ومن أيها؟ فقلت: من تميم، قالت: ومن أيها؟ قلت: إلى ههنا انتهى الكلام، قالت: إخالُك والله الفرزدق قلت: الفرزدق شاعر وأنا راوية، قالت: دعنا من توريتك على نسبك، أسألك بالله، أنت هو؟ قال: أنا هو والله، قالت: فإن كنت أنت هو فلا أحسبك مفارقاً ثيابنا إلا عن رِضاً، قلت: أجل، قالت: فاصرف وجهك عنا ساعة وهمست إلى صويحباتها بشيءٍ لم أفهمه، فغَطَطْنَ في الماء فتوارين، وأبدين رؤوسهن وخرجن، ومع كل واحدة منهن ملء كفيها طيناً، وجعلن يتعادين نحوي، فضربن بذلك الطين والحمأة وجهي، وملأْن عيني وثيابي، فوقعت على وجهي، فصرت مشغولاً بعيني وما فيها، وشددن على ثيابهن فأخذنها، وركبت الماجنة بغلتي، وتركتني منبطحاً بأسوأ حال وأخزاها وهي تقول: زعم الفتى أنه لا بد أن ينيكَنا، فما زلت من ذلك المكان حتى غسلت وجهي وثيابي وجففتها، وانصرفت عند مجيءِ الظلام إلى منزلي على قدمي، وبغلتي قد وجهن بها إلى منزلي مع رسول لهن، وقلن: قل له تقول لك أخواتك: طلبتَ منّا ما لم يمكننا، وقد وجهنا إليك بزوجتك، فنِكها سائرَ ليلتك وهذا كِسْر درهم[٤] لحمّامك إذا أصبحت، فكان إذا حدّث بهذا الحديث يقول: ما مُنيت بمثلهن.

---

(١) الأنساع: جمع نسع، وهو سير عريض طويل تشدّ به الرحال والحقائب.

(٢) الحدج: مركب من مراكب النساء كالهودج.

(٣) الغبيط: ما يوضع على ظهر البعير لتركب فيه المرأة، كالرحل للرجل.

(٤) كسر درهم: جزء صغير من الدرهم.

[هجاؤه مسكيناً الدارمي]

أخبرني عبد الله بنُ مالك، قال: حدثنا أبو مسلم الحرّانيّ، قال: حدثني الأصمعيّ، قال: حدثنا العَلاء بنُ أسلم، قال: لما مات زياد رثاه مسكين الدّارميّ، فقال الفرزدق: [الطويل]

أمسكينُ أبْكَى اللّهُ عَيْنَيْكَ إنّما ... جَرَى في ضلالٍ دَمْعُها إذ تحدَّرَا
بَكَيْتَ امْرَأً مِنْ آلِ مَيْسانَ كافِراً ... ككِسرى على عِدّانِهِ أو كَقَيْصَرا[1]
أقولُ له لمّا أتاني نَعِيُّهُ ... به لا بظَبيٍ بالصَّريمةِ أعْفَرا[2]

[هجاء مداح]

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن أبي مسلم الحرّاني، قال: حدثنا الأصمعي، قال: حدثنا العلاء بن أسلم، قال: لما أراد المهلب الخروج إلى الأزارقة[3] لقي الفرزدقُ جريراً، فقال له: يا أبا فراس، هل لك أن تكلم المهلب، حتى يضع عني البحث، وأعطيَك ألف درهم؟ فكلم المهلب، فأجابه فلامه جُذَيع، رجل من عشيرته، وشكا ذلك إلى خيرةَ امرأةِ المهلب وقال لها: لا يزال الآن الرجل يجيء فيسأل في عشيرته وصديقه، فلامته خيرة بنت ضَمرةَ القُشَيرية، فقال المهلب: إنما اشتريتُ عِرضي منه، فبلغ ذلك الفرزدق، فقال يهجو جُذَيعاً: [الكامل]

إنْ تَبْنِ دَارَكَ يا جُذَيع فما بنى ... لك يا جذيعُ أبوكَ مِنْ بُنْيانِ
وأبوكَ مُلْتَزِمُ السَّفينة عاقدٌ ... خُصْيَيْهِ فَوْقَ بنائقِ التُّبّانِ[4]
ويَظَلُّ يَدْفَعُ باسْتِهِ مُتَقاعِساً ... في البَحْرِ مُعْتَمداً على السُّكّانِ
لا تَحْسَبَنَّ دراهماً جمَّعْتَها ... تَمْحُو مَخازِيَكَ التي بِعُمانِ

وقال يهجو خيرة. [الوافر]

ألاَ قَشَرَ الإلهُ بني قُشَيرٍ ... كقَشْرِ عصا المُنَقِّحِ مِنْ مُعَالِ

---

(١) ميسان: كورة واسعة بين البصرة وواسط. (معجم البلدان ٥/٢٤٢) والعِدّان: العهد، الزمان.
(٢) الصريمة: القطعة المنعزلة من الرمل.
(٣) الأزارقة: فرقة من الخوارج رئيسهم نافع بن الأزرق.
(٤) البنائق: جمع بنيقة. وهي الزيق يخاط في جيب القميص تثبت فيه الأزرار. والتّبان: سراويل يلبسه الملاحون ونحوهم.

أَرى رَهْطاً لِخيرةَ لم يَؤُوبوا ... بِسَهْمٍ في اليمينِ ولا الشِّمالِ
إذا رُهِزَت رَأَيْتَ بني قُشَيْرٍ ... مِنَ الخُيَلاءِ مُنتفِشي السِّبالِ

فغضب بنو المهلب لما هجا جُذَيعاً وخيرة، فنالوا منه، فهجاهم فقال: [الوافر]

وكائِن لِلمهلّبِ مِنْ نَسيبِ ... يُرَى بِلَبانِهِ أَثَرُ الزِّيارِ[1]
بِخارَكَ لم يقُدْ فَرَساً ولكن ... يَقُودُ السَّاجَ بالمَسَدِ المُغارِ[2]
عَمِيٌّ بالتَّنائفِ حِينَ يُضْحِي ... دَليلَ اللَّيلِ في اللُّجَجِ الغِمارِ[3]
وما لِلَّه يَسْجُدُ إذ يُصَلِّي ... ولكن يَسْجدونَ لِكُلِّ نارِ

فلما ولِّي يزيدُ بن المهلب خراسان والعراق بعد أبيه ـ ولاّه سليمان بن عبد الملك ـ خافَ الفرزدقُ من بني المُهلَّب، فقال يمدَحُهم: [الكامل]

فلأَمدحنَّ بني المُهَلَّب مِدْحةً ... غَرَّاءَ قاهِرَةً على الأَشعارِ
مثل النُّجوم أمامها قَمَراؤُها ... تَجْلُو العَمى وتُضيءُ لَيْلَ السَّاري
ورِثوا الطِّعانَ عَنِ المُهَلَّبِ والقِرَى ... وخلائقاً كتدفُّقِ الأنهارِ
كان المُهَلَّبُ لِلعِراقِ وقايةً ... وحَيَا الرَّبيعِ ومَعقِلَ الفُرَّارِ
وإذا الرِّجالُ رَأَوْا يَزيدَ رَأَيْتَهم ... خُضُعَ الرِّقابِ نواكسَ الأبصارِ
ما زالَ مُذْ شَدَّ الإزارَ بِكَفِّهِ ... ودنا فأَدْرَكَ خمسةَ الأشبارِ
أيزيدُ إنَّكَ لِلمهلبِ أدْرَكَتْ ... كفَّاكَ خَيْرَ خلائِقِ الأخيارِ

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني الأصمعي، قال: لما قدم يزيدُ بن المهلب واسطاً قال لأميةَ بنِ الجعد ـ وكان صديقَ الفرزدق ـ: إنّي لأحِب أن تأتيَني بالفرزدق، فقال للفرزدق: ماذا فاتك من يزيدَ أعظم الناس عفواً، وأسخى الناس كفّاً، قال: صدقت، ولكن أخشى أن آتيه فأجد العمَانِيَّةَ ببابه فيقومَ إليَّ رجل منهم فيقولَ: هذا الفرزدق الذي هجانا، فيضرب عنقي، فيبعث إليه يزيد، فيضربَ عنقه، ويبعث إلى أهلي ديتي، فإذا يزيدُ قد صار أوفى العرب، وإذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب، قال: لا والله لا أفعل، فأخْبَر يزيدَ بما قال، فقال: أمّا إذ قد وقع هذا بنفسه فدعه لعنه الله.

---

(١) اللبان: الصدر. والزيار: الحبل الذي يشد به الأسير.
(٢) خارك: جزيرة في وسط البحر الفارسي. (معجم البلدان ٢/ ٣٣٧).
(٣) التنائف: جمع تنوفة، وهي المفازة لا ماء فيها. واللجج: جمع لجة، وهي معظم الماء.

قال ابن حبيب: وحدثنا يعقوبُ بن محمد الزهريّ عن أبيه عن جده قال: دخل الفرزدق مع فتيانٍ من آل المهلب في بركة يتبرّدون فيها، ومعهم ابنُ أبي علقمة الماجن، فجعل يتفلّت إلى الفرزدق، فيقولُ: دعوني أنكحه، حتى لا يهجُوَنا أبداً. وكانَ الفرزدق من أجبن الناس، فجعل يستغيث، ويقول: ويلكم! لا يمسَّ جلدُه جلدِي، فيبلغَ ذلك جريراً، فيوجِبَ عليّ أنه قد كان منه الذي يقول، فلم يزل يناشدهم حتى كَفّوه عنه.

أخبرني عبيد الله قال: حدثني محمد بن حبيب قال: حدثني موسى بن طلحة قال: لمّا ولي خالدُ بن عبد الله العراق، فقدِمها وكان من أشد خلق الله عَصَبيّة على نزار فقال لبطةُ بن الفرزدق: فلبس أبي من صالح ثيابه، وخرج يريد السلام عليه، فقلت له: يا أبت، إن هذا الرجلَ يمانيٌّ، وفيه من العصبية ما قد علمت، فلو دخلت إليه فأنشدته مدائحك أهلَ اليمن لعلَّ اللَّهَ أن يأتيَك منه بخير، فإنك قد كبرت على الرحلة، فجعل لا يردُّ عليّ شيئاً، حتى دُفعْنا إلى البواب؛ فأذِن له؛ فدخل؛ وسلم فاستجلسه ثم قال: إيهٍ يا أبا فراس، أنشدنا مما أحدثت، فأنشدتُه: [البسيط]

يَخْتَلِفُ النَّاسُ ما لم نَجْتَمِعْ لهمُ ... ولا خلافَ إذا ما أَجْمَعَتْ مُضَرُ
فينا الكواهِلُ والأعناقُ تقدُمها ... فيها الرُّؤوسُ وفيها السَّمْعُ والبَصَرُ
ولا نُحالِفُ غَيْرَ الله مِنْ أحَدٍ ... إلا السُّيوفَ إذا ما اغرَوْرَقَ النَّظَرُ[1]
ومن يَمِلْ يُمِلِ المَأثُورُ قُلَّتَه ... بِحَيْثُ يَلْقى حِفَافَيْ رَأسِهِ الشعرُ[2]
أما المُلوكُ فإنا لا نَلينُ لهم ... حتى يَلينَ لضرسِ الماضِغِ الحَجَرُ

ثم قام فخرجنا، قلت: أهكذا أوصيتك؟ قال: اسكت، لا أُمَّ لك فما كنتُ قطُّ أملأَ لقلبه مني الساعة.

أخبرني عبد الله قال: حدثني محمد بن حبيب، عن موسى بن طلحة قال: كان الفرزدق في حلقة في المسجد الجامع، وفيها المنذرُ بنُ الجارود العبديّ، فقال المنذر: مَن الذي يقول: [الوافر]

وَجَدْنا في كتابِ بني تَميم ... أحقُّ الخَيْلِ بالرَّكْضِ المعارُ

فقال الفرزدق: يا أبا الحكم هو الذيّ

(١) اغرورق النظر: امتلأت العين بالدمع.
(٢) المأثور: السيف. وقلّته: رأسه. والحفاف: الجوانب.

يقول: [الوافر]

أشـارِبُ قَـهْـوةٍ وخـديـنُ زِيـرٍ ... وعَـبْـديٌّ لِـفَـسْـوَتِـه بُـخـار
وجَـدْنـا الـخَـيْـلَ فـي أبـنـاءِ بَـكْـرٍ ... وأفْـضَـلُ خَـيْـلِـهـم خَـشَـبٌ وقـار[1]

قال: فخجل المنذر، حتى ما قدرَ على الكلام.

أخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثني محمد بن موسى قال: حدثنا الأصمعيّ قال: دخل الفرزدق على بعض خلفاء بني مروان ففاخره قوم من الشعراء فأنشأ يقول: [البسيط]

ما حـمـلَـتْ نـاقـةٌ مِـنْ مَـعْـشـرٍ رَجُـلاً ... مثلي إذا الرِّيحُ لَفَّتْنِي على الكُورِ[2]
أعـزَّ قَـوْمـاً وأوْفـى عِـنْـدَ مَـكْـرُمـةٍ ... لـمـعْـظَـمٍ مِـنْ دماءِ الـقَـوْمِ مَـهْـجـورِ[3]

فقال له: إيه، فقال:

إلاّ قُـرَيْـشـاً فـإنَّ الله فَـضَّـلَـهـا ... عـلـى الـبَـرِيَّـةِ بـالإسْـلام والـخـيـر
تـلـقـى وُجُـوهَ بَـنِـي مَـرْوانَ تَـحْـسَـبُـهـا ... عِـنْـدَ الـلِّـقـاءِ مَـشُـوفـاتِ الـدَّنـانـيـرِ[4]

ففَضَّله عليهم، ووصله.

قال ابن حبيب: وكان الفرزدق يهاجي الأشهبَ بن رميلةَ النهشليَّ وبني فُقَيْم، فأرفث[5] بهم، فاستعدوا عليه زياداً، فحدثني جابر بن جندل، قال: فأتى عيسى بن حُصَيْلَةَ بنِ مغيث بن نصر بن خالد السُّلمي ثم من بني بَهْزٍ، فقال: يا أبا حُصَيلة، إن هذا الرجل قد أخافني؛ وقد لَفَظني جميع من كنت أرجو، قال: فمرحباً بك يا أبا فِراس، فكان عنده ليالي، ثم قال: إني أريد أن ألحقَ بالشام، قال: إن أقمت ففي الرَّحب والسَّعة، وإن شخصت فهذه ناقة أرحبيَّة[6] أُمتِّعك بها، وألف درهم، فركب الناقة، وخرج من عنده ليلاً، فأرسل عيسى معه مَنْ أجازه من

(١) خشب وقار: كناية عن السفينة.
(٢) الكور: الرحل.
(٣) الدم المهجور: الذي لا يطالب بثأره.
(٤) مشوفات الدنانير: الدنانير المجلوة اللامعة.
(٥) أرفث بهم: تكلم بكلام قبيح.
(٦) الأرحبية: نسبة إلى أرحب بن دعام بن مالك، أو إلى مخلاف باليمن. (انظر معجم البلدان ١/١٤٤).

البيوت؛ فأصبح وقد جاوز مسيرةَ ثلاث، فقال يمدحه: [الطويل]

كفاني بها البَهْزِيُّ حُملانَ منْ أبى ... مِنَ النَّاسِ، والجاني تُخافُ جرائمُهْ
فتى الجُودِ عيسى والمكارمِ والعُلا ... إذا المالُ لم ينفَعْ بَخِيلاً كرائمُهْ
ومَنْ كان يا عيسى يُؤنِّبُ ضَيْفَهُ ... فَضَيْفُكَ يا عيسى هَنِيءٌ مَطاعِمُهْ
وقال: تَعَلَّمْ أنها أرحبِيَّةٌ ... وأنَّ لَكَ اللَّيْلَ الذي أنت جاشِمُهْ[1]
فأَصْبَحْتُ والمُلْقَى ورائي وحنبَلٌ ... وما صَدَرَتْ حتى علا النَّجْمَ عاتمُهْ[2]
تَزاوَرُ في آلِ الحقيقِ كأنها ... ظَليمٌ تَبارَى جُنحَ لَيْلٍ نعائمُهْ[3]
رَأَتْ دُونَ عَيْنَيْها ثَويَّة فانجلى ... لها الصُّبْحُ عَنْ صَعْلٍ أسيلٍ مخاطِمُهْ[4]

وقال: [الطويل]

تدارَكني أَسْبابُ عيسى مِنَ الرَّدَى ... ومَنْ يَكُ مَوْلاهُ فليس بواجِدِ
نَمَتْهُ النَّواصي من سُلَيْم إلى العُلا ... وأَعْراقُ صِدْقٍ بين نَصْرٍ وخالِدِ
سأُثْنِي بما أَوْلَيْتَني وأَرُبُّه ... إذا القَوْمُ عَدُّوا فضْلَهُمْ في المشاهِدِ

فلما بلغ زياداً شخوصُه أَتْبَعَه عليَّ بن زهدمِ الفقيميَّ، أحدَ بني مؤلة فلم يلحقه فقال الفرزدق: [الطويل]

فإِنَّكَ لو لاقَيْتَني يابنَ زهدمٍ ... لأُبْتَ شعاعيّاً على غَيْرِ تمثال[5]

فأتى بكر بن وائل، فجاورهم فأمن فقال: [الطويل]

وقد مَثَلَتْ أينَ المَسِيرُ فَلَمْ تَجِدْ ... لعَوْذَتها كالحَيِّ بكر بن وائل[6]
وسارَتْ إلى الأجفانِ خَمْساً فَأَصْبَحَتْ ... مكانَ الثُّريا مِنْ يَدِ المتناول[7]
وما ضَرَّها إذ جاوَرَتْ في بلادها ... بني الحِصنِ ما كان اختلافُ القَبائل

---

(١) جشم الليل: تكلف السير فيه.
(٢) الملقى وحنبل: موضعان. وعاتم النجم: مظلمه.
(٣) تزاور: تتزاور، حذفت تاء المضارعة. والحقيق: موضع. وتبارى: تتبارى حذفت تاء المضارعة.
(٤) ثوية: موضع. والصعل: الظليم الدقيق الرأس. والأسيل: الناعم. والمخاطم: جمع مخطم، وهو مقدم الأنف.
(٥) شعاعياً: متفرّقاً.
(٦) مثلت: زالت عن موضعها. وعوذتها: ملجؤها.
(٧) الأجفان: جمع جفن، وهو أصل الكرم، أو شجر طيب الرائحة، أو نوع من العنب، أو السحاب وكلها معان محتملة.

الحصن بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

وهرب الفرزدق من زياد، فأتى سعيدَ بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أمية، وهو على المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، فأمنه سعيد، فبلغ الفرزدق أن زياداً قال: لو أتاني أمَّنْتُه وَأعطيتُه، فقال في كلمة له: [الطويل]

دعـانـي زِيـادٌ لـلـعـطـاءِ وَلـم أكُـنْ ... لآتِـيَـهُ مـا سـاقَ ذو حـسـبٍ وَفْـرا
وَعـنـد زِيـادٍ لـو أرادَ عـطـاءَهـم ... رِجـالٌ كـثـيـرٌ قـد يـرى بـهـمُ فـقـرا
قُـعـودٌ لـدى الأبـوابِ طـلاَّبُ حـاجـةٍ ... عَوانٍ مِنَ الحاجاتِ أو حاجة بكرا[1]
فـلـمـا خَـشِـيـتُ أنْ يَـكـونَ عـطـاؤهُ ... أداهـمَ سـوداً أو مُـحَـدْرَجَـةً سُـمـرا[2]
نَـمَـيْـتُ إلـى حَـرْفٍ أضَـرَّ بِـنَـيِّـهـا ... سُرَى اللَّيْلِ وَاسْتِعْراضُها البلد القَفْرا[3]

فلما اطمأن عند سعيد بن العاصي بالمدينة قال: [الوافر]

ألا مَـنْ مُـبْـلِـغٌ عَـنِّـي زِيـاداً ... مُـغـلـغـلـةً يـخُـبُّ بـهـا الـبَـريـدُ[4]
بـأنّـي قـد فَـرَرْتُ إلـى سَـعـيـدٍ ... وَلا يُـسْـطَـاعُ مـا يَـحْـمـي سَـعـيـدُ
فَـرَرْتُ إلـيـه مِـنْ لَـيْـثٍ هِـزَبْـرٍ ... تـفـادى عَـنْ فَـريـسـتِـهِ الأُسـودُ
فَـإنْ شِـئْـتُ انْـتَـمَـيْـتُ إلـى الـنَّـصـارى ... وَنَـاسَـبَـنـي وَنَـاسَـبَـتِ الـيَـهـودُ
وَإنْ شِـئْـتُ انْـتَـسَـبْـتُ إلـى فُـقَـيْـمٍ ... وَنَـاسَـبَـنِـي وَنَـاسَـبَـتِ الـقُـرودُ
وَأبْـغَـضُـهـم إلَـيَّ بَـنُـو فُـقَـيْـمٍ ... وَلَـكِـن سَـوْفَ آتـي مـا تُـريـدُ

فأقام الفرزدق بالمدينة؛ فكان يدخل بها على القيان، فقال: [الطويل]

إذا شِـئْـتُ غـنَّـانـي مِـنَ الـعـاجِ قـاصِـفٌ ... عـلـى مِـعْـصَـمٍ رَيّـان لـم يَـتَـخَـدَّدِ[5]
لِـبَـيْـضـاءَ مِـنْ أهْـلِ الـمـديـنـةِ لـم تَـعِـشْ ... بـبـؤسٍ ولـم تَـتْـبَـعْ حُـمـولـة مُـجْـحـدِ
وقـامـت تُـخـشِّـيـنـي زِيـاداً وأجْـفَـلَـتْ ... حـواليَّ فـي بُـرْدَيْ يـمـانٍ وَمُـجـسَـدِ[6]
فَـقُـلْـتُ: دَعِـيـنـي مِـنْ زِيـادٍ فـإنّـنـي ... أرَى الـمَـوْتَ وَقَّـاعـاً عـلـى كُـلِّ مَـرْصَـدِ

(١) الحاجة العوان: المتكررة. والحاجة البكر: الحاجة لم تتكرر بل كانت للمرة الأولى.
(٢) المحدرجة: السوط.
(٣) نميت: لجأت. والحرف: الناقة الضامرة. والنيّ: الشحم.
(٤) المغلغلة: الرسالة. ويخبّ: يسرع.
(٥) تخدّد: تشقق.
(٦) المجسد: المطلى بالجساد وهو الزعفران.

فلما هلك زياد رثاه مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عدي بن عدس بن عبد الله بن دارم، فقال: [الوافر]

رَأَيْتُ زِيادةَ الإِسْلامِ وَلَّتْ جِهاراً حينَ فارَقَها زِيادُ

فبلغ ذلك الفرزدق، فقال: [الطويل]

أَمِسْكينُ أَبْكَى اللهُ عَيْنَيْكَ إِنَّما جَرَى في ضَلالٍ دَمْعُها فَتَحَدَّرا
أَتَبْكي امْرَأً مِنْ آلِ مَيْسانَ كافِراً كَكِسْرَى على عِدَّانه أو كَقَيْصَرا
أَقولُ له لما أتاني نَعِيُّهُ: بهِ لا بِظَبْيٍ بالصَّريمةِ أَعْفَرا

فقال مسكين: [الطويل]

أَلا أَيُّها المَرْءُ الذي لَسْتُ قائماً ولا قاعِداً في القَوْمِ إِلَّا انْبَرَى لِيَا
فَجِئْني بِعَمٍّ مِثْلِ عَمِّي أو أَبٍ كَمِثْلِ أبي أو خالِ صدقٍ كخالِيَا
بعَمْرو بنِ عَمْرٍو أو زُرارةَ ذي النَّدَى سَمَوْتُ به حتى فَرَعْتُ الرَّوابيا

فأمسك الفرزدق عنه، وكان يقول: نجوتُ من أن يهجوني مسكين، فإن أجبته ذهبتُ بشطر فخري، وإن أمسكت عنه كانت وصمة على مدى الدهر.

أخبرني أبو خليفة، فقال: أخبرنا ابن سلام، قال: حدثني الحكم بن محمد المازني، قال: كان تميم بن زيد القضاعي، ثم أحد بني القين بن جسر غزا الهند في جيش فجمّرهم(1)، وفي جيشه رجل يقال له حُبَيْش، فلما طالت غيبتُه على أمه اشتاقته، فسألت عمن يكلم لها تَميمَ بن زيد أن يُقْفلَ ابنها، فقيل لها: عليك بالفرزدق، فاستجيري بقبر أبيه، فأتت قبر غالب بكاظمةَ، حتى علم الفرزدق مكانها. ثمَّ أتته، وطلبت إليه حاجتها، فكتب إلى تَمِيم بن زيد هذه الأبيات: [الطويل]

هَبْ لي حُبَيشاً واتَّخذْ فيه مِنّةً لِغُصَّةِ أَمٍّ ما يَسُوغُ شَرابُها
أَتَتْني فعَاذَتْ يا تَميمُ بغالبٍ وبالحُفْرةِ السَّافي عليها تُرابُها
تَميمُ بنُ زَيدٍ لا تَكونَنَّ حاجتي بِظَهْرٍ فلا يَخْفَى عَلَيَّ جَوابُها

فلما أتاه كتابُه لم يدر ما اسمه حُبَيْشٌ أو خُنَيْشٌ، فأخرج ديوانه، وأقفل كل حبيْش وخُنيْش في جَيْشِه، وهم عدّة، وأنفذهم إلى الفرزدق.

---

(1) جمَّر الجند: أطال مدة غزوهم من غير إذن لهم بزيارة أهلهم.

[قبر أبيه]

قال أبو خليفة: قال ابن سَلاّم: وَحدَّثني أبو يحيى الضبي، قال: ضرب مكاتب لبني مِنْقر بساطاً على قبر غالب أبي الفرزدق؛ فقدم الناس على الفرزدق، فأخبروه بمكانه عند قبر أبيه. ثم قدم عليه فقال: [الطويل]

بقبرِ ابنِ لَيْلى غالبٍ عُذْتُ بعدما ... خَشِيت الرَّدَى أو أن أُرَدَّ عَلَى قَسْرِ
فأخبرني قَبْرُ ابنِ لَيْلىٰ فقال لي: ... فِكاكُكَ أن تَأتي الفَرَزْدَقَ بالمِصْرِ[١]

فقال الفرزدق: صدق أبي؛ أنِخْ؛ ثمَّ طاف له في النَّاس؛ حتى جمع له مكاتبتَه وفضلاً.

وكَان نُفَيْع ذو الأهدام: أحد بني جعفر بن كلاب يتعصب لجرير بمدحه قيساً؛ فهجاه الفرزدق، فاستجارت أمه بقبر غالب؛ وعاذت من هجاء الفرزدق؛ فقال: [الطويل]

ونُبِّئْتُ ذا الأهدام يَعْوي ودُونَهُ ... مِنَ الشَّام زُرَّاعَاتُها وَقُصُورُها
على حينَ لم أتْرُكْ عَلَى الأرْضِ حيَّةً ... ولا نابِحاً إلا اسْتَقَرَّ عُقُورُها
كِلابٌ نَبَحْنَ الحَيَّ مِنْ كُلِّ جانبٍ ... فعادَ عُواءً بعد نَبْحٍ هريرُها[٢]
عجوزٌ تُصَلِّي الخَمْسَ عاذَتْ بغالبٍ ... فلا والذي عاذَتْ به لا أضيرُها
لئن نافعٌ لَمْ يَرْعَ أرْحامَ أُمِّه ... وَكَانت كدَلْوٍ لا يَزالُ يعيرُها[٣]
لبئس دمُ المولودِ بلَّ ثيابها ... عَشِيَّةَ نادى بالغلام بشيرُها
وإنِّي على إشْفاقِها مِنْ مَخافَتي ... وَإن عَقَّها بي نافعٌ لَمُجيرُها
وَلو أنَّ أُمَّ الناسِ حوّاءَ جاوَرَتْ ... تَميمَ بنَ مُرٍّ لم تَجِدْ مَنْ يُجِيرُها

وهذا البيت يروى لغيره في غير هذه القصيدة.

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثنا أحمد بن حاتم المعروفُ بابن نصر، عن الأصمعيّ، قال: كان عبد الله بنُ عطيةَ راوية الفرزدق وجرير، قال: فدعاني الفرزدق يوماً، فقال: إني قلت بيت شعر والنَّوار طالق إن نقضَه ابن المراغة، قلت: ما هو؟ قال: قلت:

---

(١) المصر: الكورة الكبيرة فيها دور وأسواق.
(٢) الهرير: صوت الكلب دون النباح.
(٣) يعيرها: يعيبها.

[الطويل]

فـإنـي أنـا الـمَـوْتُ الـذي هـو نـازلٌ بِنَفْسِكَ فانْظُرْ كيف أنتَ تُحاوِلُه

ارحل إليه بالبيت، قال: فرحلت إلى اليمامة، قال: ولقيت جريراً بفناء بيته يعبث بالرمل، فقلت: إن الفرزدق قال بيتاً، وحلف بطلاق النوار أنك لا تنقضه، قال: هيه، أَظَنَّ واللَّهِ ذلك؟ ما هو ويلك فأنشدته إياه، فجعل يتمرغ في الرمل، ويحثوه على رأسه وصدره، حتى كادت الشمس تغرب، ثم قال: أنا أبو حزرة، طَلَقَت امرأةُ الفاسق؛ وقال: [الطويل]

أنا الدَّهْرُ يَفْنَى المَوْتُ والدَّهْرُ خالدٌ فَجِئْني بِمِثْلِ الدَّهْرِ شَيْئاً يُطاوِلُه

ارحل إلى الفاسق، قال: فقدمت على الفرزدق، فأنشدته إياه، وأعلمته بما قال، فقال: أقسمت عليك لَمَا سترتَ هذا الحديث.

أخبرني عبد الله، قال: أخبرني محمد بن حبيب، قال: حدثنا الأصمعي وأبو عبيدة، قال: دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة، فضحكوا فقال: يا أبا فِراس أتدري مِمَّ ضحكوا؟ قال: لا، قال: من جفائك، قال: أصلح الله الأمير، حججت؛ فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبي، وعلى عاتقه الأيسر صبي؛ وإذا امرأة آخذة بمئزرِه؛ وهو يقول:

أنـت وَهَـبْـتَ زائِـداً ومَـزْيَـدا وكَـهْـلَـةً أُولِـجُ فـيـهـا الأَجْـردا

والمرأة تقول من خلفه: إذا شئت، فسألت: ممن هو؟ فقيل: من الأشعريين، أفأنا أجفى أم ذلك؟ فقال بلال: لا حيَّاك الله، قد علمت أنهم لن يفلتوا منك.

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثني محمد بن حبيب، قال: حدثنا موسى بن طلحة، عن أبي زيد الأنصاري، قال: ركب الفرزدق بغلته، فمر بنسوة؛ فلما حاذاهنّ لم تتمالك البغلة أن ضرَطت، فضحكن منه، فالتفت إليهنّ، فقال: لا تضحكن، فما حملتني أنثى إلا ضرطت، فقالت له إحداهن: ما حملتك أنثى أكثر من أمك، فأراها قاست منك ضُراطاً كثيراً، فحرك بغلته، وهرب منهن.

وبهذا الإسناد قال: أتى الفرزدق الحسنَ البَصري؛ فقال: إني قد هجوتُ إبليس، فقال: كيف تهجوه وعن لسانه تنطق؟

وبهذا الإسناد قال حمزة بن بيض للفرزدق: يا أبا فراس، أسألك عن مسألة،

قال: سل عما أحببت، قال: أيّما أحبُّ إليك؟ أتسبق الخير أم يَسْبِقُك؟ قال: إن سبقني فاتني، وإن سبقتُه فتُّه، ولكن نكونُ معاً، لا يسبقني، ولا أسبقه، ولكن أسألك عن مسألة. قال ابن بيض: سل، قال: أيما أحبُّ إليك؟ أن تنصرف إلى منزلك، فتجدَ امرأتَك قابضة على أير رجل، أم تراه قابضاً على هَنِها، قال: فتحير، وكان قد نُهِي عنه، فلم يَقْبَل.

[المهاجاة الدائمة بينه وبين جرير]

أخبرني عَبد الله قال: حدثني محمد بن عمران الضبي، قال: حدثني الأصمعي، قال: اجتمع الفرزدقُ وجرير عند بشر بن مروانَ فرجا أن يُصْلِح بينهما حتى يتكافًا، فقال لهما: ويحكما! قد بلغتما من السن ما قد بلغتما، وقربت آجالُكما؛ فلو اصطلحتما ووهب كلُّ واحد منكما لصاحبه ذنبه، فقال جرير: أصلح الله الأمير، إنه يظلمني، ويتعدى عليّ، فقال الفرزدق: أصلح الله الأمير إني وجدت آبائي يظلمون آباءه، فسلكتُ طريقَهم في ظلمه، فقال بشرٌ: عليكما لعنة الله، لا تصطلحان والله أبداً.

وأخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن عمران الضبيّ، قال: حدثنا الأصمعيّ، قال: قال الفرزدق: ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب دهقان مرة قال لي: أنت الفرزدق الشاعر؟ قلت: نعم؛ قال: أفأموت إن هجوتني؟ قلت: لا، قال: أفتموت عَيْشُونةُ ابنتي؟ قلت: لا، قال: فرجلي إلى عنقي في حِرِ أُمِّكَ، قال: قلتُ: ويلك! لم تركت رأسك؟ قال: حتى أنظر أي شيء تصنع؟

أخبرني عبد الله، قال: حدثنا محمد بن حبيب عن الأصمعي، قال: مرَّ الفرزدقُ بمأجل[1] فيه ماء، فأشْرَعَ بغلته فيه، فقال له مجنون بالبصرة: يقال له حربيش: نحِّ بغلتك، جذَّ الله رجليك، قال: ولم ويلك؟ قال: لأنك كذوب الحنجرة، زاني الكَمَرة، فقال الفرزدق لبغلته: عَدَسْ ومضى، وكره أن يسمع قولَه الناسُ.

---

(١) المأجل: كل ماء في أصل جبل أو وادٍ.

[أخبار وشعر]

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن ابن حبيب، عن سعدان بن المبارك، قال: قيل للفرزدق: ما اختيارك في شعرك للقِصار؟ قال: لأني رأيتها أثبتَ في الصدور، وفي المحافل أجْوَلَ؛ قال: وقيل للحُطيئة: ما بالُ قِصارك أكثرُ من طوالك؟ قال: لأنها في الآذان أوْلَجُ، وفي أفواه الناس أعْلَقُ.

أخبرني عبد الله بن حبيب، عن سعدان بن المبارك، قال: قيل لعقيل بن عُلَّفة: ما لك تُقَصِّر في هجائك؟ قال: حسبك من القلادة ما أحاط بالرقبة.

أخبرني عبد الله، عن محمد بن علي بن سعيد الترمذي، عن أحمد بن حاتم أبي نصر، قال: قال الجهم بن سويد بن المنذر الجرمي للفرزدق: أمّا وجدت أُمُّك اسماً لك إلا الفرزدق الذي تكسره النساءُ في سويقِهَا؟ قال: والعرب تسمي خبْزَ الفَتُوت الفرزدق فأقبل الفرزدق على قوم معه في المجلس، فقال: ما اسمه؟ فلم يخبروه باسْمِه، فقال: والله لئن لم تخبروني لأهجونّكم كلكم، قال: الجهمُ بنُ سويد بنُ المنذر، فقال الفرزدق: أحقُّ الناس ألا يتكلَّمَ في هذا أنت؛ لأن اسمك اسمُ متاعِ المرأة، واسم أبيك اسمُ الحمار واسمُ جدك اسم الكلب.

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن الزبير عن عمه عن بعض القرويين، قال: قدم علينا الفرزدق، فقلنا له: قدم علينا جرير، فأنشدنا قصيدة يمدح بها هؤلاء القوم، ومضى يريدهم، فقال: أنشدونيها، فأنشدناه قصيدة كثَيِّر التي يقول فيها: [الوافر]

وما زالَتْ رُقاكَ تَسُلُّ ضِغْني ... وتَخْرُجُ مِنْ مَكامِنِها ضِبابي[1]
ويَرْقيني لَكَ الحاوُونَ حتى ... أجابَكَ حيَّةٌ تحْتَ الحِجابِ[2]

قال: فجعل وجهه يتغير، وعندنا كانون، ونحن في الشتاء، فلما رأينا ما به قلنا: هوِّنْ عليك يا أبا فراس، فإنما هي لابن أبي جمعة[3]، فانثنى سريعاً ليسجد، فأصابَ ناحية الكانون وجْهه فأدماه.

أخبرني عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، قال: أخبرني القحذميّ،

---

(١) الضباب: جمع ضبّ وهو الحقد.
(٢) الحاوون: جمع حاوٍ وهو الذي يرقي الحيات ويجمعها.
(٣) ابن أبي جمعة: كثير عزة.

قال: لقي الفرزدق الحسين بن علي عليه السلام متوجهاً إلى الكوفة خارجاً من مكة في اليوم السادسِ من ذي الحجة فقال له الحسين ـ صلوات الله عليه وآله ـ: ما وراءك؟ قال: يابنَ رسول الله، أنْفُس الناسِ معك، وأيديهم عليك؛ قال: ويحك، معي وِقْر بعير من كتبهم يدعونني، ويناشدونني الله، قال: فلما قتل الحسين ـ صلوات الله عليه ـ قال الفرزدق: انظروا فإن غضبت العرب لابن سَيّدها وخيْرها فاعلموا أنه سيدوم عزُّها، وتبقى هيبتها، وإن صبرت عليه ولم تتغير، لم يزدها الله إلا ذُلاً إلى آخر الدهر، وأنشد في ذلك: **[الطويل]**

فإن أنْتُم لم تَثْأروا لابنِ خَيْرِكُم فَألْقُوا السِّلاحَ واغْزِلُوا بالمغازِلِ

أخبرنا عبد الله بن مالك قال: أخبرني أبو مسلم؛ قال: حدثني الأصمعي، قال: أنشد الراعي الفرزدق أربع قصائد، فقال له الفرزدق: أُعيدُها عليك، لقد أتى عليَّ زمان، ولو سمعت ببيت شعر وأنا أهوي في بئر ما ذهب عني.

أخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثني أبو مسلم الحرانيّ عن الأصمعيّ، قال: تَغَدَّى الفرزدق عند صديق له. ثم انصرف فمر ببني أسد، فحدثهم ساعة ثم استَسْقَى ماءً، فقال فتىً منهم: أو لبناً، فقال: لبناً، فقام إلى عُسٍّ[1]، فصب فيه رطلاً من خمر، ثم حلب، وناوله إياه، فلما كرع فيه انتفخت أوداجه، واحمر وجهه ثم رد العُسَّ، وقال: جزاك الله خيراً، فإني ما علمتك تحب أن تُحْفِي صديقك، وتُخْفِي معروفك، ثم مضى.

وأخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن القحذميّ، قال: كان الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها، فامتنعت عليه، وتهددها بالهجاء والفضيحة، فاستغاثت بالنّوار امرأته، وقصّت عليها القصة، فقالت لها: واعديه ليلة ثم أعلميني، ففعلت وجاءت النوار، فدخلت الحجلة مع المرأة، فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية، فأطفأت السراج، وغادرت المرأة الحجلة، واتبعها الفرزدق، فصار إلى الحجلة، وقد انسلّت المرأةُ خلف الحجلة، وبقيت النوار فيها، فوقع بالنّوار وهو لا يشك أنها صاحبته، فلما فرغ قالت له: يا عدو الله، يا فاسق! فعرف نغمتها، وأنه خدع، فقال لها: وأنت هي؟ يا سبحان الله! ما أطيبك حَراماً، وأردأك حلالاً.

(١) العس: القدح العظيم.

أخبرني عبد الله بن مالك. قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثني القحذمي قال: استعمل الحجاج الخيارَ بن سبرة المجاشعي على عمان، فكتب إليه الفرزدق يستهديه جارية فكتب إليه الخيار:

كَتَبْتَ إِلَيَّ تَسْتَهْدي الجَوارِي لَقَدْ أَنْعَظْتَ مِنْ بلدٍ بعيدِ

فأجابه الفرزدق:

ألا قالَ الخيارُ وكان جَهْلاً قد اسْتَهْدَى الفَرَزْدَقُ مِنْ بعيدِ
فَلَوْلا أنَّ أُمَّكَ كان عمِّي أباها كُنْتَ أَخْرسَ بالنَّشِيدِ
وأنّ أبي لَعَمُّ أبيكَ لَحّاً وأنَّكَ حِينَ أَغْضَبُ مِنْ أسودي[1]
إذاً لَشَدَدْتُ شدّةَ أعْوَجِيٍّ يَدُقُّ شَكِيمَ مَجْدولِ الحَديدِ[2]

أخبرنا عبد الله بن مالك عن الأصمعي قال: سمع الفرزدق رجلاً يقرأ: والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديَهما جزاءً بما كسبا نَكالاً من الله والله غفورٌ رحيمٌ فقال: لا ينبغي أن يكون هذا هكذا، قال: فقيل له: إنما هو **﴿عزيز حكيم﴾** قال: هكذا ينبغي أن يكون.

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم، قال: حدثنا الأصمعي قال: مرَّ أسماءُ بن خارجة الفزاريّ على الفرزدق، وهو يهنأ بعيراً[3] له بنفسه، فقال له أسماء: يا فرزدق كسد شعرك، واطرحتك الملوك، فصرت إلى مهنة إبلك، فقد أمرت لك بمائة بعير، فقال الفرزدق فيه يمدحه:

إنَّ السّماحَ الذي في الناسِ كُلِّهِمُ قد حازَهُ اللّهُ للمفضالِ أسْماءِ
يُعطي الجَزيلَ بلا مَنٍّ يُكَدِّرُهُ عَفْواً ويُتْبِعُ آلاءً بِنَعْماءِ
ما ضَرَّ قَوْماً إذا أَمْسَى يُجاوِرُهُم ألاّ يكونوا ذوي إبلٍ ولا شاءِ

أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى بن طلحة، قال: قال أبو عبيدة: دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة، فأنشده قصيدته المشهورة فيهم التي يقول فيها:

---

(١) لحّت القرابة لحّاً: دنت والتصقت.
(٢) الأعوجي: الجواد المنسوب إلى أعوج، وهو جواد عربي أصيل.
(٣) هنأ البعير: طلاه بالقطران.

[الطويل]

فإن أبا موسى خليلُ مُحَمَّدٍ وكفَّاه يُمْنَى للهُدَى وشِمالُها

فقال ابن أبي بردة: هلكت وَاللَّهِ يا أبا فراس، فارتاع الشيخ، وقال: كيف ذاك؟ قال ذهب شعرك، أين مثلُ شعرك في سعيد، وفي العباس بن الوليد، وسمّى قوماً فقال: جئني بحسَبٍ مثل أحسابهم، حتى أقول فيك كقولي فيهم، فغضب بلال حتى دَرَّت أودَاجُه[1] ودُعِي له بطست فيه ماء بارد، فوضع يده فيها، حتى سكن، فكلمه فيه جلساؤه وقالوا: قد كفاك الشيخ نفسه وقلّ ما يبقى حتى يموت، فلم يَحُل عليه الحول حتى مات.

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن سعيد بن همام اليماميّ، قال: شرب الفرزدق شراباً باليمامة وهو يريد العراق، فقال لصاحب له: إنَّ الغُلمة[2] قد آذتني فأكسِبني بَغِيّاً، قال: من أين أصيب لك ها هنا بغياً؟ قال: فلا بد لك من أن تحتال، قال: فمضى الرجل إلى القرية، وترك الفرزدق ناحية؛ فقال: هل من امرأة تُقَبِّل[3]، فإن معي امرأتي وقد أخذها الطّلق فبعثوا معه امرأة، فأدخلها على الفرزدق، وقد غَطّاه، فلما دنت منه واثبها. ثمَّ ارتحل مبادراً، وقال: كأني بابنِ الخبيثة يعني جريراً لو قد بلغه الخبر قد قال:

وكُنْتَ إذا حَلَلْتَ بدارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وَتَرَكْتَ عارا

قال: فبلغ جريراً الخبر، فهجاه بهذا الشعر.

وأخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، قال: قال أبو نهشل: حدثنا بعض أصحابنا، قال: وقف الفرزدق على الشمردل، وهو ينشد قصيدة له، فمر هذا البيت في بعض قوله: [الطويل]

وما بين مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعاً وطاعَةً وبَيْنَ جَريرٍ غَيْر حَزِّ الحلاقم

فقال الفرزدق: يا شمردل، لتتركن هذا البيت لي أو لتتركن عرضك؛ قال: خذه، لا بارك الله لك فيه! فهو في قصيدته التي ذكر فيها قتيبة بن مسلم، وهي التي

(١) درّت أوداجه: امتلأت دماً. والودج: عرق في العنق، وهما ودجان.

(٢) الغلمة: شدة الشبق.

(٣) تقبّل: تساعد الحامل على ولادتها لتلد، وتدعى القابلة.

أولها قوله: [الطويل]

تَحِنُّ إلى زورا اليمامةِ ناقتي حَنِينَ عَجُولٍ تَبْتَغي البَوَّ رائمِ[1]

أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيبَ، عن الأصمعيّ، قال: جاءت امرأة إلى قبر غالب أبي الفرزدق؛ فضربت عليه فسطاطاً. فأتاها فسألها عن أمرها. فقالت: إني عائذة بقبر غالب من أمرٍ نزل بي، قال لها: وما هو، قد ضَمِنت خلاصك منه، قالت: إن ابناً لي أُغزِي إلى السِّند مع تميم بن زيد؛ وهو واحدي قال: انصرفي، فعليّ انصرافُه إليك إن شاء الله، قال: وكتب من وقته إلى تَمِيم بقوله: [الطويل]

تَميمُ بنَ زيدٍ لا تَكُونَنَّ حاجتي بِظَهْرٍ فلا يَخْفَى عَلَيَّ جَوابُها
وَهَبْ لي خُبيْشاً واتّخِذْ فيه مِنَّةً لِحرْمَةِ أمٍّ ما يَسوغُ شَرَابُهَا
أَتَتْني فعاذَت يا تَميمُ بغَالبٍ وبالحفْرةِ السّافي عليها ترابُهَا

قال: فعرض تميم جميع من معه من الجند، فلم يدع أحداً اسمه خُبيْش، ولا حُنَيش إلا وصله، وأذن له في الانصراف إلى أهله.

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: أخبرنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي، قال: مرَّ الفرزدق بصديق له، فقال له: ما تشتهي يا أبا فراس؟ قال: أشتهي شواءً رَشْرَاشاً، ونَبيذاً سعيراً، وغناءً يفتق السمع.

الرشراش: الرَّطْب، والسّعير: الكثير.

أخبرنا عبد الله بن مالك. قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني السعديّ، عن أبي مالك الزيدي. قال: أتينا الفرزدق لنسمع منه شيئاً، فجلسنا ببابه ننتظر، إذ خرج علينا في مِلْحَفة. فقال لنا: يا أعداء الله، ما اجتماعُكم ببابي؟ والله لو أردت أن أزني ما قدَرت.

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم، قال: حدثنا الأصمعي عن هشام بن القاسم، قال: قال الفرزدق: قد علم الناس أني فحل الشعراء وربما أتت عليّ الساعة لقَلْع ضرسٍ من أضراسي أهونُ عَلَيّ من قولِ بيت شعر.

حدثنا عبد الله بن مالك عن أبي مسلم، عن الأصمعي، قال: كان الفرزدق

---

(١) البوّ: جلد ابن الناقة الصغير يحشى تبناً فتراه الناقة فتدرّ اللبن. والرائم: العطوف.

وأبو شَقْفَل راويته في المسجد؛ فدخلت امرأة، فسألت عن مسألة، وَتوسّمت؛ فرأت هيئة أَبي شَقْفَل، فسألته عن مسألتها، فقال الفرزدق: [الطويل]

أَبو شَقْفَل شَيْخٌ عَنِ الحَقِّ جائِرٌ ... بِبابِ الهُدَى والرّشدِ غَيْرُ بَصير

فقالت المرأة: سبحان الله؟ أتقول هذا لمثل هذا الشيخ؟ فقال أبو شقفل: دعيه فهو أعلم بي.

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا المدائنيّ، قال: خرج الفرزدق حاجاً، فمر بالمدينة، فأتى سُكَينةَ بنت الحسين صلوات الله عليه وآله، فقالت: يا فرزدق، مَنْ أشعر الناس؟ قال: أنا، قالت: كذبت؛ أشعر منك الذي يقول: [الوافر]

بِنَفْسِي مَنْ تجنُّبُه عزيزٌ ... عَلَيَّ وَمَنْ زِيارتُه لِمَامُ
وَمَنْ أُمسِي وَأُصْبِحُ لا أراهُ ... ويَطْرُقني إذا هَجَعَ النِّيامُ

فقال: والله لو أذنتِ لي لأسمعتك أحسن منه. فقالت: أقيموه. فأُخرج. ثم عاد إليها في اليوم الثاني. فقالت له: يا فرزدق. من أشعر الناس؟ قال: أنا قالت: كذبت: أشعرُ منك الذي يقول: [الكامل]

لَوْلا الحياءُ لهاجني اسْتِعْبارُ ... وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ والحَبِيبُ يُزارُ
لا يَلْبَثُ القُرفاءُ أن يتفرّقوا ... لَيْلٌ بكرّ عليهمُ ونهارُ
كانَتْ إذا هَجَرَ الضَّجِيعُ فِراشَها ... كُتِمَ الحديثُ وعَفَّتِ الأَسْرارُ

قال: أفأُسْمعكِ أحسن منه؟ قالت: اخرج.

ثم عاد إليها في اليوم الثالث وعلى رأسها جاريةٌ كأنها ظبيةٌ، فاشتد عجبه بها. فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. أشعر منك الذي يقول: [البسيط]

إنّ العُيونَ التي في طَرفِها مَرَضٌ ... قتَلْننا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلاَنَا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَراكَ له ... وهُنَّ أضْعَفُ خَلْقِ الله أرْكانا

ثم قالت: قم فاخرج. فقال لها: يا بنت رسول الله، إن لي عليك لحقّاً، إذ كنتُ إنما جئتُ مسلّماً عليك، فكان من تكذيبك إيّاي وصنيعك بي حين أردتُ أن أُسمعك شيئاً من شعري ما ضاق به صدري. والمنايا تغدو وتروح، ولا أدري،

لعلي لا أُفارق المدينةَ حتى أموت. فإن مِتُّ فمري مَنْ يدفنني في حِرِ هذه الجارية التي على رأسك. فضحكت سُكَيْنَةُ، حتى كادت تخرج من ثيابها، وأمرت له بالجارية، وقالت: أحسِن صحبَتها، فقد آثرتك بها على نفسي، قال: فخرج وهو آخذ برَيْطتها[١].

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا المدائني قال: وفد الْحُتَاتُ عمُّ الفرزدق على معاوية، فخرجت جوائزهم فانصرفوا، ومرض الحتات، فأقام عند معاوية حتى مات، فأمر معاوية بماله، فأُدخِلَ بيتَ المال، فخرج الفرزدق إلى معاوية، وهو غلام، فلما أُذِنَ للناس دخل بين السماطين[٢]، ومَثَل بين يدي معاوية، فقال: [الطويل]

أبوكَ وعمِّي يا مُعاويَ ورَّثا ... تُراثاً فيحتازُ التّراثَ أقاربُه
فما بالُ ميراثِ الحتاتِ أَكَلْتَهُ ... ومِيراثُ حَرْبٍ جامِدٌ ليَ ذائبه؟
فلو كان هذا الأمْرُ في جاهليَّةٍ ... عَلِمْتَ مَنِ المَوْلى القليلُ حلائبهُ[٣]
ولو كانَ هذا الأمْرُ في مِلْكِ غَيْرِكُم ... لأدّاهُ لي أو غَصَّ بالماءِ شارِبُه

فقال له معاوية: من أنت؟ قال: أنا الفرزدق. قال: ادفعوا إليه ميراث عمه الحتات، وكان ألف دينار، فدفع إليه.

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن أبي حمزة الأنصاري، قال: أخبرنا أبو زيد، قال: قال أبو عبيدة: انصرف الفرزدق من عند بعض الأمراء في غداة باردة، وأمر بجزور فنُحِرت ثمّ قُسِّمَت، فأغفل امرأة من بني فُقيم نسيَها، فرجزت به، فقالت: [الرجز]

فيْشلةٌ هدْلاءُ ذات شِقْشقِ ... مشرفةُ اليافوخ والمحوَّقِ[٤]
مُدمَجةٌ ذاتُ حِفافٍ أخلقِ ... نِيطت بحَقْوَيْ قَطِمٍ عشَنَّقِ[٥]

---

(١) الريطة: الملاءة.

(٢) السماط: الصف.

(٣) حلائبه: نوقه الحلوبة.

(٤) هدلاء: طويلة. والشقشق: شيء يخرج من رئة الجمل من فيه إذا هدر. والمحوّق: ما أحاط بالكمرة من نواحيها.

(٥) الحفاف: ما أحاط بالشيء. والأخلق: الصلب القاسي. ونيطت ربطت. والحقو: الخصر. والقَطِم: الفحل المجيد للنكاح. والعَشَنّق: الطويل.

أولجتها في سَبّة الفرزدق(١)

قال أبو عبيدة: فبلغني أنه هرب منها، فدخل في بَيت حمّاد بن الهيثم، ثُمّ إن الفرزدق قال فيها بعد ذلك: [الطويل]

قَتَلْتُ قَتِيلاً لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ... أُقلِّبُهُ ذا تَوْمَتَيْنِ مُسَوَّرا(٢)
حَمَلْتُ عليه حَمْلَتَيْنِ بِطَعْنَةٍ ... فغَادَرْتُهُ فَوْقَ الحشَايا مكوّرا
تَرَى جُرْحَهُ مِنْ بَعْدِ ما قد طَعَنْتُهُ ... يَفوحُ كمثلِ المِسْكِ خالَطَ عنبرا
وما هو يَوْمَ الزَّحْفِ بارزَ قِرنَهُ ... ولا هو ولّى يَوْمَ لاقى فأدبرا
بني دارمٍ ما تَأْمُرونَ بشاعرٍ ... بَرُودِ الثَّنَايَا ما يَزالُ مُزَعْفرا(٣)
إذا ما هوَ اسْتَلْقَى رَأَيْتَ جهَازَهُ ... كمقطعِ عُنقِ الناب أسودَ أحمرا
وكيف أُهَاجي شاعِراً رُمْحُهُ اسْتُهُ ... أَعَدَّ لِيَوْمِ الرَّوْعِ دِرْعاً وَمَجْمرا

فقالت المرأة: ألا لا أرى الرجال يذكرون منّي هذا، وعاهدت الله ألا تقول شعراً.

أخبرنا عبد الله بن مالك بن مسلم، عن الأصمعيّ قال: مرّ الفرزدق يوماً في الأزد، فوثب عليه ابن أبي علقمة لينكحه، وأعانه على ذلك سفهاؤهم، فجاءَت مشايخ الأزد وأولو النُّهى منهم، فصاحوا بابن أبي علقمة وبأولئك السفهاء فقال لهم ابن أبي علقمة: ويلكم! أطيعوني اليوم، واعصوني الدهر؛ هذا شاعرُ مضَر ولسانها، قد شتم أعراضَكم، وهجا ساداتِكم، والله لا تنالون من مضر مثلها أبداً، فحالوا بينه وبينه، فكان الفرزدق يقول بعد ذلك: قاتله الله. إي والله، لقد كان أشار عليهم بالرأي.

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: قال الكلبي: قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص. وأخبرنا بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيديّ والأخفش جميعاً، عن السكريّ، عن ابن حبيب، عن أبي عبيدة والكلبيّ، قال: وأخبرنا به إبراهيم بن سعدان، عن أبيه، عن أبي عبيدة، قالوا جميعاً: قدِم الفرزدقُ المدينةَ في إمارة أبان بن عثمان، فأتى الفرزدق وكثيِّر عَزة،

---

(١) السَّبَّة: الاست.
(٢) التومة: لؤلؤة تتحلى بها المرأة. والمسوَّر: لابس السوار.
(٣) بَرُود الثنايا: عذب الأسنان باردها.

فبينا هما يتناشدان الأشعار إذ طلع عليهما غلام شخت[1] رقيق الأدمة، في ثوبين ممصرين، فقصد نحونا، فلم يسلم، وقال: أيكم الفرزدق؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش: أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها؟ فقال: لو كان كذلك لم أقل هذا، فقال له الفرزدق: من أنت لا أمَّ لك، قال: رجل من الأنصار، ثم من بني النجار، ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم، بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب، وتزعمه مضر، وقد قال شاعرنا حسان بن ثابت شعراً، فأردتُ أن أعرضه عليك، وأؤجلك سنة، فإن قلتَ مثله فأنت أشعر العرب، كما قيل، وإلا فأنت منتحِلٌ كذّاب، ثم أنشده:

ألـم تـسـألِ الـرّبـع الـجـديـدَ الـتـكـلُّـمـا

حتى بلغ إلى قوله: [الطويل]

وأبْـقـى لـنـا مَـرُّ الـحُـروبِ وَرُزْؤُهـا ... سُـيـوفـاً وأدْراعـاً وجـمّـاً عَـرَمْـرَمـا[2]

مـتـى مـا تُـرِدْنـا مِـنْ مَـعـدٍّ عِـصـابـةٌ ... وغَـسـانَ نَـمْـنَـعْ حَـوْضَـنـا أنْ يُـهـدَّمـا

لـنـا حـاضِـرٌ فـعْـمٌ وبـادٍ كـأنَّـهُ ... شـمـاريـخُ رَضْـوَى عِـزةً وَتَـكَـرُّمـا[3]

أبى فِعلُنَا المَعْروفَ أنْ ننطق الخنا ... وقـائِـلُـنـا بـالـعُـرفِ إلا تَـكـلُّـمـا

بِـكُـلِّ فَـتًـى عـاري الأشـاجـع لاحَـهُ ... قِراعُ الكماةِ يَرْشَحُ المِسكَ والدّما[4]

ولـدنـا بـنـي الـعـنـقـاءِ وَابْـنَـيْ مُـحَـرِّقٍ ... فَـأكْـرِمْ بـذا خـالاً وأكْـرِمْ بـذا ابْـنـمـا

يُـسَـوِّدُ ذا الـمـالِ الـقـلـيـلِ إذا بَـدَتْ ... مُـروءتُـهُ فـيـنـا وإن كـان مُـعْـدِمـا

وإنـا لـنَـقْـرِي الـضَّـيْـفَ إنْ جـاءَ طـارِقـاً ... مِنَ الشَّحْم ما أمْسَى صَحِيحاً مُسلَّما

لنا الـجَفَـنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحى ... وأسْـيـافُـنـا يَـقْـطُـرْنَ مِنْ نَـجْـدَةٍ دمَـا[5]

فأنشده القصيدة، وهي نَيِّف وثلاثون بيتاً، وقال له: قد أجلتك في جوابها حولاً، فانصرف الفرزدق مغضباً، يسحَب رداءه، وما يدري أيَّة طرقه حتى خرج من المسجد، فأقبل على كثير، فقال له: قاتل الله الأنصار ما أفصحَ لهجتهم، وأوضحَ حُجّتهم، وأجودَ شعرهم، فلم نزل في حديث الأنصار والفرزدق بقية يومنا، حتى

---

(١) الشخت: الضامر خلقة.

(٢) الجمّ العرمرم: أراد الجيش الكثير العدد.

(٣) الفعم: الممتلىء. وشماريخ رضوى: أعاليه. ورضوى: جبل بالمدينة.

(٤) الأشاجع: أصول الأصابع.

(٥) الجفنات: جمع جفنة، وهي القصعة يقدم بها الطعام.

إذا كان من الغد خرجت من منزلي إلى المسجد الذي كنتُ فيه بالأمس، فأَتى كثيِّر، فجلس معي، وإنَّا لنتذاكر الفرزدق، ونقول: ليت شعري ما صنع؟ إذ طلع علينا في حُلّة أفوافٍ[١]، قد أرخى غديرته[٢]، حتى جلس في مجلسه بالأمس، ثم قال: ما فعل الأنصاري؟ فنلنا منه وشتمناه، فقال: قاتله الله! ما مُنيت بمثله، ولا سمعت بمثل شعره، فارقته وأتيت منزلي، فأقبلت أُصعِّدُ وأُصوِّب في كل فن من الشعر، فكأني مفحَم لم أقل شعراً قط، حتى إذا نادى المنادي بالفجر رحَلتُ ناقتي، وأخذت بزمامها حتى أتيت رَيَّاناً، وهو جبل بالمدينة، ثم ناديت بأعلى صوتي: أخاكم أخاكم، يعني شيطانه، فجاش صدري كما يجيش المرجل، فعقلت ناقتي وتوسدت ذراعها، فما عتمت حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتاً، فبينا هو ينشد إذ طلع الأنصاري، حتى إذا انتهى إلينا سلم علينا، ثم قال: إني لم آتِك لأُعجلَك عن الأجل الذي وقّتُه لك، ولكني أحببت ألا أراك إلا سألتك: إيش[٣] صنعت؟ فقال: اجلس، وأنشده قوله: [الطويل]

عزفتَ بِأَعْشاشٍ وما كُنْتَ تَعْزِفُ وأَنْكَرْتَ مِنْ حَدْراءَ ما كُنْتَ تَعْرِفُ
ولَجّ بكَ الهجرانُ حتى كأنما تَرَى المَوْتَ في البَيْتِ الذي كُنْتَ تَأْلَفُ

في رواية ابن حبيب: تَيْلُف[٤] حتى بلغ إلى قوله:

تَرى الناسَ ما سِرنا يَسيرونَ خَلْفَنا وإنْ نَحْنُ أَوْمَأْنا إلى النَّاسِ وقَّفوا

وأنشدها الفرزدق، حتى بلغ إلى آخرها، فقام الأنصاري كئيباً، فلما توارى طلع أبوه أبو بكر بن حزم في مشيخة من الأنصار، فسلموا عليه، وقالوا: يا أبا فراس، قد عرفتَ حالنا ومكاننا من رسول الله ﷺ، وقد بلَغَنا أن سفيهاً من سفهائنا ربما تعرض لك، فنسألُك بحق الله وحق رسوله لما حفِظت فينا وصيةَ رسول الله ﷺ، ووهبتنا له، ولم تفضحنا.

قال محمد بن إبراهيم: فأَقبلتُ عليه أكلمه، فلما أكثرنا عليه، قال: اذهبوا، فقد وهبتكم لهذا القرشي.

---

(١) حلة أفواف: حلة موشاة مخططة.
(٢) الغديرة: الذؤابة المضفورة.
(٣) أيش؟: أي شيء؟.
(٤) تيلف: تألف بلغة تميم.

قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: أنشِدني أجود شعر عملته، فأنشده:

عـزفـتَ بـأعـشـاش ومـا كـدت تـعـزف

فقال: زدني: فأنشده: [الوافر]

ثـلاثٌ واثْـنـتـانِ فَـتِـلْـكَ خَـمْـسٌ ... وواحـدةٌ تَـمـيـلُ إلـى الـشِّـمـامِ[١]

فَـبِـتْـنَ بِـجـانِـبَـيَّ مـصـرَّعـاتٍ ... وبـتُّ أفـضُّ أغْـلاقَ الـخِـتَـامِ

فقال له سليمان: ما أراك إلا قد أحللتَ نفسك للعقوبة، أقررتَ بالزنى عندي، وأنا إمام، ولا تريد مني إقامة الحد عليك! فقال: إن أخذت فيّ بقول الله عز وجل لم تفعل. قال: وما قال؟ قال: قال الله تبارك وتعالى: **﴿والشّعراء يتّبعُهم الغاوون، ألم تَر أنَّهم في كلّ وادٍ يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾**[٢]، فضحك سليمان وقال: تلافيتها ودرأت عنك الحدّ وخلع عليه وأجازه.

[اجتماعه وجرير بالشام]

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي، قال: قدم الفرزدق الشام وبها جرير بن الخطفى، فقال له جرير: ما ظننتك تقدم بلداً أنا فيه، فقال له الفرزدق: إني طالما أخلفتُ ظن العاجز.

أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن موسى بن طلحة، قال: قال أبو مِخْنف: كان الفرزدق لُعَنَة، أي يتلعّن به كأنه لُعَنَة على قوم، وكان جرير شهاباً من شهب النار.

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا الأزديّ، قال: حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، قال: قال أبو عمرو بن العلاء: مر الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أبي سُود، وهو على ناقة فقال له: غدّني، قال: ما يحضرني غَداء، قال: فاسقني سَوِيقاً، قال: ما هو عندي، قال: فاسقني نبيذاً، قال: أوصاحبَ نَبيذٍ عهدتَني، قال: فما يُقعدك في الظل؟ قال: فما أصنع؟ قال: اطْلِ وجهك بدِبْس[٣]، ثم تحوّل

(١) الشمام: القبلة والرشفة وما سواهما من المداعبة.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٤.

(٣) الدبس: كل شيء أسود.

إلى الشمس، واقعد فيها، حتى يشبه لونك لون أبيك الذي تزعمه، قال أبو عمرو: فما زال ولد محمد يُسبُّون بذلك من قول الفرزدق، انتهى.

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن ابن حبيب، عن موسى بن طلحة، عن أبي عبيدة، عن أبي العلاء، قال: أخبرني هاشم بن القاسم العنزي أنه قال: جمعني والفرزدق مجلس، فتجاهلت عليه، فقلت له: من أنت؟ قال: أما تعرفني؟ قلت: لا، قال: فأنا أبو فراس، قلت: ومن أبو فراس؟ قال: أنا الفرزدق، قلت: ومَنِ الفرزدق؟ قال: أو ما تَعْرف الفرزدق؟ قلت: أعرف الفرزدقَ أنه شيء يتّخذه النساء عندنا، يتسمّنَّ به وهو الفَتوت، فضحك وقال: الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم.

أخبرني عبد الله بن مالك، عن محمد بن حبيب، عن النضر بن حديد، قال: مر الفرزدق بماء لبني كليب مجتازاً، فأخذوه، وكان جباناً فقالوا: والله لتلقيَنَّ منا ما تكره، أوِ لتنكحنَّ هذه الأتان، وأتوه بأتان، فقال: ويلكم! اتقوا الله، فإنه شيء ما فعلتُه قط، فقالوا: إنه لا ينجيك والله إلا الفعل قال: أمّا إذ أبيتم فأْتوني بالصخرة التي يقوم عليها عطية، فضحكو وقالوا: اذهب لا صحبك الله.

[استخفاف فتى أسود بالفرزدق]

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن العتبي قال: دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة، وفي صدر مجلسهم فتى أسودُ، وعلى رأسه إكليل؛ فلم يحفل بالفرزدق ولم يَحْفَ به تهاوناً، فغضب الفرزدق من ذلك وقال: **[الطويل]**

جُلُوسُكَ في صَدْرِ الفِراشِ مَذَلّةٌ ورَأْسُكَ في الإكْلِيلِ إحْدى الكبائرِ
وما نَطَفَتْ كَأْسٌ ولا لذَّ طَعْمُها ضَرَبْتَ على حافاتها بالمشافِرِ[1]

أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى عن العتبي قال: لما مات وكيعُ بن أبي سود أقبل الفرزدق حين أُخرِج، وعليه قميص أسود، وقد شقه إلى سرته وهو يقول: **[الطويل]**

فماتَ وَلَمْ يُوتَرْ وما مِنْ قَبيلةٍ مِنَ النّاسِ إلا قد أباءَتْ على وِتْرِ[2]

---

(١) انطفت: قطرت.

(٢) لم يوتر: لم يؤخذ بثأره.

وإنّ الـذي لاقـى وَكِـيـعـاً ونـالَـهُ   تَـنـاولَ صِـدّيـقَ الـنَّـبِـيِّ أبـا بَـكْـرِ

قال: فعَلق الناسُ الشعر، فجعلوا ينشدونه، حتى دُفِنَ، وتركوا الاستغفار له.

[مدحه علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام]

أخبرنا عبد الله بن علي بن الحسن الهاشمي، عن حيان بن علي العنزي، عن مجالد، عن الشعبي قال: حج الفرزدق بعد ما كبر، وقد أتت له سبعون سنة، وكان هشامُ بن عبد الملك قد حج في ذلك العام فرأى عليَّ بنَ الحسين في غمار الناس في الطواف، فقال: من هذا الشاب الذي تَبرُق أسرة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي وجوهَها؟ فقالوا: هذا عليُّ بنُ الحسين بن عليِّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم، فقال الفرزدق: [البسيط]

هـذا الـذي تَـعْـرِفُ الـبَـطْـحـاءُ وَطْأَتَـهُ   والـبـيـتُ يَـعْـرِفُـهُ والـحِـلُّ والـحَـرَمُ
هــذا ابـنُ خَـيْـرِ عِـبـادِ الله كُـلِّـهـم   هـذا الـتَّـقِـيُّ الـنَّـقِـيُّ الـطَّـاهِـرُ الـعَـلَـمُ
هـذا ابـنُ فـاطِـمَـةٍ إنْ كُـنْـتَ جـاهِـلَـهُ   بِـجَـدِّهِ أَنْـبِـيـاءُ الله قَـدْ خُـتِـمـوا
وَلَـيْـسَ قـولُـكَ: مَـنْ هـذا بـضـائِـرِهِ   الـعُـرْبُ تَـعْـرِفُ مَـنْ أَنْـكَـرْتَ والـعَـجَـمُ
إذا رَأَتْـهُ قُـرَيْـشٌ قـالَ قـائِـلُـهـا: إلـى مَـكـارِمِ هـذا يَـنْـتَـهـي الـكَـرَمُ
يُـغْـضِـي حَـيـاءً ويُـغْـضَـى مِـنْ مـهـابَـتِـهِ   فـمـا يُـكَـلَّـمُ إلا حِـيـنَ يَـبْـتَـسِـمُ
بـكَـفِّـه خَـيْـزُرانٌ رِيـحُـهـا عَـبِـقٌ   مِـنْ كَـفِّ أَرْوَعَ فـي عِـرْنِـيـنـه شَـمَـمُ(١)
يـكـادُ يُـمْـسِـكُـهُ عِـرْفـانَ راحَـتِـهِ   رُكْـنُ الـحَـطِـيـمِ إذا مـا جـاءَ يَـسْـتَـلِـمُ
الله شَـرَّفَـهُ قِـدْمـاً وعَـظَّـمَـهُ   جَـرَى بـذاكَ لَـهُ فـي لَـوْحِـهِ الـقَـلَـمُ
أيُّ الـخَـلائِـقِ لَـيْـسَـتْ فـي رقـابِـهِـم   لأَوَّلِـيَّـةِ هــذا أو لَـهُ نِـعَـمُ
مَـنْ يَـشْـكُـرِ الله يَـشْـكُـرْ أَوَّلِـيَّـةَ ذا   فـالـدِّيـنُ مِـنْ بَـيْـتِ هـذا نـالَـهُ الأمَـمُ
يَـنْـمِـي إلـى ذِروةِ الـدِّيـنِ الـتـي قَـصُـرَتْ   عـنـهـا الأَكُـفُّ وعَـنْ إدْراكِـهـا الـقَـدَمُ
مَـنْ جَـدُّه دان فَـضْـلُ الأنـبـيـاءِ لـه   وفَـضْـلُ أُمَّـتِـهِ دانَـتْ لـه الأُمَـمُ
مُـشْـتَـقَّـةٌ مِـنْ رَسـولِ الله نَـبْـعَـتُـهُ   طـابَـتْ مَـغـارِسُـهُ والـخِـيـمُ والـشِّـيَـمُ(٢)
يَـنْـشَـقُّ ثَـوْبُ الـدُّجـى عَـنْ نُـورِ غُـرَّتِـهِ   كـالـشَّـمْـسِ تَـنْـجـابُ عَـنْ إشـراقِـهـا الـظُّـلَـمُ
مِـنْ مَـعْـشَـرٍ حُـبُّـهُـم دِيـنٌ، وبُـغْـضُـهُـمُ   كُـفْـرٌ وقُـرْبُـهُـم مَـنْـجًـى ومُـعْـتَـصَـمُ

---

(١) العرنين: الأنف.
(٢) النبعة: الأصل. والخيم: الطبيعة والسجيّة.

مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُم ... في كُلِّ بَدْءٍ ومَخْتومٌ بِهِ الكَلِمُ
إن عُدَّ أَهْلُ التُّقى كانوا أئِمَّتَهم ... أو قيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الأرضِ قِيلَ: هُمُ
لا يَسْتَطِيعُ جَوادٌ كنهَ جُودهمُ ... ولا يُدانِيهِمُ قَوْمٌ وإن كرموا
يُسْتَدفَعُ الشَّرُّ والبلوى بِحُبِّهِمُ ... ويُسْتَرَبُّ به الإحْسانُ والنِّعَمُ[1]

وقد حدثني بهذا الخبر أحمدُ بنُ الجعد، قال: حدثنا أحمد بن القاسم البرتيّ، قال: حدثنا إسحاق بن محمد النخعيّ، فذكر أن هشاماً حجَّ في حياة أبيه، فرأى عليَّ بن الحسين رضي الله تعالى عنهم يطوف بالبيت والناسُ يُفْرجون له[2]. فقال: مَنْ هذا؟ فقال الأبرش الكلبي: ما أعرفه، فقال الفرزدق: ولكني أعرفه، فقال: من هو؟ فقال:

هذا الذي تَعْرِفُ البَطْحاءُ وَطْأَتَهُ

وذكر الأبيات... الخ.

قال: فغضب هِشامٌ فَحَبسه بين مكة والمدينة فقال: [الطويل]

أتَحْبِسُني بينَ المدينةِ والتي ... إليها قُلوبُ الناسِ يَهْوي مُنِيبُها
يُقَلِّبُ رَأْساً لم يَكُنْ رَأْسَ سيِّدٍ ... وعَيْناً له حَوْلاء بادٍ عُيوبُها

فبلغ شعرُه هشاماً، فوجّه فأطلقه.

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن الهيثم بن عديّ قال: أخبرنا أبو روح الراسبيّ، قال: لما وَلِيَ خالدُ بن عبد الله العراقَ ولّى مالك بن المنذر شُرطَة البصرة، فقال الفرزدق: [الطويل]

يُبَغِّضُ فينا شُرْطةَ المِصْرِ أنني ... رَأيْتُ عليها مالِكاً عَقِبَ الكَلْبِ

قال، فقال مالك: عَلَيَّ به، فمضوا به إليه، فقال: [الطويل]

أقولُ لِنَفْسِي إذ تَغَصُّ بِريقِها ... ألا ليت شِعْري ما لها عند مَالِكِ؟

قال: فسمع قولَه حائكٌ يطلع من طرازه[3]، فقال:

---

(١) يُسْتَرَبّ: يستزاد.

(٢) يفرجون له: يفسحون له ويفتحون له طريقاً.

(٣) الطراز: دكان الحائك.

[الطويل]

لـهـا عـنـده أَنْ يَـرْجِـعَ الـلَّـهُ ريـقـهـا   إلـيـهـا وتَـنْـجُـو مِـنْ عَـظـيـمِ الـمـهـالـكِ

فقال الفرزدق: هذا أشعرُ الناس، ولَيعودَنَّ مجنوناً، يصيح الصبيان في أثره. فقال: فرأوه بعد ذلك مجنوناً يصيح الصبيان في أثره.

أخبرنا عبدُ الله بنُ مالك قال: حدثنا محمد بن علي بن سعيد، قال: حدثنا القَحْذميّ، قال: فلما أَتَوْا مالك بن المنذر بالفرزدق قال: هيه عَقِب الكلب، قال: ليس هذا هكذا قلت، وإنما قلت: [الطويل]

أَلَـمْ تَـرَنـي نـادَيْـتُ بـالـصَّـوْتِ مـالِـكـاً   لِـيَـسْـمـعَ لـمـا غَـصَّ مِـنْ رِيـقِـهِ الـفَـمُ

أَعُـوذُ بِـقَـبْـرٍ فـيـه أَكْـفـانُ مُـنْـذِرٍ   فـهـنَّ لأيـدي الـمُـسْـتَـجِـيـريـنَ مَـحْـرَمُ

قال: قد عذتَ بمعاذ، وخلَّى سبيلَه.

أخبرنا عبد الله قال: حدثني محمد بن موسى، قال: كتب خالدٌ القسريُّ إلى مالك بن المنذر يأمره بطلب الفرزدق، ويذكر أنه بلغه أنه هجاه، وهجا نهرَه المبارك، وهو النهر الذي بواسط الذي كان خالد حفره، فاشتد مالك في طلبه حتى ظفر به في البراجم فأخذه وحبسه ومرُّوا به على بني مجاشع، فقال: يا قوم، اشهدوا أنه لا خاتم بيدي، وذلك أنه أَخَذَ عُمَرَ بنَ يزيدَ بن أَسَيْد، ثم أمرَ به فلُوِيتْ عنقُه، ثم أخرجوه ليلاً إلى السجن، فجعل رأسه يتقلب، والأعوان يقولون له: قوِّمْ رأسك، فلما أَتَوْا به السّجّانَ قال: لا أتسلمه منكم ميتاً، فأخذوا المفاتيح منه، وأدخلوه الحبس، وأصبح ميتاً، فسمَّعوا أنه مصّ خاتمه وكان فيه سم فمات، وتكلم الناس في أمره، فدخل لبطةُ بن الفرزدق على أبيه، فقال: يا بني، هل كان من خبر؟ قال: نعم، عُمَرُ بنُ يزيدَ مصَّ خاتمه في الحبس، وكان فيه سم، فمات، فقال الفرزدق: والله يا بني لئن لم تلحق بواسط ليمص أبوك خاتَمَه، وقال في ذلك: [الوافر]

أَلَـمْ يَـكُ قَـتْـلُ عَـبْـدِ الـلـه ظُـلْـمـاً   أبـا حَـفْـصٍ مِـنَ الـحُـرَمِ الـعـظـامِ

قَـتِـيـلُ عـداوةٍ لـم يَـجْـنِ ذَنْـبـاً   يُـقَـطّـعُ وهـو يَـهْـتِـفُ لـلإمـامِ

قال: وكان عُمَرُ عارضَ خالداً وهو يصف لهشام طاعةَ أهل اليمن وحسنَ موالاتهم ونصيحتهم، فصفَّق عَمرُو بنُ يزيد إحدى يديه على الأخرى، حتى سمع له في الإيوان دَويٌّ، ثم قال: كذب والله يا أمير المؤمنين، ما أطاعت اليمانية، ولا

نصحت، أليس هم أعداؤك وأصحابُ يزيد بن المهلب وابن الأشعث؟ والله ما ينعَقُ ناعق إلا أسرعوا الوثبة إليه، فاحذرهم يا أمير المؤمنين قال: فتبين ذلك في وجه هشام ووثب رجل من بني أمية، فقال لعمرو بن يزيد: وصل الله رحمك وأحسن جزاءك، فلقد شددتَ من أنفس قومك، وانتهزْتَ الفرصة في وقتها، ولكن أحسَبُ هذا الرجل سيَلِي العراقَ، وهو منكِرٌ حسود، وليس يَخارُ[1] لك إن ولي، فلم يرتدعْ عمر بقوله، وظن أنه لا يُقدم عليه، فلما وَليَ لم تكن له همة غيْرُه، حتى قتله، قال: ثم إن مالكاً وجّهَ الفرزدق إلى خالد، فلما قدِم عليه وجده قد حج، واستخلف أخاه أسدَ بنَ عبد الله على العراق، فحبسه أسد، ووافق عنده جريراً، فوثب يشفع له، وقال: إن رأى الأمير أن يَهَبه لي، فقال أسد: أتشفع له يا جرير؟ فقال: إن ذلك أذلُّ له ـ أصلحك الله ـ وكلم أسداً ابنةُ المنذِرُ، فخلّى سبيله، فقال الفرزدق في ذلك: [الطويل]

لا فَضْلَ إلا فَضْلُ أمٍّ على ابْنِها ... كَفَضْلِ أبي الأشبالِ عند الفَرَزْدَقِ[2]
تداركني مِنْ هُوَّةٍ دُونَ قَعْرِها ... ثمانونَ باعاً للطُّوالِ العَشَنَّقِ

وقال جرير يذكر شفاعته له: [الطويل]

وهل لَكَ في عانٍ وليس بِشاكِرٍ ... فتطلقَ عنه عَضَّ مَسِّ الحدائدِ؟[3]
يَعودُ وكان الخُبْثُ منه سَجِيّةً ... وإن قالَ: إني مُنْتَهٍ غَيْرُ عائِدِ

أخبرني عبيد الله، عن محمد بن موسى، عن القحذمي، قال: كان سببَ هرب الفرزدق من زياد، وهو على العراق، أنه كان هجا بني فقيم، فقال فيهم أبياتاً منها: [الوافر]

وآبَ الوَفْدُ وَفْدُ بني فُقَيْمٍ ... بِأَخْبَثِ ما تَؤُوبُ بِهِ الوُفودُ[4]
أتَوْنا بالقُرودِ مُعادليها ... فصارَ الجَدُّ للجدِّ السَّعيدُ[5]

وقال يهجو زيد بن مسعود الفُقَيْمي والأشهب بن رميلة بأبيات، منها قوله:

---

(١) يخار: يختار.
(٢) أبو الأشبال: أسد بن المنذر.
(٣) الحدائد: القيود.
(٤) آب: رجع.
(٥) الجَدّ: الحظ.

[الطويل]

تـمنّى ابنُ مَسْعودٍ لِقائي سَفاهةً ... لـقـد قـالَ مَيْناً يَوْمَ ذاكَ ومُنْكَرا[١]

غناءٌ قَلِيلٌ عَنْ فُقَيمٍ ونَهْشَلٍ ... مَقـامُ هَجينٍ ساعةً ثُمَّ أدْبرا

يعني الأشهبَ بنَ رُمَيْلَة، وكان الأشهبُ خطب إلى بني فُقَيْم، فردوه وقالوا له: اهْجُ الفرزدق حتى نزوّجَك، فرجز به الأشهب، فقال: [الرجز]

يا عَجَبا هلْ يَرْكَبُ القَيْنُ الفَرَسْ ... وَعَرَقُ القَيْنِ على الخَيْلِ نَجَسْ؟

وإنَّما سِلاحُهُ إذا جَلَسْ ... الكَلْبتانِ والعَلاةُ والقَبسْ[٢]

فلما بلغ الفرزدق قولُه هجاه، فأرفث له، وألح الفرزدق على النهشليِّين بالهجاء، فشكوه إلى زياد، وكان يزيدُ بنُ مسعود ذا منزلة عند زياد، فطلبه زياد فهرب، فأتى بكرَ بن وائل فأجاروه، فقال الفرزدق يمدحهم بأبيات: [الطويل]

إنـي وإن كانَتْ تَمِيمٌ عِمارتي ... وكُنْتُ إلى القُرْمُوسِ منها القُماقم[٣]

لَمُثْنٍ على أبناءِ بَكْرِ بنِ وائلٍ ... ثناءً يوافي رَكْبَهُم في المواسِم

همو يوم ذي قارٍ أناخوا فجالدوا ... بـرَأسٍ به تَدْمَى رُؤوسُ الصّلادم[٤]

وهرب، حتى أتى سعيد بن العاصي، فأقام بالمدينة يشرب، ويدخل إلى القيان، وقال: [الطويل]

إذا شِئْتُ غَنَّاني مِنَ العاجِ قاصِفٌ ... على مِعْصَمٍ ريّانَ لم يتخدّدِ

لبيضاءَ مِنْ أَهْلِ المدينةِ لم تَعِشْ ... ببؤسٍ ولم تَتْبَعْ حُمُولةَ مُجْحَدِ

وقامَتْ تخشّيني زِياداً وأَجْفَلَتْ ... حَواليَّ في بُرْدٍ يمانٍ ومَجْسَدِ

فَقُلْتُ: دَعِيني مِنْ زِيادٍ فإنَّني ... أرَى المَوْتَ وقَّافاً على كُلِّ مَرْصَدِ

فبلغ شعرهُ مروانَ، فدعاه وتوعده، وأجّله ثلاثاً وقال: اخرج عني، فأنشأ يقول الفرزدق:

دَعانا ثُمَّ أَجّلَنا ثَلاثاً ... كما وُعِدَتْ لمَهْلَكِها ثَمُودُ

---

(١) المين: الكذب.

(٢) الكلبتان: أداة يلتقط بها الحداد الحديد المحمى. والعلاة: السندان. والقبس: النار.

(٣) العمارة: الحيّ دون القبيلة. والقرموس: السيد الرئيس. والقماقم: الجواد.

(٤) يوم ذي قار: يوم كان بين العرب والفرس وبه انتصف العرب من الفرس. وذو قار: ماء لبكر بن وائل. (معجم البلدان ٤/٢٩٣). والصلادم: جمع صلدم، وهو الأسد.

قال مروان: قولوا له عني: إني أجبته، فقلت: [الكامل]

قُلْ لِلفرزدقِ والسّفاهةُ كاسْمِها إنْ كُنْت تاركَ ما أَمَرْتُكَ فاجلِسِ
وَدَعِ المدينةَ إنّها مَحْظُورةٌ والحَقْ بِمَكّةَ أو بِبَيْتِ المقْدِسِ

قال: وعزم على الشخوص إلى مكة، فكتب له مروان إلى بعض عماله، ما بين مكة والمدينة بمائتي دينار، فارتاب بكتاب مروان، فجاء به إليه وقال: [الكامل]

مروانُ إنّ مَطِيَّتي مَعْقُولةٌ تَرْجُو الحباءَ وربُّها لم يَيْأَسِ[1]
آتَيْتَني بِصَحِيفةٍ مَخْتُومةٍ يُخشَى عَلَيَّ بها حِباءُ النّقْرِسِ[2]
أَلْقِ الصَّحِيفةَ يا فَرَزْدَقُ لا تَكُنْ نكراء مِثْلَ صَحِيفةِ المُتَلَمِّسِ[3]

قال: ورمى بها إلى مروانَ، فضحك، وقال: ويحك! إنك أميٌّ لا تقرأ، فاذهب بها إلى من يقرأُها، ثم ردَّها حتى أختمها فذهب بها، فلما قُرئت إذا فيها جائزة، قال: فردَّها إلى مروان فختمها، وأمر له الحسينُ بنُ عليّ عليه السلام بمائتي دينار، قال: ولما بلغ جريراً أنه أُخرج عن المدينة قال: [الوافر]

إذا حَلَّ المدينةَ فارجُمُوهُ ولا تَدْنُوهُ مِنْ جَدَثِ الرَّسولِ
فما يُحْمَى عليه شَرابُ حدٍّ ولا وَرْهاءُ غائبةُ الحليلِ[4]

فأجابه الفرزدق فقال: [الوافر]

نَعَتَّ لنا مِنَ الورْهاءِ نَعْتاً قَعَدْتُ به لأمِّكَ بالسَّبيلِ
فلا تَبْغي إذا ما غابَ عنها عَطِيَّةُ غَيْرَ نَعْتِكَ مِنْ حَليلِ

[مرضه ووصيته ووفاته]

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثنا أبو عكرمة الضبّيّ عن أبي حاتم السجستاني، عن محمد بن عبد الله الأنصاري، قال أبو عكرمة: وحُكِيَ لنا عن لَبَطَةَ بنِ الفرزدق أن أباه أصابته ذات الجنب[5]، فكانت سبب وفاته.

---

(١) الحباء: العطاء. (٢) النقرس: داء المفاصل.
(٣) المتلمس: شاعر من ربيعة. أعطاه عمرو بن هند صحيفة ولابن اخته طرفة بن العبد صحيفة بأمر أمير البحرين بقتلهما. أما طرفة فمضى بصحيفته فقتل وأما المتلمس فقرأها فمزقها وهرب.
(٤) الورهاء: الحمقاء.
(٥) ذات الجنب: التهاب الغشاء المحيط بالرئة.

قال: ووُصِف له أن يشرب النفط الأبيض، فجعلناه له في قدح، وسقيناه إياه، فقال: يا بني عجّلت لأبيك شراب أهل النار، فقلت له: يا أبت، قل: لا إلا إلا الله، فجعلت أكررها عليه مراراً، فنظر إليّ وجعل يقول: [الطويل]

فَظَلَّتْ تَعالى باليَفاعِ كأنَّها رِماحٌ نحاها وِجْهةَ الرِّيحِ راكزُ[1]

فكان ذا هجِّيراه حتى مات.

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلاّم، قال: حدثَني شُعَيب بن صخر، قال: دخل بلال بن أبي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات فيه، وهو يقول: [الوافر]

أروني مَنْ يَقُومُ لَكُم مقامي إذا ما الأَمْرُ جَلَّ عَنِ الخِطابِ

البيتين[2]، فقال بلال: إلى الله، إلى الله.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، عن الأصمعيّ، قال: كان الفرزدق قد دَبَّر عبيداً له، وأوصى بعتقهم بعد موته، ويُدفع شيء من ماله إليهم، فلما احتُضِر جمع سائرَ أهل بيته، وأنشأ يقول: [الوافر]

أروني مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقامي إذا ما الأَمْرُ جَلَّ عَنِ الخِطابِ
إلى مَنْ تَفْزَعونَ إذا حَثَوْتُم بِأَيْدِيكم عَلَيَّ مِنَ التُّرابِ

فقال له بعض عبيده ـ الذين أمر بعتقهم ـ: إلى الله، فأمر ببيعه قبل وفاته، وأبطل وصيته فيه، والله أعلم.

أخبرني الحسنُ بن عليّ، عن بشر بن مروان، عن الحميديّ، عن سفيان، عن لَبَطه بن الفرزدق قال:

لمّا احتُضِر أبو فراس قال ـ أيْ لبَطَةَ: أبغِني كتاباً أكتبْ فيه وصيتي، فأتيته بكتاب فكتب وصيَّته:

أروني مَنْ يَقُومُ لَكُم مَقامي

البيتين، فقالت مولاة له ـ قد كان أوصى لها بوصية ـ: إلى الله عز وجلَّ، فقال: يا لبطة، امحها من الوصية.

---

(١) تعالى: تتعالى. واليفاع: المرتفع من كل شيء.

(٢) الملاحظ أنه أورد بيتاً واحداً، وهو إما سهو من النساخ أو من المؤلف أو سبق قلم.

قال سفيان: نعم ما قالت وبئس ما قال أبو فراس.

وقال عَوانة: قيل للفرزدق في مرضه الذي مات فيه: أوصِ، فقال: [الطويل]

أُوَصِّي تَميماً إنَّ قُضاعةَ ساقَها ... نَدَى الغَيْثِ عن دارٍ بِدَوْمةَ أو جذْبِ(١)

فإنَّكم الأكفاءُ والغَيْثُ دُولةٌ ... يَكُونُ بِشَرْقٍ مِنْ بِلادٍ ومِنْ غَرْبِ

إذا انْتَجَعَتْ كلْبٌ عليكم فَوَسِّعوا ... لها الدَّارَ في سَهْلِ المقَامَةِ والرَّحبِ

فَأَعْظَمُ مِنْ أَحْلامِ عادٍ حُلومُهم ... وأكثرهم عند العديدِ مِنَ التُّرْبِ

أَشَدُّ جِبالٍ بَعْدَ حَيَّيْن مِرَّةً ... جِبالٌ أُمِرَّتْ مِنْ تميمٍ ومِنْ كَلْبِ

قال: وتوفي للفرزدق ابنٌ صغير قبل وفاته بأيام، وصلَّى عليه، ثم التفت إلى الناس، فقال: [الطويل]

وما نَحْنُ إلا مِثْلُهم غَيْرَ أَنَّنا ... أَقَمْنا قَليلاً بَعْدَهُم وتَقَدَّمُوا

قال: فلم يلبث إلا أياماً حتى مات.

وقال المدائنيّ: قال لَبَطَةُ: أُغمِيَ على أبي، فبكينا ففتح عينيه، وقال: أعليَّ تبكون؟ قلنا: نعم، أفعلى ابن المراغة نبكي؟ فقال: ويحكم! أهذا موضع ذكره؟ وقال: [الوافر]

إذا ما دَبَّتِ الأنقاءُ فَوْقي ... وصاحَ صَدًى عَلَيَّ مَعَ الظَّلامِ(٢)

فَقَدْ شَمِتَتْ أعاديكم وقالَتْ: ... أُدانِيكُمْ مِنَ أَينَ لنا المحامي؟

أخبرني أبو خليفة الفضلُ بنُ الحُباب إجازة، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: حدثنا أبو العَرَّاف، قال: نُعِيَ الفرزدق لجرير، وهو عند المهاجر بن عبد الله باليمامة، فقال:

ماتَ الفَرَزْدَقُ بَعْدَ ما جَرَّعْتُهُ ... لَيْتَ الفرزدقَ كان عاشَ قليلا(٣)

فقال له المهاجر: بئس ما قلت، أتهجو ابن عمك بعد ما مات! ولو رثيته كان أحسن بك. فقال: والله إني لأعلمُ أنَّ بقائي بعده لقليلٌ، وأنَّ نجمي لموافق

(١) دومة: علم على عدة مواضع.

(٢) الأنقاء: جمع نقا، وهو الكثيب من الرمل. والصدى: طائر يخرج من رأس القتيل يصيح حتى يؤخذ بثأره كما تزعم العرب.

(٣) جرعته: سقيته المرّ ونحوه.

لنجمه، أفلا أرثيه؟ قال: أبعد ما قيل لك: ألو كنت بكيته ما نسيتك العرب.

قال أبو خليفة: قال ابن سلام: فأنشدني معاوية بن عمرو، قال: أنشدني عمارة بن عقيل لجرير يرثي الفرزدق بأبيات منها: [الطويل]

فلا ولَدَتْ بَعْدَ الفرزدقِ حامِلٌ ولا ذاتُ بَعْلٍ مِنْ نِفاسٍ تعَلَّتِ[1]
هُوَ الوافِدُ المأمُونُ والرَّاتِقُ الثَّأى إذا النَّعْلُ يَوْماً بالعشيرة زَلَّتِ[2]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبة بخبر جرير لما بلغه وفاة الفرزدق، وهو عند المهاجر، فذكر نحواً مما ذكره ابن سلام، وزاد فيه، قال: ثم قام وبكى وندم، وقال: ما تقارب رجلان في أمر قط، فمات أحدهما إلا أوشك صاحبُه أن يتبعه.

قال أبو زيد: مات الحسنُ وابنُ سيرينَ والفرزدق وجريرٌ في سنة عشرٍ ومائةٍ، فقَبْر الفرزدق بالبصرة، وقَبر جرير وأيوب السّختياني ومالك بن دينار باليمامة في موضع واحد.

وهذا غلط من أبي زيد عمر بن شبة، لأن الفرزدق مات بعد يوم كاظمة، وكان ذلك في سنة اثنتي عشرة ومائة، وقد قال فيه الفرزدق شعراً، وذكره في مواضع من قصائده، ويُقوِّي ذلك ما أخبرنا به وكيع، قال: حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني ابن النّطّاح، عن المدائنيّ، عن أبي اليقظان وأبي هَمّام المجاشعيّ أن الفرزدق مات سنة أربعَ عشرةَ ومائةٍ.

[جرير يرثيه ويرثي نفسه]

قال أبو عبيدة: حدثني أبو أيوب بن كسيب من آل الخطفى، وأمه ابنة جرير بن عطية، قال: بينا جرير في مجلس بفناء داره بحجر إذ راكب قد أقبل، فقال له جرير: من أين وَضَح الراكب[3]؟ قال: من البصرة، فسأل عن الخبر، فأخبره بموت الفرزدق، فقال: [الكامل]

ماتَ الفرزدقُ بَعْدَ ما جَرَّعْتُهُ لَيْتَ الفرزدقَ كانَ عاشَ قليلا

(١) تعلت النفساء: قضت مدة النفاس.
(٢) الثأى: الفتق.
(٣) وضح الراكب: طلع.

ثم سكت ساعة، فظننَّاه يقول شعراً، فدمعت عيناه، فقال القوم: سبحان الله، أتبكي على الفرزدق! فقال: والله ما أبكي إلا على نفسي، أما والله إن بقائي خلافَهُ[1] لقليل، إنه قل ما كان مثلنا رجلان يجتمعان على خير أو شر إلا كان أمدُ ما بينهما قريباً، ثم أنشأ يقول: [الطويل]

فُجِعنا بحمَّالِ الدِّياتِ ابنِ غالبٍ ... وحامي تَميمٍ كُلِّها والبَراجِمِ
بَكَيْناكَ حِدْثانَ الفِراقِ وإنما ... بكيناكَ شجْواً للأمورِ العَظائِمِ[2]
فلا حَمَلَتْ بَعْدَ ابنِ ليلى مهيرَةٌ ... ولا شُدَّ أَنْساعُ المطيِّ الرَّواسِمِ[3]

وقال البلاذريّ: حدثنا أبو عدنان، عن أبي اليقظان، قال: أسنَّ الفرزدق حتى قارب المائة فأصابته الدُّبَيْلة[4]، وهو بالبادية فقدم إلى البصرة؛ فأُتِيَ برجل من بني قيس متطبب؛ فأشار بأن يُكوَى، ويشربَ النفط الأبيض، فقال: أتعجِّلون لي طعام أهل النار في الدنيا؟ وجعل يقول: [الوافر]

أروني مَنْ يَقُومُ لَكُم مَقامي ... إذا ما الأَمْرُ جَلَّ عَنِ الخطابِ

[أبو ليلى المجاشعي يرثيه]

وقال أبو ليلى المجاشعيّ يرثي الفرزدق: [الطويل]

لَعَمْري لقد أَشْجَى تَميماً وهَدَّها ... على نَكباتِ الدَّهْرِ مَوْتُ الفرزدقِ
عَشِيَّةَ قُدْنَا للفرزدقِ نَعْشَهُ ... إلى جَدَثٍ في هُوّةِ الأرضِ مُعْمَقِ
لقد غَيَّبوا في اللَّحْدِ مَنْ كان يَنْتَمي ... إلى كُلِّ بَدْرٍ في السَّماءِ مُحَلِّقِ
ثَوَى حامِلُ الأثقالِ عَنْ كُلِّ مُثقلٍ ... ودفّاعُ سُلطانِ الغشومِ السَّمَلَّقِ[5]
لِسانُ تميمٍ كُلِّها وعِمَادُها ... وناطِقُها المعروفُ عند المُخَنَّقِ
فَمَنْ لِتَميمٍ بَعْدَ مَوْتِ ابن غالبٍ ... إذا حَلَّ يَوْمٌ مُظْلِمٌ غَيرُ مُشرِقِ
لِتَبْكِ النِّساءُ المعْوِلاتُ ابنَ غالبٍ ... لجانٍ وعانٍ في السَّلاسِلِ مُوثَقِ

وقال ابن زكريا الغلابيّ، عن ابن عائشة، قال: مات الفرزدق وجرير في سنة

---

(١) خلافه: بعده.
(٢) حدثان الفراق: ابتداؤه.
(٣) المهيرة: ذات المهر. والمطيّ الرواسم: الإبل السريعة.
(٤) الدبيلة: دمل يظهر في الجوف فيقتل صاحبه غالباً.
(٥) الغشوم: الغاشم، الظالم. والسملّق: السيِّء الخلق.

عشرة ومائة، ومات جرير بعده بستة أشهر، ومات في هذه السنة الحسنُ البصريّ وابنُ سيرين، قال: فقالت امرأة من أهل البصرة: كيف يفلح بلدٌ مات فقيهاه وشاعراه في سنة؟ ونسبت جريراً إلى البصرة لكثرة قدومه إليها من اليمامة، وقبر جرير باليمامة، وبها مات، وقبر الأعشى أيضاً باليمامة، أعشى بني قيس بن ثعلبة، وقبر الفرزدق بالبصرة في مقابر بني تميم: وقال جرير لما بلغه موتُ الفرزدق: قلّما تصاول فحلان، فمات أحدهما إلا أسرع لحاق الآخر به. ورثاهما جماعة، فمنهم أبو ليلى الأبيض، من بني الأبيض بن مجاشع فقال فيهما:

لَعَمْرِي لئنْ قَرْمَا تَميم تَتَابعا ... مُجِيبَيْنِ للدّاعي الذي قد دَعَاهُما
لَرُبَّ عَدُوٍّ فرّقَ الدَّهرُ بَيْنَهُ ... وَبيْنهما لم تُشْوِه ضَغْمتَاهما[1]

أخبرني ابن عمار، عن يعقوب بن إسرائيل، عن قعنب بن المحرز الباهلي، عن الأصمعي، عن جرير يعني أبا حازم قال: رُئِي الفرزدقُ وجرير في النوم، فرئي الفرزدق بخير، وجرير مُعَلّق.

قال قعنب: وأخبرني الأصمعيّ، عن روح الطائيّ، قال: رئيّ الفرزدق في النوم، فذكر أنه غُفِر له بتكبيرة كبّرها في المقبرة عند قبر غالب.

قال قَعنب: وأخبرني أبو عبيدة النحويّ وكيسان بن المعروف النحوي، عن لَبَطة بن الفرزدق، قال: رأيت أبي فيما يرى النائم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: نفعتْني الكلمةُ التي نازَعنيها الحسنُ على القبر.

[هو والحسن البصري في جنازة النوار]

أخبرني وكيع، عن محمد بن إسماعيلَ الحسانيّ، عن عليّ بن عاصم، عن سفيان بن الحسن، وأخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام - والرواية قريب بعضها من بعض -: أنّ النَّوارَ لما حَضَرها الموت أوصت الفَرزدقَ - وهو ابنُ عمها - أن يُصَلِّيَ عليها الحسنُ البصريّ، فأخبره الفرزدق، فقال: إذا فرغتم منها فأعلمني، وأُخرِجت، وجاءها الحسن، وسبقهما الناس، فانتظروهما، فأقبلا والناسُ ينتظرون، فقال الحسن: ما للناس؟ فقال: ينتظرون خيرَ الناس وشرَّ الناس، فقال: إنّي لستُ بخيرهم، ولستَ بشرهم، وقال له الحسن على قبرها: ما أعددتَ لهذا

(١) لم تشوه: لم تخطئه. والضغمة: العضة.

المضجع؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة.

هذا لفظ محمد بن سلاَّم. وقال وكيع في خَبَره: فتشاغل الفرزدق بدفنها، وجلس الحسنُ يعظ الناس، فلما فرغ الفرزدق وقف على حلقة الحسن، وقال:

[الطويل]

لَقَدْ خابَ مِنْ أولادِ آدَمَ مَنْ مَشَى	إلى النَّارِ مَغْلولَ القِلادةِ أزْرَقا
أخافُ وَراءَ القَبْرِ إنْ لم يُعافِني	أشدَّ مِنَ القَبْرِ الْتِهاباً وأضيقا
إذا جاءني يَوْمَ القِيامةِ قائِدٌ	عَنِيفٌ وسَوَّاقٌ يَقُودُ الفَرَزْدَقا

أخبرنا أحمد قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا حيان بن هلال، قال: حدثنا خالد بن الحر قال: رأيت الحسنَ في جِنازة أبي رجاء العُطَارِدِيّ، فقال للفرزدق: ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ بضع وتسعين سنة، قال: إذاً تنجوَ إن صدقت. قال: وقال الفرزدق: في هذه الجِنازة خيرُ الناس وشر الناس، فقال الحسن: لستُ بخير الناس ولستَ بشرهم.

[بكاؤه عند تذكره ذنوبه]

أخبرنا ابن عمار، عن أحمد بن إسرائيل، عن عبيد الله بن محمد القرشيّ بِطُوس، قال: حدثني يزيدُ بنُ هاشم العبديّ قال: حدثنا أبي قال: حدثنا فُضَيلٌ الرّقاشيّ قال: خرجت في ليلة باردة، فدخلتُ المسجدَ، فسمعتُ نشيجاً وبكاءً كثيراً، فلم أعلم مَنْ صاحبُ ذلك، إلى أن أسفر الصبح، فإذا الفرزدق، فقلت: يا أبا فراس، تركت النّوار، وهي لَيّنة الدّثار دَفِئة الشِّعار، قال: إني والله ذكرت ذُنُوبي، فأقلقتْني، ففزعت إلى الله عز وجل.

أخبرني وكيعٌ، عن أبي العباس مسعود بن عمرو بن مسعود الجحدريّ قال: حدثني هلال بن يحيى الرازيّ، قال: حدثني شيخ كان ينزل سكة قريش قال: رأيت الفرزدق في النوم فقلتُ: يا أبا فراس، ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بإخلاصي يوم الحسن، وقال: لولا شيبتك لعذّبتك بالنار.

أخبرني هاشم الخزاعيّ عن دَماذ، عن أبي عبيدة، عن لَبَطة بن الفرزدق، عن أبيه، قال: لقيت الحسين بن عليّ - صلوات الله عليهما - وأصحابَه بالصِّفاح[1]،

(١) الصفاح: موضع بين حنين وأنصاب الحرم. (معجم البلدان ٣/ ٤١٢).

وقد ركبوا الإبل، وجَنَّبوا الخيل، متقلّدين السيوفَ، متنكِّبين القِسِيَّ، عليهم يلامق[١] من الديباج، فسلمت عليه، وقلت: أين تريد؟ قال: العراق، فكيف تركت الناس؟ قلت: تركتُ الناسَ قلوبُهم معك، وسيوفُهم عليك، والدنيا مطلوبة، وهي في أيدي بني أمية، والأمر إلى الله عز وجل، والقضاء ينزل من السماء بما شاء.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، وأحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبّة قال: حدثني هارون بن عمر، عن ضمرة بن شوذب قال: قيل لأبي هريرة: هذا الفرزدق، قال: هذا الذي يقذف المحصناتِ، ثم قال له: إني أرى عظمَك رَقيقاً وعِرْقَك دقيقاً، ولا طاقةَ لك بالنار، فتُبْ فإن التّوبةَ مقبولةٌ من ابن آدمَ حتى يَطيرَ غُرابه[٢].

أخبرني هاشم بن محمد، عن الرياشيّ، عن المنهال بن بحر بن أبي سلمة، عن صالح المرّي، عن حبيب بن أبي محمد، قال: رأيت الفرزدق بالشام، فقال: قال لي أبو هريرة: إنه سيأتيك قوم يوئِسُونك من رحمة الله، فلا تيأسْ.

[مقارنة بين الثالوث الأموي]

قال أبو الفرج: والفرزدق مقدّم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل، وَمحلُّه في الشعر أكبر من أن يُنبَّه عليه بقول، أو يُدلَّ على مكانه بوصف؛ لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم، ويعلمان تَقدُّمَه بالخبر الشائع علماً يُستغْنَى به عن الإطالة في الوصف، وقد تكلّم الناس في هذا قديماً وحديثاً، وتعصبوا واحتجوا بما لا مزيد فيه، واختلفوا بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة في أيّهم أحقُّ بالتقدم على سائرها، فأمّا قدماءُ أهل العلم والرواة فلم يسوُّوا بينهما وبين الأخطل؛ لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر، ولا له مثلُ ما لهما من فنونه، ولا تصرَّفَ كتصرّفهما في سائره، وزعموا أن ربيعة أفرطت فيه، حتى ألحقته بهما، وهم في ذلك طبقتان، أما من كان يميل إلى جزالة الشعر وفخامته وشدّة أسرِهِ، فيُقدّم الفرزدق، وأما مَنْ كان يميل إلى أشعار المطبوعين، وإلى الكلام السَّمح السهل الغزِل فيقدِّمُ جريراً.

---

(١) يلامق: جمع يلمق، وهو القباء.

(٢) طار غرابه: شابَ.

أخبرنا أبو خليفة، قال: حدثنا محمد بن سلاّم، قال: سمعت يونس بن حبيب يقول: ما شهدت مشهداً قط ذكر فيه الفرزدق وجريرٌ، فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحدهما. قال ابن سلام: وكان يونس يقدم الفرزدق تقدمة بغير إفراط، وكان المفضل يقدمه تقدمة شديدة.

قال ابن سلام: وقال ابن دأب، وسئل عنهما، فقال: الفرزدق أشعر خاصَّةً وجرير أشعرُ عامَّةً.

أخبرني الجوهريّ وحبيب المهلبيّ عن ابن شبة، عن العَلاء بن الفضل، قال: قال لي أبو البيداء: يا أبا الهُذَيل، أيّهما أشعر؟ أجرير أم الفرزدق؟ قال: قلت: ذاك إليك، ثم قال: ألم تسمعهُ يقول: [البسيط]

ما حُمِّلَتْ ناقةٌ مِنْ مَعْشَرٍ رَجُلاً ... مِثْلي إذا الرِّيحُ لَفَّتْني على الكُورِ
إلا قُرَيْشاً فإنَّ الله فَضَّلَها ... مَعَ النُّبُوَّةِ بالإسْلامِ والخِيْرِ

ويقول جرير: [البسيط]

لا تَحْسَبَنَّ مِرَاسَ الحَرْبِ إذ لَقِحَتْ ... شُرْبَ الكسِيسِ وأَكْلَ الخُبْزِ بالصِّيرِ؟[1]

سلح والله أبو حزرة.

أخبرني هاشم الخزاعيّ، عن أبي حاتم السجستانيّ، عن أبي عبيدة، قال: سمعت يونس يقول: لولا شعرُ الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب.

أخبرني هاشم الخزاعيّ، عن أبي غسان، عن أبي عبيدة قال: قال يونس أبو البيداء: قال الفرزدق: كنت أُهاجي شعراءَ قومي، وأنا غلام في خلافة عثمانَ بن عفان، فكان قومي يخشون مَعَرّة لساني[2] منذ يومئذ، ووفد بي أبي إلى عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله عليه عامَ الجمل، فقال له: إن ابني هذا يقول الشعر، فقال: علّمه القرآن، فهو خير له.

[مباراته الشعراء وخوف الناس من لسانه]

قال أبو عبيدة: ومات الفرزدق في سنة عشر ومائة، وقد نيّف على التسعين

(١) الكسيس: شراب يتخذ من الذرة والشعير. والصير: ضرب من الحساء.

(٢) المعرة: السوء، الإيذاء.

سنة، كان منها خمسة وسبعين سنة يباري الشعراء، ويهجو الأشراف فيغضّهم، ما ثبت له أحد منهم قط، إلا جريراً.

أخبرني محمدُ بن عِمرانَ الصَّيرفيُّ، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنَزيّ، قال: حدثني محمد بن معاوية الأسديّ، قال: حدثنا ابن الرازي، عن خالد بن كلثوم قال: قيل للفرزدق: ما لك وللشعر؟ فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً، ولا كان صعصعةُ شاعراً، فمن أين لك هذا؟ قال: من قِبَل خالي، قيل: أيُّ أخوالك؟ قال: خالي العَلاءُ بن قرظة الذي يقول: [الوافر]

إذا مـا الـدَّهـرُ جَـرَّ عـلـى أُنـاسٍ ... بِـكَـلْـكَـلِـهِ أَنـاخَ بـآخـريـنـا[1]
فَـقُـلْ لـلـشَّـامِـتـيـنَ بـنـا أَفِـيـقـوا ... سَـيَـلْـقَـى الشَّـامِـتـونَ كـمـا لَـقِـيـنـا

أخبرني عمّي قال: حدثنا الكُرانيّ، عن العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، عن حمّاد الراوية، وأخبرني هاشم الخزاعي، قال: حدثنا دَماذ، عن أبي عبيدة قال: دخل قوم من بني ضَبَّة على الفرزدق فقالوا له: قبَّحك اللّهُ من ابن أختٍ! قد عرّضتنا لهذا الكلب السفيه - يعنون جريراً - حتى يشتم أعراضَنا، ويذكر نساءَنا، فغضب الفرزدق، وقال: بل قَبَّحَكم الله من أخوال! فوالله لقد شَرَّفكم من فخري أكثرُ مما غَضَّكم من هجاء جرير، أفَأنا ويلكم عَرَّضتكم لسُوَيد بن أبي كاهل حيث يقول: [الطويل]

لـقـد زَرِقَـتْ عَـيْـنـاكَ يـابـن مُـكَـعْـبَـرٍ ... كـمـا كُـلُّ ضَـبِّـيٍّ مِـنَ الـلُّـؤم أَزْرَقُ
تَرَى اللُّؤْمَ فيهم لائِحاً في وُجُوهِهِمْ ... كما لاحَ في خَيْلِ الحَلائِبِ أَبْلَقُ[2]

أو أنا عرّضتكم للأغلب العِجلي حيث يقول: [الرجز]

لَـنْ تَـجِـدَ الـضَّـبِّـيَّ إلاَّ فَـلاَّ ... عَـبْـداً إذانـاً ولـقـوم ذَلاَّ[3]
مـثـل قَـفـا الـمُـديـةِ أو أَكَـلاَّ ... حـتـى يَـكُـونَ الألأَمَ الأَقَـلاَّ

أو أنا عرّضتكم له حيث يقول:

إذا رَأَيْـتَ رَجُـلاً مِـنْ ضَـبَّـهْ ... فَـنِـكْـهُ عَـمْـداً فـي سَـوَاءِ الـسَّـبَّـهْ

(١) الكلكل: الصدر.
(٢) الحلائب: جمع حلبة، وهي خيل السباق. والأبلق: الذي اجتمع فيه سواد وبياض.
(٣) الفَلّ: المنهزم (للواحد والجمع). وإذاناً: مصدر مفعول لفعل محذوف تقديره آذنه أي أخذ بأذنه.

إن اليمانيَّ عِقاصُ الزِّبَّه

أو أنا عرضتكم لمالك بن نويرة حيث يقول: [الطويل]

ولو يُذْبَحُ الضَّبيُّ بالسَّيْفِ لَمْ تَجِدْ مِنَ اللُّؤْمِ للضَّبِّيِّ لَحْماً ولا دَما!

والله لما ذكرتُ من شرفكم، وأظهرتُ من أيامكم أكثرُ، ألستُ القائلَ:

[الكامل]

وأنا ابنُ حَنْظَلَةَ الأغرُّ وإنني في آلِ ضَبَّةَ لِلْمُعِمُّ المُخْوِلُ

فرعانِ قد بَلَغَ السَّماءَ ذُراهما وإليهما مِنْ كُلِّ خَوْفٍ يُعْقَلُ(١)

أخبرنا أبو خليفة، عن ابن سلام، عن أبي بكر محمد بن واسع وعبد القاهر قالا: كان فتى في بني حرام بن سماك شويعر، قد هجا الفرزدق، فأخذناه، فأتينا به الفرزدق، وقلنا: هو بين يديك، فإن شئت فاضرب، وإن شئت فاحلق، لا عدوى عليك ولا قصاص، فخلّى عنه وقال: [الوافر]

فَمَنْ يَكُ خائِفاً لأذاةِ قَوْلِي فقد أمِنَ الهِجاءَ بنو حَرامِ

هُمُ قادُوا سَفِيهَهُمُ وخافُوا قَلائِدَ مِثْلَ أَطْواقِ الحَمَامِ

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثني الحكم بن محمد، قال: كان رجل من قضاعة ثم من بني القَين على السِّند، وفي حبسه رجل يقال له حُبَيْشٌ - أو خُنَيْسٌ - وطالت غيبته عن أهله، فأتت أُمُّه قبرَ غالب بكاظمة، فأقامت عليه، حتى علم الفرزدق بمكانها، ثم إنها أتت فطلبت إليه في أمر ابنها، فكتب إلى تميم القضاعيّ: [الطويل]

هَبْ لي خُنَيْساً واتَّخِذْ فيه منّةً لِغُصَّةِ أُمٍّ ما يَسُوغُ شَرابُها

أَتَتْني فعاذَتْ يا تَميمُ بغالِبٍ وبالحُفْرةِ السَّافي عليه ترابها

تَميمُ بنَ زَيْدٍ لا تَكُونَنَّ حاجتي بِظَهْرٍ فلا يَخْفَى عَلَيَّ جوابُها

فلما أتاه الكتابُ لم يدر: أخنيس أم حبيش! فأطلقهما جميعاً.

أخبرني أبو خليفة، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: حدثني أبو يحيى الضّبيّ قال: ضرب مكاتب لبني مِنْقَر خيمةً على قبر غالب، فقدم الناس على

(١) عقل إليه: لجأ وفزع إليه.

الفرزدق فأخبروه أنهم رأوا بناءً على قبر غالب أبيه، ثم قدم عليه، وهو بالمِرْبد فقال: [الطويل]

خَشِيتُ الرَّدَى أو أن أُردَّ على قَسْرِ بِقَبْرِ ابنِ لَيْلى غالبٍ عُذْتُ بعدما
فَكَاكُكَ أن تَلْقَى الفرزدقَ بالمِصْرِ فخاطبني قَبْرُ ابنِ ليلى وقال لي:

فقال له الفرزدق: صدق أبي، أنخْ أنخْ، ثم طاف في الناس، حتى جمع كتابته وفضلاً.

أخبرني ابنُ خلف وكيع، عن هارونَ بن الزيات، عن أحمد بن حماد بن الجميل، قال: حدثنا القحذميّ، عن ابن عيّاش، قال: لقيتُ الفرزدق فقلتُ له: يا أبا فراس، أنت الذي تقول:

يُقطَّعْن إذ غيَّبْن تَحْتَ السقائِف[1] فَلَيْتَ الأكُفَّ الدَّافناتِ ابنَ يُوسُفٍ

فقال: نعم، أنا، فقلتُ له: ثم قلتَ بعد ذلك له: [الطويل]

لَقُوا دوْلةً كان العَدُوُّ يُدالُها لَئِنْ نَفَرُ الحَجّاجِ آلُ مُعَتِّب
وفي الناسِ مَوْتاهم كلوحاً سِبالُها لَقَدْ أَصْبَحَ الأَحْياءُ منهم أذلةً

قال: فقال الفرزدق: نعم، نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه، فإذا تخلى منه انقلبنا عليه.

أخبرنا هاشم بن محمد، عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ، عن عمه، عن بعض أشياخه قال: شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية، فقال: أجزنا شهادة الفرزدق أبي فراس، وزيدونا شهوداً، فقام الفرزدق فرحاً، فقيل له: أما والله ما أجاز شهادتك! قال: بلى، قد سمعته يقول: قد قبلنا شهادة أبي فراس، قالوا: أفما سمعتَه يستزيد شاهداً آخر؟ فقال: وما يمنعه ألا يقبلَ شهادتي، وقد قذفتُ ألفَ محصنة!

أخبرنا ابن دُرَيْد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، عن يونس، قال: كان عطيةُ بنُ جُعال الغدانيّ صديقاً ونَديماً للفرزدق، فبلغ الفرزدق أنّ رجلاً من بني غُدانَة هجاه وعاون جريراً عليه، وأنه أراد أن يهجو بني غُدانة، فأتاه عطية بن جُعَال فسأله أن يصفح له عن قومه، ويهب له أعراضَهم، ففعل ثم قال:

(١) ابن يوسف: هو الحجاج بن يوسف الثقفي. والسقائف: غطاء القبر.

[الكامل]

أبني غُدانةَ إنني حَرَّرْتُكُم فَوَهَبْتُكُم لِعَطِيَّةَ بنِ جُعال
لولا عَطِيّةُ لاجْتَدعْتُ أُنوفَكُم مِنْ بَيْنِ ألأمِ أَعْيُنٍ وسِبال[1]

فبلغ ذلك عطية، فقال: ما أسرع ما ارتجع أخي هبَته، قبحها الله من هبة ممنونة مرتجعة.

أخبرني وكيع، عن هارون بن محمد قال: حدثني قبيصة بن معاوية المهلّبيُّ، عن المدائني، عن محمد بن النضر، أن الفرزدق مرَّ بباب المفضَّل بنِ المهلَّب، فأرسل إليه غِلمة، فاحتملوه، حتى أُدخِل إليه بواسط، وقد خرج من تيّار ماء كان فيه، فأمرَ به فأُلقي فيه بثيابه، وعنده ابنُ أبي علقمة اليَحمَديّ المجنونُ، فسعى إلى الفرزدق، فقال له المفضل: ما تريد؟ قال: أُريد أن أنيكه وأفضحه، فوالله لا يهجو بعدها أحداً من الأزد، فصاح الفرزدق: الله الله أيها الأمير فيّ، أنا في جوارك وذمتك؛ فمنع عنه ابن أبي علقمة، فلما خرج قال: قاتل الله مجنونَهم؛ والله لو مسَّ ثوبُه ثوبي لقام بها جرير وقعد، وفضحني في العرب فلم يبق لي فيهم باقية.

وأخبرني بنحو هذا الخبر حبيب المهلبيُّ، عن ابن شبة، عن محمد بن يحيى، عن عبد الحميد، عن أبيه، عن جده، قال أبو زيد: وأخبرني أبو عاصم عن الحسن بن دينار، قال: قال لي الفرزدق: ما مر بي يوم قط أَشَدّ عليّ من يوم دخلتُ فيه على أبي عيينة بن المهلب ـ وكان يوماً شديد الحر ـ فما منّا أحد إلا جلس في أَبْزَن[2]. فقلنا له: إن أردت أن تنفعنا فابعث إلى ابن أبي علقمة، فقال: لا تريدوه؛ فإنه يكدّر علينا مجلسنا، فقلنا: لا بد منه، فأرسل إليه، فلما دخل فرآني قال: الفرزدق واللّهِ! ووثب إليّ، وقد أنعظ أَيره، وجعل يصيح: والله لأنيكنّه؛ فقلت لأبي عيينة: الله الله فيَّ، أنا في جوارك، فوالله لئن دنا إليّ لا تبقى لي باقية مع جرير؛ فلم يتكلم أبو عيينة؛ ولم تكن لي همة إلا أن عدَوْتُ حتى صعِدتُ إلى السطح، فاقتحمت الحائط، فقيل له: ولا يوم زياد كان مثل يومئذ، فقال: ولا مثل يوم زياد.

أخبرني عمي، عن ابن أبي سعد، عن أحمد بن عمر، عن إسحاق بن مروان مولى جهينة وكان يقال له كوزا الراوية؛ قال أحمد بن عمر: وأخبرني عثمان بن

(١) جَدَّع أنفه: قطعه.

(٢) الأبزن: حوض من المعدن للاستحمام.

خالد العثماني، أن الفرزدق قدم المدينة في سنة مُجْدبة حصّاء[١] فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز، فقالوا له: أيها الأمير، إن الفرزدق قدم مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة التي أهلكت عامة الأموال التي لأهل المدينة، وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً، فلو أن الأمير بعث إليه فأرضاه، وتقدم إليه ألا يَعرِض لأحد بمدح ولا هجاء؛ فبعث إليه عمر: إنك يا فرزدق قدمت مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة، وليس عند أحد ما يعطيه شاعراً، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم فخذها، ولا تعرِضْ لأحد بمدح ولا هجاء، فأخذها الفرزدق، ومرّ بعبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو جالس في سقيفة داره، وعليه مُطْرَف[٢] خَزّ أحمر وجُبَّةُ خزّ أحمر، فوقف عليه، وقال: [الوافر]

أَعَـبـد الله أنـت أَحَـقُّ مـاشٍ ... وسـاعٍ بـالـجـماهـيـرِ الـكـبـارِ
نَـمـا الـفـاروقُ أمّـك وابـنُ أروَى ... أبـوكَ فـأنْـتَ مُـنـصَـدَعُ الـنّـهـارِ
هـمـا قَـمَـرا الـسَّـمـاءِ وأنـتَ نَـجْـمٌ ... بـه فـي الـلَّـيْـلِ يُـدْلـجُ كُـلُّ سـارِ

فخلع عليه الجبة والعمامة والمِطْرف، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج رجل كان حضر عبد الله والفرزدقُ عنده، ورأى ما أعطاه إياه، وسمع ما أمره عمر به من ألا يعرض لأحد، فدخل إلى عمر بن عبد العزيز فأخبره، فبعث إليه عمر: ألم أتقدم إليك يا فرزدقُ ألا تعرضَ لأحد بمدح ولا هجاء؟ أخرج، فقد أجلتك ثلاثاً، فإن وجدتك بعد ثلاث نكّلت بك؛ فخرج وهو يقول:

فَـأَجَّـلَـنـي وواعَـدَنـي ثَـلاثـاً ... كـمـا وُعِـدَت لـمـهْـلـكِـهـا ثَـمُـودُ

قال: وقال جرير فيه: [المتقارب]

نـفَـاكَ الأغـرُّ ابـنُ عَـبْـدِ الـعـزيـزِ ... ومِـثْـلُـكَ يُـنـفَـى مِـنَ الـمَـسْـجِـدِ
وَشـبَّـهْـتَ نَـفْـسَـكَ أَشْـقَـى ثَـمُـودَ ... فـقـالـوا: ضَـلَـلْـتَ ولـم تَـهْـتَـدِ

أخبرني حبيب المهلّبي، عن ابن أبي سعد، عن صباح، عن النوفليّ بن خاقان، عن يونس النحويّ قال: مدح الفرزدقُ عمرَ بن مسلم الباهلي، فأمر له بثلثمائة درهم، وكان عمرو بن عَفراء الضَّبيّ صديقاً لعمر، فلامه وقال: أتعطي الفرزدق ثلثمائة درهم، وإنّما كان يكفيه عشرون درهماً؟ فبلغه ذلك فقال:

(١) سنة حصّاء: جرداء لا خير فيها.
(٢) المطرف: رداء من خزّ ذو أعلام.

[الطويل]

نَهَيْتُ ابنَ عِفْرَى أن يُعَفِّر أمَّهُ كعَفْر السَّلا إذ جرّرَتْه ثعَالِبُهْ
وإنَّ امْرَأً يَغْتابني لم أَطَأْ له حَريماً فلا ينهَاهُ عنِّي أقارِبُهْ
كَمُحْتَطِبٍ يَوْماً أساودَ هضْبةٍ أتاهُ بها في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ حاطِبُهْ
ألمّا استَوى ناباي وابْيَضَّ مِسْحلي وأَطْرقَ إطراقَ الكَرَى مَنْ أحارِبُهْ؟
فلو كان ضَبِّيًّا صَفَحْتُ ولو سَرَتْ على قدمي حيَّاتُهُ وعقارِبُهْ
ولكن دِيافيٌّ أبوه وأمه بحَورانَ يعصِرنَ السَّليطَ قرائِبُهْ

صوت

ومقالها بالنَّعْفِ نَعْفِ مُحَسَّرٍ لفتاتها: هل تَعْرفينَ المُعْرِضا؟
ذاك الذي أَعْطَى مَواثقَ عَهدِهِ ألاّ يَخُونَ وخِلتُ أنْ لَنْ يَنْقُضا
فَلَئِنْ ظَفِرْتُ بِمِثْلِها مِنْ مِثْلِهِ يَوْماً ليَعترفَنَّ ما قد أقْرَضا

الشعر لخالد القَسْريّ، والناس ينسبونه إلى عمرَ بن أبي ربيعة، والغناء للغريض، ثقيل أولُ بالوسطى، عن الهشامي وابن المكي وحبش. وقبل أن أذكر أخبارَه ونسبَه فإني أذكر الرواية في أنّ هذا الشعرَ له.

أخبرنا محمد بن خلف وكيع، قال: أخبرني عبد الواحد بن سعيد، قال: حدثني أبو بشر، محمد بن خالد البجليّ، قال: حدثني أبو الخطَّاب بن يزيد بن عبد الرحمن، قال: سمعت أبي يحدث، قال: حدثني مسمع بن مالك بن جحوش البجليّ، قال: ركب خالد بن عبد الله، وهو أمير العراق، وهو يومئذ بالكوفة إلى ضيعته التي يقال لها المكْرَخةُ، وهي من الكوفة على أربعة فراسخ، وركبت معه في زورق، فقال لي: نشدتك الله يابن جحوشٍ، هل سمعت غريضَ مكة يتغنى:

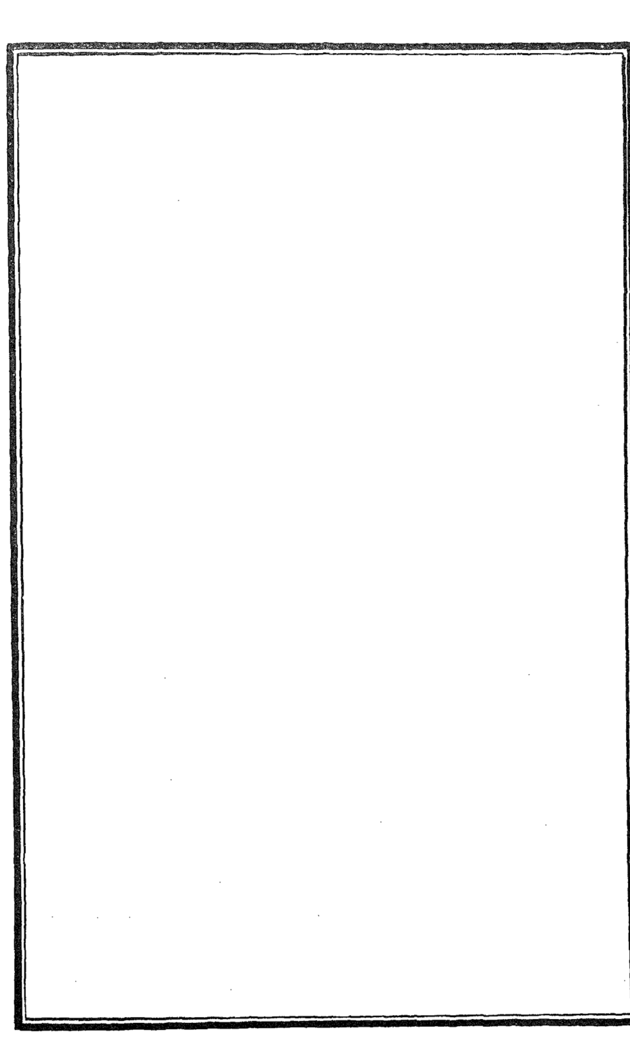
ومقالها بالنَّعْفِ نَعْفِ مُحَسَّرٍ لفتاتها: هل تَعْرِفينَ المُعْرِضا

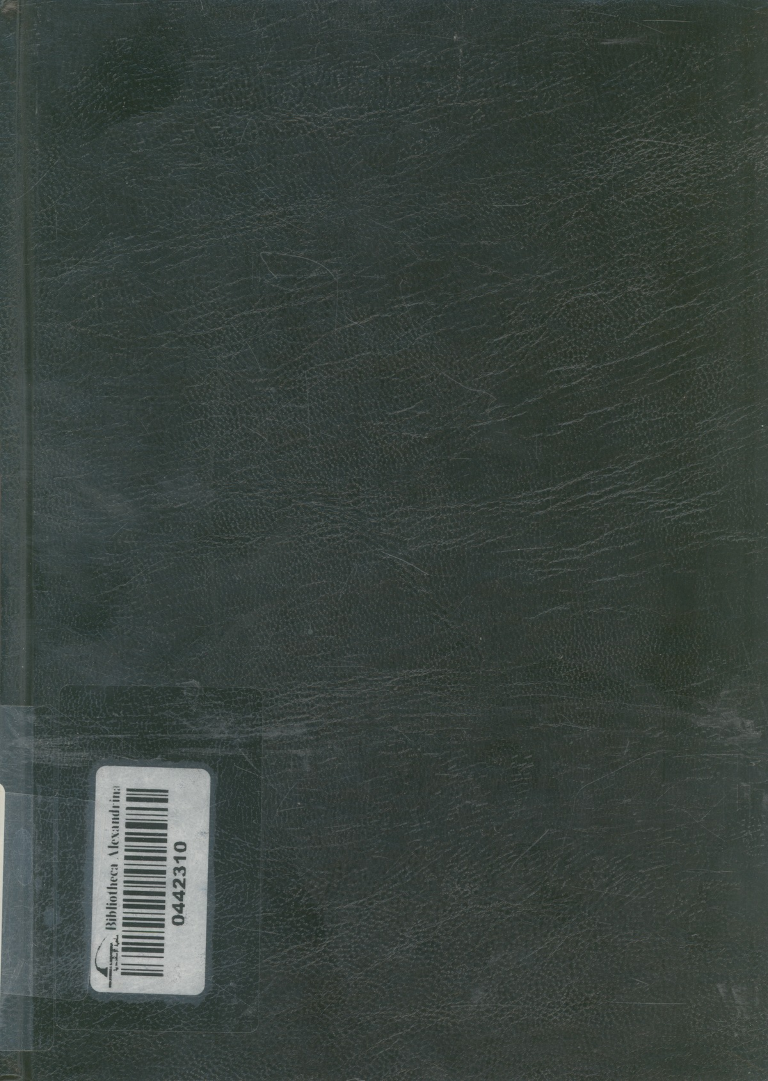
قال: قلت: نعم، قال: الشعر والله لي، والغناء لغريض مكة. وما وجدت هذا الشعر في شيء من دواوين عمرَ بنِ أبي ربيعة التي رواها المدنيّون والمكيّون؛ وإنما يوجد في الكتب المحدثة والإسنادات المنقطعة، ثم نرجع الآن إلى ذكره.

انتهى الجزء الواحد والعشرون من كتاب الأغاني

ويليه الجزء الثاني والعشرون وأوله أخبار خالد بن عبد الله

الفهرس




Bibliotheca Alexandrina
04442310